

THE BOOK WAS DRENCHED

TIGHT BINDING BOOK

الدرس التام في التاريخ العام المختص من كتب التواريخ الاوروبية والعربية

في الساحة الخديوية

لقد صدق تدرسه لطلبة العلم بمدرسة دارالعلوم المصرية

جمع وتعريب

العبد الفقير ابي السعود ائتمدى

المترجم ديوان المعارف العمومية

ومدرس علم التاريخ العام في المدرسة المذكورة

جعل الله بالعناية الخديوية من المآثر المأثورة

آمين



(طبعة أولى)

بمطبعة وادى النيل المصرية

الكائنة بخط باب الشعريه

بمصر القاهرة

سنة ١٢٨٩



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قص في كتابه العزيز أحسن القصص من أخبار القرون الأولى وآثار الأمم
السابقين ما فيه أسوة حسنة وقدوة مستحسنة لأولى الابصار من الملل والأقوام اللاحقين
ونص فيه أمكن النص على ما فيه أجل عبرة للعتبرين وأكمل تبصرة للتبصرين لقصد
التربية والتعليم وجعل التواريخ مدرسة مستمرة للتدبر والتجرب ومقبسة نيره للحكم والتأدب
يهتدي بها في ظلمات الإغصار كل ذي ذوق سليم وأتم الصلاة واعم التسليم على
سيدنا محمد أفضل مؤسس لجاعة بشرية من عدان البنية الدينية وبنیان العمارة الوطنية
على أقوى أساس وأكمل مقتبس للهداية القندية ورعاية الامنية بأضوأ مقباس سمحت
سيرته ووضحت سنته فهو أحسن أسوة يهتدى بها المهتدون وأمن عروة يعتمد عليها
المعمدون في السالك للطريق المستقيم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الناصحين على محمد
والناصحين على مثاله الذين اعتنوا بآماله اعتمدوا به على ما كان لهم قدس يد وساعده
على مارام وقاموا من بعده بأعباء الامر أتم القيام ففاضوا بامتزية التكميل وحازوا فضيلة التتبع
رضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه فهم في جنة النعيم المقيم

وبعد فيقول العبد الفقير الى الله المعيد المبدى والمخلوق الحقير المدعو باسم أبي السعد
أفندي أناني عصر لا يقاس بالاعصر الاول وفي وطن وملة هم أفضل الاوطان والملل حدثت
فيه حوادث جليلة من أثار عدن الملل الاورويي وغيرهم من الامم الاجنبية لم يكن مثلها
في الازمان السالفة بعمود وبدع جيلة لم يكن شيء منها في الاوطان السابقة بشمود كاستخدام
القوة الكهر بائية في سرعة نقل الاخبار التراسلية بالاشارة التفرافية وكاستعمال القوة
البخارية في قضاء الحوائج السفرية البرية والبحرية وغير ذلك من الاختراعات العصرية
وترتب على ذلك حصول حركة تقدمية شديدة ورغبة تعليمية أكيدة أخذ منها الملل الاوروية
وغيرهم من أبناء هذا الجيل في الممالك الاجنبية بأور نصيب وأكبر سهم مصيب حتى صار لهم
اليد العليا في أمور هذه الدنيا ولزمننا كذلك معاشرا أبناء العصر من أهل مصر أن نشم عن
ساعد الجود والاجتهاد ونسب هذا النوع من الجهاد كل ثغران فتح لينا من هذا الوجه باحكم
سداد كما منا على قدر مسرته ومدار منطقته ولكل مجتهد نصيب من على همة إما
بوظيفة

الدرس الثام (٣) في التاريخ العام

بوظيفة معلم أو متعلم أو مؤلف أو مترجم أو مأموراً يا كان في دائرة مأموريته وها هو سعادة
 افندينا خديومصرنا وولى أمر مصرنا **ابوالقدا سمعيل بن ابراهيم** بلغه الله
 من المقاصد الخيرية كل حظ عظيم أول داع أماناً في طريق التقدين والاسعاد وخير ساع قد امانا
 في طريق التحسين والحصول على المراد يريدان بمدتنا ويودان يصلح احوال ديننا ووطننا
 ويرغب أن ينزوع رقولنا ويكثر مقلولنا ومعقولنا وماعليننا الآن تقفوا اثره في الطريقة الجادة
 ونسير وراءه في منهج السعادة حتى نأخذ حظنا كغيرنا من الامم المعاصرين ونستوفي حقنا باسوة
 الملل المجاورين من هذه الحركة القهرية والبركة العصرية ونحصل لاوطننا المصرية من ذلك
 الغرض المهم على أوفر نصيب وأتم وها هو أعزاه الله وبلغه من مقاصد الخير مناه دليلا
 على شدة عنايته بعبادة التعلم والتعليم وصداقة رغبته في قضية نشر المعارف والعلوم قد أقام
 بالنيابة عن ذاته العلية في مباشرة ادارة ديوان المعارف والاوقاف والاشغال العمومية الامير
 النجيب والوزير المصيب **سعادة حسين كامل باشا** ثاني انجاله الكرام فجلس
 في دست هذه النظارة وقام بعباءة هذه الوزارة ينظر في الامور يعين الناقد البصير اذ كان
 قبل ذلك قد تصرف في عدة من المصالح وعرف الاصلح منها والصالح وابدى في حسن ادارتها
 ما لم يرق فيه مدح المادح وأقام في جنبه بتمام الاستشارة حضرة العالم الفاضل والرئيس السكامل
 على مبارك باشا أحد رجاله العلماء الاعلام وأحاطه برجال عظام وابطال خفام كلهم
 أولو حنكة في المواد التعليمية والادارة العمومية أفلا يجب حينئذ على كل واحد من الاتحاد
 ان يكمل عقد نظام هذه الاعمال ويساعد على جميل هذا الاستعداد وهل يبلغ قصده من
 العمل بمقدوره جهده أم هل يصفق كف وحده كلابل البركة كل البركة في تمام الحركة وكأن
 الاتباع لا بد لهم من امام فكذلك الامام يطلب أتباعه ويد الله مع الجماعة

وها هو من مقاصد الخديوية الحميدة ومشاغبه الخيرية العديدة انشأ في هذه الايام السعيدة
 مدرسة اصلية جديدة ومغرسه للعلم مفيدة تسمى باسم دارالعلوم الخديوية فضلاً عن غيرها
 من المدارس الملكية والعسكرية ليتربى فيها ما مست اليه الان الحاجة مع غاية الانحاح
 واللباحة من المعلمين والحوجات اللازمين لساير المدارس الميرية ولا سيما المكاتب الابتدائية
 الجارية الاعتناء بانشاها في كل بند ومديرية بالعناية الدورية ولتكون لنقل النقائق منها
 لقصد تزيينهم في أراضي المزارع التعليمية من أنفع المغارس العلمية وجئ بكم أيها الشبان
 المصريون واجتمعوا هنا شملكم أيها الاخوان الازهريون مستوفين لشروط التجهيزات
 الاولى اللازمة للاستفادة من الدروس العالية التي ترتبت لكم بعرفة الديوان في هذه المدرسة
 الأصلية لابرار هذا القصد السعيد من خيرا لامل الى خيرا للوجود ومن يجنب منكم بالخب من
 يصلح للتدريس في المدارس الأخرى وهذه لعمري من ثمة عيليا هي بالاجتهاد أحق وأحرى

حيث تهوون ان شاء الله تعالى من خدمة الاوطان وتأدية انفع وتطبيقه لامتناء الاديان بسعادة الدارين الآخرة والدنيا اما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه من كلامه المحكم ومن اراد الدنيا فليعلم بالعلم ومن اراد الآخرة فليعلم بالعلم ومن ارادهما معا فليعلم بالعلم أو كما قال وقد ترتب لكم من الاساتذة في خطة التربية والتعليم من لزمت في كل فرع من العلوم حتى تتنور منكم الافهام وتترى فيكم ان شاء الله تعالى ملكة التدريس كما يجب حسب المرام وصدر لهذا العبد أيضا من لدن ديوان نظارة المعارف والوقاف والاشغال الامر العالي الواجب الامتنال بان يتحمل لكم اعباء تدريس التاريخ العام ورؤى فيه الاهلية للقيام بهذا المقام وان كان لا يرى في نفسه غير القصور عن ارتقاء مثل هذه القصور ووجب علينا المناسمة التقدير بوظيفة تدريس علم التاريخ هذه الجسيمة ان نجعل براعه استهلانا وحسن ابتداء مقالنا بان نقيه هنا في هذه الخطبة هذه الحوادث التاريخية السديدة والوقائع العصرية المفيدة وحيث كان الاجتهاد عبارة عن بذل المجهود لتل المقصود وبالاختصار ينال المراد وبالتأني كما قيل يبلغ التقي وكان هذا الدرس لم يسبق لاحد في ديارنا هذه ان يلقه في محفل عام وها هو بالارادة الخديوية العلية والافادة النظرية السنية قد ترتب هنا هذا الكرسي لهذا المحفل الدراسي وهو بحر طام أو بر كثير الازدحام يلزمنا وياكم ان نلجعه ونقحم لجه ومن مواده العربية والاوروبية بقلم التعريب والتقريب والتلخيص والتهديب نفوس عليه ونستخرجه فالله الله ولا حول ولا قوة الا بالله والمهمة المهمة للحصول على هذه الشقة المهمة والبدار البدار لاجابة دعاء ولا فامورنا وحلة اعباء تديرنا على قدره يسورنا لبولوج هذه المقاصد الكبار فقد قيل من أحكم الاقوال في الامثال ان هم الرجال تقلقل الجبال ويقال أيضا ان جميع الاعمال انما عمل بالرجال والرجال وهل على امام القوم الا ان يشير للطريق المستقيم ويسير فيه امامهم بالعزم والتمهيم مع ارشاد المقاصد بتسهيل الوسائل لتسهيل المقاصد وعلى كل من أتبعه أن يقتفى أثره بقلب قوى قويم وهاتين قد عزمنا وتوكلنا للنسير مع السائرين وصمنا على أن نؤدي فرض هذا الجهاد مع المسافرين ونبدي جهدا مقل من هذا القصد الاجل على ان نسميه باسم **الدرس التام في التاريخ العام** من قبيل حسن التفاعل في الاسماء والاعلام عسى ان يفوز هذا العمل من منزلة التمام بتحقيق الامل بعناية اخذنا ولى النعم الخديو الاكرم وبرعاية مولانا الامير المعظم بجله المكرم ويجوز طول بقاء هذه الدولة المصرية الفخيمة والعائلة الخديوية الكريمة عند الله بالقبول والاكرام وقول بذل رب لا تقطعنى * عنك بقاطع ولا غم منى من نورك الابهى المنير للعلمى * واختم بخير يا ربهم الرحما والامل ان شاء الله تعالى ان يطبع وينشر اولاً وبول وينفع سائر الدارسين وجميع الخواص والعوام والله سبحانه وتعالى هو الكفيل بعظيم كل مرام

مقدمه

في مبادئ علم التاريخ

قال العلماء ينبغى لكل شارح في علم من العلوم أو فن من الفنون ان يتكلم ابتداء على مبادئ المنظومة في الايات المعلومة في قول بعضهم

ان مبادئ كل فن عشره * الحمد والموضوع ثم الثمرة

وفضله ونسبته والواضع * والاسم الاستمداد حكم الشارع

مسائل والبعض البعض اكتفى * ومن حوى الجميع حاز الشرفا

وذلك ليعرف الطالب حقيقة ما هو قادم عليه من المطالب ويقف على ما هو متصده من الرغائب ويكون على بصيرة تامه وخبرة عامه بالغرض المقصود له من الاشتغال بهذا العلم والفن الذي يريد ان يشتغل به ويصرف فيه نفيس زمنه فينعطف قلبه عليه ويميل بكليته اليه والافاق الوقت سيف بتار وفلك دوار والوقت كما قيل من ذهب يجب على العاقل ان يصرفه فيما ندب اليه او وجب والاقرمته وذهب ومن أضاع برهقه من أوقاته سدى فتدخر رحلة من ثروته واضاع صيرة من ميسرته وضل عن طريق الهدى وافعال العقلاء تصان عن العبث فلذلك وجب علينا هنا ان يبحث أولاً في مبادئ علم التاريخ الذي نحن بصدده وننظر في اسسه وحدته وغير ذلك من المبادئ المذكورة في تلك الايات المشهورة وذلك في عدة مباحث فقول

المبحث الاول

في اسم هذا العلم وحده ولغته واصطلاحه على اختلاف اطلاقاته وتفرع تقسيماته

اما اسم هذا العلم فهو علم التاريخ وهو الاكثر استمالة الى السنة الناس وقد يعبر عنه ايضا بعلم السير جمع سيرة وهي في اصل اللغة قال في الصحاح «السيرة الطريقة» ثم نقل اصطلاحا لما يرادف لفظ التاريخ زمنه قولهم السيرة النبوية وذكر اهل السير بمعنى المؤرخين كما لا يخفى وتسمى باسماء خصوصية بحسب اختلاف اعتباراته كما سيأتى قريباً عند الكلام على تقسيماته

واما لفظ التاريخ فعناه التوقيت أى تعريف الوقت قال الجوهري في الصحاح «التاريخ تعريف الوقت والتورخ مثله» أرخت الكتاب بيوم كذا وورخت بهنى «وعبرة الغير وزبدي في القاموس أرخ الكتاب وأرخته وورخته وقته والاسم الارخة بالضم» وفي المصباح «أرخت الكتاب بالتثنية في الاشهر والتخفيف لغة حكاهما ابن القطاع اذا جعلت له تاريخاً وهو معرب وقيل عرى وهو بسان انتهاء وقته ويقال ورخت على البدل والتورخ قليل الإستعمال وأرخت البينة ذكرت تاريخاً

وأطلقت أى لم تذكره ، الى آخر ما أوضحه وأوضح من هذه العبارات عبارة كشاف اصطلاحات
 الثنون للشيخ الاجل المولوى محمد اعلی بن على التهاونى المطبوع فى مدينة **كلمكته** (كرسى
 مملكة الهند) فى سنة ١٨٦٢ الميلادية الموجود فى الكتبخانة الخديوية المصرية فى ضمن
 هدية الكتب المقدمة للحضرة الداوريه ونصها : التاريخ فى اللغة تعريف الوقت فقيل هو قلب
 التأخير وقيل هو بمعنى الغاية يقال فلان تاريخ قومه أى ينتهى اليه مشرفهم فعنى قولهم فعلت
 فى تاريخ كذا فعلت فى وقت الشئ الذى ينتهى اليه وقيل هوليس بهى فى فانه مصدر المورخ
 وهو عرب ماهه روز واما فى اصطلاح المنجمين وغيرهم فهو تعيين يوم ظهريه أو شائع من ملة
 أو دولة أو حدث فيه أمر هائل كترزلة وطوفان ينسب اليه أى الى ذلك اليوم ما يراد تعيين وقته
 فى مستأنف الزمان أو فى متقدمه وقديطلق على نفس ذلك اليوم وعلى المدة الواقعة بين ذلك اليوم
 والوقت المفروض و كذا فى شرح التذكرة الخ اه

وحاصل ما يؤخذ من مجموع كلامهم ان التاريخ فى أصل اللغة هو مطلق التوقيت أى تعريف الوقت
 تفعليل من أرخ الرابعى مضاعف أرخ الثلاثى المخفف يأرخ أرخا من الباب الثالث باب فتح يفتح
 فقضاؤه أرخ والكتاب مأروخ كفاتح ومفتوح والاسم منه الارخة كالماتعة ومضاعفه أرخ يؤرخ
 تأريخا وتاريخا بالهمز والتسويل وقديقال فيه ورخ يورخ تورخا بابدال الالف فى أوله وأواكما
 فى أ كدو وكدومته قوله عليه الصلاة والسلام و من ورخ مؤمنا فقد احياه و وأما قول بعض
 الناس ترخ الكتاب فهو من غلط انوعام وسقط الكلام الخالى عن الصواب اذ لم يجمع من هذه
 المادة ابدال الواو بالتاء كما فى وراث وتراث ولعل السبب كون الواو ليست فيها أصلية هذا نهاية
 القول فى لفظ التاريخ فى اللغة

وأما فى الاصطلاح فيطلق على جملة اطلاقات

الاول على ما يعبر اقتصاص الحادثة مع التنصيص على الوقت الذى وقعت فيه
 الثباني على يوم وقعت فيه حادثة شهيرة وواقعة كبيرة لامة من الامم أو دولة أو قبيلة أو مدينة
 أو شخص من الاتحاد فجعلت مبدأ التفسير هامن الوقائع تنسب اليها ويعتمد فى اثباتها عليهم
 كواقعة الهجرة المحمدية بالنسبة لام الاسلام وميلاد المسيح عليه السلام بالنسبة لطوائف
 النصرانية ولكل ملة وقبيل تاريخ من هذا القبيل ككتاريخ اليونان والروم والفرس والهند
 وغيرهم ولا حاجة لنا هنا بتوضيح جميع هذه التواريخ المختلفة وعوائد الامم الغير المتوفقة

الثالث على المدة الواقعة بين ذلك اليوم والوقت المفروض

الرابع يطلق لفظ التاريخ عند أهل الادب أيضا على ما يعرف بمبدأ البلغة من كل جملة
 شعرية أوثرية مستقلة بنفسها تتضمن ذكر حادثة على وجه مجمل بحيث يكون حاصل قيمة

حروفه المكتوبة بحساب الجمل المعروف مساوي التاريخ وقوع هذه الحادثة على وجه خفيف
 مألوف مثال ذلك قول بعضهم في تاريخ فتح السلطان محمد الثاني للقسطنطينية « بلدة طيبة »
 ومثال النظم كقول العبد القفر جامع هذا المجموع اليسر ههنا السعادة أقفدنا خديو مصر
 وامام العصر ومؤرخ الحادثة تقليده بولاية الامر في أول الشطرين من قصيدة محبوبه
 الطرفين مطلعها

« تدارك اسماعيل مصر بعده وادرك ما يحيى رجاها بعقله »
 سنة ١٢٨٩

ومثله ما تنفق له ايضا من تاريخ واقعة تفرير رثة الحكومة المصرية في فرعه الكبرى الكريم على
 عود النسب المستقيم في الصراع الاخير من يدين من هذا القبيل وهو قوله « يرث مصر آل
 اسماعيل » سنة ١٢٨٤

والتاريخ بهذا الاطلاق عموما التفننات الادبية والانواع البديعية والمقصود به تخليد ذكر
 بعض الحوادث على وجه مجمل بعبارة وجيزة وكلمة على اللسان لطيفة عزيزة بحيث تنقلها
 أفواه الناس من جبل الى جبل ومن قبيل لقبيل على مر الزمان ويرجع اليها في توقيت
 الحادثة عند النسيان وليس البحث في التاريخ بهذا المعنى البديعي والمندول التبعي من
 موضوع هذا الدرس بالنفس وانما تعرضنا له هنا بعض الشرح لداعي كونه من اطلاقات لفظ
 التاريخ الاصطلاحية وعلى توقع اننا بما أوردناه من شيا قليل بعد لنا سببا بعض الوقايح الكبيرة
 في تاريخ لقرون الاخيرة على سبيل تشخيص الازهان والمقصود لنا بالذات البحث عن التاريخ
 بمعنى مطلق اقتصاد الحوادث البشرية مع الايضاح والبيان على قدر الامكان

والتاريخ بهذا الاطلاق الاصطلاحى عرفه المحققون من علماء أور وبأبانه اذا جمل على اعم
 اطلاقاته هو اقتصاد مطلق واقعة تسحق الذكر من أحوال الموجودات الكونية ايا كانت قالوا
 ومن ثم انقسم الى قسمين عظيمين التاريخ الطبيعى والتاريخ المدنى

فاما **التاريخ الطبيعى** فهو ما يتعلق ببيان أحوال سائر الكائنات المنحصرة فيما يعبر عنه
 بالمواليد الثلاثة وهى المعدن والنبات والحيوان بما فيه نوع الانسان من حيث كيفية
 حياتها وتركيب بنيتها وترتيب طبقاتها وبيان أحوالها الطبيعية وأطوارها الفيزيائية
 أى طبيعتها سبحانه وتعالى عليه وهى عبارة عن مجموع العلوم التى الغرض منها تعريف
 أحوال **الاجسام العضوية** أى ذات الاعضاء بمعنى القائم بها الحياة وهى الحيوان
 والنبات اللذان يوجدان على الارض **والاجسام الغير العضوية** أى الخالية عن
 الحياة بمعنى الجدران وهى المعادن وسائر المواد التى منها اقوام الكون الارضية
 وينقسم التاريخ الطبيعى على وجه العموم الى ثلاثة أقسام

الاول علم حياة الحيوان وهو ما يتعلق ببيان أحوال الحيوانات الطبيعية ويدخل فيه نوع الانسان من حيث أحواله الجبلية وقد يطلق عليه اسم التاريخ الطبيعى بالخصوص ويسمى في اللغة الفرانساوية بعلم الزولوجيا (برأى مجمة فواوين في أوله)

الثاني علم النبات وهو ما يتعلق بخصوص أحوال النباتات ويقال له علم البوتانيقي

الثالث علم المعادن وهو ما تسمى بترتيب أنواع المعادن والمواد الأرضية وبيان أحوالها وطبائعها كل منها على حدة وبيان فائده ومزيتها ويسمى بعلم المينرالوجيا

وبما يرتبط بهذا القسم الاول من التاريخ ما يسمى في اللغة الفرانساوية (بالجيولوجيه بالجيم الجمعيه) أى علم أحوال الارض من حيث ما عثرها من التقلبات والاطوار وبيان ماهي مبنية منه من الطبقات والادوار ويبحث فيه أيضا عن توزيع أنواع المعادن والاجسام التي تتركب منها الكرة الأرضية وكيفية دخلها في تركيب طبقاتها الهيولانية

وزعم بعضهم ان التاريخ الطبيعى ليس من علم التاريخ في شئ وانما هو من علم الطبيعيات وكأنه ينفصل عن كون التاريخ هو مطلقا اقتصاص الحوادث التي تستحق الذكر ولعمري ان تاريخ النبات والمعدن والحيوان الاول بالذکر والاعتبار من تاريخ الانسان حيث كان التاريخ الطبيعى عبارة عن ذكر أحوال ثابتة وقوانين منتظمة تدل على بداعة الخلقه الالهيه وبراعة الحكمة الربانيه بخلاف تاريخ الانسان فانه انما هو عبارة عن حوادث شتى وقائع غير ملتزمة تدل في الغالب على سلطة الأقوياء على الضعاف وغلبة الباطل على الحق وانتصار الانحاف على الانصاف

وهذا القسم الاول بجميع فروعه تقسماته المذكورة ليس من موضوع درسا هذا وفيه تأكيد خصوصية ولرجال مخصوصون من ابناء وطننا هم به عالمون ويتدرسه قائلون

واما التاريخ المدني وهو التاريخ الحقيقي الذي ينصرف اليه اللفظ عند الاطلاق وفي الحقيقة هو علم التاريخ المصداق فهو علم يبحث فيه عن الانسان من حيث التمدن وال عمران أى من حيث هيئته اجتماعه وتأنسه وتعاونته على تحصيل مادة معاشه ومعاذ به إنشاء جنسه وهذا هو المعبر عنه بتاريخ الجمعية البشرى والاضاع الحضريه التي تبلغ الانسان لدرجة الكمال الامكانيه وتسمى بالتمدن والعمران أو تاريخ الامم والملل والاديان والنحل والممالك والدول وما شبه ذلك

وهذا التعريف بالنسبة اليها الاخوان يحتاج لبعض تهذيبان وتأسيس ينبني عليه فيما بعد فهم ما يرد علينا في سياق هذا المجموع من البيان وذلك كما أوضحه القاضي ابن خلدون رحمه الله في مقدمة تاريخه حيث قال ما ملخصه

قالت الحكمة من الاصول الطبيعيه والاحكام العقلية المرعية ان الانسان مدني بالطبع ، وبيان ذلك بان الاجتماع أى حالة التآنس والعمران المعبر عنها في اصطلاح الحكمة بالمدينة أو الحالة المدنة

المدنية المقابلة لحالة العزلة والتوحش أو حالة البدوية هو أمر ضروري لنوع الانسان وطبيع لا بذله منه على أى حال كان وذلك ان الله سبحانه وتعالى يبيد حكمة و بليغ تدبيره وقدرته خلق نوع الانسان وركبه في صورة بحيث علق مادة حياته وبقائه بالضرورة بمعنى ان الانسان ليس من صفاته الذاتية صفة القيام بالنفس التي هي من خصوص الالهية فهو مضطر لامين أصليين يتفرع عنهم جميع أنواع الكد والاعمال البشرية ويرجع اليهما سائر فروع الجهد والاشغال الحضريه المنحصرة في مادة الزراعة والصناعة والتجارة (قال القاضي ابن خلدون) رحمه الله ما معناها قال بعضهم والاماره وعلى ذلك فالقسم رباعى وبعضهم يدرجها في ضمن الصناعة فأما الزراعة فهي عبارة عن سائر الاعمال التي القصد منها استخراج محصول من الارض اما مباثرة كالحبوب والخضراوات وما أشبه ذلك وأما بواسطة كالحرير والعسل والصوف ونحو ذلك والصناعة عبارة عن جميع الاعمال اليدوية التي تحتاج لانفسك والنظاير يعبر عنها بالصنائع والفنون كالكتابة والبناء والتجارة والحديد والنساج وما أشبه ذلك وأما التجارة فهي كل ما كان من الاعمال القصد منه ترويح المحصولات الزراعية والصناعية ونقلها الى حيث يسهل على الراغب فيها تناولها والامارة عبارة عن تقلد وظيفة من الوظائف العامة كالمالك والسلطنة والقضاة والوزراء وما أشبه ذلك

والاول من الامرين اللذين يضطر اليهما الانسان هو عوز مادة الغذاء البدنيه حيث خلقه الله مضطرا لها في معيشته وهذا له التماسك بفطرته غير انه لا يتحصل على ذلك الا بواسطة الاستعانة ببناء جنسه وجاعته قال حجة الاسلام الغزالي في الاحياء ان الرغيف لا يوضع على المائدة الا بعد ان يمر يد ثلاثمائة وستين صناعا هـ

والثاني احتياجه لمادة الدفاع عن نفسه من الصائل والتوفى من الغائل حيث خلقه الله ضعيفا بالنسبة لبعض الحيرانات التي خلقها الله سبحانه وتعالى أشد منه قوة وجعل لها أسلحة طبيعیه لاجل حفظها وبقائها والذب بها عن نفسها من غائلة أعدائها ولم يجعل للانسان في نظير ذلك غير ما معه سبحانه من قوة النطق والعقل أى الفكر واليمان ولم يجعل له سلاحا طبيعيا يبطش به كسائر أنواع الحيوان غير اليد واللسان وهما فيه عضوان ضعيفان ولا يقيم رله هذان الامران الضروريان المسد كوران الابل ككون بين اقصرانه والعون باخوانه ومن ثم احتياج للزوجة والولد والوالد وما أشبه ذلك من لوازم التناسل والتوالد وهذه الحالة هي ما تسمى بالعائلة او القبيلة والعشيرة المأخوذة من المعاشرة وهي عبارة عن ضرورة الارتباط بروابط القرابة والمصاهرة ومن ثم احتياج للكيونة بين اخوانه في الوطن والدين والاستعانة بهم فيما يكون به قوام معاشه ومعاد من المزايا الضرورية وسائر الحاجات الدنيوية والاخروية وهذا هو معنى قولهم انما المرء باخوانه واليه ليلجأ بأعوانه وذلك هو ما يعبر عنه بحالة الجمعية البشرية أو الحضريّة

أو الحضارة أو العمران أو العنارة أو هيئة الاجتماع الانساني أو حالة التأنس المدني أو العمراني وما أشبه ذلك من أمثال هذه العبارات التي هي تقريباً مترادفات وكلها عبارة عن الارتباط بروابط الاخوة الوطنية والوحدة الدينية وتركيب من العشائر والقبائل المهتدى الاوطان والاديان في أكثر الاحيان وقد ينفرد الوطن ويختلف الدين فيقال لها الجمعية الوطنية أو المدنية وبالعكس فيطلق عليها اسم الجمعية أو الطائفة أو الجماعة الدينية كما نقول جماعة المسلمين وطوائف النصرانية وتسمى بحسب اختلاف الاعتبارات بالملة أو الامة أو الكافة أو العامة وما أشبه ذلك من العبارات

ولا بد للناس في هذه الصورة بالضرورة من دين ينبنى عليه أساس الجمعية المدنية ويقال له دين الدولة أو الديانة الرسمية وهو عبارة عن معاملة العباد مع حضرة الالوهية وما يلزم ان يترتب على ذلك بالإدلة العقلية والنقلية في الدار الآخرة من الثواب والعقاب على الأعمال المستقيمة والعقاب على الأعمال السيئة السقيمة لا بد للجمعية البشرية أيضاً في هذه الدار الدنيوية من وازع أو دافع بمعنى ما كيدفع بعضهم عن بعض بمقتضى أصول وقوانين مربوطه وشرائع وأحكام مقيدة مضبوطة بالنسبة لمن لم يزدجر ويقع الثواب والعقاب في الآخرة لما تركب في طباع الانسان الحيوانية من الخصال العدوانية وذلك بما يكون للوازع عليهم من الغلبة والصولة القاهرة وهذا هو معنى الملك أو السلطنة أو الدولة وولاية الامر العمومية أو الخصوصية ولذلك قد يعبر عن هذه الحالة أيضاً بالحالة الملكية بمعنى المدنية ومن ثم تسمى حالة الجمعية البشرية الراعى والرعية والاستقلال كل عضو من أعضائها أي أفرادها بنفسه وكانوا فوضي بينهم بمعنى أنهم لا رئيس لهم وخرجوا عن حالة الجمعية المدنية ووقعوا في حالة الاختلال التي هي أسوأ حالا من الحالة التوحشية البدوية

ومما لا بأس بالاماع لكم به هنا أيضاً على سبيل الاستطراد وان كان في الحقيقة فليس من موضوع غرضنا الاصلى المراد أن تلموا كذلك أن ولاية الامر العمومية ويقال لها أيضاً الامامة العامة أو الكبرى أو الخلافة تنقسم الى قسمين الولاية الروحية أو الرئاسة الدينية والولاية المدنية أو الجثمانية أو السياسية ويعبر عنها بالزمنية

وهذه تنقسم كذلك الى ثلاثة فروع أصليه الولاية التشريعية أي قوة تشريع الشرائع ويلحق بها الولاية القانونية وهي قوة تقنين القوانين السياسية اللازمة تماماً بل الاحكام الشرعية الاصلية وتوقيعها على أفراد الجمعية البشرية والقوة التنفيذية أو التخييرية وهي المنوطة بآراء مقتضى الاحكام الشرعية والقوانين السياسية وأصول الضميمة المبرع عنها لسان الداف بالحسبه وهناك ما يعبر عنه بالقوة العسكرية وهي عبارة عن الجنود المجتاهدة والجيوش المعددة

التي تستعين بها القوة التنفيذية والقضائية عند الاقتضاء على تنفيذ الاحكام الشرعية وتجهيز القوانين السياسية. اعني تحصل الامنية لاجزاء الجمعية على نفوسهم واهراضهم واموالهم وانتظام اموالهم في داخل بلادهم والذب عن الحوزة الوطنية والرتبة الاهلية بالجهات الخارجية لحفظ ناموس الجمعية البشرية بالقوة القهرية

وتتفرع القوة التنفيذية المذكورة كذلك الى عدة فروع أصلية قليلة أو كثيرة يتداخل بعضها في بعض وقد تجتمع عدة منها على رأس رجل واحد من أهل الكفاءة والنهض بحسب جسامه الجمعية واتساعها أو خفة كثافتها واجتماعها وعلى حسب اختلاف أحوال الممالك والبلدان من امتداد الشوكمة واتساع نطاق الملك والسلطان تسمى تلك الاقسام بالولايات والعمالات أو الولايات والمحافظات والحكمداريات والمديريات وأقسام المديريات والخطط والقرى أو النواحي وتسمى هذه الأخيرة في اللغات الأوروبية بالقومونيات أو المونيسيپاليتيه بمعنى المشيخة البلدية وهذه الفروع وهي ما يعبر عنه بالتقسيم السياسي أو التخطيط الأرضية السياسية وتتفرع الولاية العمومية أيضا الى عدة فروع أصلية تسمى بالوزارات أو النظارات العمومية وهذه هي التقسيم الاداري أو الوزاري أو النظاري وتسمى بالداوين العمومية وهي أولا ديوان المصالح الداخلية المنوط بالنظر في تحسين الاحوال الاهلية ومواد الضبط والرجع أو الحسبة ويعبر عنها في ديارنا الآن بالضبطه

ثانيا ديوان الامور الخارجية المنوط بالنظر في المواد السفرية وقضايا الطوائف الاجنبية ثالثا ديوان الحرب المعبر عنها بديوان عموم الجهادية أو نظارة الجهادية وهي المنوطة بإدارة أمور الجنود وتحصيل ما يلزم لهم من الآلات والادوات المعبر عنها بالمهمات العسكرية رابعا ديوان البحر أو البحري وهو المنوط بإدارة الاساطيل وهي السفن الحربية خامسا ديوان بيت المال المعبر عنه عندنا الآن بنظارة المسالية وهي المنوطة بالنظر في مواد جباية أنواع الخراج والجارك والعواید الداخلية وضبط مواد المصارف والواردات الاهلية وتبوية مادة البودجه المعبر عنها عندنا بالميزانية المالية

سادسا ديوان المعارف الاهلية والاشغال العمومية والادوات الخيرية وهي المنوطة بإدارة مواد المدارس والمكاتب ونشر سائر المواد التعليمية والنظر في الاوقاف والصدقات التبرعية وصرفها في مصارفها الشرعية وفي ملاحظة الاعمال النافعة والاشغال الجامعة لمصلحة عموم الناس كمصلحة تزيين المدن والبنادر وتحسين المساكن والحوضر (المعبر عنها بالاورناتو) والنظر في مصلحة الترع والتلجعات والقناطر والجسور وما أشبه ذلك من مهمات الامور

سابعا ديوان المراز القضاية المعبر عنها في بعض الجهات بالعديله ويعبر عنها عندنا بنظارة الاحكام المصرية أو المحاكماتيه وهي عبارة عن ادارة مواد القضاء والمحاكم الشرعية والمجالس المدنية والنظر في مواد الجماعات وسائر القضايا والدعاوي العامة

ثامنا ديوان المواد الزراعية والتجارية والصناعية المنوط بالنظر في مواد ترقية المزارع والمناجر الداخلية والخارجية وتقديم الامور الصناعية الاهلية وقد تندخل هذه النظارات الثلاث في دائرة نظارة الداخلية والخارجية وقد يستقل كل منها بالخصوص بديوان مخصوص ناسعا ديوان الدائرة الملكية أو السلطانية المعبر عنها عندنا بنظارة الدائرة الخديوية الدنية وهي تختص بالنظر في كل ما يتعلق بإدارة أشغال ولى الامر الخصوصيه ومصلحه الشخصيه وكلها يعبر عنها عندنا هنا بديري العموم والنظار والمراد به ما يعبر عنه في اصطلاح الممالك الاجنبية بطاقم الوزراء أو جماعة الوزراء أو أهل الدولة وهم أبواب المناصب الميريه واصحاب المراتب الملكية والعسكريه أو حاشية الملك أو السلطان على حسب اختلاف أحوال الممالك والبلدان وكما انرجع للوكالة أو النيابة عن ولى الامر في بعض الغرغ المفرعة عن عموم ولايته وذلك عبارة عن استعنته في تمام تأدية وظيفة بأشواع الوزراء والمستخدمين والاعوان والامراء وما يقتضى لكم ايضا أنهم الاخوان ان تعلموه وتأملوا فيه وتفهموه ان ولاية الامر المعبر عنها بالدولة أو الحكومة تنقسم من حيث الهيئة والصورة الى ثلاثة صور أصلية ويعبر عنها بكيفية ترتيب ادارة البلاد الاساسية او السياسية وهي

الاولى الحكومة الملكية وهي عبارة عن ان تكون البلدة تحت حكومة رئيس واحد يلقب في العادة بلقب الملك أو السلطان ويقال له في الممالك الأوروبية الامبراطور بمعنى السلطان وتسمى البلاد التي يحكمها حينئذ بالملك أو المملكة والسلطنة أو الامبراطورية وهذه تنقسم ايضا الى قسمين (أحدهما) الحكومة الملكية المطلقة وهي ما كانت فيها قوة النفوذ العليا أى مادة التصرف في أمور المملكة بيد الملك لا يشاركه فيها أحد ولا تتقيد بقيد غير القوانين الاساسية والاصول السياسية الأصلية المبني عليها ترتيب الدولة (وثانيهما) الحكومة الملكية المقيدة أو القانونية ويقال لها ايضا المعدلة أو التياضية وهي التي تكون فيها قوة النفوذ العليا موزعة بين رئيس المملكة ومجلس شورى النواب الاهليه وهو عبارة عن مجموع أناس ينتخبهم أهل كل خطة أرضية أى سكان كل بقعة من بقاع المملكة من ذوى الرأى والتدبير والديانة والخبرة بحجة ائق الامور ليبدوا رأيهم بعد المذاكرة بالنيابة عن سائر الناس فيما يطرأ من المسائل المهمة التي تتعلق بترتيب احوال البلاد وما ينزل من النوازل الوقفية على العباد وذلك بانتخاب الآحاد بطريق المباشرة ويسمى الانتخاب حينئذ الانتخاب بدرجة أولى أو بواسطة من ينتخبونه لذلك ويسمى الانتخاب بدرجة ثانية وتسمى مجالس الانتخاب بالدوائر الانتخابية ولذلك تسمى الحكومة حينئذ بالحكومة التياضية ولا يصدق عليها من الاسم الا اذا كانت مبنية على ترتيب أساسى مربوط وقانون سياسى مضبوط

وقد تكون الحكومة الملكية المذكورة بكلا قسميها اما رئيسية في عائلة ملوكة معنونة أو انتخابية الثانية

الثانية الحكومة الاعيانية او حكومة الاعيان والاشراف ويطلق عليها في اللغة الفرنسية اسم الاريستوقراسيه ويعبر عنها عندنا بولاية أهل الحل والعقد وقد كانت في الاصل عبارة عن كون ولاية أمر الجماعة بيد ائقاهم ذمة ديانته وأرقاهم محبة وطنيه ولكنها آلت لان صارت هي عبارة عن ان تكون ادارة مصلحة البلاد بيد جماعة هم أعيان الطوائف الاهليه وأكثرهم شوكة وماليه وتسمى أيضا في اللغة الفرنسية باسم أوليجارشيه أى كون ولاية الأمر بيد شزيمة قليلة من الطوائف الاهليه .

الثالثة الحكومة الادلية ويطلق عليها في اللغة الفرنسية اسم الديموقراسيه وهي المعبر عنها أيضا بلفظ الحكومة الجمهوريه وهي عبارة عن كون ادارة مصالح الملة تكون بيد هأعنى انها تكم نفسها بنفسها من غير سلطة عليهم من ملك ولا سلطان ولا جماعة أعيان فهي بعكس الحكومة المملوكية والاعيانيه وتستلزم تساوى جميع افراد الجمعية البلديه في جميع الحقوق المدنية والسياسيه وانعدام الامتيازات بالكلية وحيث كان لا يمكن لجميع آحاد الطوائف الاهليه ان يباشروا ولاية أمرهم بأنفسهم لزم بالضرورة نصب رئيس للجمهوريه اما بعت نواب عن كل خطة أرضيه بالطريقة الانتخابية السالفة الذكر ليركب منهم مجلس شورى نيابيه أو بأخذ الرأى العام من جميع من يعتبر رأيهم من أأادأها الى البلاد وذلك سميت بالجمهوريه والجمهور من الناس بالضم جملهم أى أكثرهم فهي بمعنى الحكومة الاكثرية

وسائر هذه التنظيمات والترتيبات الاداريه مع ما تدور عليه من التأسيسات الحضريه والانشآت العمراريه وما يتبع ذلك من أخلاق كل قوم وعوائدهم ومحاضرههم ومشاهدهم وقوانينهم وأحكامهم وشرايعهم وعلومهم وفنونهم ومعارفهم ومدارسهم ومزارعهم ومتاجرهم وصنائعهم كل ذلك هو ما يعبر عن مجموع نظام الملك أو السلطان أو ترتيب المملكة أو السلطنة أو الحالة المدنية أو البلدة المتخذة أو هيئة الاجتماع الانسانيه وكيفية التأنس العمرانيه وغير ذلك من العبارات التي ذكرنا بعضها فيما سلف أنقأ بمجموع ذلك كله هو ما يسمى بالتخدن والعمران وموضوع علم التاريخ المدني هو الانسان من هذه الحيثيه وبعبارة أخرى مختصرة تعريفه التاريخ المدني هو علم باصول يبحث فيه عن الانسان من حيث التخدن والعمران واذا

قرر هذا التمهيد في الاذهان على هذا الوجه من الايضاح والبيان ساغ لنا ان نقول الآن قال علماء الاوروبايين وينقسم التاريخ المدني الى عام وخاص

أما التاريخ المدني العام فهو عبارة عما يشمل تاريخ النوع الانساني وحاله العمراني كله من عهد الخلق الى عصرنا هذا وهم اقترض المقصود لنا الاشتغال به في درسنا هذا وذلك عبارة عن مدة نحو ستة آلاف سنة التي هي عموما الدنيا من عهد آدم الى هذا العهد حسبما حققه الحكماء المحققون ووقف عليه العلماء المدققون من الاوروبايين والاسلاميين وكما

سنوضحه بعد وقد جرت عادة المؤرخين من الافرنج بأن يقسموا التاريخ المدني العام أعني مدة الستة آلاف سنة المذكورة الى أربع مدد أو عهود أصلية

الاولى مدة العالم القديم أو الدنيا القديمة ويسمونه **بالتاريخ القديم** وهو تلك الاعصار الخالية والقرون الماضية من ابتداء خلق الدنيا لغاية سنة ٤٧٦ قبل المسيح عايشه السلام وهي سنة زال الدولة الرومانية باغارة أقوام شمال أوروبا عليهم أعني زوال دولة ملوك الروم الاولى التي كانت قائمة بمدينة رومية الكبرى (بلادياطالية) وذلك عبارة عن مدة نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة وثلاثين سنة من عمار الدنيا

والتاريخ المدني العام القديم عبارة عما يحتمل تاريخ الأمم الشهيرة والممالك الكبيرة التي ظهرت في تلك الاعصار العتيقة بجميع أقطار الأرض المعمورة وهم

اولا **القبط** أعني دولة قدماء المصريين أو الفرعنة الاقدمين

ثانيا **اليهود** أو العبرانيين ويقال لهم بنو اسرائيل أو الاسرائيليين

ثالثا **الفنيقيون** أو الصوريون وهم سكان سواحل الشام السالفون

رابعا **الاسوريون** أو الميديون والبابليون وهم قدماء سكان العراق وكرديستان وجزيرة ابن عمر

خامسا **الميديون** وهم قدماء سكان أذربيجان والفرس المعروفين عند العرب بدولة الجهم

سادسا **الليديون** وهم قدماء سكان الخططة الغربية من بلاد أرمنية أو ساروخان

سابعا **السيتيون** أو أقوام بأجوج وماجوج وهم قدماء أهل بلاد الروسية والتتر والترك

ثامنا **اليونان** أو الهيلينيون

تاسعا **الروم** أو **الرومانيون** وهم دولة ملوك الروم التي كان مقرها بمدينة رومية الكبرى بلادياطالية

عاشرا **القرطاجيون** وهم أهل مدينة قرطاجنة أو قرطاجنة القديمة أي قدماء سكان ايبالة تونس الغرب

فهؤلاء هم الأمم المشهورون والمثلل المعترفون الذين اتفق جمهور المؤرخين الاورباويين على ان يعبر عنهم بالتاريخ القديم حيث بقي لهم بعض آثار دلت عليهم أو ذكر غنم في الكتب المنزلة أو كتب المؤرخين السالفين من اليونان والروم بعض أخبار سيرة أو كثرة أو قسمة على بعض أحوالهم وأما من عداهم من سكان الأرض المعمورة في الاعصار السالفة المذكورة كاهل الهند والصين واسلاف سكان جزائر الاوقيانوس (البحر المحيط الأعظم) المسمات باسترالية واسلاف سكان بلاد اسبانية المعروفة بالاندلس وكذلك اسلاف سكان جزيرة العرب في أيام الجاهلية الاولى

وبلاد امريقة وغيرهم فجميع هؤلاء ليس لهم تاريخ مستقر يذكر ولا خبر ثابت يؤثر لعدم الوقوف لهم على شيء من الآثار والأخبار وان كان الظاهر انه قد كان لهم دول كبيرة وملل بمقدنة شهيرة في تلك الاعصار

المدة الثانية الاعصار المتوسط أو القرون الوسطى ويسمونه بتاريخ القرون الوسطى أو التاريخ المتوسط وهي المدة المنقضية من بعد سنة ٤٦٧ قبل المسيح لغاية سنة ١٤٥٣ من بعد ميلاده وهي سنة افتتاح الدولة العثمانية لمدينة القسطنطينية أي زوال دولة الروم الثانية المعروفة بالسلطنة الرومانية الشرقية أو السلطنة السفلى التي كان مقرها بالقسطنطينية على يد السلطان محمد الثاني من السلاطين العثمانيين عبارة عن ألف وتسعمائة وثلاثين سنة من عمر الدنيا وهي المدة التي بانثامها شاذرين الاسلام وظهرت أمة العرب واشتهرت على جميع أمم الانام

المدة الثالثة الاعصار الحديث أو القرون المتأخرة ويسمونه التاريخ الحديث أو المتأخر أو تاريخ القرون الأخيرة وهي المدة الماضية من سنة ١٤٥٣ لغاية سنة ١٧٨٩ من تاريخ المسيح وهو تاريخ العالم الجديد أو الدنيا الجديدة أي تاريخ الامم المتأخرين والملل المتحاربين ببلاد آسيوية وافريقية وأوروبية وامريكية والاقويافوسية من التترك والفرنسيين والانجليز والالمان والاسكاندينافية والامريكانية وغيرهم من سكان المعمورة في المدة المذكورة وهي عبارة عن مدة الثلاثة قرون الأخيرة لغاية أواخر القرن الثامن عشر من الميلاد المسيحي

المدة الرابعة مدة العصر الحاضر ويسمى بالتاريخ العصري أو المعاصر وهو تاريخ الامم المذكورة في هذه المدة الحاضرة الأخيرة أي مدة القرن التاسع عشر من الميلاد المسيحي هذا هو تقسيم التاريخ المدني العام على الوجه الجاري عليه الانقسام عند جمهور المؤرخين المتأخرين من العلماء الاوروابوين وبعضهم يدخل هذه المدة الرابعة في ضمن المدة الثالثة أي مدة الاعصار الحادثة ويجعل الاقسام ثلاثة وهذا القسم أعني التاريخ العام هو ما كتب فيه مثل كتاب الكامل لابن الاثير الجوزي وتاريخ ابى الفدا وتاريخ الخليلي والمسعودي وما أشبهها

وأما التاريخ المدني الخاص فينقسم ايضا في اصطلاح المؤرخين الى قسمين الاول التاريخ المدني الخصوصي وهو عبارة عما يختص بفرض واحد معين كتاريخ مدينة أو اقليم أو ملكة أو سلطنة أو دولة أو عائلة ملوكية أو ذات مخصوصة ويطلق عليه في هذه الصورة الأخيرة في اللغة الفرنسية اسم البيوجرافيه أي السيرة والقصة والحياة الخصوصية كسيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتاريخ دمشق وحلب من الحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للشيخ السيوطي والرومانيين في تاريخ الدولتين التوربية والصلاحية للشيخ المقدسي ووفيات

الاهيان وأنساء أبناء الزمان للقاضي ابن خلدكان وخلاصة الاثر في أعيان القرن الثاني عشر
للحجي وما أشبه ذلك

الثاني التاريخ المندى الجزئى وهو ما تعلق بخصوص مدته شهيرة أو حادثة كبيرة كتاريخ حرب
الصليب وتاريخ حرب الثلاثين سنة وغير ذلك

ويطلق على التاريخ الخاص اسم التاريخ القيسى أو السفارى أو السياسى أو الشرعى أو
القضائى أو التجارى أو الزراعى أو الصناعى أو الادبى أو تاريخ العلوم والفنون أو غير ذلك من
الموضوعات الخصوصية على حسب ما يقيد به المؤرخ تأليفه من المواد الخاصة به والاغراض
الشخصية فان كتب التاريخ على حسب ترتيب السنين بقلم فحل ووجه محل قيل له تاريخ
الحوادث السنوية وان كان بعض ما كتب على هذا الوجه قد يكتب بطريقة أدبية وان كان
المؤرخ معاصر لما سطره من الحوادث العصرية ومشاهد ما حصره من الوقائع الدهرية وكان
له فيها بعض مدخلية حيث شاهد بعينه مشاهدنا وعهد معاها سمي ما يكتبه بالتذكرة
التاريخية وان تعلق بجذاته الخصوصية سمي بالحياة الشخصية

وينقسم التاريخ على وجه العموم من حيث طريقة تحريره وكيفية تسطيره أى بالنظر لادريقة
المسلوكة فى اقتصاص الوقائع الزمنية الى ما يسمى فى اللغة الفرائسية باسم الكرونولوجية أى علم
الازمان وهو ما يتبع ترتيب الاعصار على وجه الانتظام والى ما يسمى باسم الاتوجرافية وهو ما يتبع
تاريخ كل أمة من الامم على حدها فان تتبع جميع الحوادث الواقعة من الامم الشتى فى عصر
واحد سمي باسم السنكر ويسمى التاريخ بالنظارى أو الفلسفى اذا كان المؤرخ قد اقتص
الوقائع مع توضيح اسبابها ومسبباتها وغير ذلك

وينقسم التاريخ القديم من حيث أصل استمداده الى التاريخ المقدس أى المطهر أو الالهى وهو
تاريخ اليوم وذلك كونه أصل استمداده من التوراة وهو المعبر عنه عندنا بقصص الانبياء والتاريخ
الدنيوى أو البشرى وهو تاريخ من عداهم من الامم المذكورين آنفاً لكونه من تأليف البشر
وضعتهم

ومن فروع علم التاريخ العام علم الانساب وهو معرفة أصل كل أمة أو قبيلة أو رجل من مشاهير
الرجال وكبار الابطال المذكورين فى التواريخ البشرية أو المقدسة
وما يتعدى علم التاريخ الاتحاد الشديد ويرتبط به الارتباط الاكيد ما يعرف بعلم
الجغرافية أو الجيوجرافية أى علم وصف الارض وتقويم أحوال البلدان على ما هى عليه
فى كل عصر وأوان وما يقال على الكرونولوجية والجغرافية هما التاريخ عينان ويقال
أيضاً ان التاريخ والجغرافية اخوان يتماونان وفرسارهما يتسابقان ويتداخلان كل
منهما فى الثانى اذ لا تتم معرفة حوادث الازمنة من غير وقوف على ما وقعت فيه من المواضع
والامكنة

ومن فروع علم التاريخ أيضاً ما يسمى في اللغة الفرنسية بالعلم الاستاتيكي أي علم التعداد بمعنى إحصاء الأشياء واستقصاء جميع المواد في كل بلدة من البلاد وليس علم الجغرافية من موضوع درسنا هذا ولذلك نيط لعهد مدرس فاضل من اخواننا المدرسين الذين هم تلاميذكم متعينون ليطلعكم منه مع ما سطقه اليكم من فوائد علم التاريخ العام على ما ينور منكم ان شاء الله تعالى الافهام ويكون لكم في معرفة حقيقة السكرة الارضية التي نحن أهلها ودار الدنيا التي نحن ساكنوها كالأعلام التي من العار ان يجهل الانسان زوايا داره ولا يعرف كل ساكن بجواره والفرص المقصود لنا بالخصوص كما علمت وبما أوصناه لكم الى هنا فمتم انما هو ايراد فوائد تامة وشواهد مختصرة مفيدة تنهه عن الخاطئة والعمامة من أخبار الامم الذين ساكنونا في هذا الدار واعتنوا فيما سبب العمارات في جميع الاقطار والامصار على تعاقب الايام والاعصار بطريق التاريخ الاثني وعرفاني والوجه التعليمي التعريفي أعني استئصال أحوال كل أمة بذكرها واستقصاء أخبار كل ملّة بعد ملّة على حدها من الامم المذكورة آنفا في كل مدة بعد مدة من المدد المسطرة في الفارخات على وجه الاختصار هذا ما تجرد اليه من القصد لنيل فيه ان شاء الله تعالى الجهد والله هو الموفق للصواب واليه المرجع والمآب فان توهم جاهل أو قال قائل هؤلاء أم قد دخلت ومضت وملل أندست وانقرضت أو أقوام في أقطار أنت عنا وبعدت فما لنا ولا نستئصال أحوالهم وأعمالهم وما الفائدة العائدة علينا من استقصاء أقوالهم وأفعالهم قلنا الجواب في هذا البحث الآتي بعد

المبحث الثاني

في بيان ثمرة التاريخ واصله وحكمه وماذا ينتج من مطالعة علمه

قال القاضي ابن خلدون رحمه الله تعالى في أول مقدمة تاريخه مانعه « اعلم ان فن التاريخ فن عزيز المذهب جرم الفوائد شريف الغاية اذ هو يوقنا على أحوال الماضين من الامم في أخلاقهم والانبيا في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرويه في أحوال الدين والدنيا » اه وفي هذه العبارة كفاية للدلالة على فائدة فن التاريخ وبيان كثرة فوائده وثمرته وشرف غايته وان المقصود به هو علم الاخلاق وهو اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل بواسطة الاقتداء بما يراه الناظر فيه من الافعال المحمودة والالتناء عن الاعمال المذمومة وفي جميع أحواله الدينية والدنيوية.

وما أحسن ما ذكره الشيخ شهاب الدين اسماعيل بن ابراهيم المقدسي مؤلف كتاب الروضتين في تاريخ الدولتين النورية والصلاحية رحمه الله تعالى في خطبة ذلك الكتاب حيث قال واصاب أما بعد فانه بعد ان صرفت جن عري ومغظم فكري في اقتباس الفوائد الشرعية ولتقتاص

الفرائد الادبيه عن ثي ان اصراف الى علم التاريخ بعضه فأجوز بذلك سنة العلم وفرضه اقتداء
بسيرة من مضى من كل عالم مرضى فقل امام من الائمة الاويحيى عنه من أخبارهم
سلف فرائدجه منهم امامنا أبو عبد الله الشافعي رضي الله عنه قال صعب الزبيري ما رأيت
أحدا أعلم بآيام الناس من الشافعي ويروى عنه انه أقام على تعلم أيام الناس والادب عشرين سنة
وقال ما أردت بذلك الا الاستبانة على الفقه وقال الشيخ المقدسي رحمه الله وأكرم مثواه قلت
وذلك عظيم الفائده جليل العائده وفي كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من
أخبار الامم السالفة وآباء القرون الخالفة ما فيه عبرة لذوى البصائر واستعداد ليدوم تبلي السرائر
قال الله عز وجل وهو أصدق القائلين وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك
وجاءك في هذه الحق وعظمة وذكرى للأؤمنين وقال سبحانه وتعالى ولقد جاءهم من
الانباء ما فيه مردجركة بالغة فاتقن الذر وحدث النبي صلى الله عليه وسلم بحديث أم ذرع
وغيره مما جرى في الجاهلية والايام الاسرائيلية وحكي بحجاب مارأية لأسرى به وعرج وقال
حدثنا عن بني اسرائيل ولا حرج وفي صحيح مسلم عن سمك بن حرب قال قلت لجابر بن سمرة
أكنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قال نعم كثيرا كان لا يقوم من مصلاه الذي صلى فيه
الصبح والغداة حتى تطلع الشمس فاذا طلعت قام وكانوا يتحدثون فإخذون في أمر الجاهلية
فيضحكون ويتبسم وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كان نبي الله
صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن بني اسرائيل حتى نضح الحديث قال الشيخ المقدسي
رحمه الله قلت ولم تزل المحابة والتابعون ومن بعدهم يتفاوضون في حديث من مضى ويتذاكرون
ما سبقهم من الاخبار وانقضت الى أن قال ولقد رأيت مجلسا جمع فيه ثلاثة عشر مدرسا وفيهم
قاضى قضاة تلك الزمان وغيره من الاعيان جفري بينهم وأنا سمع ذكر من تحرم عليه الصدقة
وهم ذوو القربى المذكورون في القرآن فقال جميعهم يهواشم ويوعبد المطلب وعدلوا جميعهم
في ذلك عما يجب فتعجبت من جهلهم حيث لم يفرقوا بين عبد المطلب والمطلب ولم يتدالوا ان
المطلب هو عم عبد المطلب وان عبد المطلب هو أبوهائهم فأحدهم يلوم كل لائهم ان هذا اصل
من أصول الشريعة قد أهملوه وباب من أبواب العلم جهلوه ولزم من قولهم اخراج بني المطلب
من هذه الفضيلة فابتغيت الى الله تعالى الوسيلة وانفتحت نفسي من ذلك المقام فأخذتها
بعلم أخبار الانام وتصحیح نسبتها وایضاح محبتها الى آخر عبارته التي لولا خشية اطالعتها
لاوردناها هنا برمتها

وما قال في ضمن هذه العبارة أيضا من الكلام المناسب للفتن فيه من المقام ورأيت ان المطلب
على أخبار المتقدمين كائنة دعامتهم أجمعين وانه علم لما تفر كرى أحوالهم وتذكرهم كأنه
كان معاصروهم ومحاضروهم فهو قائمه مقام الحياه والكان مجهل الوفاء قال الشيخ

المقدسى رحمه الله * قال نعيم بن حاد كان عبد الله بن المبارك يكثر الجلوس في بيته فقيل له ألا تستوحش فقال كيف استوحش وأنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعني النظر في الحديث ، وأنشد لبعض الفضلاء

كتاب أطلعه مؤنس * أحب الى من الانفسه

وادرسه في ربي القصر * ونحضره وأعظمهم دارسه

قلت وقريب من هذا قول بعضهم

لنا جلساء لا يمل حديثهم * الباء مأمونون غيبا ومشهدا

يفيدوننا من علمهم علم ما مضى * وعقلا وتأييدا ورأيا مسددا

فان قلت أموات فلست بكاذب * وان قلت أحياء فلست بمفتدا

وقال ابن الاثير ايضا في الكامل في هذا المقام رحمه الله ولا بأس هنا بإيراد ما أبداه ونصه ، ولقد رأيت جماعة ممن يدعى المعرفة والدراية و يظن بنفسه التجرد في العلم والرواية يحتمل التوارى يخ ويردريها ويعرض عنها ويلقيها ظنانه ان غاية فائدتها انما هو التمسك والاختيار ونهاية معرفتها الاحاديث والاسمار وهذه حال من اقتصر على القشردون اللب نظره واصبح مخشليا جوهره ومن رزقه الله طبعاسليما وهده صراطا مستقيما علم ان فوائد ها كثيرة ومنافعها الدنيوية والاخرية جمة غزيرة وهانحن نذكر شيئا مما ظهر لنا فيها وتكل الى قريحة الناظر فيه معرفة باقية فأما فوائد ها الدنيوية فمنها ان الانسان لا يخفى انه يحب البقاء ويؤثر ان يكون في زمرة الاحياء فيالبت شعري أى فرق بين ما رآه أمس أو سمعه ويزن ما قرأه في ضمن الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين فاذا طالعها فكانه عاصره م واذا علمها فكانه حاضرهم ومن ان الملوك ومن اليمهم الامر والنهي اذا وقنوا على ما فيهم من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوا هامة قوتة في الكتب يتناقها الناس فيرونها خلف عن سلف ونظر واما اعقبت من سوء الذكرو قبيح الاحدثة وخراب البلاد وهلاك العباد وذهاب الاموال وفساد الاحوال استعجبوها وأعرضوا عنها وأطرحوها واذا رأوا سيرة العادلين وحسنها وما يتبعهم من الذكر الجليل بعد ذهابهم وان بلادهم وعمالكهم عارت وأموالها درت استحسنوا ذلك ورغبوا فيه وثابروا عليه وتركوا ما ينافي به هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التي دفعوا بها مضرات الاعداء وخلصوا بها من المهالك واستصانوا نفاس المدن وعظيم الممالك ولولم يكن فيها غير هذا الكفى به فغروا ومتما ما يحصل للانسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تنصير اليه عواقبها فانه لا يحدث أهمى الا وقد تقدم هو وأنظيره فيزداد بذلك عقلا ويصبح لان يقتدى به أهلا ولقد أحسن القائل حيث يقول شعرا

بأيت العقل لعقلين * فسمع ومطبوع

ولا يتقع مطبوخ * عاذ اليك ممنوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

يعني بالمطبوخ العقل الغريزي الذي خلقه الله تعالى للانسان والممنوع ما يرد اذ به العقل الغريزي من التجربة وجعله عقلاً ثانياً توسعاً وتعظيماً والافه وزيادة في عقله الاول ومنها ما يتجمل به الانسان في المجالس والمحافل من ذكر شيء من معارفها ونقل طريفة من طرائفها فترى الاسماع مصغية اليه والوجوه مقبلة عليه والقلوب متأملة بما يورده ويصدره مستحسنة ما يذكره واما الفوائد الاخروية فمنها ان العاقل اللبيب اذا تفكر فيها ورأى تقلب الدنيا باهلها وبنيتها وتتابع ذكاتها الى اعيان فاطنيها وانها سلبت نفوسهم وذخائرهم واعدمت اصاغرهم واكابرهم فلم تبق على جليل ولا صغير ولم يسلم من نكدها غنى ولا فقير زهد فيها واعرض عنها واقبل على التزود للاخرة منها ورغب في دار تزهت عن هذه الخصائص وسلم أهلها من هذه النقائص وعل قائلاً يقول ما نرى ناظر افيها زهد في الدنيا واقبل على الآخرة ورغب في درجاتها العلمية خياليت شعري كم رأى هذا القائل قارئ القرآن العزيز وهو سيد المواعظ وافصح الكلام يطلب به اليسير من هذه الحظام فان القلوب مولعة بما يحب العاجل ومنها النخلي بالصبر والتأسي وهما من محاسن الاخلاق فان العاقل اذا رأى ان مصاب الدنيا لم يسلم منه ذكركم ولا ملك معظم بل ولا أحد من البشر علم انه يصيبه ما أصابهم ورنوبه مانابهم شعر

وهل أنا من عزيزة ان غوت * غويت وان ترشد عزيزة ارشد

ولهذه الحكمة وردت النعم في القرآن المجيد ان في ذلك لذكر لمن كان له قلب او لم يسمع وهو شهيد فان ظن هذا القائل ان الله سبحانه أراد بد كرها الحكايات والاسمار فقد تمسك من أقوال الزينغ بمحك سبها حيث قالوا هذه اساطير الاولين اكتبها نسأل الله تعالى ان يرزقنا قلباً عاقلاً ولساناً صادقاً ووفقاً للسداد في القول والعمل وهو حبيبنا ونعم الوكيل انتهى كلام ابن الاثير في الكامل

وفي عبارات هؤلاء العلماء الافاضل والفقهاء الاكامل ما لا مزيد عليه في التنبيه على مزية علم التارخ وفضله والتنويه بغمامة قدر المشتغل بروايته ونقله وعلاوم رتبته وانتصرح بسنته أي مسند وريته مع التلويح بكونه قد يكون في بعض الحالات من الواجبات يعني فروض الكفاية التي اذا قام بها البعض سقط الوزر عن الباقي كسائر العلوم والفنون والصنائع والحرف النافعة كما هو معلوم وها هو الشيخ المقدسي رحمه الله وبرد ثراه فهدنص في ضمن عبارته المنقولة هنا بأعلاه على ان علم التارخ هو من أصول الدين وهو كذلك يبين وبيانه ان من الاصول المقررة والقواعد الاصلية المسطرة ان شرع من قبلنا شمع لنا اذ لم يرد في شرعنا

ما يناقضه وعلى ذلك ينبغي انه يقتضى لنا ان نعرف شرائع الامم الماضية ونقف على أحوال الملل الخالين حتى نقف على حقيقة حال شريعتنا ونعرف كيفية تركيب جميع جمعيتنا ونقابلها بأحوال من مضى ونعرف فضلها ومزيتها بالنسبة لأحوال الجيل الذى اقتضى ولهذا المعنى يرجع ما فى قول الشيخ المقدسى "اندرج من حديث حديثنا عن بنى اسرائيل ولا حرج فضلا عما يجب مع ذلك من معرفة توارىخ نزول آيات القرآن الشريف لنعرف الناسخ منها والمنسوخ ومعرفة علم الانساب الذى توقف عليه كما أوضحه الشيخ المقدسى رحمه الله فى ضمن حكاية الواقعة المسطورة فى خطبته المذكورة من الانحراف عن الصواب والعدول عن اداء الواجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ولعل هذا هو معنى قول الامام الشافعى رضى الله عنه فيما روى عنه انه أقام على تعلم أيام الناس عشرين سنة وقال ما أردت بذلك الا الاستعانة على الفقه فلينظر ذلك وليتأمل وليعمل له من وفقه الله تعالى للعمل

وذلك فضلا أيضا عما ينفع من مطالعة علم التاريخ للناظر فيه من جليل العبر والاقتداء بجميل السير والاتساء عن الفحشاء والمنكر والبغى والضرر فيما يتعلق بفحسين الاحوال فى الحال والاستقبال كما صرح به فى الآيات القرآنية المذكورة اعلاه ودل عليه حديث "من ربح مؤننا فقد احياه" وقد قالوا ان التارىخ مدرسة التجارب يتعظ فيها الحاضر بالغائب وغير ذلك وقد عده العلماء علم التارىخ من جملة العلوم الاثني عشر الادبيه ويقال لها العربية المضبوطة فى قول الشيخ حسن العطار المصرى رحمه الله

نحو صرف عروض بعده لغة * ثم اشتقاق فربض الشعر انشاء

كذا المعانى بيان الخطافية * تارىخ هذا لعلم العرب إحصاء

والمراد بذلك هو ان هذه العلوم الاثني عشر بالكيفية التى هى عليها فى اللغة العربية هى من علوم العرب التى اشتغلوا بها ودونوها لانها مختصة بهم على وجه بحيث انهم هم الذين اخترعوا أصلها وكونوها ولا نظير لها عند غيرهم من الأمم فان من اطلع على اللغات الاجنبية ولا سيما على لغات الامم الاوروبية علم ان لكل أمة ممتدنة نحوها وعروضها ولغة وشعرا وتاريخا وغير ذلك من العلوم المنسوبة للعرب فى هذا القول الذى اشتهروه هو المعبر عنها بالنسبة لكل أمة بعلوم الادب والتارىخ بمعنى مطلق اقتصاص الحوادث هو علم قديم بقدمه قدم العالم تصعد أوليته بالضرورة لعهد آدم وما أخذ ذلك من قوله عند استيقاظه من نومه التى ألقاها الله عليه ليخلق حواء من ضلعه حسبما ورد فى التوراة فعده عظم عظمى ولحم لحمى، اذ قوله هذا هو حكاية حادثة شاهدها وواقعة عهدها وما أشبهه ذلك ثم ترقى التاريخ بهذه المعنى شيئا فشيئا كسائر العلوم البشرية والصنائع والفنون والحرف الحضرية حتى دونه السلف من الامم المتقدمين كالعبرانيين والقبط واليونان والرومانيين وجاءت مله العرب المسلمين فاعتنوا به كذلك ودونوه كسائر العلوم الإسلامية

والصنائع والفنون والحرف العملية والعلمية لقرينة الميل بالطبع لتناقل الاخبار والآثار
لقصد التفخار الى ما يأتي من الاعصار ولضرورة تداول أحكام الشرع من السلف للخلق في جميع
الاقطار فان قيل وهل لعلم التاريخ هذا أصول ثابتة يستند اليها وتواعد قوية يعتمد عليها وهل
له أسانيد معتبرة يؤخذ منها وموارد مستقرة يروى عنها أم هو كما قد يتوهم خبط عشواء وخلط
عبياء وأقوال هوائية من روايات القصاصين وحكايات الراويين لأصول لها والاغماضائله
واستمداده ومآلاته التي آل اليها في هذا العصر واستعداده والجواب عن ذلك في البحث الآتي
ابراده

البحث الثالث

في قواعد علم التاريخ ومساائله واستمداده وما آل اليه من حالة كماله واستعداده

لا شك في ان التاريخ علم متين وفن مكين مبني على قواعد قوية وأصول ثابتة مستقيمة سوية
وبيان ذلك ان التاريخ كما كان عبارة عن حكاية وقائع الزمان وحوادث الحدثنان كان مبنيا
اما على دلائل المشاهدة والعيان التي هي أقوى أنواع البرهان وأما على النقل عن الرواة النقاة
بالاسانيد المعتبرة والروايات المعتمدة المستمرة كعلم تفسير القرآن والحديث بل يصح ان يقال
انهم افرع منه فهو داخل في ضمن قول بعضهم « العلم ما كان فيه حدثنا » وانما يرجع على كل
حال لامانة حاكميه وديانته راويه على ان علم الناصر يجب لا يكتفي فيه بمجرد النقل والرواية بل
لابد من النظر فيه أيضا بنور العقل والدرابه قال القاضي ابن خلدون رحمه الله في صدرمة مقدمة
تاريخه في سياق قوله المنقول أعلاه وهو (أي علم التاريخ) محتاج الى ما خذمتة متعددة ومعارف
متمنوعة وحسن نظر وثبوت يفضيان بصاحبه الى الحق وينسكان به عن المزالات والمغالط لان
الاخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران
والاحوال في الاجتماع الانساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذهاب فربما لم
يؤمن فيها من العثور ومن لة القدم والحيد عن جادة الصدق وكثيرا ما وقع للتورخين والمفسرين
وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غشا أو سعيانم
يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بعميار الحكمة والوقوف على جابائع
الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار فضلوها عن الحق وتأهوا في بيداؤ الوهم والمغالط
ولا سيما في احصاء الاعداد من الاموال والعساكر اذا عرضت في الحكايات اذهي مظنة الكذب
ومطية الهدر ولا بد من ردها الى الاصول وعرضها على القواعد (انتهى كلام القاضي ابن خلدون
رحمه الله)

ومن ثم يعلم ان علم التاريخ له قواعد يعتمد عليها وأصول يستند اليها وهو

أولا على دلائل المشاهدة والعيان فضلا عن النقل مع النظر في ذلك بنور العقل ومبناه في كلتا الحالتين حسبا أسلفناه وكما يفهم من أصل وضعه وتعريف معناه على أساس الصدق ومراعاة الحق من غير كذب ولا تمق ولا تغرض لقصد اكتساب حظام الدنيا الفانية كما أنه لا يبغي أيضا أن يبنى على إنكار فضل الفضل وعدم الإقرار بكل الكمال وبخس الناس أشياءهم لحقد أو حسد أو حمية دينية أو غير ذلك من أنواع سوء الخلق فقد قالوا إن المؤرخ يقتضي أن يكون كحكم عدل وقاض منصف أو شاهدا بالحق والانصاف ينقل الشهادة عن السلف للخلف من غير ميل ولا انحراف ومن هذا الوجه يخالف التاريخ بما يعرف الآن عند أدباء الأفرنج باسم **رومان** بمعنى الحكايات المخترعة والخرافات المصطنعة لقصد الترغيب في مكارم الأخلاق والترهيب من المساوى والنفاق وإن كانت قد تستند لأصل تاريخي وأخذوا في حقيقته مع بعض زيادات وتلغيفات وتوفيقات وقد تعنون بلفظ التاريخ أو القصة كقصة عنتر بن شداد والقصة المترجمة من اللغة الانكليزية باسم روينسون كروزي أو السندباد وغير ذلك.

ثانيا من الأصول التي يعتمد علم التاريخ عليها والقواعد التي يرجع فيئها إليها أصول العادة وهو المصود بقوله ولا تيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالغائب ومعنى ردها لأصول العادة قياسا بأشياءها وظواهرها من الوقائع المضاهية لها وهذا أمر لا يحتاج من الإيضاح لزيادته ثالثا منها أيضا كما نص عليه القاضي ابن خلدون رحمه الله في عبارته المنقولة عنه أعلاه قواعد علم السياسة أي سياسة الامم والدول والممالك وما يقتضي أن يكون عليه سيرها من الطرق والمسالك ومبنى ذلك كما يدرى بالاجمال هو كاذرة الفلاسفة المتقدمين وأوضح الحكماء المتأخرون على العقد الاجتماعي والناسي أو عقد الشركة الانساني وهو ما انعقد ضمننا في مبدأ كل اجتماع تأنس بين كل رئيس ومرؤس أو صريح فيما بعده قد المابعة بين كل راع ورعية على الحقوق والواجبات اللازمة على كل من الطرفين المتعاقدين وذلك عبارة كما قالوه ونصوا عليه في مكانه وأولوه عن كون المرؤمين بمجرد رضاهم بالسير امام رئيسهم المتقدم عليهم لمصلحة الدفاع عنهم في أول الامر مثلا كأنهم قالوا له انما رضينا بترئيسك علينا بشرط أن تقوم لنا بكل ما يجب لحفظنا وما فيه تحصيل غرض راحتنا وسعادتنا والتزمنا لك في نظير ذلك ببذل نفوسنا وأموالنا معك وكل ما يلزمك من المعونة والجنود للحصول على هذا الغرض المقصود وهو تقبل ذلك منهم بمجرد سيره بالاعمال امامهم وكونه رضى بأن تقدمهم وكذلك الحال فيما يترتب على المباينة الشرعية الصريحة من الحقوق والواجبات الصحيحة الحاصلة بين الامام والراعي بالوجه الصريح حسبا يقع عليه في صيغتها التدرج وبه بارة مختصرة أخرى أصول السياسة ترجع كلها إلى أمرين أصليين أحدهما ما يجب على الراعي من حفظ الرعية وهو وحق الرعية عليه وهذا معنى قوله عليه الصلوة والسلام «كل راع مسئول عن رعيته» والثاني ما يجب

على الرعية من اعانتته وهو حقه عليهم وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم عليه ولا يؤمن أحدكم حتى اكون أحب اليه من ماله وولده ونفسه التي بين جنبيه ، كما هو مبسوط في كتبه المخصوصة به رابعا من الاصول التي ينبنى عليها علم التاريخ كما نص عليه أيضا أعلاه القاضي ابن خلدون رحمه الله طبيعة العمران واختلاف أحوال اجتماع الانسان يشير بذلك الى ما ذكره بعض الحكماء وأوضحه أيضا العلماء من انهم كما صوروا في علم تعبئة الجيوش العسكر في صورة طائر له جناحان المينة والميسرة ورأس أو طليعة وذنب أو ساقه كذلك صوروا كل اجتماع انساني وتأنس عراني أو دولة أو مملكة أو بلدة أو خطة أرضية ايا كانت من مدينة أو إقليم أو قرية أو غير ذلك في صورة جسم آدمي هي وهشة شخص معنوي رأسه ولاية الامور والامراة قلبه العلماء وبهذه الاساكر والجنود وباقي الاعضاء والاطراف هم سائر طوائف الرعية ومن ثم يعبر عن آحاد الناس في كل جمعية عاربه باعضاء الجمعية البلدية وبنوا على ذلك ان لجميع الامم والممل والاديان والنحل وكل جمعية حضريه كالملا شخاص البشريه من توالى الاعمار ما يعتريه سائر الاطوار فلا بد لهم من المرور بطور الطفولية والشبيبة والكهولة والشيوخه والحرم وانه قد يعتريه في اثناء ذلك من الاعراض بعض أحوال مرض وسقم ويختلف تاريخ كل أمة من الامم بحسب اختلاف أحوال تلك الاطوار قال القاضي ابن خلدون رحمه الله كثر من العصبية في أول أمر كل دولة من الدول أو مملكة من الممل بخلاف ما اذا بلغت الحد الكمال والاستقرار وغير ذلك من الاحوال التي تختلف بحسب اختلاف الاعمار على عر الاعصار وبهذا المعنى ألم أحد بن الحسين المتنبى المشهور في شعره المأثور بقوله

أنى الزمان ينوء في شببيته * فسرهم وأتينا على الهرم

خامسا من القواعد الاصلية والاصول الكلية التي ينبنى عليها علم التاريخ شكل الارض وطبيعة القطر والمكان الذي حصل فيه الاستيطان وبيان ذلك كما نص عليه غير واحد من المؤرخين الاوربوايين وغيرهم من المؤلفين ان لاختلاف أشكال الاراضى وتنوع طبائع البلدان تأثيرا عظيما على أحوال من بها من السكان فلا تجد نزلة بشرية ولا استيطانة حضريه اللهم الا على ما جاور على نهري من الانهار او على سواحل البحار ومن كان استيطانه من الامم على أرض خصبة صالحة للزراعة كان الغالب عليها العناية بالاعمال الزراعية وان كانت اراضيهم جبلية ذات مراعى واهشاب توجهت عنايتهم لتربية المواشى والدواب والا كان الغالب عليهم في تحصيل مواد معاشهم والثماس وسائل سعادتهم واتعاشهم الاشتغال بالاعمال الصناعية وترى الممل الذين استوطنوا سواحل البحار اكثرهم بحاره واغلب عنايتهم بالتجارة الى غير ذلك من اختلاف أحوال الاقطار والممالك وحيث فيختلف تاريخ كل ملة من الممل بحسب اختلاف طبيعة اراضيها من سهل او جبل كما علم ذلك بطريق الاستقراء وثبت بدليل النظر والاستقراء

فهذا هو ما يسر لنا استنباطه من القواعد الاصلية والاصول الاساسية التي ينبغي عليها علم التاريخ الخاص والعلم كانه عليه هؤلاء الائمة الاعلام

واما مسائل علم التاريخ فقد قال العلماء ان مسائل كل علم هي اصوله الكلية وقواعده الاصلية التي تنفرغ عنها احكامه الجزئية وبعبارة اخرى هي قوانينه الاجالية المستنبطة من ادلته التفصيلية كقولهم في علم النحو مثلا لكل فاعل مرفوع ينبغي عليه ان يزيد في قولك ضرب زيد يجب رفعه في مثل هذا المثال وهكذا على هذا المنوال وتطبيق ذلك على علم التاريخ ان نقول يقتضى ان تكون مسائل علم التاريخ هي قواعده الاصلية واصوله الكلية التي ذكرنا بعضها فيما سلف وعسى ان يأتى من بعدنا من يستقصيها فين خلف حيث تنفرغ منها احواله الاستقرارية واحكامه الجزئية كقولهم مثلا ان كل دولة او ملكة في اول امرها يلزم لها العصية وان كل ملّة بلغت الهرم صعب معالجته مالا بدان يعثر بها من المرض والسقم وعلى ذلك ينبغي اننا اذا شاهدنا في التواريخ والاعخبار دولة او ملّة بهذه الاحوال والاشوار ردودنا لتلك الاحوال الجزئية الى هذه الاصول الكلية والقواعد الاصلية وهكذا على هذا المثال

واما استمداد، وأصل منبعه واراذه فهو من عدة أمور حسبما هو بعد مذكور الاول الكتب الدينية التي بقيت على ممر الاعصار أو حصل العثور عليها في بعض الاشوار المأثورة عن الامم السالفة والملل الاتفة وأسميها التوراة صحيف موسى عليه السلام حيث ذكر فيها تاريخ خلق العالم وقصص الانبياء السالذين وأخبار بعض الملوك المتقدمين وغير ذلك ولذلك يقول مؤلفو الافرنج عن موسى عليه السلام انه هو اول مؤرخ يعرف وان التوراة هي اول كتاب في التاريخ تدون وتأنف ومن ثم اعتمدها المؤرخون من السلف في اقتصاص حادثة الخليقة وقصص الانبياء وأخبار العبرانيين وكثير من تواريخ الامم المتقدمة وقد ذكر منها أيضا في القرآن المجيد مقدار عديد عبرة لاول الابصار وتبصرة لذوى الاعتبار

الثاني الارصاد الفلكية وذلك عبارة عن مادتين أصليتين (احدهما) مجموع الارصاد النجمية التي جرت مددة ألف وتسعمائة سنة متعاقبة بمدينة بابل وبعثها الاسكندر بن فيليبش حين افتتح تلك البلدان الى بلاد اليونان فأدرجها الحكيم بطليموس اليوناني في كتابه المعروف بالمجسطى (الثانية) حادثة كسوف الشمس المركزى الذى حصل احتسابه ببلاد الصين قبل تاريخ المسيح عليه السلام بمدة ٢٢٥٥ عاما وغير ذلك من الاكتار التي صار الحصول عليها من هذا القبيل وبعضها تامة بعروة المنجمين المعتبرين والعلماء المشهورين واقفت ماذكر في نصوص التوراة من التواريخ والاعخبار فحصل عليها الاعتماد وصار اليها الاستناد في تعيين تاريخ الخليقة وحادثة الطوفان وغيرهما من حوادث العلم الانمان على قدر الامكان

الثالث التأليفات البشرية القديمة والقصائد الشعرية المتهتفة التي ألّفها بعض مؤرخي تلك

الازمان ونظمه لبعض شعراء اليونان والرومانين اوصنفها بعض قسوس قدماء المصريين كالشاعر اليوناني الشهير باسم **أوميروس** المذكور في قول بعض شعراء المسلمين ، كابي أمير وس لدين محمد ، وذكره ترجمة مخصوصة في كتاب الملل والنحل للشهرستاني وغيره من الشعراء والمؤرخين السلف الذين ترجمت كتبهم من أصولها اليونانية واللاتينية أي لغة أهل بلاد ايطالية القديمة الى اللغات الاوربية الحديثة ووقف عليها الخلف وطبقوها على نصوص الكتب الدينية المأثورة والارصاد الفلكية المذكورة وغيرها من القواعد المتقدمة واستخرجوا منها النتائج المسهلة وذلك كتأليف المورخ اليوناني الشهير باسم **هيرودوت** داليكارناس بمعنى الايكارناسي (نسبة الى قرية ببلاد اليونان) وتأليف المورخ الروماني المشهور باسم **ديودور الصقلي** (نسبة الى جزيرة صقلية الكائنة في بحر سفيدا والبحر المتوسط الابيض) وكالقسيس **مانيتون** المصري الذي ألف جداول ملوك الفراعنة السالفين بأمر أحد ملوك البطالسة الخالفين وغيرهم

الرابع ما اثر عليه السياحون المتأخرون من الامم الاوروباويين المعاصرين من الكتابات القديمة والتقييدات العتيقة المعروفة بالانتique أي الآثار القديمة التي وجدت في بعض النواويس والقبور واسلال المدن والعمارات والقصور التي كانت قد تشيدت في سالف تلك الدهور كالاهرام وغيرهما من عمارات تلك الايام وذلك بواسطة انتداب اليه في هذه المدة الحاضرة بعض العلماء الاوربيين من كشف حقيقة مطالعة خطوط الامم السالفين والتوصل لمعرفة كتابات الملل المتقدمين كالقلم القبطي القديم المعروف باسم **الهيورجليف** وقلم اللغة العربية والهندية المسمى باسم **السنسكريت** أي لغة أهل الهند القديمة وكذلك الصينية وغيرها وما تسطر أعلاه من الاسانيد المذكورة والمواد المسطورة انما هو بالنسبة لتواريخ القديمة دون تواريخ القرون الوسطى والاخير ومع ذلك فلا ينبغي ان يتصور ان المجتهدين من العلماء الاوروباويين مع بذل غاية مجهودهم وصرف أوقاتهم ونقودهم تحصيلوا على تمام مقصودهم من الوقوف على حقائق أحوال الامم المعاصرة لعهد خلقه العالم في تلك الاعصار الغابرة وغاية ما هناك انهم توصلوا لمعرفة اسم ملك أو دولة كان قد سقط من سلسلة العائلات الملوكية او الوقوف على ابصار بعض أحوال كانت غامضة من أحوالهم السلوكية ولم تزل تلك الازمان في العموم غامضة سقيه وتوارى عنها بعد غير مستقيمة واما بالنسبة لتواريخ القرون الوسطى والمتأخرة فبتعاقب الايام والاعصار حصلت البصيرة والابصار وانتشرت الانوار وباختراع صناعة الورق الذي يكتب عليه المسمى بالقرطاس أو الكاغذ من الخلقان البالية وقش القمح أو الارز وغير ذلك من المواد الأولية انتشرت الكتابة في كثر الامم والملل واعتنت الملوك والدول بضبط الاخبار وربط الاسمار وكتبه كل قوم تاريخهم وسيرهم وقيدوا قصصهم وأثرهم وجاءت بدعة

المطبعة الجيبية في هذه الأعصر القريه قسملت نشر سائر المعارف والعلوم كما هو لكل أحد
 الآن من المعلوم وبذلك ضبط علم التاريخ كغيره وانتفع الخاص والعام بفائدته وخيره اذ
 كتب فيه من المؤلفات ما لا يحصى وطبع فيه من المصنفات ما لا يستقصى وصار من الاعتماد
 والاستعداد لحالة الاستقرار والسداد بحيث صار يدرس الآن في البلاد الاوربيه وغيرها
 من الممالك المتقدمة الاجنبية في ضمن الفروع التعليمية الاصلية ومواد التربية الاولى كالفحو
 والصرف وسائر الاصول العلمية الضرورية. للاطفال الصغار في المكاتب الابتدائية الاهليه فضلا
 عن الشبان والسهول السكاري في المدارس العاليه الميرييه المائكيه والعسكريه وفضلا عما انتشر
 منه ايضا معرفة العلماء الاعلام بين طبقات العوام من الرسائل المختصره لقصد تقريب تنارله
 للافهام القاصره وها هو بالانفايد الداوريه والرعايه الاميرييه ساغ لنا بحمد الله وحسن توفيقه
 ان نستفيد كغيرنا من علم التاريخ والجغرافيه اللذين هما قنن العقل وتكثير النقول وغيرهما
 من العلوم الرياضيه المتسكنه بتربية الافهام وازالة الابهام ما لا بد منه من الفوائد ونستعبد
 من تلك المعارف البشريه والعلوم الضرورية ما كان قد نذعننا من الشوارد وصار يسهل
 لثلاثنا ان نحصل على نتيجة مدارسهم ونأتي ثمره مغارسهم ونقل زبده اجتهادهم ونمارسهم
 ونهايه القصد من بذل هذا الجهد هو ان تلقى عليكم ايها الاخوان وتفيد في هذا المجموع
 بحكم ولنغيركم من سائر أبناء الاوطان ومن شاء الله تعالى له أن يطالع على أيام الناس وأحوال البلدان
 من علم التاريخ العام زبده ما استقر عليه الحال وأقره العلماء الاعلام لغاية الآن على الوجه التام
 الذي يقرأ به له صد التربية في المدارس الاوربيهه مع تمرى الصدق في النقل والالتقان على قدر
 الامكان وهذا آخر ما تبسر لنا ان نقدمه لكم في هذه المقدمة على سبيل التمهيد الضروري لفهم
 ما سنبيده اليكم في سياق الغرض المقصود من الايضاح والبيان

تعليميه قد جرت عادة بعض المؤلفين ولا سيما المؤرخين ان يكتبوا بعض مؤلفاتهم على صورة
 السؤال والجواب ظنا منهم ان في ذلك تسهila على الصبيان ودليلا للاذهان وربما كانت هذه
 الطريقة من الصواب بالنسبة للعقائد الدينيه وغيرهما من العلوم الاولية التي يكون جل القصد
 منها الحفظ واكثر الاعتماد فيها على اللفظ وما كان علم التاريخ يقتضي ان يكون الاستناد فيه على
 تعقل الطلبة ومفكرتهم أكثر من الاعتماد على حافظتهم ومذكرتهم وكان يكفي فيه تطبيق
 ما لا بد من تعليقه منه بما عني من غير حفظ اللفظ اذ لا يمكن فيه على ظهور انقلب الحفظ استصوبنا
 ان نسطر هنا بطريق التكرار وعلى سبيل الاختصار ما تقدم في هذه المقدمة من الفوائد
 المتقدمة وهكذا في آخر كل باب من الابواب الاتيه على هيئة مسائل ارشاد للمسؤل والسائل
 ولم نخرج الجواب بآزاء السؤال اعتمادا في تفصيل هذا العلم على التعقل والفهم لما أتى الطالب
 بالجواب من مظنته ويستخرجه مما سبق له تقريره في الباب بقرينه تمرينا للاذهان وتبيينا
 لكيفية الامتحان على هذه الوجهه الا في بعض من البیان

مسائل

تشتمل على مختصر ما تضمنته المقدمة من مبادئ علم التاريخ المتقدمة

المبحث الاول

- ١ ما اسم هذا العلم وما الاكثر استعمالا من اسمائه
- ٢ ما معنى السيرة لغة واصطلاحا
- ٣ ما معنى التاريخ لغة وما كيفية تصريفاته
- ٤ علام يطلق لفظ التاريخ اصطلاحا وما المراد منه في اصطلاح البلغاء على الخصوص
- ٥ ما تعريف التاريخ اذا أخذ على اعم اطلاقاته ومن ثم الى كم قسم ينقسم
- ٦ ما المراد بالتاريخ الطبيعي وما كيفية تقسيماته
- ٧ ما المراد بعلم حياة الحيوان
- ٨ ما المراد بعلم النبات
- ٩ ما المراد بعلم المعادن
- ١٠ ما المراد بما يسمى في اللغة القراساوية بعلم الجيولوجية
- ١١ هل جعل التاريخ الطبيعى من ضمن علم التاريخ هو مسألة اتفاقيه ام خلافيه وما توضيحها المقام
- ١٢ ما المراد بالتاريخ المدنى وما منشأ قول الحكماء ان الانسان مدنى بالطبع وما بيان ذلك
- ١٣ ما هي الاقسام التى تنحصر فيها الاعمال القمدنية او الحضريه
- ١٤ ما ضابط الزراعة والصناعة والتجارة والاماره
- ١٥ ما هما الامر ان اللذان يضطر اليهما الانسان بالطبع وما المراد بالعائلة او القبيلة والعشير
- ١٦ ما المراد بقولهم حالة الجمعية البشرية او الحضريه او التمدن او هيئة الاجتماع الانساؤ وما أشبه ذلك من العبارات
- ١٧ ما المراد بالجمعية الوطنيه او المدنية والجماعة الدينية أو الجمعية الدينية
- ١٨ ماذا يلزم لانتظام الجمعية البشرية من الامور الاصلية الضرورية
- ١٩ ما المراد بالدين وما المقصود بقولهم دين الدولة او ديانته الرسمية
- ٢٠ ما معنى الوازع وما المراد بالملك والسلطنة او الدولة وولاية الامر العامة وما أشبه ذلك
- ٢١ الى كم قسم تنقسم ولاية الامر العمومية
- ٢٢ ما المراد بالولاية الروحانية والجمانية
- ٢٣ ما المراد بالولاية التشريعية والقانونية والقضائية والتنفيذية والتجيزية
- ٢٤ ما المراد بالقوة العسكرية وما الغرض المقصود منها

- ٢٥ إلى كم فرع تقتصر ع الولاية التنفيذية وما المراد بالتقاسيم السياسية او الخطط الارضية وما هي
- ٢٦ ما هي التقاسيم الادارية او الوزارية والدواوين وما المراد بكل واحد منها
- ٢٧ ما اقسام ولاية الامر من حيث الهيئة والصورة
- ٢٨ ما معنى الحكومة الملوكية وكيف تنقسم وما الفرق بين الحكومة الملوكية المطلقة والمقيدة او النيابية وما المراد بمجلس شورى النواب
- ٢٩ كيف تنقسم الحكومة الملوكية من وجه آخر
- ٣٠ ما معنى الحكومة الاعيانية او حكومة الاشراف وما المراد بهذا اللفظ
- ٣١ ما معنى الحكومة الالهية او الجمهوريه
- ٣٢ وحيث هذا المراد بنظام الملك والسلطان وما المراد بالتمدن والعمران وما أشبهه ذلك
- ٣٣ ما موضوع علم التاريخ المدني وما تعريفه بطريق الاختصار وكيف ينقسم
- ٣٤ ما المراد بالتاريخ المدني العام والمدة التي يستغرقها من الدهر على الاصح من اول عهد الخليقة الى هذا العصر
- ٣٥ كيف قسم المؤرخون من الافرنج التاريخ المدني العام
- ٣٦ ما المراد بالتاريخ القديم وما المدة التي يستغرقها من عمر الدنيا
- ٣٧ يقتضى تعداد الامم الشهيرة الذين يعبر عنهم بالتاريخ القديم
- ٣٨ ألم يكن يوجد في الاعصار القديمة غير هؤلاء الامم المذكورين وهل لهم توارخ ثابتة
- ٣٩ ما المراد بالتاريخ المتوسط وما المدة التي يستغرقها من عمر الدنيا
- ٤٠ ما المراد بالتاريخ الحديث وما المدة التي يستغرقها من عمر الدنيا
- ٤١ ما المراد بالتاريخ العصري وما المدة التي يستغرقها من عمر الدنيا وهل هو قسم مستقل بذاته أم كيف الحال
- ٤٢ ما المراد بالتاريخ المدني الخاص وما تسمياته
- ٤٣ ما المراد بالتاريخ المدني الخصوصي والجزئي والقيسي والسفاري وغير ذلك وما المراد بقولهم تاريخ الحوادث السنويه والتذكرة التاريخية والحياة الشخصية
- ٤٤ كيف ينقسم التاريخ المدني من حيث طريقة تحريره وما المراد بما يسمى في اللغة الفرانساوية باسم السكرونولوجيه والاثنوغرافيه والستركونيسم والتاريخ النظري او الفلسفي
- ٤٥ كيف ينقسم التاريخ من حيث اصل استمداده وما المراد بقولهم التاريخ المقدس والتاريخ الدنيوي او البشري

الدرس التام (٣٠) في التاريخ العام

٤٦ فأنسبة علم الانساب وعلم الجغرافيه وعلم الكرونولوجيه وعلم الاساتسيك لعلم التاريخ
المبحث الثاني

٤٧ ماثرة علم التاريخ لقارئيه وهل هو عبارة عن مجرد اقتصاص قصص واخبار للتفكه
بها بين السمار وما القوائد الحقيقية والتمرات الدنيوية والاخرويه التي تنتج عنه
حسب ما يؤخذ من كلام العلماء الافاضل والدقهاء الاكامل الاسلاميين الذين صنعوا فيه
ما حكم علم التاريخ

٤٨ ما مزية علم التاريخ بخصوصا بالنسبة لعلم الاخلاق
٤٩ هل علم التاريخ معدود في جملة العلوم الاثني عشر المة سوية للعرب وما المراد بذلك
٥٠ ما أصل علم التاريخ وما كيفية ترقيه على مر الزمان الى ان صار لالة الكمال التي هو
٥١ عليها الآن

المبحث الثالث

٥٢ هل لعلم التاريخ اصول ثابتة يستند اليها وقواعد مستقرة يعتمد عليها أم كيف الحال
ومن أين يؤخذ ذلك

٥٣ ما هي القواعد التي يبنى عليها علم التاريخ

٥٤ ما اول اساس يقتضى ان يبنى عليه علم التاريخ وما الفرق بينه وبين ما يسمى باسم الرومان

٥٥ ما هي القاعدة الثانية التي يبنى عليها علم التاريخ وما المراد برده لاصول العاده

٥٦ ما القاعدة الثالثة التي يبنى عليها علم التاريخ وما المراد بقول الحكماء العقد التأنيسي

او السياسي او عقد الشركة الانساني

٥٧ ما هي القاعدة الرابعة التي يبنى عليها علم التاريخ وكيف صور الحكماء في صورة محسوسة

كل اجتماع انساني ومكان عمراني وما المراد بذلك وهل يستأنس لهذا المعنى من قول
بعض الشعراء المشهورين

٥٨ ما هي القاعدة الخامسة التي يبنى عليها علم التاريخ وما المراد بذلك

٥٩ ما مسائل علم التاريخ وما كيفية تطبيق ذلك عليه

٦٠ ما هي الامور التي منها استمداد علم التاريخ وما توضيح كل مادة عادة منها وهل هذه المواد

التي منها علم التاريخ الاستمداد هي بالنسبة للتاريخ العام بجميع اقسامه ام كيف الحال

وماذا آل اليه علم التاريخ الآن من حالة الكمال

٦١ ما فائدة تذكروا ما تقدم في المقدمة السالفة وفي آخر كل باب من الابواب الخالفة

بطريق الاختصار في صورة مسائل بالنسبة للمسئول والسائل

اذا تقر هذا في الاذهان ساغ لنا ان نسرع الآن في الغرض الموضوع له هذا المجموع منقسم

الى ثلاثة اقسام او فروع على مقتضى الترتيب الطبيعي والله سبحانه وتعالى هو المسئول في تمام

كل مشروع

القسم الاول

في التاريخ القديم

معلومات اوليه وتقسيمات اصلية

مسألة عمر الدنيا

ذكرنا في المقدمة ان التاريخ القديم عبارة عما يشمل احوال عدة أمم شهيره وملل كبيره في مدة القرون الاولى من ابتداء سادئة خلق الدنيا لغاية سادئة زوال دولة الروم الاولى باغارة اقوام شمال اوربية عليها في سنة ٤٧٦ من ميلاد المسيح عليه السلام

والقرن في اصطلاح المؤرخين وفي بعض الخلاقاته عند اللغويين وعلى حسب ما يفهم من مدلول هذا اللفظ عند جريانه على الالسنه هو عبارة عن مسافة من الزمن معينة على الاصح بمائتة سنه كما صرح به في القاموس وتوضيح في شرحه المسمى بالاوقيانوس وقد يطلق على هذا اللفظ ويراد منه الجيل أى اهل زمان واحد من غير تعيين مدة سنوات معينه قال في الصحاح ١ والقرن من الناس أهل زمان واحد (قال الشاعر)

« اذا ذهب القرن الذي أنت فيه » وخلفت في قرن فانت غريب »

٥ والسنة والعام عبارة عن مدة من الزمن متكونة من اثني عشر شهرا او اشهر أر بعة أسابيع والاسبوع سبعة أيام واليوم عبارة عن المسافة الزمنية التي يدور فيها الشمس حول محورها حسبا يفهم ذلك من مبادئ علم الفلك والهيئة أو قسم الجغرافية الفلكية المندرج في ضمن فروع علم الجغرافية العمومية وقد جرت العادة عند الملل المعتمره والامم المشتهره بتقسيمه الى اربع وعشرين ساعة والساعة الى ٦٠ دقيقة والدقيقة الى ٦٠ ثانية والثانية الى ٦٠ ثالثة وهلم جرا اذا اوجبت الى ما فوق ذلك الضرورة

والشهر ما قرى او سمى فالشهر القمري عبارة عن مدة الزمن المنقضية من ظهور هلال الى آخره وهى المسافة التي يدور فيها القمر حول الشمس وهى مدة ٢٩ يوما ١٢ ساعة و ٤٨ دقيقة ولكن جرت العادة في المعاملات المدنية يجعل الشهر القمريه على التعاقب شهرا ٢٩ يوما وشهرا ٣٠ يوما

والشهر الشمسي عبارة عن مدة الزمن التي تسيرها الارض حول الشمس مسافة ثلاثين درجة وعدة الشهور الشمسية تارة ٣٠ يوما وتارة ٣١ يوما الا الشهر المعسمى باسم فبراير او فبراير حيث يكون دائما ٢٨ يوما في السنة البسيطة و٢٩ يوما في السنة الكبيسة

ونشاء على ذلك تكون السنة اما قمرية او شمسية وكلتاها اما بسيطة او كبيسة فالسنة القمرية هي التي تتركب من الشهور القمرية اعني من دوران القمر حول الارض اثنتي عشرة مرة وعدة ايامها ٣٥٤ يوما و ٨ ساعات و ٤٨ دقيقة ولكن جرت العادة بجعل السنة القمرية ٣٥٤ يوما عددا كاملا وتسمى حينئذ بالسنة القمرية البسيطة واما السنة القمرية الكبيسة فهي ما يضاف اليها في كل اربع سنين يوم يحصل من حاصل جمع الزيادة المذكورة فتكون عدة ايامها ٣٥٥ يوما والسنة القمرية هي الجاري عليها العمل في المراتب الشرعية الاسلامية والتواريخ العربية

والسنة الشمسية هي المركبة من الشهور الشمسية وهي عبارة عن مدة دوران الارض حول الشمس وعدة ايامها ٣٦٥ يوما و ٥ ساعات و ٤٨ دقيقة و ٤٥ ثانية فهي أكثر من السنة القمرية بخواحد عشر يوما وتبنى على ذلك ان كل دور ٣٢ سنة شمسية يساوي نحو ٣٢ سنة قمرية والسنة الشمسية هي المستعملة عند جميع الامم الاوروبية وسائر طوائف النصرانية في معاملاتهم الشرعية واستعمالاتهم السياسية لكنهم يقرضون عدة ايامها ٣٦٥ عددا كاملا فقط وتسمى حينئذ بالسنة الشمسية البسيطة وفي آخر كل أربع سنوات يضمنون مدة الزيادة التي هي نحو ست ساعات فيكون منها يوم يضمنونه الى تلك السنة الرابعة فتتم ايامها ٣٦٦ يوما وتسمى بالسنة الشمسية الكبيسة وانما ينقص عندهم عددا لسنوات الكبيسة في كل أربعة ترون سنة واحدة لداعي نقص مدة الزيادة المسطورة بنحو ١١ دقيقة في كل سنة كبيسة

ومن السنوات الشمسية ما يسمى بالسنة القبطية وغاية الفرق ان القبط يجمعون شهورهم الشمسية كلها من كبة بريقة مطردة من ٣٠ يوما ويضمنون اليها في آخر كل سنة عدة ايام لوافق يسمونها بايام النسيء (وهو في اصل اللغة التأخير) وهو خمسة ايام في السنة الشمسية البسيطة وستة ايام في الكبيسة تماخر في كل سنة قبطية فيضمنونها اليها لتتم عدة ايام سنتهم ٣٦٥ او ٣٦٦ يوما كعدد ايام السنة المستعملة عند سائر الطوائف النصرانية والسنة القبطية هي التي عليها العمل في مواد الحسابات الديوانية والمواقيت الزراعية بالديار المصرية

والقرن ان تتركب من سنوات قمرية فهو قري والاف هو شمسي وهناك ما يعبر عنه أيضا في اصطلاح علماء الكرونولوجية اي علم الأزمان بالدور وهو عبارة عن المدة التي تدور فيها الحوادث الفلكية وتعود الى مثل احوالها الاولى وهو كذلك بقري او شمسي فالدور الشمسي ٢٨ سنة والقمرى ١٩ سنة ولكنهم جعلوه في العمل ٣٠ سنة

واما العصر فهو الدهر بمعنى مطلق الزمن والذي نحتاج معرفته هنامن جملة نواحي الامم المتخوفة بمعنى الحوادث الشهيرة والوقائع الكبيرة

الدرس التام ٣٣ في التاريخ العام

التي جعلوها مبدأ النسبة غير هامة من الوقائع التاريخية اليها على حسب عوائدهم الغير المؤلفة
كل سبق توضيحه في المقدمة عند الكلام على اطلاقات لفظ التاريخ الاصلاحية المتقدمة
هو تاريخنا

الاول التاريخ المسيحي او الميلادي لداعي انه هو الجاري عليه العمل في كتب التواريخ الاوربيه
التي نعتد عليها ونستند اليها في ترجمتنا هذه الى اللغة العربية . وذلك على في توقيت الحوادث
التاريخية الاعتماد حيث يقال وقعت الحادثة الفلانية في عام كذا قبل الميلاد او بعد الميلاد
ومبدأه من ميلاد السيد المسيح عليه السلام والثاني تاريخ الهجرة المحمدية لكونه في تاريخ القرون
الوسطى هو مبدأ تمدننا الوطني المحلى . ومفشأ تاريخنا الديني الاهلي . والجاري عليه العمل عند
جميع أهل الاسلام . ومبدأه على الاصح من يوم الجمعة السادس عشر من شهر يوليه الافرنجى
سنة ٦٢٢ لميلاد عيسى عليه السلام كما حققه العلماء الاعلام . وهو يوم هجرة سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم وشرف ويوجد من مكة المحترمة الى المدينة المنورة المسكونة كما هو
مقرر في الافهام

اذا علمنا هذا المعلومات الاولى ساغ لنا ان نقول ان مسألة تعيين مبدأ خلق العالم او المادة التي
مكسها بغاية الآن المبرع بها عمر الدين او عمر المؤرخ المحقق . والملاك العالم المدقق أبو
القدا سماعيل ملك حماه في مقدمة تاريخه . وعمر الزمان هي مسألة خلافية حيث لم يحصل فيها غاية
الآن التوفيق على قول ثابت صحيح . ولا رأى واحد راجح يطعن العقل اليه . ويسكن القلب لديه
وذلك ان العلماء الاوربيين والمؤرخين المتأخرين مع بذل غاية ميسورهم وفضل مساعدة ولاية
أمورهم لم يصلوا به لأن يعينوا لعلم الكرونولوجية مبدأ ثابتا عليه يعتمد ولم يعرف أحد لغاية هذا
العهد متى خلقت الدنيا . ولا وقف على اول الوقت الذي أخرج الله فيه آدم من حنة عدن الى
الارض السفلى . وان اصل الاشياء انما هو بعد مجهول حيث لم تصل اليه العقول واختلقت
فيه النقول . ولذلك تشعب الخلاف في هذه المسألة الى نحو مائتي مذهب لا يقل قال بعضهم
والذي هو للصحة والاعتماد من جميع هذه المذاهب اقرب هو قولان معتبران ورأيان شهيران

الاول ان المادة المنقضية بين حادثة الخليقة وولادة عيسى بن مريم عليه السلام هي ٤٠٠٤
اعوام وهذا هو التاريخ الذي قال به المؤرخ المدعوب اسم اوسيريوس الارلندى (نسبة لجزيرة
ارلندة من الجزائر المحقة بجملة انجلترا التي هي بلاد الانجليز) قال به المؤرخ المذكور في سنة
١٦٥٠ بعد الميلاد ومضى عليه أشهر المؤرخين من الفرنسيين كلاسقف بوسوه والمؤرخ رولان
ودانو وهذا القول هو المشهور والاكثر اتباعا عند الجمهور وبناء عليه فيكون مجموع مدة عمر الدنيا
من أول عهد آدم الى الآن عبارة عن ٥٨٧٧ عاما حاضرة من جمع مبلغ الاربعة آلاف وأربع
سنوات المذكورة آنفا على مبلغ ٨٧٣ سنة التي بلغ اليها التاريخ المسيحي في هذا العام وهو

قريب مع بعض نقص من مبلغ الستة آلاف سنة الذي ذكرناه في المقدمة سالفا (١٣٣ سنة)
القول الثاني ان المدة المنقضية بين الحادثتين المذكورتين هي ١٣٨٤ عاما وهذا القول
هو الذي أبداه المؤرخ الانجليزي المسمى باسم كلايتون في سنة ١٨٢٩ للميلاد ومشى عليه
المؤرخ ويكتور وروى وزير المعارف العمومية في عهد الدولة الامبراطورية الفرنسية الاخيرة
ورفاقؤه من جماعة المدرسين والمؤرخين الذين الفوا تحت ادارته الرسائل التاريخية الشهيرة
وبناء عليه فيكون مجموع مدة عمر الدنيا عبارة عن ١١٠٦٠٠ سنة حاصلة من جمع المدة المسطورة مع
مدة التاريخ الميلادى المذكورة وهو قريب من مبلغ عمر الدنيا الذي ذكرناه في مقدمتنا مع بعض
زيادة يسيرة (١١٠٦٠٠ سنة)

ومن اطلع تفصيلا على جميع الاقوال التي ادى اليها الخلاف في هذا المجال علم انها كلها انما
هي مبنية على حسابات مؤسسة على الاعداد الواردة في أصل التوراة عند ذكر تواريخ الولادات
والوفيات ومدد الولايات والاعمار لبعض الانبياء وغيرهم عن ذكر فيها من مشاهير الرجال وانه
لم يكن واحدا من القائلين بهذه الاقوال يقول بان المدة المنقضية من ابتداء خلق العالم لغاية ميلاد
المسيح تزيد عن ٧٠٠٠ سنة ولا تنقص عن ٣٧٠٠ سنة وهذه الاقوال كلها لا مجال لها اللهم
الا عند الملل الذين يعتقدون تقديس التوراة وكونها منزلة من عند الله تعالى على موسى بن عمران
عليه السلام واتضح له ايضا ان هذا الخلاف انما هو ناشئ كانه عليه المنك المؤيد أبوالفادي مقدمة
تاريخه عن تنوع نسخ التوراة وهي ثلاثة أصل النسخة السامرية بقول عبرانية والترجمة اليونانية التي
نقلها اثناس وسبعة من حبراء الاسكندرية قبل ميلاد المسيح بنحو ٣٠٠ سنة لبطليموس ثاني الملوك
اليونانيين الذين تولوا امر مصر بعد الاسكندرية وتعرف بتوراة السبعين وهي التي لها على ما عداها
الترجيح كما سيأتى لذلك في موضعه زيادة توضيح على اننا اذا خرجنا عن تلك المعلومات المستنبطة
من نسخ التوراة وجدنا في هذا المقام اشبع الحسابات واشنع المبالغات وذلك ان كل واحدة من الامم
الاقدمين والملل السالفين ارادت ان يكون لها قصب السبق والتقدم في مادة العناية والحرم على
غيرها من سائر الملل والامم فحسبت لنفسها من مدد الاقدمية في مبداء تواريخها الاولى اعدادا
تعد بآلاف الملايين من السنين لاجل الفخر ولقصد تقديم اصل وجودها في بحر ظلمات
الاعصار فنفهم من زعم انه متوغل جد في مادة القدم حتى انك ترى بعض ملل جعلوا انفسهم قبل
ان يترتب لهم عائلات ملوكية من الشرعة دول من آلهة وانشاف آلهة مكشوا تحت حكمهم على
حسب زعمهم مددة من الازمة تبلغ ستة آلاف سنة وبعضهم أربعة وعشرين ألفا وبعضهم
اثنين وسبعين ألفا وبعضهم أربعة مائة واثنين وثلاثين ألف سنة

ومن هذا القبيل ما قال به وألف فيه رسالة مخصوصة بعض المؤلفين المتأخرين من علماء الفرنسيين
للمعاصرين بقبول ما ذكره القسطنطين المصري المسمى باسم مانيون السالف الذكر من ان ديار مصر

في سالف الدهر قبل ان يايها ملوك من البشر كانت بحكومة بدول عديدة من الآلهة واوراج^١ اناس من الاموات مدة مسافة من الزمن تبلغ ٥٧٢٠ سنة قبل الملك مينيس الذي كان اول من وثق مصر من البشر في سنة ٥٧٧٣ قبل ميلاد المسيح حسبما اعتمد ذلك القائل وعارضه غيره من علماء هذا العصر

والذي يقتضيه الذوق السليم وينضى به العقل المستقيم هو انه لا حاجة للناقضة في السمة قرون الاولى التي يقول بها الهنود ولا في شأن الدول الالهية التي يزعمها اهل الصين واهل جزيرة يابونية وقدماء المصريين وما يخرج عن حد العقل من عتاة نسبة قدماء الكلدانيين أي العراقيين بل ولا في ما والطف من ذلك واخف من جميع ما هنالك مما حسم به لانفسهم قدماء الفرس المعروفين عند العرب الان بالانجاس وانما الذي يصح التشبث به في تحقيق هذا المقام هو ما يستنبط من النتائج التي هي أكثر علمية وان كانت هي ايضا حدسية تقريبية عن تأمل الارصاد الفلكية كمنطقة فلك البروج وغيرها من الآثار السماوية واكبر من ذلك كله الى الصحة اقرية هو ما نتج عن دقة النظر في أحوال الكرة الارضية وكيفية تكونها وما اعتراها من التغيرات والاحوال الى ان صارت الى ما هي عليه الآن من المآل وهو ما عبر عنه بعلم الجيولوجية وذلك ان طائفة العلماء الاوروبيين المتأخرين المدعويين بالجيولوجيين (بمعنى علماء الجيولوجية أي علم طبقات الارض كما سلف ذكره) قالوا باختيارهم ان الكرة الارضية على الحالة التي هي عليها الآن لا ينبغي ان تكون اولية خلقها مؤرخة من مدة زمنية أكثر من ستة آلاف الى ثمانية آلاف سنة شمسية - كما أثبتته الفلاسوف المحقق والعالم الطبيعي الفرائساي المدقق المشهور باسم كوفيه في رسالته المعنونة بخطابة في مادة تقلبات الارض فهم يرجعون ما يعرف في اصطلاح المؤرخين بمحاذة خلق الدنيا الى زمن قريب مما يضعه فيه الكرونولوجيون (علماء الكرونولوجية أي علم ترتيب الزمان) من احبار النصراني العيسويين

قال المعلم كرلوس دريس (بكرال الدال وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحت) في آخر بحث الخلية من كتاب الكرونولوجية العمومية الذي ألفه من ضمن كتب التواريخ المؤلفة تحت ادارة ويكتور دو روي سالف الذكر ما نصه وهو على كل حال قمتين تاريخ للوقت الذي حصل فيه نفع الروح المتفكر في الحياة البشرية على الكرة الارضية بالقوة الالهية هو من قبيل الجراءة الكلية ومع ذلك فن الضرور ان تقدم عليه جريا على العادة التعليمية لتخذ لنا مبدءا نمشي عليه في ترتيب الزمان بكتابنا هذا وهو قول المؤرخ كلا تون الانجليزي القائل بان حادثة خلق الدنيا كانت قبل ميلاد المسيح عليه السلام بقدر ٤١٣٨ من الاعوام ٥٥٠٠ مريا

قلت وهكذا قياسا على هذا الكلام يقتضى لنا اننا الفلاسفة الكرام ان نخذلنا أيضا في سياق هذا الدرس التام في التاريخ العام مبدءا تاريخيا نرجع في توقيت سائر الحوادث اليه ومنشأ زمنيا نعتد في تاريخ الوقائع عليه وهو هذا القول الاخير والمذهب التاريخي الشهير بلاسيا

وهو الجاري عليه العمل في سائر الاصول الاوروبية التي تنقل منها ونزوي لكم عنها في سياق درسنا هذا باللغة العربية

طريقة تحويل التواريخ الميلادية الى الهجرية

وطريقة تحويل التواريخ الميلادية الى الهجرية أعني ارجاع التواريخ الشمسية الى القمرية بالعميل حسب ما قد تمس اليه الحاجة وكما قد يتعلق بذلك منكم الامس وليكون عليه في معرفة تواريخ الحوادث التاريخية الاعتماد سواء كان ذلك قبل الميلاد او بعد الميلاد هي ان تجمعوا بالقواعد الحسابية الاصلية المعلومة لكم الى تاريخ كل حادثة مؤرخة بالسنوات الميلادية اذا أردتم ان تعرفوا تاريخها بالسنوات الهجرية وكان التاريخ المطارب تحويله قبل الميلاد مبلغ ٦٢٢ الذي هو مقدار الفرق بين الهجرة المحمدية والولادة المسيحية او تطرحوا هذا العدد الاخير من اصل التاريخ المطلوب تحويله اذا كان ذلك بعد الميلاد ثم تقسموا على كل حال من الحسابين حاصل الجمع او باقي الطرح الجاري بين على العددين المذكورين على عدد ٣٢ على حسب اختلاف الصورتين وخارج القسمة يضاف الى نتيجة احدى العمليتين فيكون مجموعها واثنا تاريخ الهجري المطلوب حسب المرسوم وتوضيح ذلك بالمثال لاجل ان يقاس عليه في سائر الاعمال

مثال الصورة الاولى المطارب تحويل تاريخ خلقه الدنيا وهو ٤١٣٨ قبل الميلاد بناء على القول الذي جرى عليه الاعتماد ان التاريخ الهجري المعتبر اعني معرفة تاريخ الخليفة كم كان من السنوات بالنسبة للهجرة كما حسبها المؤرخون الاورباويون بالنسبة للميلاد والجواب هكذا على حسب ما هو مما قرناه بالضرورة يستفاد

	٤١٣٨	
	٠٦٢٢	
	٤٧٦٠	
٣٢	٣٢	
١٤٨	١٥٦	
٤٧٦٠	١٢٨	
٤٩٠٨	٠٢٨٠	
	٢٥٦	
	٢٤	

ومن ثم يلحق ان حادثة الخليفة قد كانت قبل الهجرة بقدر اربع مائة وثمانين سنة واثنا ونحو ثلثي سنة قريية وذلك هو المطلوب وهو قريية بعماد كره الشيخ الكبير والعالم الولي الشهير محبي الدين بن العربي رضي الله عنه في بعض تأليفه ومن عليه في بعض تصانيفه

مثال الصورة الثانية: المطلوب تحويل تاريخ فتح القسطنطينية على يد احد سلاطين الدولة العثمانية وهو سنة ١٤٥٣ الميلادية الفاصل بين مدنى التارخ المتوسط والاخير حسبما ذكره من مؤرخى الافرنج الجم القففى الى التارخ الهجرى الذى هو فى التوارخ الاسلاميه مذكور والجواب عن ذلك حسبما هو بعد مسطور ١٤٥٣

		٦٢٢
٣٢	٠٨٣	١
٢٥	٣١	٦٤
	٣٢	
٨٣١		١٩١
٨٥٦	٣١	١٦٠
	٣٢	
		٠٣١

ومن ثم يتج ان حادثة فتح القسطنطينية قد كانت بعد الهجرة المحمدية بقدر ثمانمائة وست وخمسين سنة هجرية مع زيادة سنة قرية واحدة ناشئة من كسر $\frac{1}{2}$ بعد فرضه دورا كاملا وعدد اصحاحا شاعلا حتى تتم جملة ذلك ٨٥٧ وهذا هو المطلوب ودون تاريخ هذه الحادثة الشهيرة حسبما ذكره سائر المؤرخين الاسلاميين وارخصه فى ضمن قوله (بلدة طيبة) بعض الادباء المعاصرين كما أسلفنا ذكره فى المقدمة

مثال آخر من الصورة الثانية: المطلوب تحويل سنة ١٨٧٣ الميلادية الحاضرة الان الى سنة هجرية اعنى معرفة السنة القمرية المقابلة للسنة الشمسية الحاضرة والجواب هو كما يظهر من هذه العملية الاتية ١٨٧٣

		٦٢٢
٣٢	١٢٥	١
٣٩	٩٦	
	٣٢	
١٢٥١		٢٩١
١٢٩٠	٣	٢٨٨
	٣٢	
		٠٠٣

ومن ذلك يتج ان السنة الهجرية المقابلة لسنة ١٨٧٣ الميلادية التى هى العام الميلادى الحالى هى سنة ١٢٩٠ القمرية مع زيادة بعض اجزاء كسرية ($\frac{3}{4}$) ليس ايا قيمة اعتبارية حيث كانت هذه الطريقة العملية انما هى فى الجملة تقر ببيمه والا ففى اراد مقابلة السنوات الميلادية بالهجريه على وجه الضبط مع معرفة مبدأ السنة القمرية باليوم والشهر من السنة الشمسية فليراجع الجدول الزمنى المسطور فى آخر الكتاب المسمى بنظم الاقاليم فى السلوك فيمن تحبكم فرانسوا من قابلهم على مصر

من الملوك تعريب العبد الحقير المطبوع بمطبعة بولاق سنة ١٢٥٧ في عهد أفندينا المرحوم محمد علي باشا الكبير حيث ذكر فيه مقابلة كل سنة قريية بنظيرتها من السنوات الميلادية من أول الهجرة النبوية الشريفة لغاية عقد ١٣٠٠ من السنوات الهجرية المنقبة

تقسيمات خاصة بالتاريخ القديم

ثم ان المؤرخين الاور وباوين قسموا التاريخ القديم بالخصوص من حيث السقامة وعدمها الى ثلاثة اجزاء اصلية وهي الاعصار الاولى والاعصار الخرافية والاعصار التاريخية ثم قسموا الاجزاء الاصلية المذكورة الى مداد اصلية أخرى بالطريقة التي هي بعدمسطوره فاما الاعصار الاولى فهي في اصطلاحهم عبارة عن مدة من الازمان والاحداثه خلق الانسان وغايتها حادثة الطوفان وتبلي لالسن وتفرق الناس الى البلدان ومن ثم انقضت تلك الازمان الى مدتين عظميتين احدهما مدة الخليفة الديني والثانية المدة الطوفانية واما الاعصار الخرافية فهي عبارة عن المدة المنقضية بعد تلك المدة من ابتداء تفسر ق الناس على الكرة الارضية وتأسيس الدول والممالك ببلاد الصين وآسية وبلاد مصر واليونان وما تلا ذلك من انشاء المدن والقرى وسائر أنواع العمران لغاية المدة التي نشأ فيها الانبياء المعتمرون والشعراء المشهورون من الامم المتنوعين ووضعوا أوائل اسس تمدن العالم الديني ولذلك انقضت تلك الاعصار أيضا الى ثلاثة مدد اصلية

الاولى تسمى في اصطلاحهم بالازمان الوثنية وهي تلك الازمان المتميزة بنشأة الدول والممالك ببلاد الصين وآسية ومصر وبلاد اليونان وانما سميت وثنية لداعي ميل جميع الامم الذين تكونوا في تلك الازمان لترقية ملوكهم الاولين وارباب دولهم السالفين في مرتبة الالهة المقدسين

الثانية تسمى عندهم بالازمان البطلية (نسبة للبطل بمعنى الشجاع) وهي تلك المدة المنقضية بعد ذلك مما حدث فيه من نوع البشر رجال اختطوا المدن واسسوها وابطل تعدى بعضهم على بعض في تلك المدن واقتحوها وكان الناس حينذاك قد اخذوا في أن تنورت قلوبهم وانتشرت علومهم وشرعوا في أن يميزوا بعض التمييز الحقيقة الالهية عن الطبيعة البشرية فاقصر واعلى ان يدعوا من تميز من الرجال بخصلة من تلك الخصال بحجر قلب الابطال وانصاف الالهة بمعنى كبار الرجال ولذلك سميت تلك المدة الزمنية بالازمان انبطالية

الثالثة تسمى عندهم بالازمان النبوية والشعرية وهي المدة التي نشأ فيها الانبياء الكرام والشعراء العظام ووضعوا أوائل اسس تمدن الامم والمبلل وتمكن الممالك والدول ولذلك سميت تلك المدة الزمنية بهذه النسبة الاصطلاحية واما الاعصار التاريخية فهي المدة التي أخذ علم التاريخ فيها في أن يكون على بعض درجة من

التيبات والاستقامه بخلاف المدد السابقة على تلك المدة حيث كانت يمكن مكن من الغموض والبقاء ولذلك سميت هذه المدة الاخيرة بهذا الاسم فهي تنقسم في العادة الى ستة اقسام عند أهل العلم

الاول يقال له المدة التشريعية وهي المدة التي ظهر فيها في عصر واحد تقرير بياكل من المشرع اليوناني القدموني (نسبة الى القدمونية اقليم بيلاد اليونان) وهو المسمى باسم ليكورجه وليكورغه (بالجيم اوبالعين المحجة) في مدينة اسبرطة بيلاد اليونان والمشرع الروماني المعروف باسم نومس بونولويس ثاني ملوك رومية الكبرى بيلاد ايطالية والمشرع اليوناني الاثيني المشهور باسم سولون بمدينة أثينة أو أثينة (بالثاء الشنائة الفوقية اوبالثناء المثلثة احدى مدائن بلاد اليونان الشهيرة) وهو احد الحكماء اليونانيين السبعة المشهورين والمشرع الصيني المشهور باسم كونفسوس (بضم الفاء الموحدة) في بلاد الصين

الثاني مدة فخر بلاد اليونان

الثالث مدة الفتوح الرومانية اى فتوح دولة الروم الاولى للكثير من البلدان

الرابع مدة الخلاف الذي حصل في الجهورية الرومانية

الخامس مدة استعمال الامبراطورية الرومانية اى سلطنة دولة الروم الاولى

السادس مدة اضمحلال السلطنة المذكورة وهذه المدة تنتمى بنا الى سنة ٤٧٦ قبل الميلاد

التي هي مبداء تاريخ القرون الوسطى حسبما ذكرنا في المقدمة

ملحوظات عامة

تتعلق بالتاريخ القديم على وجه العموم

ذكرنا في المقدمة ان التاريخ القديم في اصطلاح المؤرخين الاور وباوين هو عبارة عن تاريخ عدة أمم شهيرة وملل كبرى كانوا في تلك الاعصار العتيقة موجودين وهم المصريون والبرانيون والافريقيون والاسوريون والميديون والليديون والسيثيون واليونانيون والرومانيون والقرطاجيون

لكن تاريخ جميع هؤلاء الملل والامم ليس على حد سواء من حيث كونه منتظما او غير منتظم ولذلك لزمنا قبل ان نتكلم على كل واحدة منها بالخصوص ان نلقي نظرة عامة اليها وذلك بعدة ملحوظات كما هو بعدأت

الملحوظة الاولى انتظام تاريخ الرومانيين واليونانيين .

اما تاريخ الامة الرومانية فانه كما هي ترجمة عبارة ديكتور ديزوي وزير المعارف العثمانية

في متأخر عهد الدولة الفرنسية السلطانية يتكون منه مجموع جليل وعقد منتظم جليل كأنه قصيدة شعرية من نوع القصائد الجسدية والهزلية التي تؤلف للعب بها في المجال التبارية أي الملاعب التصويرية اذ برامقاريه يتوارد على نظره وينكشف ابصره شيئاً فشيئاً من أول عهد نشأة مدينة رومية مع ما كانت عليه في أوائل امرها من حالة الخمول على يد المدعو باسم رومولوس الى ان بلغت الى اعلى درجة الكمال فالت الى النزول حتى نزلت بهم المصيبة الكبرى التي اوقعت هذه المدينة العظمى بعد ان كانت سلطنة ملاطين الدنيا اجعين تحت ايدام رئيس قوم متوحشين وانما مثل مدينة رومية هذه كمثل حبة انبذرت في ارض فنبئت وفت وامتدت وسمت حتى صارت شجرة عظيمة ودوحة ذات فروع جسيمة فانت اكاهوا ثمرت واستكملت عملها واشجرت حتى استقال في ظلها واستقنت بأكاهها نحو ثمانين مليوناً من الناس ثم مالت وذبلت وسقطت من ثقل ما حملت وانقطعت منها الانشاس وانفقدت منها ماء الحياة فاهترمت الوفاة قال ويكتور دوروي المروى عنه أعلاه « واما بلاد اليونانيين فقد كان سكانها اقواماً متنوعين ومدائن شتى عامرة بقبائل متشعبين ولم يكن ما يجذب نظر الناظرين في تاريخ بلاد اليونان من حيث التمدن والعمران مدينة واحدة بل مدناً متعددة واقواماً مترددة فان من أراد ان يقف على احوال مدينة اثينة واثنينة واسبرطة وكورنثة وأرجوس (يسكون الرأء المهمة) ومدينة تيبه اوطيبه (اليونانية بالطاء او بالياء) ومملكة مقدونية وغير ذلك من قبائل اليونان المستعمرة ونزالهم المنقلة الى بعض البلدان الغير الامره لزمه ان يردد نظره ويعد بصره على سائر نواحي بلاد اليونان وجميع سواحل البحر الابيض المتوسط او بحر سفيد بل والى اقصى بلاد آسية الى امد بعيد غير انه يرى من ذلك كله منظر واحد وتمدن واحد وامة لم تتغير احوالها وعهدنا ظاهراً للوضوح والمعلومية من جملة كفايات الحياة البشرية العمومية ومعيشة الملل والامم في هذه الدنيا الدنيوية »

المحوظة الثانية عدم انتظام تواريخ الامم الباقية المعبر عنهم بالتاريخ القديم

وأما تواريخ الامم الاقدمين الباقين غير اليونانيين والرومانين وهم المعبر عنهم في اصطلاح المؤرخين الاوروبيين بالتاريخ القديم الحقيقي فليس لها رابطة معنوية تربطها ولا جامعة تمدنية تضبطها بل ترى قدماء المصريين والاسوريين والقرطاجيين والليديين والميديين والفرس وغيرهم من الامم المتقدمين يعيش كل منهم في بلاده امة وحده بحيث لم يخلط بغيره عقائده الدينية ولا مصالحه المدنية ولا شيئاً مطلقاً من احواله الدنيوية والاخرى بالادام الى الازمان الاخيره من مدة التواريخ القديمة حين اجتمعت جميع هذه الامم غير القرطاجيين تحت ولاية ملك واحد وهو ملك النجم الملقب في ذلك انصر بالملك الاعظم غير ان جميع هؤلاء الامم يتجمعهم امر عام واحد وهو انهم انما مهدوا الطريق للتمدن والعمران لاجل الزمانين واليونان وساعدوا

على ما تحصل عند الملتين المذكورتين من ترقى درجة هيئة اجتماع الانسان وسبب ذلك كون الملوك اليونانيين الخالفين للاسكندر حكاوا اقاليم الامم الفارسية وكذلك دوله رومية استولت على املاك القرطاجيين ويمكن لنا ان نقول ان ما كان قد اتصل في تلك الاعصار السالفة من العقائد الدينية والعلوم والفنون عند الاسوريين والمصريين انما والذى جاوزت دين بلاد اليونان وجاءت بعد ذلك رومية نورثه منها واخذته عنها بحيث اننا اذا اردنا ان نعرف اولية المعارف البشرية فلا ينبغي لنا ان ننقذ مدنية رومية ولا اتيه بل يجب ان نعي لحداث تلك المداين القديمة التي كانت هي الخوض العظيمة لتلك الامم المشرقية القديمة وهي مدينة ميني (مائة رهنه) وبابل واكباتان (قال المعلم بوليبيت في مجملهم تاريخ الجغرافية العمومية واعلمها ما يعرف الآن به مدائن) ومدنية برسيموليس (المسماة الآن انشيل مينارو وهي التي توجد آثارها على القرب من استخر في الشمال المشرق من شيراز كما في المجمع المذكور) المحفوظة القائمة ليس التاريخ القديم بعد الاعبارة عن تاريخ الامم المتوسطة على سواحل البحر المتوسط الايض (او بحر سئيد)

قال ويكتوردوروي المذكور اننا في هذه النظر في التاريخ القديم انما يشتمل على توارخ جميع الامم السالفة الذين كانوا في تلك الاعصار القديمة على الارض الممورة كثنين وانه لم يتعد على وجه العموم سواحل البحر الايض المتوسط (او بحر سئيد) انما الى امد غير بعيد من جهة بلاد الفرس رانه لم يعرف بعد من توارخ الامم الموجودين في ذلك العهد خارجا عن المنطقة الضيقة المحيطة بذلك البحر غير شي زور وفي الواقع ونفس الامر نحن لم نعرف من التواريخ القديمة فيما يتعلق باسلاف سكان بلاد اسبانية (المعروفة عند العرب بجزيرة الاندلس) المسلمين بالايبيير والايبييرين واسلاف سكان بلاد الجول والغاللة (فرانسة) المسلمين بالسلت والاسلميين ولا فيما يتعلق باسلاف سكان بلاد الالمان المدعوين باسم الجرمان والجرمانيين واسلاف سكان بلاد سراسية (بلاد اوروية) المعروفين باسم الاسلاوا والاسلاوين غير بعض اخبار مبهمة وآثار مظلمة ولا نعرف غير الاسم من احوال الاقوام المسلمين بالسيبتين (وهم باجوج وما جوج اى اسلاف سكان بلاد الروس والترك) وأما الخوفان لهم علوما عظيمة وآداب جسيمة لم تزل تنكشف للعلماء الاور وياورين المأخرين شيأ فشيأ غير انهم ليس لهم تاريخ يؤثر في كونهم وان كانوا قد حفظوا باغاية الدقة والتحرى عقائدهم الدينية في ضمن قصائد شعرية ذكروا فيها وتوسلتهم التخيلية فيما يتعلق بآلهتهم غير انهم لم يتعرضوا فيها للذكر وحادثه تاريخية من احوالهم الدنيوية

وكذلك مله العرب المسلمين لا يعرفون شيأ من اخبار اسلافهم الممتدة دمين وأما الصنديون فان لهم حوادث مشهورة منتظمة وتواريخ زمنية محققة مستقيمة تصعد الى أقصى الاعصار القديمة غير انهم يعيشون بكيفية معاشية لم تزل لغاية الآن بخلافه لكيفية عيشنا بالكلية ولم يزلوا بعد لغاية هذا

انعهد متخصصين خلف أسوارهم العنصرية كائنين في عالم وحدهم بحيث بقي البحث فيما يتعلق بالوقوف على حقيقة أخلاقهم وعوائدهم وكيفية دياناتهم وعقائدهم وترتيباتهم السياسية وهيئات اجتماعاتهم التأسيسية وما اعترى بلادهم من التقلبات والاحوال منذ ورافيه بعدد بين العلماء الاوروباو بين لغاية هذا الوقت الحال

ولانعرف شيئاً أيضاً من تاريخ هذه الطائفة السودانية المعمرة لبلاد افريقية ولا من تاريخ الاقوام التابعين للطائفة المسماة بالمليزية الكائنة في بعض جزائر البحر المحيط الغربي المسماة بالاقوام اوسية ولا تاريخ القبائل الامريكية المعروفة بنزول الجلود الحمراء مع انهم كانوا قد اسسوا بلادهم الاصلية في تلك الاعصار الخالية بممالك دولية قبل ان تنزل عليهم انقراض الاوروبية قال المكرم ويكتور دوروي المذكور وحينئذ فلم تنو من العلم فيما يتعلق بتاريخ الامم القدم الا قليلا جدا وان كانت اجتهادات العلماء الحاصلة مع شدة العزم لم تنزل ترندي فيه وتوسعه وتقويه هـ

هذه امام سطره ويكتور دوروي في الباب الاول من مختصر تاريخه القديم وبني عليه تبعا لرفيقه الموسوي جيلمان أحد أعضاء جمعية العلماء والمدربين الذين انشأوا الكتب التاريخية تحت ادارته المشي على ما جرت به عادة مؤرخين الاوروباويين السلف من تقسيم التواريخ القديمة الى قسمين أصليين

الاول تواريخ الممالك المشرقية وهي ممالك اسيية وافريقية القديمة يعني الامم الكبارين والملل الشهيرين الذين كانوا قد انتشروا في تلك الاقاليم الشرقية ونظروا في تلك الاعصار العبادية ماعد اليونان والرومانين

الثاني تواريخ الممالك المغربية يعني الامم الاوروبية الذين حصل الوقوف لهم على تواريخ حقيقية وهم اليونان والرومانيون ولذلك انقسم هذا القسم الثاني أيضا في طريقتين سلف المؤرخين الاوروباويين بالطبع الى قسمين متميزين أحدهما تاريخ اليونان والثاني تاريخ الرومانين ولم يتعرض ويكتور دوروي المذكور من التواريخ القديمة لتاريخ مجتمعات هؤلاء الامم المذكورين من الامم السالفة كالعرب والمغربيين وغيرهم من الامم المتقدمين وهذه هي الطريقة المدرسية النقدية أي الجارية عليها العمل في تدريس التاريخ القديم بالمدارس الاوروبية من قديم الزمان وهي المعروفة بطريقتي المؤرخ رولان وهي عبارة عن الاختصار في تأليف الكتب التاريخية القديمة وتدريسها للمعلمين على ما كان قد التقطه قسما مؤرخي اليونان والروم في تلك الازمان من أفواه الناس المعاصرين لهم على حسب الروايات المتداولة بينهم في تلك الاعصار الغابرة بآرائهم سياحاتهم في ممالك المشرق العامرة وادعوه في ضمن كتبهم للقديمة التي بقيت على ممر الازمان فنقلت الى اللغات الاوروبية الحديثة نقضة مسلمة من غير تدقيق نظر ولا امان وذلك كالمؤرخ هيرودوت الالكازناسي ويودور الصقلي وغيرهما وسائر من حذا على حذوهما وهي

الطريقة التي مشى عليها ابن الأثير الجزري في الكامل والمناقب المؤيد أبو القدا والقاضي ابن خلدون في تاريخهما وغيرهما من سائر علماء المسلمين في جميع ماساودود وكثيروه وحرروه من أخبار الأمم المتقدمين مع ما اعتري ذلك من الخلط والخطب واللفظ والسقوط في أسماء الرجال والبلدان الأجنبية بتحريف جهلة النسخين وتقصيف العملة المسخين من المترجمين وغيرهم في أثناء النقل إلى اللغة العربية إذ لا سبيل لهم غير ذلك ولا مواد عندهم سوى ما هنالك هذا وأما الآن فان العالم المدقق والمؤرخ المحقق الذي اشتهر باسم فرانسوا وفرانسيس لونيومان أمين كتبة أنة الانستيتوت (أي جمعية العلماء الفرنسية بمدينة باريس كرسى دولة الفرانسيس) انتدب لتأليف كتاب في قسم التاريخ القديم فريد وانتدب لتصنيف مؤلف في عهد الفن وحيد اشتمل على ثلاثة جلود يسمى بعامناه الرسالة اليدوية في تواريخ الأمم القديمة المشرقية لغاية الحروب اليونانية الميمنية وقد طبع عدة طبوعات آخرها المؤرخة في سنة ١٨٦٩ الميلادية أعنى من منذ نحو أربعين سنة فنقل إلى اللغة الانجليزية وهرع اليه من الناس ببلاداروبه الجمة الغفير فاخططوا نسخة المطبوعة في مسافة بعض شهور حتى صارت نادرة الوجود ممنوعة لا يوجد منها غير اليسير وذلك انه اقترح في قسم التاريخ تقديم طريقة نظرية جديدة ردة فلسفية جديدة واحداث فيه عدة اصلاحات عديدة على غير الطريقة القديمة التي كانت لغاية تمام تأليفه في المعهوده وضم اليه مائة ثم امكن في كتب التواريخ القديمة المتمدنة في أيدي الناس بالمدارس الأوروبية مشهوده وعقد فيه أبوابا وقصولا لاخبار بعض اهم من المثل الاقدمين كانت لغاية الآن في التواريخ القديمة مفقوده فكلم فيه فضلا عن الأمم المذكورة فيه بعد على تواريخه من الحد وأخبار القبائل العربية في أيام الجاهلية مستند في ذلك كله لعمدة الاستكشافات التاريخية التي وقف عليها السباحون الا فرنجيون المتأخرون ومعتمد على نتيجة المجادلات العلمية التي انتدب اليها العلماء الاوروبيون المعاصرون مبنيا بازاء كل باب من الابواب التي عقدتها أصل الموارد المعتمدة التي اعتمدها والمواد المعتبرة التي أخذ عنها واستمدتها ثم اختصر تاريخه هذا الكبير حسب التمس منه الجمة الغفير من الملقين ولاسيما دولة القوم المروفيين بجمهورية الاسويجيرة والاسويجين في جزئين مختصرين وجليدين صغيرين لحاجة التدريس على مقتضاها في المدارس الأوروبية من الآن فصاعدا على حسب هذه الطريقة النظرية الفلسفية عنون أحدهما بعنوان تاريخ القوم المروفيين والثاني بتاريخ الأمم المشرقيين والهند والاول هو المعبر عنه في اصطلاح المؤرخين الاوروباويين بالسلف بالتاريخ المقدس كما اوضحناه في موضعه من المقدمة فيما ساف قال المؤرخ فرانسيس لونيومان المذكور في ديباجة الجزء الاول من التاريخ القديم المسطورا معناه وانما عنون كتابي هذا بالعنوان لا بالتاريخ المقدس حسب الجاري فيه لغاية الآن لكوني بنيت في الأكثر على ملحظ تأسيسهم على الوقائع البشرية أكثر من بناءه على مجرد اقتصائه في التوراة العيسوية

وأستسه على أساس الاستكشافات العلمية العصرية كغيره من تواريخ الأمم السالفة في تلك
البلدة الدهرية مع ملاحظة ما هو مبني عليه من التأسيس في التأليف والتدريس على صفة
التقديس اعني كون هذه الأمة الاسرائيلية لم تزل ملحوظة بعين العناية الإلهية الى ان فسدت
وبلغت للحالة الاضعف لاية ولم يتعرض المؤرخ المذكور في الجزء الثاني لتاريخ العرب والصين
وغيرهم من بعض الأمم المتقدمين الذين ليس لهم تاريخ ثابت معين وان كان قد عقد بابا مخصوصا
للعرب قبل الاسلام في تاريخه الكبير وقال في ديباجة تاريخه المذكور ما يخصه وانما لم يتعرض
في كتابي هذا لتاريخ أهل الصين مع كونهم من الأمم القديمة أولى التواريخ المنظومة كما أشار على
به بعض المشيرين لكوني لم أجد نفسي في الحقيقة أهلا لتحرير تاريخ هذه الأمة المتينة ولدا على انه
تراءى لي ان تاريخ الأمة الصينية وان كان من التواريخ اليقينية هو دائما معزول بالكلية عن
سائر تواريخ العوالم الدنياوية وعلى وجه بحيث لا يلقى ان يدخل في دائرة كتابي هذا وليكونه
لا مدخل له مطلقا في اقتصاد أخبار أنواع الهيئات التمدنية التي كان لها تأثير يربو بعيد
على كيفية المدن المنحصلة عند الأمم الأوروبية في هذه الحقبة الزمنية (اهم عربا بالمعنى)
والحاصل من نتيجة هذه الملاحظات المرمية والفوائد التاريخية التقديرية ان لكتابة قسم
التاريخ القديم وتدرسه من حيث كيفية بنائه وتأسيسه مذهبين مختلفين وطريقتين
متباينتين

أحدهما الطريقة التقليدية القديمة وهي المبنية على ما توضعته كتب قدماء مؤرخي اليونان
والروم من الروايات الإلهية والحكايات الأولية من غير تدقيق نظر ولا إمعان وهي طريقة
المؤرخ رولان ومن تبعه من مؤرخي الأفرنج لغاية الآن وهي طريقة معيبة وكيفية في أغلب
تأسيس قسم التاريخ القديم على وجه العموم غير مصيبة ولذلك صارت مركة في هذا اللون
لإعتماد عليها ولا استناد إليها اللهم الا فيما أثبتوه في يدون تلك الأوراق من أخلاق القدماء
وعوائدهم ودياناتهم وعقائدهم لاستنادهم فيه الى دليل المشاهدات حيث يحقق فيما هو من
هذا التقييم ان لا بأس بالاسترشاد بهم والاعتماد عليهم اذ هم في ذلك خير دليل بخلاف ما يتعلق
بسلاسل الملوك وترتيب العائلات الملوكية وسائر أحوال الدول القديمة فان أكثر أقوال مؤرخي
اليونان والروم العتيقة وجدت في ذلك كلاما تخرجات الأخيرة غير صادقة للحقيقة

الثانية الطريقة الاجتماعية الجديدة وهي المبنية على الأسندات الأصلية والتجربات الرسمية
أي الكتابات الدوائية المعتمدة والآثار الأولية المعتمدة التي كانت تلك الدول والملوك قد حروها
في كتاباتهم الإلهية بنفوسهم وأودعوها في داخل قبورهم ونواويسهم وعبروا فيهم عن حقيقة
أحوالهم وتفصيل وقائعهم وأعمالهم سيما انضحت حقيقة ذلك في هذا العصر الأخير بالبحث
والتهريز بمعرفة الجمل الغفير والعهد الكثير بالسالفة الى حصد التواريخ من السياحين المعقدين

والعامة المشاهدين من الافرنج المتأخرين والعلماء المجتهدين المعاصرين حيث عثروا على تلك الآثار المعتبرة واختبروا هذه الاخبار المحررة بقراءة كتاباتهم المسطرة بعقيق أقلامهم في اطلال قصورهم وعمارتهم وهذه هي الطريقة التي اقترحها المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان وهي الطريقة الجادة والمذهب الغويم الذي يقتضي ان يكون لكل مؤرخ محقق ومعلم لعلم التاريخ القديم مدقق والمادة ولذلك التزمنا ان نتبع في تقرير قسم التاريخ القديم طريقة هذا المؤرخ اعظم اعنى اننا نترجم ما يلزم من كتبه هذه غنيمة باردة ونضم اليه من مظانه المعتمدة المتفق عليها ما لم يكن يوجد قد قبل من كل شارده عملا بقوله تعالى في نص القرآن الكريم وهو اصدق انقائين « وأسألوا أهل الذكوان كنتم لاتعلمون » قال المفسرون المراد بالذكوان الآية الشريفة التوراة كما نص عليه أبو الباقا الحسيني في كتاب الكليات وليست التوراة المخرجة بمذلة في نصوص نسخها الاصلية ولا مخرجة في أصل كتابها التتزيلية كما هو شائع من قبيل الاوهام على السنة أتم العوام من أهل الاسلام والتغيير والتبديل انما حصل فيما طارأ عليها بعد ذلك من الشرح والتأويل كما قد يخلف علماء المسلمين في تفسير بعض الآيات المتشابهة القرآنية لاذ لا يعقل ان أمة تجاري على تبديل كتاب مقدس مصنف بالتزويل عليهم من لدن الحضرة القدسية كما نص عليه المحقق ابن خلدون رحمه الله في أوائل الجلد الثاني من تاريخه المذكور أعلاه

وجه تذييل موقع للاعتراض علينا بتضعيف سندنا من بعض سقماء الافهام بدعوى ان العدالة الشرعية مشروطة بالاسلام لاننا نقول ان تلك اغما هو في الدعاوى والخصومات وغيرها من أنواع المعاملات والعبادات حيث كانت الشهادة فيها هي مظنة الكذب والتدليس الذين كثيرا ما ينشأن عن الحمية الدينية بخلاف المواد العلمية فان الاصول الفقهية لا تأبى فيها الاعتماد على أهل الكتاب اذ التدليس فيها مأمون ولو اختلف الدين لان علماء كل أهل دين يؤفون هذه الكتب فيها لانفسهم ويدرسونها بجدارهم ولا شبهة فيها للفش والتدليس ولم يرزل العلماء الاسلاميون السالفون يأخذون السنن والعلوم بتعريب كتب اليونان والروم ويعتمدون عليها كل الاعتماد في عهد الخلفاء العباسيين بمدارس بغداد وفي أيام الخلفاء الامويين وغيرهم بمدارس قرطبة وغرناطة بالاندلس كما يؤيد ذلك وله يستأنس بما يروى عن النبي عليه الصلاة والسلام من الاحاديث المشهورة والاختصار المأثورة في قوله « أطلبوا العلم ولو بالصين » وقوله ايضا « الحكمة ضالة المؤمن يلقطها حيث وجدها » أو كما قال عليه الصلاة والسلام وما أحسن قول القائل من بعض الأوائل في هذا المقام

خذ العلوم ولا تنظر لقاتلها * من أين كان فان العلم مذحوق

كدرة أنت تلقاها من بلة * ألسن تأخذها والزيل مطروح

وانما العبرة بضبط التعريب لا بالترجمة على وجه التقريب والعمدة على ضبط أسماء الرجال

والبلدان الاجمعية سواء كان النقل من التوراة او من الكتب التاريخية الأوروبية المنقول منها إلى اللغة العربية وهذا هو مقتضاها وتلزمه وتتوخاه على قدر الامكان ان شاء الله والله المستعان في كل ما تنهه

وكل يدعى وصلابلي * وليلى لا تقر لهم بذلك

وبناء على ما توضع أعلام من هذه المعلومات الأولية والتقسيمات الاصلية لزمانان تقسم هذا القسم الاول حسب اصار عليه من المؤرخ فرانسيس لونورمان المعقول وكما هو الصواب الى عدة أبواب
الباب الاول وهو كالمقدمة لسائر الابواب التالية له في تاريخ الاعصار الاولية والزمان الاصلية من ابتداء عهد خلق الانسان الى عهد تبديل اللسان بابل وتفرق الامم ومنشأ الملل والدول بعد الطوفان

الباب الثاني في تاريخ قدماء المصريين ودول الفراعنة المتقدمين

الباب الثالث في تاريخ الاسرائيليين والعبرانيين وبلاد يهودا وفلسطين

الباب الرابع في تاريخ الاسوريين والبابليين وأهل بلاد العراق واذربيجان السالفين

الباب الخامس في تاريخ الميديين ودولة الفرس الاصلين

الباب السادس في تاريخ الفنيقيين والصوريين وسكان سواحل الشام الاولين

الباب السابع في تاريخ قدماء الليديين أي أهل اسية الصغرى أو بلاد أرمنية وأهل

الشام المعمورة سورية

الباب الثامن في تاريخ قبائل العرب في أيام الجاهلية وسالف الحقب

الباب التاسع في تاريخ بلاد الهند وما عرف من أخبارهم بعد

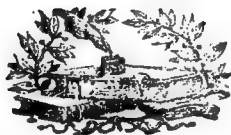
الباب العاشر في تاريخ بلاد اليونان ودولها وحكوماتها في سالف الزمان

الباب الحادي عشر في تاريخ الامم الرومانية ومنشأ مدينة رومية الكبرى ببلاد

إيطاليا

الباب الثاني عشر في تاريخ القرطاجيين والامم الليبيين وهم سكان بلاد برقة وما والاها من الاقوام المغربيين

وحيث تجهزت منكم الافهام أيها الطلبة الكرام بهذه الافكار العامة والفوائد العلمية النافعة التي أردنا ادخالها في أذهانكم على هذا الوجه التام قبل الشروع في تعليمكم واعلانكم بعلم التاريخ العام فلنشرع الآن في الكلام على تاريخ كل قوم من هؤلاء الأقوام في بابها بالخصوص على هذا الترتيب المخصوص عازين مما سنسطره لكم في هذه الابواب من النصوص فيما يتعلق بأساطير هؤلاء الأمم الأولين بقلم التعريب إلى أصل المؤلف الذي أخذنا منه واعتمدنا حتى تستندوا إلى أصل الاستناد ونعتمدوا عليه كل الاعتماد فتفهموا معنى هذه القصص والاحبار وتعلموا مغزى تلك الحكايات والامثال الذي هو حسن التذكار والاعتبار بأحوال من تقدمنا من السلف الصالح في تلك الاعصار كما علمتم مما أسلفناه وكما هو الغاية القصوى من تعلم كل علم وتعميل فعمواه ولكن تأخذوا أذهانكم منه * على قدر القرائح والفهوم



الباب الاول

في تاريخ الاعصار الاولى والازمان الاصالية من ابتداء عهد
خلقة الانسان الى عهد تفرق الامم بعد الطوفان
وفيه فصلان

(معربا من تاريخ اليهود المختصر للؤرخ فرانسيس لونورمان واعمال مأخذه الباب الاول لغاية الباب
الحادى عشر من سفر الخليفة من التورات)

أفكار تقديميه وفوائد عموميه

هذه المدة تشتمل على تاريخ نوع الانسان من أول عهد مياده أعني من أول ما خلقه الرحمن فشا
غريبا وحصل له على الارض أول الاستيطان قبل الطوفان وبعد الطوفان فنأزلا الى عهد تفرق
الامم وانتشارهم في البلدان وهى تنقسم كأسلفنا آتنا بفصل حادثة الطوفان سالفا وظالفا
الى عهدين مختلفين ومدتين أصليتين

الاولى من عهد خلقه الانسان لغاية حادثة الطوفان أعني من ابتداء سنة ٤١٣٨ ق. ازل لغاية
سنة ٢٤٨٢ قبل ميلاد المسيح وهى سنة حصول حادثة الطوفان على الاصح أو الاقرب للصحيح
كما اختاره علماء الازمان وهى عبارة عن مدة ١٦٥٦ سنة شمسية حسبا وخد من نسخة
ترجمة التوراة اليونانية المعروفة بالسبعين وكما اختاره المؤرخ الانجليزى الاسمى باسم كلا تون وغيره
من جمهور المؤرخين الفرنساو بين ويعبر عنهم فى اصطلاح المؤرخين الاوروبين بالمدة السابقة على
الطوفان

الثانية من عهد الطوفان لغاية تفرق الامم فى البلدان أعني من ابتداء سنة ٢٤٨٢ ق م
فنازلا الى غاية هى غير محققة بعد اذ لم يعلم تاريخ معين لهذا العهد وانما يفهم من كلام بعض
علماء الازمان الاوروبين لامن قبيل القينيات العلية بل من قبيل الحديسيات التاريخية
ان النمرود كان قد اختط مدينة بابل العراق على شاطئ الفرات واخط أسور مدينة نينوى على
نهر الدجلة فى سالف الزمان قد كان بعد الطوفان فى نحو سنة ٢٢٠٠ ق م وبناء على
ذلك تكون هذه المدة عبارة عن نحو ٢٨٢ سنة شمسية ويقال لى اصطلاح المؤرخين
المدة اللاحقة للطوفان وذلك بعيدا من نص عليه أبو الفدا فى تاريخه حيث قال ه ثم ولد لافاغ
(بالعين المهملة فى آخره) (رعو) ولفاغ مائة وثلاثون سنة وعنده ولد (رعو) تبا بلت

الانسان وقسمت الارض وتفرقت بنوفوح وذلك ما في ستمائة وسبعة بزم سنة الطوفان هـ ما ذكره ابو
القداس من التفصيل والبيان والفرق جسيم فليستظار ومما قلناه في التذاهب ايضا هو مخالف ما قلناه
بعد عن المؤرخ فرانيس لوزرمان (في الفصل الثاني من هذا الباب) من ان تبليل التوراة وتفرق
النام كان في زمن فالغرين سام بن نوح غايه السلام وبابا لا فاقوال المؤرخين في ترك الاعداد والاوية
ليدها ما في مضاربة فليست بر وعلى كل حال فقد ائزم ان يكون في هذا الباب الاول فصلان

الفصل الاول

في تاريخ الانسان من عهد الحماية انماية حادثة الطوفان (من سنة ٤١٣٨ خازلا
الى سنة ٢٤٨٢ ق م) وفيه عدة مطالب

مطلب اصله أخذ تاريخ اوائ الانسان وعدم امكان الوقوف على حقيقة احوال اولية
الدنيا قبل الطوفان وبه الطوفان

قال المؤرخ فرانيس لوزرمان لا تعرف من تاريخ اوائ الانسان لغاية حادثة الطوفان
ولا في شأن اصل النوع البشري كبر كان غير ما افادنا به الكتاب المقدس (بني التوراة)
وان كان بعض الحوادث الاصلية من هذه التواريخ لازلية توجد ما تورة به بعض تغيير وتبدل
في الروايات الالهية والحكايات الملية المتداولة في عدة قطار شتى من الارض يتباعدة بعضها
عن بعض وليكن اهلها يتخاطرون بمذملا من من السنين

ومن المستحيل في الحالة التي صارت اليها المعارف البشرية في هذا الجيل ان يتوجه اهل أخذنا
تعيين تاريخ معين لاول انشاء النوع البشري على وجهين فان التوراة لا يرد فيها ما دفع في هذا
الغرض وليس لها في الحقيقة علم زيان لا فيما يتعلق بالزمن الا بعدد ايام السابقة على عهد خلق
الانسان ولا في الحقيقة الماضية من عهد الحماية الى عهد الطوفان بل في ما بعد ان عرفنا
لغاية عهد بنة ابراهيم (عليه الصلاة والسلام) واثبتت ان التي زعمها المزمرون للتوراة انما هي اقوال
هوالة ليس لها قيمة اعتقادية من الحقيقة الاعتقادية بل هي من قبيل المذمومات اشارة في
لا غير وغاية ما يصح ان يقال في هذا المجال هو ان ظهور نوع الانسان على الكرة الارضية انما هو
حديث عهد بدلية البشرية مدة الاغصار الجولوجية التي تواترت على مدد الطبيعة الكونية
وان ما يدعيه بعض الامم الاقدمين كالمصريين والكلدانيين (المصريين) والهنود واليهوديين
من أسبقية وجودهم على غيرهم من العالمين بلباين من السنين في روايتهم المستخرجة على
حسب زعمهم في سالف الدهر انما هو بالكلية والباطلية وحديث خرافة يأنم عمرو هـ

مطلب خاتمة الانسان وكفي أول سفر الملية التي هو السفر الاول من التوراة ان الله
سبحانه وتعالى خلق على هذا الترتيب النور فالنور فلارض فلكوا كبر الله ياترة فالنور
فالارض فلكوا كبر الله ياترة فالنور فالارض فلكوا كبر الله ياترة فالنور فالارض فلكوا كبر الله ياترة فالنور

في حالة البراءة المطلقة من الذنوب وزهارة محققة من العيوب وسعادة تامة ثم عصي ربه كبراني جنة عدن اللذيذة حيث كان أولاً قد أسكنه فيها ثم أخرجه منها وحكم عليه له اعى هذا العصيان هو وخلفه بالكذب والام والموتان وصرخ في سفر الخليفة المذكور بان الله سبحانه كان قد خلقه من اهل أمره للعمل غير ان هذا العمل صار اتعب وأصعب تركفير الخطيئته حيث قال الله تعالى له كما هو نص التوراة : ستأكل خبزك بعرق جبينك ، وسرى هذا الحكم على سائر ذريته

مطلب تاريخ الآباء الاولين والانباء السالفين - ولاد آدم وحواء اللذين هما أول زوج خرج الى حيز الوجود من يد الخالق المعبود ولدان

أحدهما قايين (وهو المعرب في القرآن الشر يف باسم قاييل)

الثاني **هابيل** وكان الاول قد اتخذ حرفة الفلاحة والثاني حرفة رعاية المواشي وهكذا نصت التوراة على اصعاد أولية هاتين الحرفتين الى أول عهد الخليفة البشرية وقتل قاييل أخاه هابيل حسدا منه وبغضاله حيث كافأ الله أخاه على تقواه ثم هاجر بحالة يأسه على قتل أخيه التي صار اليها يلوم نفسه وتوطن مع بنيهِ وعائلته وذويه على شرق جنة عدن حيث انشأ هناك أول مدينة حدثت منذ خلق العالم من المدن سماها أنوشية (بالشين المججمة في آخره) باسم ولده البكرى المدعو بادم انوش وكان الله سبحانه قد خلق الانسان على حالة من الهبات اللدنية العقلية والبدنية بحيث يتدرج على أداء القرص المقصود من ابرازه الى حيز الوجود أعني كونه ينشئ اجقاعات بشرية منتظمة ويحدث شركات أنسية وزرقيات تدنية تامة وقد نص سفر الخليفة المروى عنه أهلا على ان عائلة قايين أو قاييل هي التي ينتسب اليها أولية اختراع الفنون الناعية ثم ذكر فيه انه ولد لأنوش بن قايين أو قاييل

لامك أولانخ (بالكاف في آخره) وقد يعرب بالحاء المججمة من فوق) وولد لانخ عدة أولاد منهم

جاييل الذي هو كالمقصود بمن التوراة أبو الرعاة والقاطنين تحت الخيام

وجوبال مخترع الموسيقى (وهو من الاخوان والمغان)

وتوبال قايين أو توبال قاييل الذي هو مبتدع فن سبك المعادن وصناعتها

ومنهم أيضا البنت المماسة **نعيمه** (على صيغة التصغير) وهي المخترعة لصناعة غزل صوف المواشي ونسج الاقشة منه

ثم ولد لآدم ولدان ثلث يسمى باسم شِيث ووهب الله آدم عدة أولاد آخرين كثيرين لكن كان ولده شيث هو الذي عمرت سمائه واثنتي عشرة سنة وصار له خلف كثير حافظوا وبإغاية الأمانة على بقاء الروايات الدينية المأثورة عن النبوة الاولى فيهم الى عهد الطوفان بخلاف ما كان عليه غيرهم من بقية ذراري آدم في تلك الازمان من الاعتمكاف على عبادة الاوثان والانهماك على الرذائل التي تحمل عبرة الانسان ثم بعد ذلك صارت هذه الفضيلة وآلت تلك المنقبة الجليلة من أبناء شيث

ابن آدم الى بنى سام بن نوح (عليه السلام) ومن أبناء شيث بن آدم

اينوس (بالسين المهملة في آخره)

وقاينان اوقيننان (بتشديد الياء او بتخفيفها للتعريب)

ومهاثيل (ياء مهموزة ثم ياء اخرى مشناة من تحت)

ويرداويزد (بالدال المهملة وبالذال المعجمة كافي تاريخ بني الفدا)

وحنوخ (بجاء مهملة ونون يلبها واو فخله معجمة في آخره وهو اديس كافي تاريخ بني الفدا)

وهو الذي سار في سبيل المولى الباقي مدة ثلاثمائة وخمس وستين سنة ثم رفع الى المعاد

ومن ولد حنوخ ايضا ما توارثه ايم او متوشلخ (بناء مشناة من فوقها وقيل بناء مشناة و آخره جاء

مهملة كما ضبطه ابن الفدا) وهو اطولهم عمرا عاش تسعمائة وتسعوا وستين سنة

ثم لا ملك اولاخ (آخر غير لا مخ بن ائوش بن قايين لوقايل السالف الذكر)

ثم نوح وهو اوسام وحام وياثب وقد كان كل منهم اصلا نسل كثير وخلف كبير (كاسياني

قوضيه بعد) اه معربا من مختصر تاريخ فرانسيس لونورمان

تقيمه حصل في هذا الفصل من تاريخ بني الفدا نقل عن ابن الاثير وغيره رحمهم الله تعالى

اجعين في عود نسب الابهاء الاولين والانياء السابقين خلط كبير ونحيط لا ينفي على الناقد

البصير وكلاهما في ذلك معذور بالنسبة لما هو هنا مذكور من تصحيح النسب نقل عن اصل

التوراة الاصلية وهو احرى بالالتفات اليه والتعويل عليه والثني من معدنه لا يستغرب (رجع

للتقل من مختصر تاريخ فرانسيس لونورمان)

مطلب ما حصل عليه العثور من الآثار الواهية للاجيال الانسانية الخالية

دلت الاستكشافات العلمية والحيولوجية الاخيرة على تمام تصديق ما قص في نص الكتاب المقدس

(بمعنى التوراة) في شأن اصل نوع البشر وكيفية مباديه في اول الامر وذلك بواسطة ما حصل

العثور عليه من الآثار العديدة والعلامات المقيمة الدالة على اصل وجود الانسان قبل

الطوفان في طبقة الاراضي المتكونة بمدة العهد السابق على مدة عهدنا هذا المنفصل منه بفاصل

هذه الحادثة الكبيرة المذكورة فان بعض امدته منزلية وآلات معاشية عمارية مصطنعة بيد

الانسان مع بعض عظام بشرية من بقايا اجسام الناس في تلك الازمان وجدت في تلك الطبقة

الارضية مختلطة بآثار عظام الحيوانات الفائلة والوحوش الهائلة التي كانت موجودة بتلك

العصر فيما نحن مقيمون عليه الآن من الاقطار ثم زالت بحادثة الطوفان كنوع الحيوان

المسمى باسم الماموت (او الفيل ذي اللبد) ونوع الحيوان المعروف باسم الكركدان والخرطيط

(اودى القرن القاتل للقبيل) ذى الشعر الطويل وفرس الجهر والفرو والذئب والضبع والذئب

وقد وجدت جميع تلك الحيوانات كلها اكبر حجما واكثر قوة وعزما من انواعها الموجودة الآن

ولقد كانت درجة الهواء الجوفية من الكرة الارضية على العموم والبالغات المنغرية من بالخصوص

لا أقل في تلك الأعصار السابعة عشرة موصولة على نوع الإنسان مما صارت إليه بعد في الأزمان الجافة لغاية الآن فكانت أشبه بما هو متسلطن في هذا الزمان من درجة الهواء الجوبة بالجهات الشمالية من بلاد الرومية وكان البرد الشديد متحكماً بجميع بلاد أوربة يقع فيها من الجبال قطع هائلة من الثلج تبقّى في جميع الأودية المرتفعة وكان وادي الرون (بلاد أوربة) مثلاً ممتد الغاية جبال يورّة وكان بعض أنواع الحيوانات التي لا يمكن أن تعيش الآن إلا في فواحي انقطعت تعيش على سواحل البحر الأبيض المتوسط (بحر صفيدي) في ذلك الزمان ومن ثم يعلم كيف كانت من حالة الشدة والصعوبة معيشة الناس قبل الطوفان في مثل هذه الدرجة من الاقليم وفي وسط وحوش غائلة يضطرون للدفاع عن أنفسهم منها على الدوام في كل حين وأوان وفي الحقيقة يظهر أن ما كان قد قضى الله سبحانه وتعالى به على النوع البشري من الألم وانحسار على سبيل العقوبة في نظير ههنا آدم عليه قد كان ظهر أثره على الناس في ذلك العهد منذ عهد المباشرة للآدم على وجه أصعب وأتعّب مما صار إليه الحال فيما بعد

وقد كان الناس الذين حصل انقراضهم على بعض الآثار في الأراضي السابقة على حادثة الطوفان من تلك الأعصار في أوج حاله من التوحش والأعصار لا يعرفون زراعة الأرض ولا رعاية المواشي ولا بناء مساكن بأوون اليمابل كانوا باعاً ثلاثهم يهيمون في الغابات ويتعمقون بمجرد انثرات الوحشية وما يهيمون من الصيد ويسكنون الكهوف الجبلية ويسترون بجوار الحيوانات ليدفعوا عن أنفسهم شدة البرد وكانوا يعملون صناعة المعادن ويتخذون منها الأسلحة الحربية والأدوات المنزلية ولم يكن لهم من الأدوات في ذلك الزمان غير قطع من حجر الصوان مقطعة على هيئة غليظة أو عظام حيوانات مسنونة ومع ما كان عليه نوع الإنسان في تلك الأزمان من حالة التوحش وأنداءه يرى بديماً أنه كان له قوى عقلية وغرائز خلقية يفوق بها أسائر أنواع المخلوقات من حيوان ومعدن ونبات وذلك أن الناس الذين كانوا موجودين قبل الطوفان كانوا بوسيلة ما بأيديهم من تلك الأسلحة الغشية يغيرون على الوحوش التي تغشع من الأبدان في هذا الزمان وبقوة الفخيل والحداد يتوصلون لاغتر بهم وانعابته عليهم لاهن بمجرد اندفاع وكانوا يعتقدون في حياة أخرى غير الحياة الدنيا ويتخذون محافل جنازية على مقابر موتاهم ويعانون بهم صور بعض الحيوانات المحيطة بهم بسن حصاة يجعلونها كالآلام على أحجار رينة أو قطع من العظام من هذا القبيل ما حصل عليه العثور بهذا العصر في كهف باقليم ريمورد (بلاد فرانسة) من صورة فرد من نوع الحيوان المسمى بالمأموت السالف الذكر مرسومة بيد رجل من الناس الذين كانوا موجودين قبل الطوفان في سالف الدهر ولقد يرى في بعض تلك المبادئ الأولية من الصناعة التصويرية أن نوع الإنسان كان عنده الشعور بالأمم انظر بعين وان كان لا يمكن لاحد أن يجتهد في تعيين وقتها حين أولية هذا الفكر المطغف

ولقد ثبت دليل الاستكشافات الجيولوجية ان النوع البشري كان قد انتشر قبل الطوفان ولم
 جميع سطح الكرة الارضية وانه لم يكن شاعلا منها الا اقل من المسافة التي هو عليها الآن ودل كل
 ما استكشف من هذا القبيل من آثار ذلك الجبل على ان نوع الانسان قد كان في كل مكان من الارض
 في ذلك الزمان على مثل حالة النوح التي كان عليها الجميع لا يتفاوت في ذلك بعضهم عن بعض
 غير انه مما ينبغي التنبيه عليه و يقتضى التيقظ اليه ان البحث عن تحقيق هذا المقصد لم يحصل بعد
 في اقصار بلاد آسية التي اتفق جمهور العلماء وعموما على انها كانت لنوع الانسان هي اول مهد
 وفي الواقع ونفس الامر قد كانت الامم الذين هاجروا من تشالاقطار في اواخر ذلك العصر قد
 مكثوا على الحالة التي كان عليها آدم عند خروجه من جنة عدن بخلاف القبائل الذين بقوا منهم على
 اقرب من ذلك الوطن الاصيل والمهد الاول فانهم كانوا يؤخذ من ذات حكاية التوراة كانوا هم
 الذين حصل فيهم تقدم المدن الانداني الحسي المتصور في ساحة انشأ اول المدن والقيت بأول تربية
 المواشي وزراعة الارض واختراع صناعة المعادن وحرقة الغزال والحائك وذلك هو غاية ما كان قد
 وصلت اليه درجة تمدن الانساني فيما هنالك

مطلب قصة الطوفان ومع ذلك فقد كان فساد اخلاق الناس في ذلك الوقت لا يزال يزيد الى
 ما لا نهاية من الحدود وبلغ بهم وطغيانهم لغاية ان المولى سبحانه وتعالى غضب عليهم واراد
 ان يدمر دابرهم ويستأصلهم من اوطانهم الى آخرهم وكان نوح الذي هو من سل شيت تدبى وحده
 بحال انفسقامة والصلاح فلذلك اتم الله عليه وامره ان ينشئ سفينة ليقيم عليها هو وبنوه مع
 سبعة ازواج من جميع انواع الحيوان ثبات طامة النوفان وهي عبارة عن غرق هائل هم
 جميع سطح الارض وانافى على أعلى رؤس الجبال العليا وأهدت سائر الناس الذين كانوا موجودين
 في ذلك العصر بجميع أقطار الدنيا غير نوح وعشيرته حيث التجأوا الى سفينة

وقد بقي في ضمن الروايات الادلية المتداولة عن ذلك كثر الامم القديمة ذكرى حادثة الطوفان
 والرجل السالح الذي أنجاه الله المقصد عمارة الارض بالثاني واستكشف العلم الجيولوجيون عدة
 آثار عديدة تثبت حصول هذه الحادثة الطبيعية الشديدة وقرروا انها آخر الحوادث الكبيرة التي
 كانت سبب التكوين الكرة الارضية وصيرورتها الى الحالة التي هي عليها الآن وقالوا ان الانقلابات
 التي هي من هذا القبيل كانت كثيرة في سالف عهد خلق الكون قبل ظهور الانسان وان
 كل دور جديد من أدوار تكوين الارض كان مسببا عن طامة كبرى من هذا القبيل وكان دور هذا
 الطوفان الاخير هو الذي قارن وجود الانسان على الارض وانه هو آخرها وبه تشكلت الاراضي
 القارة (أي البرور المتقابلة للبرائر والبحور) على الهيئة التي نراها عليها الآن من الجبال
 والسهول والوديان لم يتغير منها شيء فيما بعد عما كانت قد صارت عليه في ذلك الزمان بحادثة
 هذا الطوفان اللهم الا في بعض بقع يسيرة وقطع من الارض غير كبيرة لاسباب حوادث
 خصوصية وبواعث محلية

مطلب تحقيق عذبة الجبل الذي وقفت عليه سفينة نوح عليه السلام

ثم انه بعد ان مكثت المياه الطامية على سائر سطح الارض مسافة مائة وخمسين يوما اخذت في انتفاص وفي الشهر الثامن من ابتداء تاريخ الطوفان وقفت السفينة على جبل ارارات او عرارات (قال المؤرخ فرانسيس لونورمان) والمراد به الجبل المعنى باسم اراراته عند سلف القبائل الساقية الاولى واسم ميرو عند أهل الهند واسم جبل البرج عند الفرس أعني بولورداغ أي جبل بولورداو الربوة الالهية (نسبة الى جبال آليه) المسماة باسم امير في ولاية بخارى الصغرى (أي بلاد تركستان الصينية) وليس على الجبل المعنى باسم عرارات بلاد أرمينية قال المؤرخ المذكور هذا ما يدل عليه مصرع نص التوراة وقضية ذلك انه قد تصرح فيها بان بنى نوح انما وصلوا الى سهل سنار الكائن فيما بين دجلة والفرات من الموضع الذي وقفت عليه السفينة سائر ثمانية ايام الى المشرق الى المغرب وهذا دليل لا يروج معه ان يظن كون مبداء سيرهم كان من بلاد الارمن بل من الكتلة الجبلية الكاثية بولاية بخارى الصغرى (بلاد الصين) كما ينطبق عليه هذا الدليل على وجه تام مبين اه فتأمل هذا مع كون المكرم ويكتوردوزى مشى في تاريخه على ان سفينة نوح وقفت على جبل ارارات بلاد الارمن وقال أبو الفدا (صفحة عدد ١ من نسخة تاريخه المطبوع بمدينة القسطة طينية في سنة ١٢٨٦ الهجرية) ما نصه : وكان استقرار السفينة على الجودى من أرض الموصل ، اه كلامه بلفظه ومعناه وهو مخالف لما حققه المؤرخ فرانسيس لونورمان أعلاه فان أرض الموصل هي بلاد أرمينية بعينها وانما أخذ أبو الفدا قوله هذا من أقوال مفسرى القرآن الشريف حيث قال الزمخشري في الكشف : الجودى جبل الموصل ، اه وفي اتفاق وزاد المولى أبو السعود في تفسيره : الجودى هو جبل الموصل أو بالشام أو بالهند ، اه وفي اتفاق السيوطي : الجودى جبل بالجزيرة ، اه ومن المعلوم يبين ان جميع هذه الاماكن هي في جهة الغرب من المكان المذهب واسم سنار الواقع عند ملتقى دجلة والفرات من اقليم بابل القديمة (ولاية بغداد الآن) لانها كلها من جملة بلاد غرب آسية كما هو مذكور في جغرافية المعلم فورتنير الفرنساوى الشهير واذا كان مبداء سفر بنى نوح بعد الطوفان قد كان من ايترب على ان سفرهم كان من المغرب الى المشرق بخلاف الوارد بنص التوراة فليظهر هذا مع ما حققه المؤرخ المحقق والعالم المذوق فرانسيس لونورمان السالف قال المؤرخ المذكور في تاريخه الكبير ما ملخصه وأما سبق الظن لكونه هو جبل ارارات الكائن ببلاد الارمن فهذا لا ادعى ان القبائل الذين هاجروا من بلاد تركستان الى تلك الاوطان في سالف الازمان اطلقوا على بعض الاماكن من اوطانهم الجديدة أسماء بعض اوطانهم القديمة كما هي العادة المعهودة اه معربا باختصار (رجع للنقل فيما يتعلق بالطوفان من كتاب مختصر تاريخ اليهود للمؤرخ فرانسيس لونورمان) قال مؤلف الاصل ثم أخذت الارض في الانكشاف فارتحل نوح عليه السلام حاملة من الجحيم

الذي كان معه بالسفينة طارت ثم رجعت عند غروب الشمس وفي منقارها غصن من شجرة زيتون استندل به على ان المياه قد تقشعت عن الارض وأنه يمكنه ان يخرج اليها ويسمى على ما حيث جفت ونشفت ولما خرج نوح من السفينة مع بنيه الثلاث ومن كان معهم من الاناث قرب للولي سبحانه وتعالى قربا ناشكرا له على ما اولاه من النجاة وعاد يزرع الارض كما كان وكان نسله كثيرا جدا حيث عمر بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة وسكان مبلغ عشرين لخمته الوفاة تسعمائة وخمسين عاما

الفصل الثاني

(في تاريخ نوع الانسان بعد الطوفان من سنة ٢٤٨٢ فصار لا غاية فحوسنة ٢٢٠٠ ق م)

مطلب تفرق الامم بعد الطوفان الى البلدان

قال مؤلف الاصل وكانت ذرية نوح قد تكاثرت جدا في ارض وقت غير انه من ابتداء ذلك العهد كانت اعمار بني آدم قد تناقصت نقصا كبيرا وصاروا لا يعيشون كثيرا بل صارت الاعمار البشرية في ذلك العصر على العموم لا تنيف على متوسط الاعمار المعتادة في هذا العصر كما صار ذلك من المعلوم بدليل ما شوهد من هذا القبيل في اقدم الكتابات المصرية العتيقة المؤرخة من مؤلف سنة قبل بعثة ابراهيم عليه السلام وان كان سام بن نوح (وكذلك اخواه المذكوران بحسب التخمين) قد عر عدة قرون وقد ذكر نص التوراة ان اهل البيت الذي نشأ فيه ابراهيم عليه السلام كانت اعمارهم لغاية نشأة ابراهيم فيهم تطول اكثر من اعمار غيرهم من النام الذين كانوا موجودين في ذلك الوقت وذلك من غير شك ولا نكر لادعى ما كان قد اعتمد عليه الابهاء والاولون والانبياء السالفون في طريقة مدايشهم من اخلاق الفناعة والاكتفاء من العيش بالشيئ التزر

وكان كل اهل بيت من البيوتات واعضاء كل عائلة من العائلات في ذلك العصر يتكلمون في اول الامر بلغة واحدة ويتفاهون بلهجة متحدة فلما توالى بعد الطوفان عدة قرون من الزمان كانت ذرية نوح عليه السلام قد كثرت جدا واستقرت في السهول المتدعة الكائنة من بلاد آسية فيما بين دجلة والفرات من تلك الاقطار وهي القطر المعمر في مبادى ذلك العصر باسم سمنهار ومعناه بلغة بني سام القديمة بلاد النهرين ثم تعلم فيهم الكبر والعجب بانفسهم لادعى كثرتهم وزيادة قوتهم وشوكتهم حتى تخيل لهم انهم على كل شئ قادرون وتوهموا بهلهم انهم بكل امر جديرون فقال بعضهم لبعض هيا بنا بناي مدينة وصرحا لياتيبلغ رأسه السما فاستقم الله من كبرهم بان خلط لغاتهم بحيث صاروا لا يفهم بعضهم بعضا فاضطرروا للتفرق في البلدان وذهبت كل عائلة او عائلة عائلات مجتمعة بما بقي معها من اللهجة التي حفظتها فتكلمت بها من حيث ذم من ثم تولدت في اقطار العالم انواع اللغات المتنوعة والالسن المتفرعة التي رتبها العلماء على عدة مراتب متميزة بحسب ما يوجد بينها من علائق المشابهة والموافقة وعلى هذا الوجه كان اصل منشأ الانسال البشرية

الثلاث الذين عمرت بهم الدين بالثاني بعد الطوفان وهم

ولد حام انتشر رافى قطعة من آسية وافر يقبه

ولد سام باقطار آسية

ولد يافث باقطار اوروبه

وبقى الصرح المذكور غير تام التشييد والتعمير يسمى بام بابل ومعناه ببلغة بنى سام السلف الاختلاط لدعى اختلاط اللسن واللغات في ذلك الموقف وكانت حادثة تبايل اللسن واللغات وتفرق الام الى سائر الجها ان كما يؤخذ ذلك من ظاهره معنى عبارة التوراة وان كانت قد كثرت عليها من المفسرين لهذا السورج والاوليات في زمن ولد سام المعنى باسم فائع (بالعين المجمة في آخره) وكان خامس ولده وقد وقعت تلك الواقعة على عهد قريب من مولده فدعى بهذا الاسم ومعناه الفراق نذكارا منهم لهذا الحادث

تتميمه فبق على هذا القول مع ما سبق عن ابي القدام النقل

قاله مؤلف الاصل على انه لا يوجد في نص التوراة ما يمنع من الظن بأن عدة حشاير من ابناء نوح الذين كان قد أعدهم الله اعمارا الارض بعد الطوفان بالثاني كانوا من قبل قد هاجر وامن ذلك المكان الذي كان قد اجتمع فيه باسم والتأم فيه شملهم وانما اوابعض نزائل مستعمر قنارجا عن مركز هذا المجمع العام ودليل ذلك أن قناسل اولاد نوح عليه السلام من يافث وسام وسام على الوجه الذي ورد به في سفر الخلدية من التوراة لا تعرض فيه الا لام الطائفة البيضا من نوع البشر ولم يذكر الطائفة الزنجية اواله واولاد الطائفة العذراء (بنى الاصفر) التي منها سكان بلاد الصين

مطلب ذراى بنى نوح عليه السلام - نسل حام

يظهر ان من قبيل اليقيني ان الرجحة والحواث التاريخية الصحيحة كون بنى حام كانوا قد توطؤوا اولاً في أكثر اقطار بلاد آسية الغربية والجنوبية قبل بنى سام وأن هؤلاء الاخيرين طردوهم منها وازالوهم عنها ودليل ذلك ما ذكر في التوراة من أن النمرود الذي هو ولد كوش بن حام حكم ولاية بابل واختط مدينة آراش وشالالة (مدينة أور) في بلاد سنهار وكان اول من انشأ اقدم دولة وسلطنة في سالف الاعصار وان جماعة من بنى حام كانوا أول من عمر البلاد المحاطة بنهر جيحون لغاية العهد الاعلى من بحري نهر السند وهذا تفقت كافة جميع العلماء الا ان على الاعتراف بان الاقطار السكانية على شواطئ نهر الدجلة من بلاد المديّة والفرس لغاية بلاد الهند كانت عامرة في سالف العهد من بنى كوش بن حام قبل ان يغلبها بنو سام والقوم المعمرين باسم الاريا أو الآريين الذين هم من ولد يافث بن نوح عليه السلام وللبان الاسباب القوية ما يقتضى أن القوم المعمرين بالسكان بينوهم أول سكان الجزء الاعظم من بلاد الارض في سالف الزمن كانوا أيضاً من ولد سام ولا شبهة لاحدى أن ولد حام المذكورين كانوا هم القوم المتحكمين دون غيرهم من الاقوام السالفة

الدرس الثامن ٥٧ في التاريخ العام

السالفين في أول الامر على سواحل بلاد القرمات وبلاد الجندرو زية (وهي الاقليم المدعو الآن من بلاد ايران التي هي مملكة العجم باسم ميكران) وعلى طول سواحل البحر المحيط الهندى وسائر الاطراف الجنوبية من الجزيرة العربية

وهكذا يرى مما ذكر أن بني سام هم الذين كانوا أول المهاجرين عن مركز اجتماع الناس الاولين من الانسال الثلاثة الاصليين الذين تفرقوا بعد تبليل اللغات والالسن بصرح بابل في سالف الزمن وانتشروا اولاً في أوسع مسافة من الكرة الارضية وانشأوا أقدم الدول الملوكية وانهم كانوا هم الذين حصل فيما بينهم أسرع الحركات التقدمية في امور التدبير المادية غير أن نزاع عليه السلام كان قد دعا باللعنة على ولد سام لادعى انه كان قد آسا الداد في حقه اذ كان أبوه قد شرب خمر افسكراً فكشفت عورته فضحك منه فغضب عليه أبوه فقال له انك لتكون خادماً لياقت وسام ولقد حققت تلك اللعنة على الوجه التام وذلك ان الممالك التي كان بنو سام قد انشأوها لم تلبث ان تخالطت مع اقوام من نسل أخويه المذكورين فتنازعوها معهم وكانت الدائرة على أبناء سام والغلبة لانباء يافت وسام فاخذوها منهم واستوطنوها بدلا عنهم واقام ولد سام في بلاد كلدة والشام وفلسطين وجزيرة العرب واقام منهم القوم المدعوون باسم الآريين في بلاد الهند وقارس (بلاد العجم) ولم يبق للنسل ولحام الملاعين دولة الا باقرية وخصوصاً بالدار المصرية حيث كان لهم بمصر في ذلك العصر ابراهيمي نزلة مستعمرة وابهج دولة ظاهرة (يعنى دولة الفراعنة الغابرة) بل استحييت الدعوة الابوية باللعنة على بني سام - حتى في تلك الاقطار فيما بعد على توالى الاعصار حيث كان بنو حام وان مكثوا مستبدين بدولتهم مستعلين بصولتهم في تلك النواحي أكثر من غير هالكهم كانت عاقبة امرهم في آخر عصرهم بأن صاروا فيما بعد خدماً لانباء سام وكذلك بعد أن مكثت بلاد الفينيقية والديار المصرية وشمال افريقية مدة مديدة من الدهر في قبضة اليونانيين والرومانيين الذين هم من ولدا يافت صاروا بعد ذلك أيضاً تحت طاعة العرب المسلمين مسافة مدة مديدة من القرون واستولى الحبش الذين أصلهم أيضاً من ولد سام على الايتوبيين (وهم سكان بلاد الحبشة الاقدمون) وبالجملة فاذا كان ولحام قد بقى والغاية هذا الاعصار متوطنين في بعض الاقطار على وجه بحيث يتكون منهم دائماً اصل اهلها فانهم منذ آلاف من السنين لم يترسروا في ان يكون لهم حياة أهلية ولا هيئة اجتماع ملية خاصة بهم أعنى انهم لم يعودوا لأن يكونوا على صورة دولة او املة مستقلة

مطلب ذكر ولد سام واما ولد سام فقد كانوا ثمانين من انتشر في الارض بعد مهاجرتهم من مركز التجمع الاصلي والمكان الاول الذي كان قد اجتمع فيه افراد الانسان بعد الطوفان وتوطنوا في النواحي المتدنة من عند النواحي العليا من بلاد الاميزوت ونيابيه (بلاد الجزيرة) لغاية جنوب جزيرة العرب ومن عند سواحل بحر شقيد الحما وراعيهم والذبله وحينئذ في ولد سام بن نوح

كان أصل الاسوريين (او السريانيين) والعبرانيين (أى اليهود والاسرائيليين) والعرب والوريين (الشاميين) مطلب ذكروا يافث وأما يافث بن نوح فدل هذا اللفظ في اللغة السريانية القديمة الانتشار وانما سمي بذلك لكون خلفه انتشر وعلى مسافة مائة من الاقطار وقد كانوا آخر من اجتمع ثملهم فاجروا من المكان الذى كان قد اقام فيه نوح عليه السلام عند خروجه من السفينة (على الخلاف السالف الذى حصل في هذه المسألة بين العلماء الاعلام) قال مؤلف الاصل وانما لم يذكر في التوراة تعدد جميع شعوب بنى يافث الذين توطنوا في جميع البلدان بعد الطوفان لدعى ان موسى عليه السلام كان قد اقصر منهم بالضرورة على الامم المعروفة للعبرانيين المعاصرين له واما علماء هذا العصر الاوروبيون فانهم استدلوا بالبراهين المستنبطة من المشاهدات الفيزيولوجية (نسبة لعلم الفيزيولوجية أى علم منافع الاعضاء الحيوية ومعرفة كيفية تركيب البنية الجسمانية) ودلائل العلائق اللغوية فتوصلوا في هذه المسألة بطريق الاثبات لتفهم ما ذكر من شهادة سفر الخلق من التوراة وارجعوا عدة عديدة من الامم التي هي الآن موجودة لأصل الشجرة النافذة واتفق جمهورهم على وجه العموم على ان من ولد يافث بن نوح في بلاد اوروبا اليونان والرومانيسين والجرمان والالمان والسلتيين والاسكندنيان والاسلاويين وفي بلاد آسية فارسا والميديين والبيكتريين والطبقات العليا من أهالي بلاد الهند وذلك ان هؤلاء الاقوام المتأخري الذكروا قد اجتمعوا في سالف العصر باسم الآريين ومكنوا مدة مديدة وأعصارا عديدة ملتئين في الاقطار التي يقبها كل من نهري جيحون وسجئون أعنى بالقطن المعميين أحدهما بلاد البيكترية (وهي المسماة الآن بخانية بلخ من بلاد التتار المستقلة لبلاد آسية) والثاني بلاد السوجديان (وهي ما يعنى الآن بخانية بخارى وخوقند وما يليها من تلك البلدان) وقد كانت تلك الاقطار هي أول الأوطان التي أقام فيها جميع بنى يافث في سالف تلك الأزمان ثم تفرع منهم فرع توجه الى جهة الجنوب وتعدوا الى ما وراء الهند وكوش والهند كوه (بالشين المجعدة او بالهاء في آخره) وهي سلسلة الجبال السكائية في وسط بلاد آسية فيما بين ٣٤ الى ٣٦ درجة من العرض الشمالي و ٥٩ الى ٧٢ درجة من الطول أعنى البلاد الممتدة (من عند تخوم مملكة فارس الى حد الشاطئ الايمن من نهر السند) وتوغلوا في بلاد الهند بازالة من كان قد سبقهم اليها من ولد سام عنها وبادخالهم تحت طاعتهم وغلبتهم عليهم وتوطن فرع آخر منهم بالبلاد الممتدة فيما بين بحر الحزر والذجلة وفي جبال بلاد الميديه وفارس بل يرى انهم كانوا قد خالطوا في بعض الاحيان من سالف الأزمان الاسوريين وحكموهم مسافة عدة قرون من الزمان وحيث كان الامر كما ذكر يقتضى ان يكون ولد يافث هم من يعبر عنهم أيضا باسم التسل الهندي الاورواي الاشارة الى سعة ما استملوا عليه من الممالك والبلدان (قاله مؤلف الاصل) وهذا هو النسل الذى نحن منه.

وهو النسل الشريف الصحيح والفرع النوحى المدعوله بالوجه الصحيح الذى ينط اليه من الملك
المدير لجميع الركائز امانة تبليغ ذريحة الفنون والعلوم والفلسفة وسائر المعلومات الى درجة
كمال يصل اليها غيرهم من التسليخ الاخرين فقد ورد في نص التوراة ان نوحا عليه الصلاة والسلام
دعاليات بقوله وبارك الله في يافث وأمدّ عقبه الى أمد بعيد واسكنه فى خيام سام وجعل حامله
من الخدام والعبيد ، ولقد تحقق هذا الدعا وتصدق هذا الرجا وظهر من هذا الخبر بالغيب
اتم الاثر ان نسل يافث لم يكونوا فقط أكثر عددا وأكبر ملكا ومدا من سائر من عداهم من
نسل أخويه بل هو النسل المتسلطن على المملكة الدنيوية ولم يزل يتقدم فى كل يوم الى ان يصير
ليده مقاليد السلطنة العمومية

مطلب مراتب اللغات البشرية الاصلية اعلم ان كل واحدة من الفروع البشرية الاصلية
الثلاثة التى ذكرنا كيفية نسبتها بناء على سفر الخليقة من التوراة يقابلها امرتية اصلية وفصيلا اولية
من مراتب اللغات البشرية التى حصل الاستدلال على ترتيبها بواسطة اشتقاق اللغات الانسانية
ومقابلة بعضها ببعض من حيث المشابهات اللسانية وذلك انه قد تحقق بالادلة النظرية انه يوجد
أظهر المشابهة اللغوية بين الالهة الهندية المقدسة القديمة المسمى بالسكربت ولغات فارس
اليونان وايطالية القديمة والسنة الجرمانيين والاسكندىناويين والسليتيين والاسلاويين (بلاد
أوروية) وثبت عند العلماء الاورويين المتأخرين اتحاد المواد الاصلية والاصول الاولى التى
قد كان منها نشأ اشتقاق جميع هذه اللغات المتنوعة والاهمات المنفردة وعلم انها كلها ترجع
الى لغة اصلية ولحجة اولية وهى لسان القوم المسمين لآريين السالفين فى قديم الزمان حيث
استدل على معظمها الآن ومن ثم استنبطوا معنى انهم بنوا على ما تحقق عندهم من النسبة
بين اللغات بانضمامها الى ما ثبت من الروايات عن التوراة انه يوجد أصل عام لجميع فروع
نسل يافث بن نوح عليه السلام

وغاية ما هناك ان أصل ما جوج بن يافث هو المسمى وحده من ذلك كله حيث تحقق ان اللغات
التورانية (نسبة الى بلاد توران التى هى بلاد التتار المستقلة الآن فى مقابل بلاد الفرس المسماة
بايران) وهى اللغات انتارية (أى لغات قبائل التفريلاد آسية) واللغات الفنلندية (لغات بنى
ماجوج ببلاد أوروية) أعنى سائر لغات ولده ما جوج المذكور يتكون منها امرتية لغوية منفردة
وحدها وفصيلا من اللغات مقيزة عن غيرها مستقلة بفردها لكن هناك بعض علامات تدل
للظن بأن تقدمات العلم لا بد وانها تصل ذات يوم لارجاع فصيلا اللغات المذكورة الى أصل اولى
وماخذ سابق من أصول مرتبة اللغات الهندية الاوروية وهى ان تكون هذه الطائفة
اللغوية الياجوجية انما هى فرع انفصل من أصل شجرية مرتبة اللغات الهندية الاوروية
العمومية قبل غيرهم من سائر الفروع اللغوية

وليس اتفاد لغات بني سام باقل وضوحا من اتحاد مرتبة لغات بني يافث وذلك انه قد تحقق عند علماء
الافرنج الآن ان لغات الكلدانيين (أى البابليين او قدماء المصريين) والسوريين (أى قدماء
أهل الشام) والعبرانيين والاسوريين والعرب والحبشة كلها مرتبطة بعضهم ببعض بأشد الروابط
القرابية واوكدا العلائق النسبية بحيث يتكون منها مجموع مرتبة لغوية تام وأصل فصيلة لسانية
عام ويقتضى ان يضم اليه أيضا لسان الفينيقيين (أى السوريين) وان كانوا من ولد حام بواسطة
ولده كنعان لكنهم لما كانوا قد انطوائوا في سام بخالطة شديدة مدة أعصار مديدة امتزجوا بهم
بطريقة أكيدة جدا حتى تكلموا بلغتهم وصاروا من حيث ترتيب اللغات يعدون في مرتبتهم
وكذلك لغات بني حام يتكون منها مرتبة لغات متميزة وفصيلة لهجات متباينة لم يزل نظر علماء
اشتقاق اللغات البشرية يؤدي للوقوف عليها وأحسن ما عرف منها واهم وأقواماته اللغة
القبطية القديمة حوت ثبات بواسطة معرفتها والوقوف عليها الآن انه يرجع اليها بالضرورة لغة
الليبيين (سكان جبال ليبيا وهي بلاد برقة وما والاها من بلاد افريقية) وهذه اللغة هي التي
لم يزل يتكلم بها الغاية الآن الاقوام المعزوفون بالقبائل والطوارق بشمال بلاد افريقية وكذلك اللغة
الايتيوبية القديمة التي لم يزل يتكلم بها الغاية عصرنا هذا قبيلة العرب البشارية المقيمة على شواطئ
نهر النيل الاعلى

تتمة

تشتمل على عدة مسائل

المسألة الاولى (من تاريخ جيلان)

(قال مؤلف الاصل) قد تحصل لنا مما ذكرناه ان تاريخ تمدن بلاد المشرق الذي ذكرت أخباره
وانتشرت آثاره عن السلف في قديم الزمان يصح ان يقال انه يرجع لتواريخ طوائف ذراري نوح
الثلاث الذين تعمرت منهم الارض بالثاني من بعد الحوادث الطوفاني وهي متباينة كل منها
عن الاخرى كل التباين في الاخلاق والعوايد والالسن والعقائد وهي كاليمين بعد
الاولى طائفة بني يافث ويعبر عنها أيضا بالنسل الهندى الاوروبى وهي تشغل كما ذكرناه آنفا
على الطبقات الشريفة العليا بلاد الهند وفارس واهل جبل قوق قاف والقوقازية واهالى أقطار
أوروبية كلها

الثانية طائفة بني سام وهي تشتمل على جميع اهالى بلاد اسياتية الغربية والجنوبية من عند نهر
الفرات الى حد بحر سفيد

الثالثة طائفة بني حام وهي تشتمل على جميع اهالى أفريقيا وخصوصا المصريين والايثيوبيين
غير ان الفينيقيين والقرطاجيين الذين هم خلفهم وان كانوا من بني حام بواسطة ولده كنعان

لكنهم لداعي اختلاطهم بيني سام مع أن لغة قواهم وبغداد منهم والذي يدل على تمييز الطوائف أو الانتال الثلاثة المذكورة هو ما حصل بعناية علماء الافرنج المتأخرين من امعان النثر الدقيق وزيادة التأمل بعين التحقيق فضلا عن الاخبار النورانية والآثار التاريخية ومقابلة الاشتقاقات القوية وكيفيات تركيب البنية الجمعية في افراد كل واحد منهم حيث دلهم كل ذلك على اخوية سائر الامم المتنوعة والاقوام المتفرعة عنهم ورجوعهم الى اصل واحد منهم فمن ذلك ما ثبت عندهم مثلاً من ان اللغة الهندية المقدسة القديمة المعماة بالسكريت يوجد بينها وبين لغات فارس واليونان وايطالية القديمة مشابهة عظيمة جدا وان هذه اللغة العتيقة قد كانت مستعملة بالحقيقة فيما يتعلق باصولها الاصلية في الاعصار الاولى لا اقل في سائر الاقطار الممتدة من اول بلاد الهند لغاية بلاد الاسكندرية (بلاد أوروبا) ومن ثم استنبطوا أن الهنود والفرس والجرمان والألمان واليونان كلهم يرجعون الى اصل واحد عام وهو ذات بن نوح عليه السلام وان عينة بنى يافت مع الطائفة الاهلية التي يعبر عنها في اصطلاح العلماء المتأخرين من الملل الافرنجية بالطائفة الهندية الجرمانية أو الهندية الاوروية قد صارت من اوضح الواضحات والعلوم البديهيات على الوجه التام

وكذلك ثبت لديهم فيما يتعلق بطائفة ولد سام ان اللغة هي الرابطة العامة والعلاقة الثابتة الجامعة بين الكلدانيين والسوريين والعبرانيين والعرب باضافة الفنيقيين اليهم ولا غرابة فيما لوحظ من اتحاد لغة الفنيقيين مع لغات بنى سام وان كانوا هم من بنى حام اذا نظرنا لما علم من شدة اختلاطهم وما ثبت خصوصاً من كون الفنيقيين المذكورين كانوا قد صاروا تحت سلطة الساميين من اول الامر في سالف الدهر (قال المؤرخ جيلمان المحكي عنه أعلاه) وما كان يظن ان امتددة مديدة من الزمان بين العلماء الاوروابيين ان لغة قدماء المصريين هي لغة مستقلة بذاتها ولهجة منفردة على حذتها غير ان الم يزل يتحقق عند العلماء المتأخرين من العلائق العديدة والمناسبات الاكيدة بين اللغة الفرعونية والعبرانية يؤخذ منه كما هو المتبادر انه يقتضي ارجاع اللغة القبطية الى اصل جماعة اللغات السامية كما هو الظاهر (اه الى هنا معرمان تاريخ جيلمان) قلت وهذا لا يخالف ما نقلناه آنفاً عن مختصر تاريخ اليهود للمؤرخ فرانسيس لوتورمان من ان لغات بنى حام وهم المصريون والليبيون والايثيوبيون هي مرتبة من اللغات البشرية مستقلة وفصيصة متميزة من اللهجات التي اقتص بها كل قوم من بنى نوح عند تفرعهم بعد الطوفان وذلك ان مرتبة اللغات الحامية وان كانت كذلك لكن ثبت عند بعض علماء الاشتقاقات اللغوية المتأخرين ان بينها وبين اللغات السامية مناسبة شديدة وقرباً أكيدة بحيث لا يمكن الا أن تكون كلتا الطائفتين طائفة متحدة وكان لغات بنى سام وحام قد كانت في الاصل واحدة كما في كره فرانسيس لوتورمان في تاريخه الكبير فليتلأمل .

(ثم قال المؤرخ جيلمان بعد ذلك أيضا) ومن ثم استقر الحال على أن ينسب سام وسام وياثهم الذين تكونت منهم الاقسام الثلاثة الاصلية التي ترجع اليهم المراتبة الالهية البشرية البيضاء المسماة في اصطلاح العلماء الاورباويين المتأخرين بالقوقازية التي عرفت بلاد آسية الغربية وسائر الاقطار الاوروبية وشمال افريقية غير ان هناك مرتبتين اخريين وهما المراتبة الصفراء والغلطية (اي التتارية) التي اقامت دائما بالاقطار الشرقية والشمالية من آسية والمرتبة السوداء او النيجية التي انحصرت ببلاد افريقية اما السوداء فلا تاربع لها واما الصفراء التي من اقبائل المغل او التتار والصينيون فقد بقيت معزلة تام عن مركز المدن العام فلذلك لم تتعرض لتاريخ عاتين المرتبتين من المراتب الالهية البشرية الى آخر ما ذكره وبنى عليه طريقته التاريخية

المسئلة الثانية

مطلب ترتيب سكان الكرة الارضية على ثلاث مراتب اصلية

ما ذكر اعلاه في ضمن عبارة المؤرخ جيلمان فيما عنه نقلناه هو جهة المراتب البشرية الالهية التي تنقسم اليها سكان الكرة الارضية من حيث الصفات الطبيعية والعقلية التي تميز بها كل مرتبة منها عاسا وهاهنا ان علماء الانثروغرافية والجغرافية رتبوا جميع سكان الكرة الارضية من هذه الجيئنة على ثلاث مراتب اصلية يعبر عنها بالانسال او بالانواع الالهية البشرية وهي تميز بظواهرها وتباين تباينا واضرا باختلاف الالوان وتقاطيع الوجه وشكل الرأس والشعر واللغات وغرد ذلك جميعا بعدات

الاولى المرتبة البيضاء وهي عبارة عن النسل والنوع الابيض من جنس البشر والادميين وتسمى أيضا بالمرتبة القوقازية والقوقازية (نسبة الى جبال قوقاز او قوقاف المدا في كتب العرب بجبال قاف وهي بسلسلة الجبال الكائنة فيما بين البحر الاسود وبحر الخزر وهي بلاد الجركس والاباطة وجرجستان) وانما نسبت هذه المرتبة اليها لكون تلك الجبال هي موضوعة تقريبا في وسط الاقطار التي توجد فيها هذه المرتبة الالهية ولداعى انه انما وجد في نواحي تلك السلسلة الجبلية اكل افراد هذا النوع وأجل انموذج لهذا الفرع من الخلقة البشرية وتنتشر هذه المرتبة في غربي القارة القديمة اعني في جميع بلاد اوروبية والنصف الغربي من بلاد آسية وشمال افريقية وقد نزل منها عدة زرائل مستعمرة وقبائل متكاثرة في بلاد القسم الثالث والرابع من اقسام الدنيا العامرة ولا سيما في بلاد ارمينية

والصفات الاصلية التي تميز بها هذه المرتبة الالهية هي كون الرأس منها على شكل بيضاوي منتظم والجيئة عريضة تكاد ان تكون افقية وسعة العينين مع كونهما في اكثر شعراوين او زرقاوين وشعورها جعدة دقيقة متضفرة في الغالب وعلى وجه العموم سمراء او صفراء الالوان الانظار الجنوبية من الكرة الارضية حيث تكون شعور هذا النوع سوداء وزاوية الوجه منه على العموم

عنفرجة جدا (ونعني بزاوية الوجه المتكونة من خطين متوهين يتبدى أحدهما من ثقب الأذن والثاني من ابرز موضع من الجبهة ويتقاطعان عند اطراف الاسنان القواطع العليا) وأظهر ما يتميز به هذه الطائفة الالهية من الصفات المميزة الاصلية هو كون البشرة الجلدية متباينة ووردية وقد يكون لونهما مائلا للصفرة بل قد يكون أسودا بالكلية في الاقطار الجنوبية وهذه هي صفاته الجسدية بمعنى الظاهرية واماما يتميز من الصفات العقلية والمعنوية بمعنى الباطنية فهو كونه ذات نشاط وأقدام على الامور وطمع كبير واليه ترجع جميع الاعمال والملل الذين يبدونهم مقادير ياسة التمدن ومقاوميد سياسة دولة الدول

الثانية المرتبة الصفراء والنسل أو النوع البشري الاصفر (وهو ما يدر عنه عندنا بيني الاصفر) وتسمى هذه المرتبة أيضا بالمرتبة المغلية (نسبة الى المغل بمعنى التناثر أو التناثرية) وانما نسبت هذه المرتبة البشرية بهذه النسبة الاصطلاحية لتكون اقوام انتثارهم الذين يوجد فيهم أتم انموج من افراد هذه الطائفة الالهية وهي تنتشر في جميع الاقطار الشرقية من بلاد آسية وقد يوجد منها أقوام قلائل وبعض قبائل في شمال هذا القسم من الارض وفي التباينات الشمالية من بلاد آفريقية وأوروية وفي شمال الاوقيانوسية

والصفات الاصلية التي تمتاز بها هذه المرتبة البشرية الالهية هي كون وجوههم عريضة مستر وأنفوسهم قطساء وأعينهم مستطيلة جدا مع كونها ضيقة مرتفعة مائلة الى الخارج وشعورهم سوداء مصقولة متوترة والوانهم مصفرة اوزيتونية وزاوية وجوههم أقل انفرجا من زاوية وجوه المرتبة البيضاء وكثير من الاقوام الذين هم من المرتبة الصفراء هذه ولا سيما اهل الصين قد كانوا من أقدم الامم المتعدنة في سالف الالعصار واعتق الملل المتحصرة في جميع الاقطار وكانوا قد عرفوا من قديم الزمان كما عرف ارباب المرتبة البيضاء هذه فنون بدعة وجلة صنائع عجبية غير انهم بقوا في مادة التمدن والحضارة على حالة واحدة من غير تقدم حتى فاقهم ارباب المرتبة البيضاء بكثير الا ان واقصر سكان الارض المعروفة قامة وهم الاقوام المسجون بالاسكيميين واللابونيين (وهم سكان أقصى شمال اوروية وآسية) هم من هذه المرتبة (وأطولهم قامة يبلغ أربعة أقدام أي نحو متر و ٣٥ سم) تتجرا في الاكثر

الثالثة المرتبة السوداء والنجية وهي تنتشر في وسط بلاد أفريقية وفي جهة الجنوب منها وفي جنوب بلاد الاوقيانوسية كبلاد الاسترالية منها ويعرف أهل هذه المرتبة بكون ألوانهم أما سوداء أو مسودة وجسائهم مخفضة مع كون الفكين بارزين والاسنان مائلة مع كونها أطول من اسنان المرتبتين الآخرين وأنوفهم قطساء وعرضه وشعاعهم غليظة واذا هم متمسعة جدا واصداغهم حمر تفعه وشعورهم صوفية وزاوية وجوههم قليلة الانفرج وأهل هذه المرتبة هم أقل تمدنا والظاهر انهم أقل فهمها ونظرة من ارباب المتمدنين السالفين وقد استرق منهم الاروبيون اذوا ما كثيرين

ونقلوهم الى بلاد امرىقة بحالة المأسورين فاستخذموهم هناك في نزائلهم وأدخلوهم في شعمرات قبائلهم

هذه هي المراتب الالهية الاصلية التي ارجع اليها العلماء الاور وباويون جميع أنواع الامم والملل الموجودين على سطح الكرة الارضية من الخلقة والبشرية وهناك عدة فروع وأنسال بشرية ثانوية بمعنى انها غير مستوفاة للصفات التي تمتاز بها على وجه بحيث تعد من احدى تلك المراتب الاصلية بل يوجد فيها بعض صفات من كل واحدة منها فهي مشتركة بينها ولذلك سميت بمراتب البين بين الالهية أو بالمراتب القرعية او الثانوية فيها

أولا المرتبة الجراء ويقال لها الامريقية وهي سكان بلاد امرىقة المتوحشون أي اهلها البلديون الاصليون وهم ذراري الاقوام الذين كانوا متوطنين بتلك القارة الجديدة قبل أن ينزل الاور وباويون اليها ويستولوا عليها و يتميزون بكونهم جلودهم حمراء انحساسة وشعرهم مستويته متدليلة واعينهم متسعة ورؤسهم مستطيلة وجباههم مخفضة وانوفهم كبيرة بارزة

واطول سكان الارض المعمورة وهم القوم المسمون بالبنجونيين أو البتقونيين (بالجيم المجهمة التحتية أو بالفين المجهمة الفوقية) هم من أهل هذه المرتبة الالهية القرعية (وهم أناس يبلغ ارتفاع متوسط قاماتهم من ٦ الى ٧ اقدام أي الى أكثر من مترين لا الى أكثر من ٨ اقدام أي الى ما يقرب من ثلاثة امتار كما بالغ في ذلك بعضهم)

وقد ثبتت عند العلماء الاورو باويين أن بعض الاقوام الامريقيين الاصليين في الانعصار السالفة قبل أن تنزل عليهم التنازل من الاورو باويين قد كان لهم دول قوية وامل متقدمة خبراتهم الآن انما هم اقوام متوحشون وقبائل ضعاف بدويون (انتهى الكلام على هذه المسئلة معربا باختصار من جغرافية فورتنبير الكبرى)

المسئلة الثالثة

مطلب حل مسئلة كبيرة ومنظرة هي بين العلماء الاورو باويين شهيرة وهي هل جميع سكان الأرض من مراتب الانسان هم من أصل نسل واحد نوع متحد كما تراه أنواع جنس الحيوان وهذه المراتب انما هي فروع عنه متفرعة أم هم أنواع مستقلة متنوعة وبعبارة أخرى هل افراد العالم هم من نسل آدم واحد بمعنى أنهم هل كانوا في أصل نوعهم متحدين أم هم من أنسال عدة أو ادم متعددين وباهل ترى كيف الحال في هذه الحال وحاصل ما يقال في الجواب عن هذا السؤال هو ان هذه المسئلة خلافية فيما قولان شهيان ومذهبان مختلفان

القول الاول - قال بعض علماء الطبيعيات من الافرنج الآن وهم القائلون بتعدد أصل الانسان ان أصل جميع الناس من العالم متعدد وانهم ليسوا من نسل آدم واحد ولا نوع متحد قالوا بل هم أنواع متنوعة لافروع متفرعة وبنا على هذا الكلام أن الطوفان لم يكن بعام واقوى دلل

دليل لهم على ذلك وغاية ما يروج مذهبهم هذا فيما هنالك هو ان سفر الخليفة من التوراة لم يتعرض فيه عند الكلام على عود تناسل الامم والملل الاقدمين من ابناء نوح الثلاثة يافث وسام وحام لتفسير المبرتبة البيضاء وبعض المرتبة الصفراء من العالمين ولم يتعرض لكيفية تناسل الاقوام الزبانيين ولا لاهل الصين وغيرهم من كثير من الامم والملل الذين يقتضى أن يكونوا من أول عهد خلق العالم في الاقطار المتنوعة من الارض المعمورة موجودين مع تنوع انساها وأنواعهم وتباين تقاطيع بانيتهم وطبائعهم اذ منهم الابيض والاسود والاصفر والاحمر وما بين ذلك القول الثاني - مذهب الطبيعيين القائلين بوحدة نوع الانسان على جميع الكرة الارضية من كل مكان سواء الابيض منه والاصفر والاسود والاحمر وعموم حادثة الطوفان على سائر البلدان قالوا واختلف الصفات والالوان انما هو ناشئ عن اختلاف احوال الاكوان المعبر عنه عندهم بالوسط الذي يكون عليه الانسان أى اختلاف احوال الجوية والوسائل المعاشية والعوائد العتمدية التي يكون عايم الشخص بحسب اختلاف الاوطان وهذا هو القول الصحيح والمذهب المعتمد المرجح الذي عليه جمهور علماء الانام من الافرنج وأهل الاسلام قال أبو الفدا في تاريخه مانصه

« والصحيح ان جميع اهل الارض من ولد نوح عليه السلام لقوله تعالى « وجعلناذر يتهمهم الباقين » فجميع الناس من ولد سام وحام ويافث اولاد نوح عليه السلام « الى آخر ما ذكره واستدل علماء الافرنج على وحدة النوع البشري فضلا عن هذا الدليل النقلى بدلائل آخرى واقى عقلى وهو ما شاهده في جميع أنواع الحيوان من انه اذا حصل تزاوج نوعين مختلفين تولد منهما نتاج يصير عقيما كالبعغل المتولد عن مزاجعة نوع الفرس والجار وبالعكس وما أشبه ذلك من أنواع الحيوان بخلاف نوع الانسان حيث يتولد عن مزاجعة انساله كالابيض مع الاسود مثلا ذرية مولدة فرعية لا يزال يوجد فيها الصفات النوعية من التناسل وغيره كما يحصل تعلية الفرس العربى على البرذون اذ يترتب على ذلك تحسسين مادة النتاج لاعداد الانتاج ومن ثم استنبطوا ان مراتب الانسان ترجع كلها الى نوع واحد وأصل مقصد بمعنى انها فروع عنه متفرعة لا انواع متنوعة واجابوا عن اقتصار التوراة في توزيع نوح على الارض وذكر البعض دون البعض بانه انما ذكر فيها الامم المعلومة للعبانيين في ذلك العصر واستدلوا على عومية حادثة الطوفان بما تحقق عندهم أيضا من البرهان على وجود طامة كبرى من هذا القبيل في روايات اغلب الامم السالفين في ذلك الجليل مع ذكر الرجل الصالح الذي نجاه مولاة وان اختلف منه الاسم في رواية كل قوم منهم كما قدمناه وعلى كل حال من هذين القولين والمذهبين الشهيرين فبيان كيفية تناسل بنى نوح عليه السلام وانتشارهم في اقطار الارض حسبما لخص في الباب الحادى عشر من سفر الخليفة من التوراة وكادل عليه ما تحقق وثبت عند علماء

الأفرنج المتأخرين من المعلومات هو كما في هذا المطلب التالي آت

المسئلة الرابعة

مطلب تفصيل ما اجل فيما تقدم عن المؤرخ فرانسيس لونورمان من الكلام فيما يتعلق
يتناسل جميع أهل الارض من بنى نوح عليه السلام

عائلة حام نص في سفر الخلقه من اخو راء على أنه ولد لحام بعد الطوفان أربعه صبيان وهم
أولاد كوش (بالشين المجهة في آخره)

ثانيا مصر او مصرائيم (بشائين أولاهما مخوزة في آخره)

ثالثا - فوت (بشامنة فوقية في آخره)

رابعا - كنعان (بفتح الكاف في أوله ونون موحدة في آخره)

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في تاريخه الكبير اما كوش فولده الايتيوبيون وهم اسلاف احبس
حيث تحقق كون الكوشيين هم عين الايتيوبيين وذلك أن كل ما عثر عليه من الكتابات
الهيروغليفية المصرية العتيقة وجد فيه التعبير باسم كوش عن جميع الامم والاقوام الساكنين
على شواطئ الصعيد الاعلى من النيل بجهة الجنوب من بلاد النوبة وبذلك ثبت ان كوشا هذا
هو أبو السودان

وأما مصرائيم فهو أبو المدرسين لما أنه كان يهبر عن وادي مصر في التوراة دائما بلانظ مصرائيم ولم
يزل العرب لغاية هذا العصر يسمون جميع وادي مصر بعامه أو كوشى ولايته فقط باسم مصر
(واخطأ من زعم أن مصرائيم هذا هو عين مينيس الذي هو أول ملوك مصر كما سيأتى توضيحه
في الباب الثاني)

وأما فوت فلم يثبت بعد على وجه التحقيق الجدد عند العلماء الاوروبيين بهذا العيد
أنه أبو الامم والاقوام الساكنين على السواحل الشمالية من افريقية وان كان قد ذهب جماعة من
اعلمهم بهذه المادة ان اسم فوت هذا اذا أخذ على اعم اطلاقاته انما يدل على الاقوام الليبيين
الاوولين (أى أهل جبال برقة وما والاها من قبائل البربر المغربيين) الذين نزل بهم فيما بعد بعض
قبائل من بنى يافث وتوطنوا معهم

وأما اسم كنعان فلا شك في أنه يشمل الفنيقيين (أى الصوريين) وكل من انتسب اليهم بأكد
القاربة من القبائل الذين كانوا قبل ان ينزل عليهم العبرانيون متوطنين بالقطر المدعو باسم كنعان
(من سواحل الشام) أى فيما بين صيدا وغزة لغاية سدوم وجومورة (من قرى قوم لوط عليه
السلام) اعنى سائر البلاد المحصورة فيما بين بحر صيد وبحيرة لوط وهى البلاد المسماة باسم يهودا
أو فلسطين أو بلاد القدس الشريف

قال المؤرخ قرائيس لو نورمان المذكور وما يظهر من قبيل الامور المحققة والظنون المصدقة ان بنى حام سكنوا في اول الاجر الجزء الاكبر من بلاد آسية الغربية والجنوبية قبل ان يتوطن يابنو سام حيث جاء هؤلاء فطردهم منها وأزالوهم عنها يدلي بل ان الثمود الذي هو من نسل حام حكم ولاية بابل واختط فيما المدينتين المعماتين باسم (أرابش وشالانة) ببلاد سمنار أو شمنار وانه كان أول من أحدث دولة وأنشأ سلطنة في قديم الاعصار وقد كان في ذلك العهد من بنى حام أيضا أول من سكن البلاد المحاطة بنهر جيحون مما يمتد لغاية نهر السند ولذلك سميت سلسلة الجبال الكائنة بتلك البلدان باسم هندكوش وبقي هذا الاسم يطلق عليها لغاية الآن وقد اتفقت كلمة جميع العلماء الاورو ياديين في هذا الاوان على ان سواحل نهر الدجلة وبلاد فارس الجنوبية وجزءا من ذات بلاد الهند (حيث يدعون القبائل الذين هم هناك من أصل بنى حام لغاية الآن باسم الكوشيكاس) قد كانت كلها معمورة بأقوام من بنى كوش بن حام قبل ان ينزل بها عليهم أقوام من بنى سام ومن الآريين الذين هم من بنى يافت وهناك أدلة قوية تدل للظن بأن القوم المسمين باسم الكاريين الذين هم أول من توطن بجزء عظيم من بلاد آسية الصغرى أو أرمنية هم أيضا من ولد حام ولقد تسلطت عائلة حام أيضا على سواحل بلاد القرم وبلاد الجيمدر وزية (المسماة الآن باسم ميكران من بلاد فارس المعماة باسم إيران) وعلى طول البحر المحيط الهندي وجميع جنوب جزيرة العرب كما ذكر آنفا في غير هذا المكان

عائلة بسام — قال المؤرخ المذكور في تاريخه الكبير أيضا ما معناه ذكر بنص التوراة انه ولد لسام بعد الطوفان خمسة صبيان وهم كاسطار أدناه
أولا - ايلام (بكسر الهمزة في أوله)
ثانيا - أسور (بفتح الهمزة في أوله)
ثالثا - ارغخشذ (بالذال المعجمة في آخره) ومن ولد ارغخشذ عابر وقحطان
رابعا - لود (باللام والواو والذال المهملة في آخره)
خامسا - آرام (بفتح الهمزة والراء المهملة والميم في آخره)
قال المؤرخ المذكور أعلاه ما معناه كان أول من ولد لسام بعد الطوفان حجابور وفي سفر الخليفة من التوراة مع غاية الايضاح والبيان هو ولد المدهو ييلام وهو أبوالقوم المدعوين بالايلاميين الاقدمين الذين كانت مساكنهم ببلاد سوزيان (وهي المسماة ببلاد خوارزم الآن)
وأما أسور فهو والولد الثاني لسام وهو أصل القوم أولى الدولة القوية والصولة الشديدة المعروفين باسم الاسوريين أو الميريانيين الذين كان لهم أعظم منخلة في تاريخ بلاد آسية الجنوبية قال في

التوراة مانعه ، اختط أسور وكلام من مدينة نينوى وريزاته . (مدينة رأس العين ببلاد الجزيرة)
ومدينة كالاش ، ودل على ذلك ما تحقق الآن عند علماء الاقربج المتأخرين من قراءة الكتابات
الاثريّة القديمة من أن اللغة التي كانت مستعملة في إقليم بابل وبلاد كلد (أي بلاد العراق
القديمة) هي عين اللغة التي كانت يتكلم بها في مدينة نينوى وهي اللغة السريانية العتيقة وكان أكثر
الاهالي بتلك البلاد من نسل أسور وهذا وان كان أصل أساس الطوائف الالهية الاصلية فيها هم
من بني حام بواسطة ولده كوش المذكور آنفا حيث كان أول تأسيس السلطنة فيها على يد النمرود كما
ذكرناه سالفاً وخالفاً وبذلك علم ان سكان تلك الاقطار في سالف الاعصار كانت مختلطة من بني سام
وحام وغيرهما من أصول الانام

وأما أرفخشذ فهو ثالث أبناء سام ومعناه في اللغة السريانية متناخم كلد (العراق) ومن ثم علم
انه كان أصل جميع الامم الذين كانوا بأصنيق رابطة النسب عبرانيين وفي تلك الازمان بعد
الطوفان بتلك الاقطار متوطنين ومنهم تناسل العرب والعبرانيون وبين ذلك ما ذكره بالتوراة من
ان من ولد أرفخشذ المذكور عابر الذي هو جد ابراهيم والملة العبرانية وقمطان الذي هو أبو بئيل
العرب الجاهلية الأولى الذين اختلط بهم فيما بعد بنو اسماعيل وصار لهم الغلبة عليهم وبذلك
أيضاً ما سيأتي ذكره (في الباب الثالث) من ان ابراهيم عليه السلام في وقت بعثته كان متوطناً بين
أظهر الكلدانيين

وأما لود فهو أصل أسلاف القوم الاقدمين المسمين بالليديين وبحسب الظن القوي قد كان
هؤلاء القوم قد أقاموا في أول الامر على القرب من بلاد الآسورية والجزيرة ثم هاجروا بعد ذلك في
سالف العصر وتوطنوا في النهاية الغربية من بلاد آسية الصغرى (وهي أرمنية) حيث دلت انظار
علماء هذا العصر الاخير فيما بيني من اللغة الليديّة ورواياتهم الالهية من الشيء اليسير على انهم
من أصل الذرية السامية

وأما آرام فهو وكان نص عليه التوراة اربع أبناء سام وهو أصل نسل قديماء أهل الشام الذين
كانوا متوطنين في الجهات الكائنة فيما بين بحر سقيند والفرات بل قد كان ايضاً من الآراميين جماعة
كثيرة في الجهة الغربية من بلاد الجزيرة ولذلك كان العبرانيون يسمون بلاد آرام الى عدة أقسام
فيقولون

الاول آرام النهرين ويريدون بذلك ما كان يعبر عنه عند اليونان من الجهات ببلاد
الميزوبوتامية أي ما بين النهرين دجلة والفرات (وهي المبرع عن عند علماء الاسلام بجزيرة ابن ف
أو بطلق الجزيرة على الوجه العام)

الثاني بلاد آرام الحقيقية ويعنون بذلك بلاد الشام الاصلية التي كان أقدم كراسيها وأعظمها
من قديم الازمان هو دمشق الشام.

الدرس الثام ٦٩ في التاريخ العام
الثالث آرام سبا وهي القطر الذي فيه فيما بعد تشا ملك مدينة بلير (وهي تدعى)

عائلة يافث — ذكر سفر الخليقة من التوراة انه ولد ليا فث بن نوح عليه السلام بعد الطوفان سبعة صبيان وهم

أولا جومير (بأمة الميم على اليا المثناة من تحت والراء المهملة في آخره)

ثانيا مأجوج

ثالثا ماداي (يساء مثناة تحتية مشددة في آخره)

رابعا نوبال (بالتاء المثناة الفوقية في أوله)

خامسا مسوخ (بضم الميم في أوله وخاء مبهمة في آخره)

سادسا تيراس (بكسر التاء المثناة الفوقية في أوله وسين مهملة في آخره)

سابعا چاوان (وهو المعرب بيونان)

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فلما جومير فهو أصل العشائر القديمة والقبائل العتيقة التي كانت قد توطئت في غابر الأزمان حول بحر بنطس (بضم الباء الموحدة في أوله وسكون النون وضم الطاء المهملة وبالشين المجهة في آخره) وأبحر بنتسكسان وهو المسمى بالبحر الاسود الآن وفي شمال البحر جزيرة الهيلينية (وهي بحيث جزيرة المورة ببلاد اليونان) وقد نسب لجومير هذا في التوراة ثلاثة أولاد وهم

أولا اسكيناز (بفتح الحزرة في أوله والزاى المبهمة في آخره) وهو أصل الاقوام المعروفين الآن من الاوروبوين باسم الجرمان أو الالمان أو الجرمانيسين أو الالمانيسين والاسكنديناوة أو الاسكنديناوين وكانوا حينذاك منضين بالشمال الشرقي من بحر بنتسكسان

ثانيا قدريفات وهو أبو السلت والستيين والغالة أو الغاليين (أي اسلاف أهل البلدة المعروفة باسم فرانسة الآن) وقد كانوا في أول الامر قبل أن يأتوا إلى فرانسة متوطنين بالجبال المسماة في قديم الزمان باسم جبال الريفقة وهي المعروفة الآن بجبال السكربات (ببلاد أوروبا)
ثالثا توجامة وهو أبو الارمن كما علم ذلك من الروايات المأثورة والحكايات التي هي لغاية الآن بين هؤلاء القوم مذكوره

وأما مأجوج (قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في تاريخه الكبير السالف الذكر والبيان) فلا يزال مذكورا في نصوص التوراة (كما هو كذلك في نص القرآن) مصحوبا باسم مأجوج والذي يفهم من اشارات انبياء بني اسرائيل العديدة إلى كثرة مفاسده هؤلاء الاقوام العنيدة هو انهم أقوام مرحلة نزالة كانوا زائرين بجهة الشمال الشرقي المجاور لبحر الخزر وقيل هم قرييون مما يعبر عنه عند اليونانيين باسم الماسيجهتين ومما هم يوسف مؤرخ اليهود باسم السيتيين والظاهر من جميع

ما ذكر في الكتاب المقدس أن يأجوج ومأجوج عبارة عن جميع القبائل العديدين المعبر عنهم عند العلماء الأور وباو بين المتأخرين بالمرتبة التوراتية وهي تنقسم الى نوعين كبيرين أحدهما الاوجريون الفنلنديون والثاني أيضا الى فرعين آخرين أحدهما الفرع التركي وهم أهل بلاد تركستان وصغاري بلاد آسية الوسطانية (ومنهم نسل اترك بن عثمان المستولن على مدينة القسطنطينية الآن) ومنهم كذلك القوم المعروفون بالبحر المقيون ببلاد اوروپة من مدة مديدة من الدهر والثاني الفرع الاورالي الفنلندي وهو يشمل القوم المعروفين باسم الفنلنديين والاستونيين والايثوويين وسائر القبائل المتوطنين بالمنطقة الشمالية من اوروپة وآسية بخلاف قبائل الفرع الثاني من الفرعين المذكورين أنشأوهم الدراويديون حيث كانت مواطنهم بالجهة الجنوبية فهم ما يتركب منهم الالهالي البلديون ببلاد هندستان وغيرهم من الاقوام الذين غلبت عليهم الاقوام الآريون واستولوا على ما كان لهم هناك من الاوطان

وأما توبال فهو أصل القوم المعبر عنهم عند اليونانيين باسم التيماريثيين ومن نسلهم القبائل المتوطنون لغاية الآن بأودية جبل قوقاز

وأما مسوخ فهو أبوا القوم المعبر عنهم في تاريخ هيرودوت باسم المسوخيين الذين كانوا قديمين بالارض الكائنات بين بلاد التيماريثيين المذكورين واقليم افريجية (ببلاد آسية الصغرى) وأما تيراس فهو أصل القوم المعبر عنهم عند اليونانيين باسم الاتراسيين (أهل اقليم تراسية القديمة وهو الجزء الشمالي الشرقي من الايالة المسماة باسم الروملي الآن) ودليل ذلك ما ذكر بكتب مؤرخي اليونان من أن الاتراسيين كان أصلهم من بلاد آسية الصغرى ثم هاجروا في تاريخ لم يزل بعد مجهولا من اقليم بثنية (بكمرباء الموحدة في أوله) وهو الجزء الشمالي الغربي من الايالة المسماة باسم الاناضول الآن) وتعدوا بوغاز هيلسبون أو هيلاسبونوس (وهو بوغاز الدردانيل المدعو الآن باسم بوغازش في قلعه على لسان اترك بن عثمان) وتوطنوا بالاقطار الكائنة على شمال اقليم مقدونية من بلاد اليونان

وأما جاون المعرب يونان فهو أبوا القوم اليونانيين المعبر عنهم الآن بالاجريكيين أو الهيلينيين في بعض الاحيان وذلك انهم كانوا قد خرجوا من الاقطار الجنوبية من آسية الصغرى وامتدت أوطانهم على سواحل البحر المسمى في سالف الزمان باسم بحر ايجية (وهو ما يسمى الآن ببحر الارخبيل أو بحر جزائر اليونان وهو جزء من البحر داخل في الارض من أصل البحر الابيض المتوسط أو بحر سفيد) وكذلك في الجزائر الكائنة في البحر المذكور ومن أبناء يونان أيضا سكان جزائر الارخبيل اليوناني وجزيرة كريداجو بدو كذلك أهل اقليم الايبير (وهو القوم المعروفون الآن باسم الارنتوط) وأصل كثير من سكان بلاد ايطالية الاقدمين والحاصل ان العلماء الأور وباو يبين المتأخرين اتفقت كلهم على وجه العموم لمصادرهم من

أما المرقوم المعلوم على أن من بنى يافث بن نوح عليه السلام بلاداً وروبة كلاً من اليونان والرومان
والجرمان أو الألمان والسلت والاسكندرية والاسلاويين وفي بلاد آسية الفرس وعليه الأقوال
المدعوية بالميديين والبيكرين والطبقة العليا من أهل بلاد الهند المجتمعين تحت اسم الآريين
هذا حاصل ما وضعه المؤرخ فرانسيس لونورمان من التفصيل والبيان في تاريخه الكبير وإن كان قد
يستغنى عنه بما عرّضناه آنفاً من تاريخه الصغير وهو بيان ما ذكره أهل النسب والتواريخ من مجمل
قولهم إن جميع أهل الأرض بعد الطوفان هم من أولاد نوح الثلاثة وهم يافث وشم وحم فسام أبو
العرب والجم والروم وحم أبو الحبشة والزنج والنوبة ويافث أبو الترك والخزر والصفالبة
ويأجوج وماجوج وهو القول الصحيح كما قدمناه وذلك بواسطة ما توضحه أعلامه من تعدد نسلهم فليعلم
ذلك وهو غاية ما هنالك

المسألة الخامسة

مطلب - تفصيل ما أجعل في ما سلف عن المؤرخ فرانسيس لونورمان من الكلام على
مراتب لغات نوع الإنسان

قال في القاموس ما نصه واللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم جمعها لغات ولغون ولغوا
لغوا بكم اه وفي المصباح ونفى بالامرئ يني من باب تعجب لمجبه ويقال اشتقاق اللغة من ذلك
حذفت اللام وعوض عنها الهاء وأصلها القوة مثال غرقة وسمعت لغاتهم أي اختلاف كلامهم
اه وفي الصحاح واللغة أصلها النفي أو لغوا أو الهاء عوض وجمعها النفي مثل بره وبرى ولغات أيضاً
وقال بعضهم سمعت لغاتهم بفتح التاء وشبهها ببناء التي يوقف عليها بالهاء والنسبة اليها لغوي
ولا تقل لغوي اه صحاح

وحاصل ما يفهم من أقوال اللغويين المنقولة أعلاه فضلاً عن اختلافهم في أصل ما أخذ لفظ اللغة
واشتقاقه ومبناه هو أن اللغة عبارة عن أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم في معاملاتهم
ومخاطباتهم ويعبر عنها أيضاً بالجملة قال علماء اللغة اللغة الالفة للسان ويعبر عنها أيضاً باللسان من
باب تسمية الشيء باسم آلهة الأصلية وهل اللغات الانسانية هي من الاوضاع الالهية أو البشرية هذه
مسألة خلافية مشهورة بين العلماء الاوروبيين والاسلاميين والاصح عند الاقرن نفي انهما من الاوضاع
البشرية ناشئة عن القوى الادراكية الخصوصية والمزايا النطقية التي ادعها الله سبحانه وتعالى
في نوع الانسان دون سائر أنواع الحيوان وعلى كل حال من هذه الاحوال وبناء على كل قول من
تلك الاقوال فتاريخ أصل منشأ اللغات البشرية في مبادئ تلك الحقبة الدهرية هو امر لم يزل بعد
من قبيل النجول اذ لم يستدل على حقيقة حاله بمقول ولا مقول كما أن حقيقة حال ذات الانسان
في مبادئ امره لم يوفد عليها غاية الآن وغاية ما يصح أن يقال في هذا النجوال كما هو

ملخص ما شرحه المؤرخ فرانيس لوتو رومان في تاريخه الكبير تقسلا عن بعض علماء اشتقاق اللغات فيما يتعلق بهذا الامر في هذا العصر الاخير هو ان اللغات البشرية هي العموم لايد

وانها مرت بثلاثة احوال دورية وان منها ما وقف عند بعضها ومنها ما يتجيمعها وهي الاولى الحالة المقطعية بمعنى ان اللغات الادمية كانت مركبة في الاصل من مقاطع لفظية أي كلمات ساذجة بسيطة غير متصرفة ولا متغيرة الاخر ينطق بها الصوت دفعة واحدة وكانت تلك الكلمات اسماء وافعالا في أن واحد بحيث تدل على معناها باقطع النظر عن كيفية استعمالها والذي يخصص المعنى المراد منها من الفعلية والاسمية انما هو كيفية اقتجادها مع غيرها من الكلمات المستعملة في الجملة الكلامية وهذه هي حالة اغلب لغات المرتبة الالهية الصغرا المعبر عنها باللغات التورانية (أي التتارية وانغات أهل الصين القديمة والحديثة ولغات أهل الهند والصيني على وجه العموم وغيرهم ومن هذا القبيل اصل اللغة التركية العثمانية وان كانت قد ترقت بالاخذ من اللغة العربية والفارسية على حسب ما صار اليه اهلها من الحالة التعبدية)

الثانية الحالة الالتصامية أي اللغات التي ينضم فيها الى أصل بنية الكلمات الاصامية حروف زوائد لدلالة على اختلاف الاحوال المرادة منها وهي وان كانت متصرفة متغيرة الاواخر أيضا كاللغات المتصرفة التالامية لانهم لم يبلغ من حسن الحال لما عليه لغات الحالة الالية بدم من درجة السكالم

الثالثة الحالة التصريفية أي اللغات ذوات التصريف بمعنى التي يعتري كلماتها من احوال التغيرات الاخرية وان تصريفات الفعلية ما يدل على اختلاف أنواع الدلالات المتنوعة حسبما يتنضيه اختلاف انواع الاستعمالات المتفرعة من العدد أي الافراد والتثنية والجمع والجنس أي التذكير والتأنيث والزمن أي الماضي والحال والاستقبال وما ينزع عنه من احوال الغيبة والتكلم والخطاب وغير ذلك من الاحوال حسبما يتنضيه المقال وهذه هي حالة لغات بني سام وياقت المعبر عنها باللغات السامية أو اللغات الاوروبية الهندية أو اللغات الآرية (أي لغات سكان بلاد الهند الاقدمين المعبرين بالاريا والاربيين) ومن ثم فهم ان مرتبة اللغات المتصرفة تنقسم الى طائفتين كبيرتين وفصيليين أصليتين احدها اللغات السامية والثانية اللغات الاوروبية الهندية أو الآرية والى هاتين الطائفتين اللغويتين ترجع لغات جميع الأمم المتمدنة الشهيرة والملل المخضرة الكبيرة التي تذكر تواريخها في ضمن قسم التاريخ القديم ولذلك لزمنا هنا ايها الاخوان ان نسردها لكم لتكون عندكم من المعلوم فنقول

أما اللغات السامية فهي ثمانية

الاولى اللغة العبرانية وهي التي سكان يشكلمها بنو اسرائيل والفنيقيون يتيقن وسائر القبائل

الكنعانية

الثانية اللغة الآرامية وهي التي كان يتكلم بها في سالف الزمن ببلاد سورية (بلاد الشام) وهي تنقسم الى عدة فروع وأقسام احدها ما يعرف باللغة الآرامية التوراتية وهي التي تألف بها بعض أسفار التوراة في القرن السادس قبل ميلاد المسيح عليه السلام الثاني الآرامية الترجمة وهي التي كتب بها ترجمة التوراة أي تفاسيرها التي تحورت في أوائل التاريخ المسيحي الثالث اللغة السورية الكلدانية وهي اللغة العامية التي كان يتكلم بها اليهود ببلاد فلسطين بعد فساد لغتهم العبرانية في وقت ظهور عيسى عليه السلام وكتب بها تأليفات اجارهم السمعية باسم التلمود (بالشاء المثلثة في أوله) الرابع اللغة النبطية وهي لغة قدماء سكان الشمال الغربي من جزيرة العرب الخامسة اللغة السامرية (نسبة الى الارض السمعية باسم ساحر به بلاد فلسطين) وهي اللغة التي حدثت على الارض المسكونة باحد الاسباط أي قبائل بني اسرائيل القديمة المدهو بسبط اقرايم بعد ان افتتحها الاسوريون ثم بقيت بصفة اللغة الادبية عند القوم المعروفين من اليهود بالسامريين وهم معتزلة بالديانة اليهودية

الثالثة اللغة السبئية (نسبة الى سبأ) وهي اللغة المستعملة لغاية الآن عند القوم المدهوين بالنسبيين المتوطنين في جنوب حوض الفرات وهم قوم وثنيون يتدينون بملذهب ديني مخصوص متكون من بة ما ياجاهلية الاسوريين والفرس الاقدمين

الرابعة اللغة السورية وهي اللغة التي كان يكتب بها في كل من بلاد ايديس (وهي أورفة) ونهبييين أو نصيب (وهي انطاكية) من بلاد الجزيرة في القرن الثاني لغاية القرن السادس من تاريخ المسيح

الخامسة اللغة الاسورية أو الصريانية وهي التي كان يتكلم بها أهل مدينتي بابل ونينوى وبها عثر الآن على بعض كتاباتهم الماثورة من قديم الزمان السادسة اللغة الحيرية وهي لغة أهل جنوب جزيرة العرب في سالف المدة العصرية ولا يوجد منها الآن غير بعض كتابات أثرية

السابعة اللغة الغيزية (بالعين المجحة في أوله) وهي لغة بلاد الحبشة القديمة وقد كانت موجودة في تلك البلاد الافريقية حتى بعد ان تمكن بهادين النصرانية أعني في القرن الثالث من تاريخ المدة الميلادية

الثامنة اللغة العربية وهي التي يتكلم بها لغاية الآن دون جميع اللغات السامية التي كانت مستعملة في سالف الزمان وتتفرع الى بعض لغات يسيرة لا يختلف بعضها عن بعض مخالفة كبيرة وهذه اللغة وان كانت في سالف الزمان لم تكن الالغة في اسماء اهل أو معدل كمنها قد انتشرت

فيما بعد بانشار القرآن في كثير من البلدان بهذا الزمن من عند أقليم بابل لغاية مراکش ومن عند بلاد سورية لغاية بلاد اليمن

فهذه هي جملة اللغات المعبر عنها بالسامية وهناك طائفة لغوية أخرى من اللغات الحامية تشاركها فيما لها من الهيئة والمزية يعبر عنها باللغات النيلية لتكون معظمها ولا سيما أهمها وأعظمها وهي اللغة المصرية القديمة كان يتكلم بها من أبناء حام الاقوام المتوطنون بوادي النيل وأعظم القبائل التي هي من هذا القبيل هي

أولا - اللغة المصرية القديمة المعبر عنها بالقبطية أو بالهيروغليفية وهي أقدم اللغات التي بقيت لسانها كتابات أثرية وكانت قد بقيت يتكلم بها لغاية القرن السابع عشر من المدة المسيحية ثم غلبت عليها اللغة العربية فانعدمت بالكلي ولم يبق لها أثر الا في صورة الادعية والصلوات التعبدية المستعملة عند قس الطائفة النصرانية المصرية المعروفة بالقبطية

ثانيا - لغة القوم المعروفين باسم الجلي (بفتح الجيم المجبة واللام المشددة المفتوحة) ببلاد الحبشة وما لحق بها من سائر اللهجات المتنوعة التي يتكلم بها الطوائف السودانية المتوطنة فيما بين النيل الأبيض (المعبر عنه بالبحر الأبيض) والبحر الأحمر وان أهل جزيرة مدغشقر ولغات بلاد انوبة وكردفان وهي كثيرة لا حاجة لحصرها غير ان لا بأس بأن يقال ان منها اللغة المسماة بالبشارية التي لم يزل يتكلم بها القوم المسمون بهذا الاسم والظاهر انها بقايا اللغة التي كان قد كتب بها الكتابات الهيروغليفية المأثورة عن الدولة الاثيوبية بمدينة ميرويه القديمة (التي كانت موجودة في سالف الزمان ببلاد السودان وهي بامالة فتحة الميم على ياء مفتوحة تعني يلها را) مهملة معجمة ثم وافتوحة بعد ياء مفتوحة تعني ساكنة فهاء ماكنة أيضا كما تحرفه سيميويه) وكذلك لغات أم البربر (بلاد المغرب) وهي بقايا اللغة الليبية القديمة ولم يزل يتكلم بها القبائل المتوطنة في جهة الشمال والشمال الغربي من أفريقيا كاللغة المعروفة بلغة القبائل ببلاد الجزائر المغربية ولغة الطوارق وغير ذلك مما يطول شرحه

فهذه هي طائفة اللغات الحامية النيلية وهي وان كانت مرتبة لغوية خصوصية تقابل مرتبة بني حام في جملة ما سلف ايضاحه من مراتب الانسال النوحية غير انه استقر الحال عند علماء اشتقاق اللغات من الافرنج المتأخرين على ان يبينوا بين لغات بني سام من العلائق القرابية والروابط النسبية ما يقتضي ان تعد منها وان كانت هي مرتبة من اللغات منفردة عنها وكان لغات بني سام وحام كانت في الاصل واحدة كما قال به بعضهم وذهب اليه وتقدم في موضعه النبيه عليه

وأما اللغات الباقية المعبر عنها ايضا بالهندية الاوروباوية واللغات الآرية فهي كثيرة جدا لا تكد تنحصر هذا ولا يكتب امرتبة على ست مراتب فرعية

الاولى - اللغات الهندية وأصلها اللغة المعروفة باسم السنسكريت أي اللغة الالهية وهي اللغة المقدسة بمعنى المطهرة المحترمة عند أهل الهند حيث يوجد بها كتب آيات أصول ديانة أرباب المذهب المعروفين بالبراهميين وتدوين علومهم وهي لغة عتيقة كان يتكلم بها في بلاد الهند مدة أكثر من عشرين قرناً بقيت عندهم فيما بعد بصفة لغة أدبية وتولد منها اللغة المسماة بالبيالية التي كان يتكلم بها في سالف الزمان بشرق ولاية هندستان ثم صارت هي اللغة العلمية لأرباب المذهب المعروفين باسم البوديين في جزيرة سيلان والمادورة والهند الصينية وسلطنة برمان (بكسر الباء الموحدة في أوله) وكذلك لغيات بلاد الهند العامية التي كان يتكلم بها في تلك البلاد فيما قبل الميلاد ثم اللسان المتنوعة المتفرعة عنه فيما بعد وهي الهندى والهندستانية والبنغالى والاوزبانية والمهراتى والنيبالى وغير ذلك

الثانية - اللغات الإيرانية وأصلها اللغة المسماة بالزندية وهي أصل اللغة الفارسية ومن هذه المرتبة أيضاً من اللغات التي يتكلم بها لغاية الآن اللغة الافغانستانية والديولوشية والكردية والارمنية وغير ذلك

الثالثة - اللغات اليونانية اللاطينية المعماة أيضاً بالبيلاجية فأما اليونانية فهى معلومة وأما اللاطينية فهى لغة أهل بلاد ايطالية القديمة ومنما تفرعت في مدة القرون المتوسطة جميع اللغات الافرنجية المستعملة الآن في بلاد أوروبا الجنوبية كالأيطالية والفرنسية والبروتونية والاسبانية والبرتغالية ولغة بلاد الجريزون (من جمهورية أسونجيهريلا بلاد الأوروبية) ولغة ولايتى الافلاق والبقدان المسماة الآن باللغة الرومية

الرابعة - اللغات القبطية الاسلاوية ومن هذه المرتبة القبطية اللغة الليتانية والبروسانية والاسلاوية وهى المستعملة في صور الادعية والصلوات التعبدية بكائس بلاد الروسية والبلغارية والروسية والصربية والمجارية والتشكية والبوهيمية وغير ذلك

الخامسة - اللغات الجرمانية والالمانية وهى على فرعين أحدهما الجوتى أو الفوتى (بالجيم أو الفين المجهمة) واليه ترجع اللغة الاسكندنافية القديمة المسماة بالنورسية وهى أصل اللغة الدانيمركية والاسويجية وكذلك اللغة السكونية التى هى أصل الانجليزية واللغة الالمانية السفلى التى هى أصل الفنلندية والثانى الفرع الالمانى الاصلى واليه ترجع اللغة الالمانية العليا والسوابية والنمساوية والفرانكونية

السادسة - اللغات السلتية وهى أيضاً على فرعين أحدهما الأيرى طانية والثانى الغالية والى كل منهما يرجع بعض لغات فرعية لم يزل يتكلم بها لغاية الآن في بعض الجزائر الأيرى طانية (جزائر بلاد الانجليز) وبعض الاقاليم الفرنسية (أه هذا المطلب) والذى قبله معربان تاريخ فرانكيس لونيورمان الكبير

المسألة السادسة

مطلب - ابن كانت جنة عدن التي كان قد وضع فيها أبونا آدم في أول الأمر ثم أخرج منها وهل كانت في السماء أم في الأرض وماذا كان صنف نوع الشجرة التي كان الله سبحانه قد نها عنها هذه مسألة لم تحل بعد لغاية هذا العهد عند العلماء الأورباويين ولا عند العلماء الإسلاميين أما الشق الأول منها فهذا هو تعريفا بما ذكره فيه المؤرخ فرانسيس لونورمان عند الكلام عليه في تاريخه الكبير كما هو بعد مسطور قال المؤرخ المذكور وكان مسألة تعيين تاريخ معين لاولية خلق الإنسان هو ما لا حاجة اليه ولا استدقوا يشهد له ولا عليه فكذلك يقال في حق من تتعلق منه الآمال بتعيين المكان الذي قد كان فيه أول مهذب لنوع الإنسان ولا ابن كان موضع جنة عدن من الجهات على حسب ما يفهمهم من التوراة حيث لم يرد فيها دليل قطعي في هذا الموضوع ولكون احد علم المفسرين لها وأكثرتهم تعلقا بالاعتقاد فيها توفوا في هذا المشروع فوجب علينا أن نتقدي بهم في ذلك ونقتصر على ما اشتر من القول العام فيما نالك وهو القول بان بلاد آسية هي التي كانت أول مكان لأول عائلته من نوع الإنسان وأول مهذب لكل تمدن وعمران اه كلامه وهو الصواب وان كان أكثر المتنلسقين من العلماء الأورباويين على ان جنة عدن كانت بالأرض فيما بين دجلة والفرات وكثيرا ما يعبرون عنها بالجنة الأرضية ومن المعلوم ان معنى الجنة البستان وكون جنة عدن بالأرض هو ما يجنب اليه أكثر ميل علماء الإسلام وان كانوا توقفوا في هذه المسألة أيضا عند تفسير ما ورد فيها من الذكر في القرآن قال المولى أبو السعود رحمه الله عند تفسير قوله تعالى «وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلاما منها حيث شئتما رغدا ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين» مانصه

« والمراد بها (أي بالجنة) دار الثواب لانها المعهودة وقيل هي جنة بارض فلسطين أو بين فارس وكرمان خلقها الله تعالى امتحانا لآدم عليه السلام وحمل الاهباط على النقل منها الى أرض الهند كما في قوله تعالى «اهبطوا مصر» لما ان خلقه عليه السلام كان في الأرض بلا خلاف ولم يذكر في هذه القصة رفعه الى السماء ولو وقع ذلك لكان أولى بالذكر والتذكير لما أنه من اعظم النعم ولانها لو كانت دار الخلد لما دخلها ابليس وقيل انها كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم ان الاهباط الاول كان منها الى السماء الدنيا والى منها الى الأرض وقيل الكل ممكن والدلة النافية متعارضة فوجب التوقف وترك القطع اه

وأما الشق الثاني اعني تعيين نوع الشجرة المأ كول منها فهو ايضا مما كثرت فيه الاقوال قال المولى أبو السعود رحمه الله في تفسير الآية الثمرة المذكورة علاه والمراد بها (أي بالشجرة) الجنة أوالعنبه أو التينة وقيل هي شجرة من كل منها احدث والاولى عدم تعيينها من غير قاطع اه والله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقة الحال

المسألة السابعة

مطلب - أصل منشأ الممالك القديمة في وادي النيل والفرات والدجلة (معربان مختصر التاريخ القديم تأليف ويكتور دوروي) قال مؤلف الأصل ماعناه ان ما ذكر اعلاه فيما يتعلق باولية الدنيا هو ما اقتصر في سفر الخليفة من التوراة وتضمن فيها أيضاً هل أن النمرود قد كان أول رئيس تقلد بسبب اساسة الامم والممل غير أن سفر الخليفة من التوراة لم يتعرض فيه لبيان تأسيس اقدم الدول فيما سلف من تلك الاعصار الاول ولم يصل علم العلماء بعد من الاستكشافات التي حصلت في هذا الوقت لما يسد فراغ ما حصل عليه منها الصمت وغاية ما يمكن أن يقال في هذا المجال هو انه يظهر كون الناس قد اجتمعوا من أول الامر على هيئة الاجتماع والاتناس والتعاون بعضهم ببعض على نهر الارض وانهم توطنوا في سالف العصر على شواطئ الانهار الكبيرة التي اخضبت مياهها تلك الاقطار الشهيرة من الديار المصرية وبلاد الآسورية (بلاد العراق) حيث كانت طرق المعاش في تلك السهول سهلة الحصول لتكون الاقوات الضرورية فيها تكاد ان تخرج منها بمجرد القوة الطبيعية (أي من غير معالجة صناعية) (قال مؤلف الأصل) ولكن متى كان أول اجتمع الناس على هيئة الجمعية البشرية وباهل ترى من كان رؤساهم الاولين وزعماءهم السابقين وكيف كانت احوالهم وماذا كانت اعمارهم لا تدرى ولا تخال تدرى بل لانزال نجهل حقيقة هذا الامر الى آخر الدهر (امعربان مختصر التاريخ القديم للتورخ ويكتور دوروي)

مسائل

تتضمن على وجه الاختصار ما تقدم في هذا الباب الاول من الفوائد والافكار

مسألة عمر الدنيا

معلومات أولية وتقسيمات أصلية

- ١ - ما المراد بالقرن لغة واصطلاحاً
- ٢ - ما المراد بالسنة أو العام والشهر والاسبوع واليوم والساعة والدقيقة والثانية والثالثة الزمنية
- ٣ - ما المراد بالشهر القمري أو الشمسي
- ٤ - ما المراد بالسنة القمرية أو الشمسية وما المراد بالسنة البسيطة أو الكبيسة وما عدد أيام كل واحدة منها
- ٥ - ما الفرق بين عدد أيام السنة القمرية والشمسية البسيطة والكبيسة وماذا ينبغي على ذلك
- ٦ - ما السنة القبطية وما الفرق بينها وبين السنة الشمسية المتعاقبة
- ٧ - ما المراد بالقرن القمري أو الشمسي
- ٨ - ما معنى العصر والهدى
- ٩ - ماها التاريخان اللذان يحتاج اليهما في تعليم علم التاريخ العام هناس تواريخ الامم المختلفة
- ١٠ - ما المراد بالتاريخ المسيحي أو الميلادي وما مبدؤه
- ١١ - ما المراد بالتاريخ الهجري وما مبدؤه
- ١٢ - ما قدر الفرق بين التاريخ الميلادي والهجري
- ١٣ - ما المراد بمسألة عمر الدنيا وهل هي مسألة اتفاقية أم خلافية
- ١٤ - ماها القولان الاقرب للصحة من جملة الاقوال العديدة التي تشعب اليها الخلاف في هذا المجال وما أصل تشعب هذا الخلاف
- ١٥ - ما الذي يتضمنه الذوق الدليم ويقع في به العقل المستقيم فيما يدعيه بعض الامم من الاسبقية في القدم وماذا يصح التثبت به في تحقيق هذه المسألة التاريخية
- ١٦ - ما هو القول الذي يلزم اتخاذه مبدأنا ونحنيا ومنشأ زمنيا للشي عليه هنا طريقة تحويل التاريخ الميلادية الى الهجرية
- ١٧ - ما هي القاعدة العمومية في تحويل التاريخ الميلادية الى الهجرية وما كيفية توضيحها بالامثلة العملية

- ١٨ - كيف قسم المؤرخون الاور وبايون التاريخ القديم بالخصوص من حيث السقاة وعدمها
- ١٩ - ما المراد بالاعصار الاولى
- ٢٠ - ما المراد بالاعصار الخرافية والى كم قسم تنقسم
- ٢١ - ما المراد بالاعصار الوثنية والبطلية والنبوية والشعرية
- ٢٢ - ما المراد بالاعصار التاريخية والى كم قسم تنقسم وما المراد بالمدة التشريعية

ملحوظات عامة

تتعلق بالتاريخ القديم على وجه العموم

- ٢٣ - الملاحظة الاولى — ماذا يلحظ فيما يتعلق بتاريخ اليونان والرومانين في جملة التاريخ القديم على وجه العموم من حيث كونه منتظما أو غير منتظم وما هو القول المروى في هذا المعنى عن المؤرخ ويكتوردوروى
- ٢٤ - الملاحظة الثانية — ماذا يلحظ من حيث الانتظام وعدم الانتظام في شأن تواريخ باقي الامم القدم وماذا قال المؤرخ ويكتوردوروى في هذا المقام
- ٢٥ - الملاحظة الثالثة — ماذا يلحظ في شأن تاريخ جميع الامم المذكورين فيما يعبر عنه بالتاريخ القديم على وجه العموم حسبما تراكى للمؤرخ ويكتوردوروى وماذابنى على ذلك لتاريخ القديم من التقسيم
- ٢٦ - يقتضى التوضيح والبيان الطريقة التاريخية الجديدة التى مشى عليها المؤرخ فرانسيس لونورمان وماذابنى عليه طريقة هذه من أقوى الاساس والبنيان
- ٢٧ - وحينئذ فاهما الطريقة التاريخية المستعملتان عند متأخري علماء الافرنج الآن وما اس كل واحدة منهما وما اصولهما
- ٢٨ - ما درجة قوة الاعتماد التى يعتمد عليها وما كيفية الاستناد التى يستند اليها في تعليم علم التاريخ العام بهذا الدرس التام
- ٢٩ - ما عدد الابواب التى يفحص فيها الكلام على قسم التاريخ القديم على مقتضى هذا الوجه من الاستناد القويم

الباب الاول

افكار تقديمه وفوائده ومجده

٣٠ - ماهي المدة التي ينحصر فيها الباب الاول الكلام وكونه يعبري عليها الانقسام على حسب ما يؤخذ من كلام بعض علماء الازمان الاورويانيين وماعدا ذلك المدة على حسب قول بعض المؤرخين الاسلاميين وما حال اقوال علماء التاريخ في توقيت الحوادث بتلك الاعداد التاريخية على وجه عام

الفصل الاول

- ٣١ - ماعدا المدة التي يتكلم عليها الفصل الاول من الباب الاول وما بعد اها وما غايتها من اصل جملة عر الزمان
- ٣٢ - ما اصل ما أخذ تاريخ أوائل الانسان وهل يمكن الوقوف على حقيقة احوال أولية الدنيا قبل الطوفان و بعد الطوفان
- ٣٣ - ما كيفية ترتيب خلق المخلوقات حسب ما ذكر في التوراة وما الحالة الاولى التي كان الله سبحانه وتعالى خلق عليها الانسان ثم ماذا وقع منه بعد ذلك وماذا ترتب على ما حصل منه من العصيان
- ٣٤ - من هو اولاد آدم الاولان وماذا كانت حرفة كل واحد منهما وما أول خطيئته قتل نفس وقعت في الدنيا وماذا ترتب على هذا البني والعدوان
- ٣٥ - ما أول مدينة أنشئت في الدنيا
- ٣٦ - كيف كان الله سبحانه وتعالى قد خلق نوع الانسان من حيث الهبات اللغوية العقلية والبدنية وأي عائلتي ولدي آدم الاولين ينسب اليهم اختراع الفنون الصناعية
- ٣٧ - من ولد أنوش بن قابيل ومن هم ولدوله وما هي الخاصية التي ذكر بها كل واحد منهم في التوراة
- ٣٨ - من هو ولد آدم الذي بقيت في عقبه فضيلة حفظ الروايات الدينية المأثورة عن النبوة الاولى والى من انتقلت هذه الفضيلة بعد الطوفان
- ٣٩ - من هم أبناء شيث بن آدم وماذا ذكر في التوراة لتلخوخ أو ادريس بن شيث من خواص الصفات
- ٤٠ - من هم ولدحنوخ وماذا ذكر في التوراة لكل واحد منهم من خواص الصفات وما عموما النسب من آدم الى نوح عليهما السلام

- ٤١ - هل ما ذكره تقيلا عن التوراة من تناسل بني آدم لغاية نوح عايمها السلام هو موافق لما تناقلته أقلام الرواة من مؤرخي الاسلام أم كيف الحال في هذا المقام
- ٤٢ - ماذا دللت عليه الاستكشافات العلمية الجيولوجية الاخيرة فيما يتعلق بأصل وجود نوع البشر وكيفية مباديه في اول الامر
- ٤٣ - كيف كانت درجة الهواء الجوفية من الكرة الارضية في تلك الازهار الاولى وماذا يبنى على ذلك من حيث ما قضى الله به من العقوبة على بني آدم في تطير الخطيئة الابوية
- ٤٤ - كيف كانت حالة الناس قبل الطوفان من حيث مادة التمدن والعمران وماذا ثبت بدليل الاستكشافات الجيولوجية من حيث انتشار نوع الانسان على سائر البلدان من الكرة الارضية بالنسبة لما هي عليه الآن واين كان اول مهد لنوع الانسان وماذا كانت قد بلغت اليه غاية درجة التمدن والعمار في تلك الازهار
- ٤٥ - ما زبدة قصة الطوفان على حسب ما ورد في نص التوراة من الايضاح والبيان وهل لذكرى هذه الحادثة العظيمة آثار في ضمن الروايات الالهية المتداولة عند بعض الامم القديمة غير العبرانيين وما قول العلماء الجيولوجيين في شأن هذه المسألة الجسدية
- ٤٦ - في أى مكان كان الجبل الذي وقعت عليه سفينة نوح عليه السلام وما كيفية تعقيق هذا المقام
- ٤٧ - كيف عرف نوح عليه السلام ان المياه قد تقشعت عن الارض وماذا افعل من العبادات والاعمال بعد النجاة حسب ما ورد في التوراة وكم عمر نوح بعد الطوفان وما جملة عمره من الزمان

الفصل الثاني

- ٤٨ - ما مقدار المدة التي يتكلم عليها في الفصل الثاني من تاريخ الانسان بعد الطوفان على مقتضى بعض الاقوال التي قيلت في هذا الشأن
- ٤٩ - هل كانت مدة اعمار بني آدم بعد الطوفان كما كانت قبل الطوفان وماذا آلت اليه بالنسبة للاعمار البشرية المعتادة الآن وهل هذه القاعدة كانت كلية ام لها بعض احوال استثنائية
- ٥٠ - ما قصة حادثة تفرق الامم بعد الطوفان الى سائر البلدان وما هم المكان الذي كان قد اجتمع فيه بنو نوح عليه السلام من بلاد آسية بعد الطوفان واين كان ذلك المكان وما منشأ تنوع ضربات اللغات والانسال الثلاثة البشرية التي تعمرت بهم الارض بعد الطوفان

- ٥١ - ما كيفية توزيع ذراري نوح عليه السلام في أقطار الأرض المعمورة على وجه عام
- ٥٢ - في زمن أي ولد من بني سام كانت حادثة تبليل الألسن وتفرق الأمم في سائر البلدان على حسب ذكر المؤرخ فرانسيس لونورمان وما القول الذي يقابله من أقوال علماء الإسلام
- ٥٣ - هل في نصوص التوراة ما يمنع من الظن بأن بعض عشائر من بني نوح كانوا قد هاجروا من مركزهم قبل حادثة تفرق أكثرهم وما دليل ذلك
- ٥٤ - من كان أول المهاجرين من بني نوح عليه السلام عن مركز الاجتماع الأصلي وما كيفية سير بني حام في عمارة الأرض بعد الطوفان وأي بني نوح دعا عليه أبوه وماذا ترتب على تلك الدعوة من المتربات حسب ما ورد في التوراة
- ٥٥ - من كان ثاني المهاجرين من بني نوح عن مركز الاجتماع الأصلي وما كيفية سير بني سام في عمارة الأرض بعد الطوفان ومن هم الملل المتناسلون منه
- ٥٦ - من كان آخر المهاجرين من بني نوح عليه السلام عن مركز الاجتماع الأصلي وما معنى لفظ يافث في اللغة السريانية القديمة ولما ذاهمي بذلك وما الداعي لعدم ذكر شعوب بني يافث في التوراة وماذا توصل علماء الأفرنج المتأخرون لاربعاءهم إلى ذلك النسل الأولى
- ٥٧ - ما حزية بني يافث على النسلين الآخرين وما أصل ذلك حسب ما ورد في نص التوراة
- ٥٨ - ما سائر اللغات البشرية الأصلية وما هي الأدلة التي توصل بها علماء الأفرنج المتأخرون لترتيبها وما حاصل ما تحقق عندهم في هذه المسألة العلمية
- ٥٩ - ما ذائب عند علماء الأفرنج المتأخرين في شأن اللغة القبطية القديمة بالخصوص

تتممة

المسألة الأولى

- ٦٠ - ما حاصل ما ذكر في شأن عمارة الأرض بيني نوح عليه السلام وبعد الطوفان وما الدليل العقلي على هذا الإثبات فضلا عن الدليل النقل الذي يؤخذ من صريح التوراة
- ٦١ - ماذا كان يظن أولاً في شأن لغة المصريين القديمة وماذا تحقق عند علماء الأفرنج المتأخرين في هذا الخصوص وما كيفية التوفيق بين هذا القول وما سبق عن المؤرخ فرانسيس لونورمان من النقل في النصوص
- ٦٢ - ما الذي استقر عليه الحال في كيفية عمارة الأرض من بني نوح عليه السلام بعد الطوفان

المسألة الثانية

- ٦٣ - ما كبقية ترتيب سكان الكرة الارضية على ثلاث مراتب أصلية وما حثية تباينها
- ٦٤ - ما هي المرتبة الاولى وما المراد بها وما الداعي لتسميتها بالقوازية وما مكانها من الكرة الارضية وما الصفات الاصلية التي تتميز بها هذه المرتبة الالهية من الصفات الحسية والمعنوية
- ٦٥ - ما هي المرتبة الثانية وما المراد بها وما اذا سميت بالمغلية وما مكانها من الكرة الارضية وما الصفات التي تتميز بها هذه المرتبة الالهية من الصفات الحسية والمعنوية
- ٦٦ - من اقصر سكان الارض المعمورة ومن أي مرتبة أهلية هم من هذه المراتب المذكورة
- ٦٧ - ما هي المرتبة الثالثة وما مكانها من الكرة الارضية وما الصفات الاصلية التي تتميز بها هذه المرتبة الالهية من الصفات الحسية والمعنوية وما درجتها من حيث التمدن والفهم بالنسبة للمرتبتين السالفتين
- ٦٨ - ما الفرق بين المراتب الالهية الاصلية والثانوية
- ٦٩ - ما أشهر المراتب الالهية الثانوية وما هي الصفات التي تتميز بها عن المراتب الالهية الاصلية
- ٧٠ - من أطول سكان الارض المعمورة وما المرتبة الثانوية التي هم منها
- ٧١ - ماذا ثبت عند علماء الافرنج المتأخرين في شأن تمدن أهل امريقة الاصلين في سالف الزمان وما حقيقة حالهم الآن

المسألة الثالثة

- ٧٢ - هل جميع سكان الارض من نوع الانسان هم من أصل نسل واحد ونوع متحد كسائر أنواع جنس الحيوان ام كيف الحال يقتضي توضيح ما قيل في هذه المسألة من الاقوال وما الحق به كل صاحب مذهب لمذهب من وجوه الاستدلال وما القول الاصح والمذهب الارجح من هذه الاقوال

المسألة الرابعة

- ٧٣ - بيان قنائل ابتناء نوح عليه السلام - من هم اولاد حام وسام ويافتش ومن هم الامم والاقوام المتفرعة عن ذرية كل واحد منهم

المسألة الخامسة

٧٤ - بيان مراتب اللغات البشرية - ما المراد باللغة وما هي اللفاظ المرادقة لها وما هي الاحوال الدورية التي يقتضى ان اللغات البشرية قد مرت بهم اعلى تمادى الاعصار وما مرتبة اللغات السامية وكم هي وما هي والحامية والياقنية وما مراتبها والفرع المتفرعة عنها

المسألة السادسة

٧٥ - اين كانت جنة عدن التي كان قد وضع فيها آدم في أول الامر وهل كانت في السماء ام في الارض وما معنى الجنة وما نوع الشجرة التي أكل منها وماذا قال علماء الافرنج والاسلام في هذا المقام

المسألة السابعة

٧٦ - ماذا قيل في شأن الممالك القديمة بعد الطوفان وما اقدم الممالك في سالف الازمان



الباب الثاني في تاريخ المصريين والفراعنة المتقدمين

اعني تاريخ الديار المصرية والنيل وما يعتريه من الاحوال السنوية واخبار دول الفراعنة السالفين في الاعصار الفارسية من اول عهد تأخيس الدولة الفرعونية في الديار المصرية لغاية اقتناحها بالدولة الفارسية
وأصل ما اتخذ هذا الباب الاصلية هو

اولا من كتب التواريخ المأثورة عن مؤرخي السلف من اليونان والروم وغيرهم
ثانيا من مجاميع النصوص الاصلية وذات الكتابات الاثرية الاولية التي حصل العثور عليها
في نواويس قدماء المصريين وقبورهم واطلال عماراتهم وقصورهم وغير ذلك
ثالثا من تأليفات متأخري العلماء الاورو باويين واهل الخبرة بأحوال المصر بين المسلمين
بالايمينييتولوجيين وسياحات السياحين من الافرنج العصرين

افكار تقدمية وفوائد عمومية

تجرت عادة المؤرخين الزور و باو بين بأنهم يتدوّن من الامم المذكورين في قسم انتاريخ القديم بتاريخ العبرانيين وكثيرا ما يفرّدونه بالتأليف ويعلمونه لاطفالهم في المدارس الابتدائية باسم التاريخ المقدس أي المظهر الشريف وأكثرهم على الابتداء من ذلك بتاريخ قدماء المصريين والفراعنة المتقدمين وهي طريقة الجمهور ومذهب الجم الغفير وقد استصوب بنا المشي على هذا المسلك الاخير لكون هذا البلد العظيم هو بلدنا وهذا الوطن الكريم هو وطننا واول ما يقتضي للانسان أن يتخلى به من انواع العرفان هو ان يعرف تاريخ وطنه ويقف على حقيقة التغيرات التي اعترت هيئة تمدنه واذا كان هؤلاء الاقوام من الافرنج الذين هم بدنيتمنا كفار وليسوا المصريين العمار يضربون آباط آلات البخار ويوقدون لسرعة سيرها في البرور والبحار

فنازل الفهم الحجري من شدي وقود النار و يهرعون من أقصى بلادهم لمشاهدة ما في على
 بحر الاعصار لاوطانها هذه من بعض الآثار و يسار هون للوقوف منها على حقائق التواريخ
 والاخبار و يذلون نفاس أنفسهم وأموالهم و يصرفون أعز أوقاتهم وأحوالهم في السفر لعائنة مثل
 الاهرام وهي اقرب اليانام يدنا الى فينا وقائمة برأسها الى عنان السماء فينا وما نحن من تتعلق
 رغبةنا بعائنتها وتشوق علقته لمشاهدتها حتى ان من جملة علمائهم وزمرة فلاسفتهم وحكمتهم
 طائفة من أهل العلم عندهم مخصوصين يعتنون بعرفة أحوال ديار مصر بالخصوص و يمتنون
 بمطالعة ما يتعلق به من الآثار والنصوص يقال لهم الايجيبتولوجيون يعني أهل العلم والتجربة
 بأحوال مصر في سالف العصر اقلنا ولى منهم بالعناية بمثل هذا الامر وهل لا يقتضى أن يكون
 صاحب الدار اذنى بما فيها وأولى بعرفة حقائق ظواهرها وخوافيها ورحم الله عصر مصر
 مضى ودهر انقضى وانهضى كان فيه مثل الشيخ عبد اللطيف البغدادي الغنيمة للقوى الطيب
 نزيل مصر رحمه الله وأكرم في أعلى عليين من الجنان مثواه يذهب بنفسه ويتعلق اعلى
 الاهرام بمجالة قدره ويقبض ما عليه بناؤها من الابداد والقدادير وينظر في حقيقة أحوالها نظراً
 العالم البصر ويرى مع الى خلوته فيكتب مثل رحلته المصممة (بالافادة والاعتبار في الامور
 المشاهدة والحوادث المعانية بأرض مصر) واقدس رحنا سائماً الفكر الى ما آل اليه الحال
 من حيث العناية بالعلم في هذا العصر ولا حول ولا قوة الا بالله واليه يرجع كل امر فلنكف عنان
 القلم ولا نقطع بعناية الدولة الخديوية اعزها الله من اصلاح الاحوال في الحال والاستقبال حبل
 العثم ونرجع لما نحن بصده من تاريخ ديار مصر في سالف الدهر ونبتدئ به جرياعلى الغالب
 فنقول ان في هذا الباب مقدمة وعدة فصول تشتمل على جملة مطالب

مقدمة

في بيان جغرافية ديار مصر الطبيعية و ذكر احوال نهر النيل

المبارك وما به حتره من احوال الترياق والنقص السنوية

مطلب - ما المراد بما يعز عنه بمصر في كل عصر - قال الجوهري في الصحاح ما نصه المص
 هي المدينة المعروفة تذكر وتوثق من ابن السراج والمصر واحد الامصار والمصران الكوفة
 والبصرة والمصر ايضا الحد والحاجز بين الشيتين قال (الشاهر)
 وجاعل الشمس مصر الاخفاء به * بين النهار وبين الليل قد فصلا

وأهل مصر يكتبون في شروطهم اشتري فلان الدار بمصورهاى بمجودهاى الى آخر ما ذكره
من المعاني اللغوية المعهودة في هذه المادة العربية

يقال الفيروز بادي في القاموس في ضمن عبارته ايضا مانصه والمصر بالكسر الحجازيين
الشيثيين كالمناصر والحديين الارضين ، الى أن قال : « ومصر والمكان تصيرا اجعلوه مصرا
فمصر والمصر المدينة المعروفة سميت لمصرها ولانه بناها المصربن توح وقد تصرف وقد نذكر
وجرمصار ومصارى جمع مصرى والمصبران السكوفة والبصرة وبز يدوم مصر محدث ، الى آخره
وقال صاحب المضباح مانصه : مصر مدينة معروفة والمصر كل كورة يقسم فيها الفنى والصدقات
قال ابن فارس وهذه يجوز فيها التذكير فتنتفع والجمع امصار ، الى آخر ما اوضحه
ومن ثم يفهم ان لفظ المصر وان كان في الاصل على جامد امر تجللا لاجدائه جام بن نوح عليه
السلام لكنه في أصل اللغة العربية صار من جملة هذه الالف والياء وهو في هذه الحالة معرفة تامة من
الحالة الاعلام الخاصة وحينئذ يجوز فيه التأنيث على ارادة البقعة او البلدة فينتفع من الصرف للعلمية
والتأنيث ويجوز ثبوته بناء على القاعدة النحوية المعروفة لكونه ساكن بالوسط كهنندام
امرأة مخصوصة ويجوز فيه التذكير على ارادة البلد او المكان فيصير مجراه وقد يطلق على
القطر بتمامه كما أسلفناه وقد يكون نكرة عامة يطلق على كل مدينة عامرة وفي هذه الصورة
الاخيرة يذكر ويؤنث ايضا ويجمع على امصار وفي عبارة بعضهم ان المصر هي كل بلدة اجتمع
فيها حكم شرعى وسياسى اى قاض ووال وحينئذ تكون مثل بنها العسل وطنستا ودمهور
ومنية ابن خضيب واسيوط وقنا واسنا وما اشبهها من مقر كل مديرية فضلا عن مثل القاهرة
ودمياط ورشيدو الاسكندرية من المدن المحكومة بما يحيط به بدوان الحمايات يصدق عليها
اسم الامصار وهكذا الخصال في سائر الاقطار وفي هذه الصورة ايضا اشتق منه فعل
متصرف يقال مصر البلدة تمصير اقتصرت اى صارت مصرا كما يقال مذهبنا تمصيرنا فتمدنت
بمعناه فاللفظان مترادفان وعلى كل من الحالتين يجوز ان يدخل على افظ المصرا اداة التعريف
كما يجوز فيه التذكير والتأنيث والتصرف وعدم التصريف كما يفهم من صريح عبارتي
القاموس والصحاح بخلاف الصحاح والمصباح حيث خص جواز التأنيث والتذكير مع هذا
الجواز الاخير بحالة التنكير كما يفهم من نص عبارته الذى هو بأعلاه مسطور

ومن الحالة الاولى ورد قوله تعالى « ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين » وقوله تعالى « وأوحينا الى
موسى وأخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا » وعلى الحالتين المذكورتين ورد قوله تعالى « اهبطوا
مصر » بالتثنية في القراءة المشهورة وورد ايضا فيما يعرف « اهبطوا مصر » بدون ان يضر
قال المولى ابو السعود رحمه الله في تفسير هذه الآية بشر يفقه سائعه « والمصر البلد العظيم وأصله

الجلدين الشيتين وقيل اريد به العلم وانما صرف لسكون وسطه أو بتأويله بالبلدون المدينة
ويؤيده انه في مصنف ابن مسعود رضي الله عنه غير مثنون وقيل اصله مصر اثم فعرّب هـ
وقد تحصل لاسماء ذكر اعلامه ان لفظ المصر له سالتان تشتلان على ثلاث اطلاقات الحالة الاولى
أن يكون منكرا يطلق على كل مدينة من سائر الاقطار اجتمع فيها بعض شروط على حسب
اختلاف الاقوال في ذلك وانها حينئذ تجمع على أمصار واشتق منها فعل يتصرف كسائر الافعال
يعنى التمدن والاستحضار

الثانية أن يكون معروفا وله في هذه الحالة اطلاقان احدهما أن يكون علما على كرسى مملكة
قطر مصر في كل عصر وحينئذ فكل من مدينة منفيس أو منف (مائة رهينة) وطيبة الصعيد
(مدينة أبو) وكذلك الفسطاط (مصر القديمة) والقاهرة المعزية كلها يطلق عليها اسم مصر
بطريق العلمية الثاني أنه قد يطلق على سائر القطر المتضمن أعلى الصعيد يعنى من هذه المدينة
اسوان الى غاية البحر المتوسط الايض أو بحرسفيد

ومصر بهذا المعنى الأخير تسمى ايضا في اللغة اليونانية واللاتينية باسم ايجيبتوس (بحيم فارسية
بعدها ياء مثناة تحتية ثم ياء فارسية بعدها تاء مثناة قوفية ينتهى بدین مهمله في آخره كما كثر
الاسماء اليونانية) وهو المرخم بلفظ (ايجيبت) في اللغة الفرنسية واساوية والمغرب بلفظ القبط في اللغة
العربية وحينئذ فلفظ القبط كما يطلق على ذات القطر يطلق كذلك كما لا يخفى على هذه الطائفة
التصانية التي هي بقايا قدامى اهل مصر وجمعه اقباط كما يجمع انظر العرب على اعراب والترن على
أترك وهكذا

وتسمى مصر ايضا في اللغة القبطية اى المصرية القديمة باسم (كيي او الكيمية اى الخنافية بمعنى
أرض حام بن نوح عليه السلام)

ويبرعنا في التوراة بالعبرانية باسم مصر ايم (يائين تحتيتين اولاهما مهوزة) كما سلف تعريف
ذلك ومصر بهذا الاطلاق الأخير (قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في مختصر تاريخه الصغير) هي
هذا القطر المستطيل من الجنوب (المبرعنة على لسان اهل البلاد القبلي) الى الشمال (المبرعنة
عندهم بالهري) وهو الكائن في الزاوية الشمالية الشرقية من قسم افريقية او كما كان السلف
الاقدمون يقولون من بلاد الليبية (وعى برقة وما يليها من الاقطار المغربية) وذلك حيث تتصل افريقية
ببلاد آسية بواسطة برزخ السويس وحده مصر من جهة الشمال هو البحر الايض المتوسط أو بحرسفيد
ومن جهة الشرق برزخ السويس والبحر الاحمر أو بحر القلزم ومن جهة الجنوب بلاد النوبة حيث
يخترقها النيل قبل أن يدخل مصر من عند جنادل اسوان (المعماة ايضا بشالات اسوان)
وحدها من جهة الغرب بحار مصر يوجد فيها بعض الواحات أى أراضي خصبة ينبع فيها بعض
عيون من الماء فتزرع ارضها ويسكنها الناس وهى المعماة بسلسلة الجبال الليبية أو البرقية
وتتدفق جهة الجنوب الغربى الى قريب من البحر الايض كما أن الجبال الشرقية المعماة بسلسلة

الجبال العربية تمتد الى سواحل البحر الاحمر وتمتد تلك الصحارى ايضا الى امد بعيد في داخل ذات بلاد مصر وكل ما كان من ديار مصر لم يصل اليه الري بزيادة نهر النيل السنوية فهو غير قابل لسكنى الناس فيه لكونه لا يخرج به آثار من حبوب ولا خضر اوات ولا اشجار ولا اعشاب مطلقة ولا يوجد فيه ماء غير بعض آبار على مسافات متباعدة بعضها عن بعض في تلك القفار وبعض تلك الآبار اقل عذرة من بعض لأن يفيض ماؤها في درجة من الجو هي على الدوام متقدمة النار وفي صعيد مصر اى في الجهة الجنوبية (الوجه القبلى) منها ترى المطر حادثة نادرة جدا وجميع ارض مصر عبارة عن رمال او نحو رما عدا ارض وادى النيل ودووالغاية تفرع النهر فيه الى عدة فروع اعني في مسافة أكثر من ثلاثة ارباع طول الديار المصرية لا ينف متوسط عرضه على أربعة فراسخ او خمسة وفي بعض الموضع منها هودون هذا القدر بكثير كما ذكره المؤلف رويو

ولقد أصاب المؤرخ اليونانى المعروف باسم هيرودوت حيث قال ان ديار مصر كلها انما هي هبة من هبات النيل اه وذلك انه لو انعدم النيل من ارض مصر لكانت كلها صحراء جردية وأرضا غير خصبة لاما فيها ولا زرع ولا نبات بها ولا ضرع ولو انحرف مجرى النيل من الجهة العلوية لانعدمت الديار المصرية بالكلية وكانت قد خربت هذه الفكرة بخاطر أحد سلاطين بلاد الحبشة السالقين في القرن الثالث عشر من التاريخ المسيحى ثم لرجل يرتقى يقال له الفونس دالبوكيرك كان عاملا لدولة البرغال (احدى الممالك بأوروبا) على ما كانت قد استولت عليه مدة حقبة من الزمن ببلاد الهند الشرقية في القرن الرابع عشر وأراد كل منهما أن يصرف نهر النيل عن طبيعى مجراه بأن يسده من اعلاه ويوجه مصبه الى جهة النهر الا حرقه بغيره له تحقيق ما تمناه وفي الواقع ونفس الامر ترى نهر النيل فيه خاصية ظاهرة دون غيره من الانهار وهي كونه في جميع الجزر الاسفل من مجراه لا يأتى به مائة أخرى تنضم اليه وانه بخلاف سائر الانهار لا يترد النقصان كما تنزل الى أدناه بدلا عن أن يزداد كما اسفل لداى كونه يفرغ مائه في الترع والخجان المعذرة لرى الاراضى ولا يصب فيه ما يجبر هذا النقصان (اه معر بامن مختصر التاريخ القديم للمؤرخ فرانسيس لونيومان)

وعبارة المؤرخ ويكتور دوردى في تاريخه القديم عند الكلام على ديار مصر لا بأس بإيرادها هنا أيضا وهي هذه قال المؤرخ المذکور في هذا الشأن ما تعريه ان ديار مصر عبارة عن واد تبلغ مساحته ٨٨٠ كيلومتر اطولا (والكيلومتر عبارة عن الف متر والمتر ذراع وثلاث ذراع بالذراع المصرى المعمارى المعتاد) وهو منحصر من جهة الجنوب بين سلسلتين جبليتين صوانيتين لا يبلغ عرض ما بين سفحهما ومجرى النهر غير بعض مئين من الامتار ثم تتباعدان شيئا فشيئا حتى تسكادان ان تزولا بالكلية كلما نزل النهر الى جهة الشمال وتنتهي ديار مصر

من هذه الجهة بحرسفيد واما مداهم من جهة الجنوب فقد كان غير ثابت ولا شك في أنه انما تعينت حدودها على وجه القطع من هذه الجهة بمجندال أسوان من بعد حروب طويلة حصلت بين الفراعنة المتقدمين وملوك بلاد الايتيوبية (ملوك الحبشة السالفين) وذلك أنه يوجد في ذلك الموضع من النهر بعض مخفورة تطل بجمرها كأنها حواصل للشرقية (وهي المبرع بمجندال أسوان أو شلالات أسوان) ويمتد على مينة هذا الوادي ويمسرتة بحار جديبة متكونة من رمال غير ثابتة فحركاتها كإنها بحر من البحر وكثيرا ما يحصل الفرق على هذا الاوقيانوس من البرارى وذلك ان تلك الرمال في أغلب الاحوال قد تنقلها الرياح فتجتمع عند مائعها من بعض الصخور والجبال فتبلغ خواقل من السيارة كاملة مما معها من الاحمال والجبال ودائما يتشى من هذا الامر على وجود أرض مصر قال المؤرخ اليوناني المشهور باسم هيرودوت ما معناه ان أرض مصر هي هبة من هبات النيل ومعنى ذلك كما يظهر هو ان بحرسفيد قد كان في سالف الزمان داخل الى أمديعيد في هذا الوادي المديد ثم صار النيل على توالى الاعصار يأتي من أمديعيد الى الاقطار بما يجرمه من المواد الراسبة الكثيرة (وهي المبرع بالطمى) حتى ارتفعت الأرض التي يقيم عليها ويدها فقام بالدرج شيئا فشيئا الى ان انسحب البوغاز (يعنى الجزء من البحر الداخل في البر كما هو معلوم من التعريفات الاصطلاحية المستعملة عند علماء الجغرافية) الذي كان متكونا من البحر الايض المتوسط في موضع ما يدعى من أرض مصر عند اليونان باسم (الدلتة) من ذلك المكان وقد صار أرضا جافة تزرع بعد ان كان بحرا فيا بالسفن يقلع ولفظ الدلتة هذه عبارة عن الجزء الاسفل من وادي مصر من عند اقتراق النهر الى فرعين (المسمى على لسان أهل مصر بطن البقرة أو فم البحر) الى سواحل بحرسفيد سمي بذلك لكون هذه القطعة الارضية من الديار المصرية مقفلة من جهة الشمال بالبحر الملح محاطة من جهتي الشرق والغرب بفرعي النيل الاصليين على وجه بحيث يتكون منها شكل على هيئة أحد حروف الهجاء اليونانية المسمى باسم الدلتة وبعبارة أخرى أحسن من هذه انما سميت تلك القطعة بهذه اللفظة لكونها يتصور منها شكل مثلث قاعدته بحرسفيد ورأسه مفرق نهر النيل الى الفرعين الاصليين (انتهت عبارة المؤرخ ويكتور دوروي) وانما أوردناها هنا في هذا المكان مع عبارة المؤرخ فرانسيس لونورمان لاشتمالها على فوائد زائدة عنها وان كان فيها تكرار لبعض المعاني المفهومة منها وشكل حرف الدلتة هذا اقرب من شكل حرف الدال من حروف الهجاء العربية وذلك ما كان يسمى في عهد الحكومة الحديثة بالسابقة بهذا العصر باسم مديرية روضة البحر بن وهو مجموع مديرتي المنوفية والغربية (رجع للنقل من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ فرانسيس لونورمان)

مطلب الكلام على نهر النيل وصفة هذا الوادي الجليل — قال مؤلف الاصل ما معناه ان وادي النيل يكاد أن يكون في جميع الامكنة بين طوله مخضرا بين سلسلتين من الجبال

تسمى احدها وهي الشرقية. بسلسلة الجبال العربية والثانية وهي الغربية بسلسلة الجبال الليبية (أو البرقية أي جبال برقة وما والاها من سلسلة الجبال الغربية) وهاتان السلسلتان الجبليتان تتقاربان في بعض الاماكن جدا احدهما من الاخرى ولا سيما في جهة الجنوب من هذا الوادي حتى يتكون منهما ما يسمى (في الاصطلاحات العسكرية بالمضيق أو الدربند الحقيقي) ومع ذلك فانك ترى الاقليم المعروف من ديار مصر باسم الفيوم الكائن على غربي النيل في جملة الاقاليم المصرية الوسطى فوق المكان الذي كانت مدينة منفيس أو منف كائنة فيه يروى بواسطة خلجان تخرج من النيل بواسطة بحيرة هناك مصطنعة ولذلك ترى ديار مصر وان كانت من عند شلالات أسوان لغاية ذلك المكان ليست الا عبارة عن واد كنز يأخذ عرضها عند هذا الاقليم في بعض اتساع عظيم ثم اذا بلغ الوادي الى مادون مدينة القاهرة التي هي كرسي دولة مصر الآن (وهي كائنة على القرب من اطلال مدينة منفيس كرسي دولة الفراعنة في سالف الزمان) ترى النيل يتفرع الى فرعين أحدهما وهو فرع رشيد يتوجه الى جهة الشمال الغربي والثاني وهو فرع دمياط الى جهة الشمال ثم يخترق الى جهة الشمال الشرقي وقد كان السلف من الامم الاقدمين يعرفون للنيل خمسة فروع أخرى غير هذين الفرعين الاصليين ارتدمت الآن اوصارت غير صالحة للسفر بالسف فيها وترى عدة ترع واخلجان ثانوية تخرق داخل ديار مصر السفلى أو الوجه البحري من الديار المصرية

ثم ان النيل يتكون منه على القرب من البحر الملح عدة بحيرات أو برك كبيرة مقلدة من جهة البحر بيرازخ من البرم تكون من طين أو رمل متصلة ببحر سفيد بواسطة فرجات والبحيرات الاصلية منها ثلاث احدها بحيرة المنزلة في جهة الشرق من الجهات البحرية الثانية بحيرة البرلس في وسط السواحل المصرية الثالثة بحيرة مريوط وهي المسماة في سالف الدهر باسم بحيرة مريوطيس في جهة الغرب من سواحل مصر على القرب من مدينة الاسكندرية الشهيرة التي أسسها الاسكندر الاكبر في المكان الذي قد كان به القرية القديمة المسماة باسم راكوتيس وقد كانت تلك الجهة معروفة في سالف العصر وتسمى المسافسة المخصرة فيما بين ابعده فروع النيل باسم الدلتة (أو حرف الدال) لداعي موافقة شكلها الذي يكاد ان يكون شكلا مثلثيا الشكل الحرف المسمى بهذا الاسم من حروف ألف باليونانية اذا كتبت بقلم الثلث (قال المؤلف الاصل اه هذا القول منقولاً من كتاب المؤلف رويو)

مطلب زيادة نهر النيل الدورية — قال مؤلف الاصل وفي كل سنة في وقت الانقلاب الصيفي اعني عند آخر شهر يونية الا فرنجي أو حيزران الرومي (أي عند منتصف شهر دونه القبطي) يأخذ النيل في الزيادة وفي مدة يسيرة تبلغ مياهه الى حد ضيقه ثم تفيض عنها فتطفو وتنشرب غداة في سائر الوادي لكونه على وجه العموم هو اقل من ضفتي النيل وقد توصل ايضا

بواسطة أعمال الري الصناعية لتشرخيرات النيل على أرض الدبار المصرية الى أكثر من حدود زيادته الأصلية ثم في أواخر شهر سبطember الأفرنجي أو أيلول الرومي (منتصف شهر توت القبطي) تبلغ مياهه الى أعلى درجة من الزيادة وتمكث على هذه الحالة مدة أيام قلائل ثم تأخذ في التناقص شيئاً فشيئاً حتى اذا جاء شهر دسمبر الأفرنجي أو كانون الأول الرومي (أواخر هاتور القبطي) رجعت النيل لحالتها الأصلية وعاد مجراه لدرجة ارتفاعه الاولى وأخذ أهالي مصر في بذر الأرض (المعبر عنه عندهم بالتخصير) واستمروا على هذا العمل كلما تنازل النيل وسفل وينضج الزرع عندهم فيحصل في شهر مارس الأفرنجي أو شهر آذار الرومي (برمهاث القبطي) وان أعمال الحرث عندهم لمهلة كثيراً حيث كانت أرض مصر خصبة ومستعدة للزراعة استعداداً كبيراً وفي مدة فيضان النيل ترى الناس منحصرين في المدن والقرى حيث كانت كائنة على ربوات من الأرض إما طبيعية أو صناعية قائمة في وسط المياه كأنها جزائر في وسط بحيرة أو بركة من الماء متسعة ينتظرون مع غاية القلق والضرخ متى يعرفون الى كم تبلغ درجة فيضان النيل في العام اذ بذلك يتعلق أمر كثرة الحصاد وقلتها وهو عندهم ميزان السخاء والرخاء أو القحط والغلاء (قال مؤلف الأصل انتهى هذا القول منقولاً من كتاب رويو ثم قال بعد ذلك ما معناه) وهذا الأمر العجيب القائم بنهر يخرج من طبيعتها مجراه في أوقات معلومة ليروي الأرض ثم يعود الى حالته الأصلية قد كان استغربه الأمم الاقدمون لكنهم لم يكونوا يعلمون ان جميع الانهار التي منابعها بالمنطقة الحارة هي بهذه المنة فتوجهت أفكارهم وتنوعت أنظارهم في تأويل هذه الحادثة الى عدة حدسيات غريبة وتوهوا في هذه المادة بجملة أوهاام عجيبة من أراد ان يطالع عليها فليقرأ تاريخ المؤرخ هيرودوت واليكارناس المؤرخ اليوناني وديودور الصقلي السالتي الذكر والقول الصحيح في سبب زيادة النيل انما هو كثرة نزول الأمطار الدورية التي تنزل في أعلى بلاد الحبشة حيث ينزل النيل منها وينقل فيضانه هذا عنها لا غير (اه) معرباً من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ فرانيس (لونيومان)

وعبارة المؤرخ ويكتدور وروي في هذا المطلب لا بأس بإيرادها هنا أيضاً لاشقة لها على زيادة توضيح وهي هذه كما هو معرب قوله المصرح

ان نهر النيل كل عام عند حلول الانقلاب الصيفي في يوم يكاد ان يكون معينا فيايس ٢٠ شهر يونيه لغاية أول شهر يوليه (١٤ الى ٢٥ بؤنه) يزداد بالتدريج شيئاً فشيئاً مدة مائة يوم ثم يطفو على ضفتيه في الاقاليم الوسطى وفي القطعة المعبر عنها من الدبار المصرية باسم الدلتا وينتشر في سائر البلاد الى آخر شهر سبطمبر (أواخر شهر ثوت) فيمري منه في أراضي مصر كية من الماء باجتماعه مع الانداء التي تنساقط عليهم بالليل تكفي لغذاء النباتات فيما ثم في أوائل شهر اقطوبر الأفرنجي أو تشرين الأول الرومي (أواخر شهر توت القبطي) يأخذ في التناقص حتى اذا

حل الانقلاب الشتوى يعود الى مجراه الاصلى و يترك على الاراضى التى رواها راسباد سمها خفيفا يكون للارض بمنزلة السحاب (أو الدبال بالدال المهملة كلاهما بمعنى ما يعبر عنه عند العوام بالسباح وذلك هو المعبر عنه باسم الطمى على لسان أهل البلاد) ولا يزال النيل ينفاص لغاية آخر شهر رمايس أو ما يه الا فرنجى أو أيار الرومى (أو آخر بشنس القبطى) ولا بد من ان الزيادة تبلغ من ٧ الى ٨ أمتار ونصف متر حتى تعاد المياه على جميع سطح الارض الصالحة للزراعة فتأتى المزارع بالحصيد الوافرة فان وقتت الزيادة دون ذلك المقدار لزم الاختصار فى زراعة الارض على ما خلفه الرى فقط وبقى ما عداه منها غير منزعج (يعبر عنه بالارض البورا والشرافى) وان انافت الزيادة على ثمانية أمتار كانت مضرة حيث كانت المياه حبة تضر كدهل الارض مدة مديدة فان كانت الزيادة فوق ثمانية أمتار ونصف كان الغلاء متحققا لان الارض تصبح مستحجرة فلا يمكن زراعتها ويخشى على الديار المصرية حينئذ من وقوع الوباء فيها ولما كان النيل فى جهة الصعيد مخصصا بين صفتين عاليتين لزم ان يتدارك فيه أمر رى الاراضى الزراعية بالطريقة الصناعية وقد علم بالحساب ان اردام الطبقة الارضية العليا من وادى مصر الناشئ عن تراكم راسب مياه النيل المعروف بالدهمى يقتضى ان يصككون يقدر ١٢٦ ٠ ميلمترا (أو عماقة وستة وعشرين جزءا من الالف من المتر الواحد) فى كل قرن من الزمن

وهذا الحادث وان كان قد تخيل للسلف من الامم المتقدمة انهم من الجهابث التى لم تعلم أسبابها صار لوجهه الآن لاستقرارها فانهم من المعارف الضرورية و ليست للنهر النيل بخصوصية حيث كانت جميع الانهار التى منابه فى الاقليم الحار يترى أحوال فيضان ينشأ على وجه الانتظام عن الامطار الدورية التى تسقط بتلك الاقطار الارضية وذلك ان جبال بلاد الحبشة التى ينزل منها النيل لما كانت موضوعة فى جنوب دائرة الانقلاب لزم ان ينزل عليها فى كل عام فى موسم رياح الجنوب الغربى أعنى فى موسم سقوط الامطار على تلك الاقطار مقدار جسمية من الماء تغمر الى مجرى النيل فيقلها مع ما يتبعها من المواد التى تأتى معها من اعلى اراضيها الى اسفل وادى النيل ولولا ذلك الحال لكانت ديار مصر تستر بها الرمال وكانت الصحارى تمتد بما هو عليه من حالة الجذب والتعولة الى حد البحر الاحمر بالسهولة وبأيت شعري ماذا كان يترتب على ذلك من المترقيات وما الذى كان يلزم عليه من جسم المضرات لاشك اننا لو فرضنا ان ثقيفة من الارض منعت مجرى النيل من السير فى طريقة المعتاد الى جهة البحر الابيض المتوسط وصرفته الى جهة البحر الاحمر لزم عليه ان ديار مصر على الحالة التى نعرفها بها الآن أعنى كونها أحد مرا كزعتن العالم الديوى ومربط بلاد أور و بة بلاد آسية وافريقية تفهمى من خريطة بلاد الدنيا بالكلية وكانت بلاد اليونان لا يتيسر لها أن تستمد شيئا منها وكان الاسكندر لا يأتى اليها ولا يفتحها ومقت بلاد افريقية أمة وحدها وبقعة منعزلة عن سائر بلاد الدنيا الى الابد وقام

مانع حصين وقاطع رصين لا يمكن تجاوزه بعد بين بلاد اورب و بلاد الهند حيث كان وادى النيل فيما بينهما هو الطريق الاعظم والمسلك الاقوم

مطلب - مصاب النيل (معربا من مختصر التاريخ القديم للأورخ ويكتور دوروى) (قال المؤرخ المذكور) لما كان النيل في الديار المصرية لا يستجمادة مائة تلتقي معه طبيعة وسكان بخرج منه عدة ترع وخدجان صناعية تنفرع عنه لقصد رى الاراضى منه لزم ان يتناقص كلما قرب من البحر وهو غير عند وصوله الى ديار مصر ببعض قطع من الصخر توجد في مجراه وتظهر رؤسها منه على سطح الماء عند بلوغه لادنى درجة الارتفاع (المعبر عنها فى اصطلاح أهل البلاد بالعاريق) وهذه الصخور هى ما يسمى بشلالات النيل او بحنادل النيل وكان لها شجرة كبيرة عند الامم الاقدمين ومنع ذلك فلما كانت هذه الصخور قريبة من وجه الماء كانت غير مخوفة جدا وغاية ما هنا ان الماء لا يعطى السفر على النيل بعض التعطيل حيث يترقب عليهم احصول بعض التعدادات المائية وتياوات نهريه ولكنها غير مانعة للسفر فيه بالكلية ثم ان النيل يجرى من عند اسوان الى مدينة منفىس او منفى واحد حتى اذا بلغ الى قاعدة المثلث الذى يعرف باسم الدلتة تفرع الى عدة فروع وذبح حتى يصب في بحر سفيد بسبعة مصاب اصلية كانت تسمى في سالف الزمان احدها بمصب قانوب واقانوبوس (بوقير الان) والثاني بمصب النوبلية وهو المعروف الآن بفرع دمياط والثالث بمصب سبنت اوسبنتوس (بالسين المهملة فى اوله) وهى الان سمود والرابع المصب الفاتى والفاثى (بالميم او بالنون الموحدة الفوقية) وهو فرع رشيد والخامس مصب منديس أو اللدبية والسادس مصب مدينة تانيس (المسماة ام فرح اوسان الان) والسابع مصب مدينة ييلوز (وهى المسماة فى سالف الزمان بمدينة اواريس وفى التوراة باسم لبنه (بضم اللام) والان باسم تينه (بالتاء المثناة الفوقية فى اوله) ولم يبق الان من فروع النيل التى يصب بها فى بحر سفيد غير فرعى دمياط ورشيد وساعداهما اصار الان من قبيل الترع والخلجان ولما كان النيل يطفو مائة فى انشاء جريانه على كذا ضفتيه بدون مانع منعه لزم ان الحطة الارضية المتشكلة بين فرعيه الاصليين بشكل الدلتة لا تمتد فى البحر الملح الاشياء قليلا اعنى نحو ثلاثة امتار واربعة فى كل عام حدا وسطا (قال المؤرخ ويكتور دوروى) وهذا بخلاف النهر المسعى باسم البو (بالباء الفارسية بعدها وا فى آخره) وهو المسمى بنهر بادوس (ببلاد ايطالية) فانه حيث كان محصورا بين حصرين كانت خطته الارضية المتحصرة بين فرعيه المسماة ايضا بالدلتة ترتد من قاع البحر بما يجريه ماؤه معه من الرمل والحصى نحو ٢٥ مترا فى مئوسه كل عام (اهم ما من مختصر التاريخ القديم للأورخ المذكور)

مطلب - اختلاف مناظر الديار المصرية بحسب اختلاف الفصول (وهو من الكتاب المذكور نفايا مضائق القول)

يظهر لعين الناظر هيئة غيظان الجهات البحرية من الديار المصرية ثلاثة مناظر أصلية تختلف بحسب اختلاف فصول السنة الزراعية فمن أول منتصف فصل الربيع من السنة العادية تجمع الحصاد وتشال عن الأرض فلا يرى الناظر من مجموع أرض الديار المصرية في هذه الجهة البحرية حينئذ غير أرض زرقاء غبارية يتخللها شقوق عميقة جدد بحيث لا يتيسر للسائر فيها أن يمر بها إلا بغاية المشقة فإذا حل وقت الاعتدال الحار في ترى الأرض كأنها بساط ممتد من ماء أحمر ملح يهز من باطنه رؤس نخيل وقرى وجسور ضيقة هي الطرق الموصلة بين القرى بعضها البعض ثم متى نزلت المياه عن الأرض لا يرى الناظر إلى آخر الفصل غير أرض سوداء وحلوة ولا تظهر ربحا من الطبيعة وخيرات البديهة إلا في مدة فصل الشتاء بالديار المصرية حيث ترى حينئذ من طرارة الهواء وقوة النباتات الحادثة وكثرة الغرات التي تملأ سطح الأرض ما يفوق كل جيل استغربه الرأي في أجل بلاد الدنيا من هذا القبيل وذلك أنك ترى ديار مصر من الأول إلى الآخر كأنها مرج جميل أو روض أزهار جليل أو أوقيانوس زاهر ويشتهظ ورهذه المنظر الخصب بما يشاهد من ضده خصوصاً من الرمال والجبال المحيطة به حيث لا ترى منها غير مطلق القهولة والجذب وفي هذا الاقليم السعيد لا ترى الماء ينجم والتلح أمر مجهول لا يوجد ولا أنهار لا تكاد تسقط أوراقها إلا يخرج لها أوراق أخرى تسجد ولا ترى النبات في الأرض يتعطل عن العمل وترى الزراع فيها حيث لا يخيب منهم الأمل لا يرون جميع فصول السنة إلا كأنها فصل واحد ينتج الكثير من المحصول لولا أن تغير أحوال فيضان النيل بوجوب الاقتصار على الزراعة في بعض الفصول ومن ثم يعلم أنه إذا تم استبدال أعمال الري الطبيعية بأعمال صناعية لزم أن تعطى الأراضي المصرية حصيدتين إلى ثلاث حصائد في كل سنة زراعية ونضم للمخ الله سبحانه وتعالى ديار مصر من الزايات الطبيعية ذكرى تمدن عتيق يصعد إلى أقصى الأزمان يسهر خصوصاً نطوكل سياح ذى تبصر وعرفان وذلك أن بلاد صعيد مصر يكثر بها من مآثر الأمم الأقدمين وتذاكر الأقوام السالفين في الأعصار الغابرة ما يتخيل لناظره أن تلك البلاد هي في الحقيقة مسهورة وذلك هو ما يترأى حتى لا قل ذوى العقول تبصروا وأدناهم تدبروا وتفكروا فإنه يرجد فيها نحو عشرين مدينة عتيقة وكثير من الأماكن الغير المعمورة كلها تظهر لعين السياح وهو على الدوام لا يزال يتعجب منها أنها أطلال قصور وهياكل قديمة وآثار بدائع من فن العمارة عظيمة لا من حيث عظم أجرامها الجسمية وهيتم الدينية السكرة فقط بل كذلك من حيث بساطة تركيبها وحسن هندسة ترتيبها ونظافة ما يوجد عليها من الصور والتماثيل الاشارة وكثرة ما هي مزينة به من أنواع الزينة التي تقف عندها الافكار وتنبهل منها الابصار حيث كانت كلها الاضلاع عن دلالات معنوية ومعاني تاريخية قال المؤرخ وپكتوردورى (ناقل هذه العبارة) آتية عن نص العالم الفرانساوى المدعو باسم دوروزير الذى كان متوطفاً بوظيفة رئيس المهندسين في اليابان وأحد أعضاء جمعية العلماء

الفرانساوية الذين كانوا حضروا مع غزوة الفرنسيين لدير مصر فى مبادئ هذا القرن الثالث عشر
لقد نظر فى أحوال هذا القطر ما عناه بالعربية وهو من ذلك مدينة طيبة صعيد مصر فانها
وان كانت قد توالى عليها الكثير من تقلبات الدهر وصارت الآن اطلالا خربة وتلالا جديبة
لم تزل تلامن الجب والاس تغراب قاب من اطلع على الجائبات القديمة والغرائب العظيمة
التي توجد بمدينة رومية الكبرى (كرسى ملكة ايطالية) ومدينة اثينة العظمى (كرسى
بلاد اليونان) ولقد وقف عند منظر مدينة طيبة هذه على حين فجأة منهم جميع عساكر
الفرنسيين المنصورة صائحين كلهم من شدة الجب والاستغراب صيحة واحدة بالجيب
الجباب وهذه المدينة التي اشهرها الشاعر اليوناني المشهور باسم أوميروس فى أشعاره وقد كانت
فى عصره اجل مدينة فى العالم الانسانى لم تزل لغاية الآن بعد مدة أربعة وعشرين قرنا من
تخريب الزمان اعجب مدينة تنظر واغرب حاضرة تذكر فان من تأمل بحساسة اطلالها ونظر
لعظمة آثارها وتلالها وفخامة عمارتها وما بقى بعد مما لا يحيط به العدد من بقايا عظم سعتها
تخيل لانه انما هو فى عالم رؤى يانامية وحالة توهية لاحقيقة علمية (٥١) معر بامن مختصر
التاريخ القديم للمؤرخ ويكتور دوروى

تنبيه

مطلب صفة ديار مصر على حجابها فى هذا العصر يقتضى أن يتنبه هنا لكون بعض
ما ذكره المؤرخ ويكتور دوروى وأبداه من أحوال النيل ومناظر الديار المصرية على حسب اختلاف
السنة الزراعية فى ضمن المطالبين المسطرين اعلاه هو ليس بمحقق الآن ولا صادق فى حين
الوجود والعيان وان ما ذكره من وصف النيل ومصر من التفصيل والبيان انما هو بحسب
ما كان فى سالف الزمان وأما الآن فقد تغير منظر البلاد بحسب ما حدث فيها فى هذا العصر من
الاصلاح والاستجداد بالنسبة لما كانت عليه فى العهود السابقة من الالهال والنساد وذلك
ان ديار مصر مندولم بالمرحوم محمد على باشا الكبير عليه سحائب الرحمة والرضوان وهكذا بمدة
ولاية بعض خلفه الاجداد لغاية الآن صار نراى عليها فى جميع فصول السنة على وجه العموم
والاجمال والحق ينبغى أن يقال انها كأنها فردوس من الجنان أو كما قال فيه وتحقق قوله بعض
التحقق تخيل الشاعر المطلق حيث قال

لعمر ك ما مصر بمصر وانما * هى الجنة العليا لمن يتفكر
فاولادها الولدان من نسل آدم * وروضتها الفردوس والنيل كوثر

ولقد صدق فيها كل الصدق قول الآخر

من شاهد الارض وأقطارها * والناس أنواعا واجناسا

ولا رأى مصر ولا ههنا * فترأى الدنيا ولا الناسا

ولذلك ترى افاضل الناس في سائر الاعصار من سائر الاقطار يهرعون اليها ليتفرجوا عليها ويقتبسوا منها المعارف والانوار دون سائر الاديان وبيان ما صارت اليه الآن ديار مصر من المنظر الحسن بطريق التخصيل والبيان وبديل العيان الذي هو أقوى برهان انه لو وقف من ديار مصر على مكان عال ناظر ذو بصير مد يد أو مسافر في عربات سكك الحديد يقلب نظره ذات العين وذات الشمال كلما انتقل من مكان الى آخر على حسب اقتضاء أحوال التنقل والارتحال لظهر له من حسن منظر هذا القطر وظاهر مآل اليه من اصلاح احوال الامكنة في هذا العصر بالنسبة لما كان عليه في سالف الازمنة من اختلاف المنظر بحسب اختلاف الفصول حسب ما هو آتفا منقول ما ينتج على فؤاده نتيجة عمل السهر ويخرج من قلبه نفحات الشعر حيث يرى (اولا) ان جميع جهات القطر صارت متقطعة بفروع متجربة من سكك الحديد أصلها في محطة مصر الفاخرة وأغصانها متنوعة ظاهرة تمتد من نهايات الجهات السائرة الى أمد بعيد كأنها سدرة المنتهى المذكورة من القرآن الشريف في بعض الآيات ويرى القطاران المجرورين معا يتظهلانظر على البعد كأنهما في ماذكرهما من عجيب الثمرات ويرى الناظر (ثانيا) منظرا آخر يصر الناظر ويروق الخاطر وهو ان هذا النهر الأكرم يخترقها ويزين فروع سكك الحديد ما هو قائم عليها من جميع الاطراف من قوائم الخشب الحاملة لسلوك التلغراف محصورة الآن بين جسر من عظيم يسكنه عن الطغيان يسميان بحسرى العموم أو جسرى البصر الأعظم (لا كما ذكر في الوصف السالف البيان وانما ذلك بحسب ما كان) ومبداء انشائها بمصر مدعة عهد المرحوم محمد علي باشا الكبير عليه هائب الرحمة والرضوان ولم تزل العناية بالحفاظة عليها في مدة الفيضان من الحكومات الخديوية الخالفة لغاية الآن ويختلها على النيل من الحافتين ويخرج منهما من الضفتين اخام نحو مائة من كبير الترع والخجان منحصرة كلكل بين ما يليق بها من متين الجسور والقناطر ومكين البنيان شبيهة بغدران صالحة للسفر فيها بالسفن في كل زمان وكلها صناعة مستحقة في مدة عهود الدولة الخديوية العصرية بيد الانسان وأكثرها يبلغ من الطول من خمسة عشر الى عشرين أو ثلاثين فرسخا يتفرع عنها مساق وترع اصغر منها كثيرة تروى سائر الجهات المتباعدة عن شواطئ النيل والترع والخجان الكبيرة الى حد يبلغ جنا بحيث يصعب حصرها عدا وان كان البصر المديد قد يحيط بهامدا وهي تأخذ ماء النيل المبارك في وقت الفيضان وتوزعه الى سائر النواحي والبادان بحيث لا تبقى ناحية من فلات ديار مصر منه بحاله الحرمان وتسمى حيث تغذي الترع والخجان النيلية وهما ما يبرعنه بالترع الصيفية وهي ما يبلغ قاعها الى استواء أدنى قاع بحرى النيل في وقت تحاريقه فلا يزال يجري فيها ما وفى خيرة مدة الفيضان حتى يعود لمعادة فيضانه فتستقي منها المزارع الصيفية أما بالراحة أو بالآلة فمن ذلك مثل الترع الصيفية المسماة بالشرقاو وبالوسوسية والاسمعية المعروفة ايضا بالترعة الحلوة الموصلة ماء

النيل الى الجهات التربعة الماخلة الموصلة بين البحرين الابيض والاسود بجهة السويس وكذلك بحرم السويس والخطاطبة والمحمودية الموصلة ماء النيل الى نواحي الاسكندرية ورياحات القناطر الخيرية بالجهات البحرية ولا سيما التربعة الصيفية المستجدة باسم الابراهيمية في الاقاليم الوسطى ونواحي صعيد مصر وغير ذلك مما تغيرت بظواهره الديار في هذا العصر وصارت لا يصدق عليها اكثر ما قيل في وصفها في سالف الدهر حيث صارت جميع اراضي الوجه البحري وكثير من اراضي الوجه القبلي من القطر المصري الى ما يعبر عنه على لسان أهل البلاد في العادة في الجهات البحرية بالارواب وفي جهاب الصعيد بالنباري بمعنى ما سئى من ماء النيل بالراحة والارادة في مقابلة ما كان يدعى بالملق بمعنى ما يهه ماء النيل الجارى بطبيعته ولا يمكن الحصول على زراعته بالمزارع النيلية والذي ينطبق عليها في الحقيقة من الوصف الصادق والقول المخفى الآن هو كما يأتي بعد من وصفها بالتفصيل والبيان على قدر الامكان في كل موسم واوان وذلك ان السنة الزراعية بالديار المصرية تنقسم الى ثلاثة مواسم فصلية

الاول موسم الزراعات الصيفية

الثاني موسم الزراعات النيلية

الثالث موسم الزراعات الشتوية

فاما مسطوره المؤرخ ويكتوز دوروى في شأن منظر الجهات البحرية من الديار المصرية في هذا الجزء من السنة الزراعية أى في موسم الزراعات الصيفية أعنى من أول منتصف فصل الربيع من الوصف البديع فهو كما وصف وتفنن في التعبير عما عليه وقف غير انه وصف شيئاً وغابت عنه أشياء وحكى ظاهراً بارق حال تلك البلاد في ذلك الاوان من كونها حقراً فقراً كأنها صحرا حسماً كان ولكن فاته شنب ما حدث فيها في هذا الزمان من حسن المنظر بالاستجداد والاستخيا ولا بأس بان يقال له هنا على وجه التمثيل مع بعض تغيير في البيت وتبديل كقوال الشاعر الفصيح

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مخضر ملج

المير الرائي الآن ان منظر البلاد في مثل هذا الاوان بالوجه البحري من القطر المصري بل وفي اقاليم الوسطى وبعض نواحي الصعيد قد تحول الى منظر حسن جديد بواسطة ما حدث الآن في منظر تلك البلدان من تقطع الارض البور بما يتخلل المنظر المذكور من أصناف الزراعات الصيفية المعهودة لاهل مصر من سالف العصر مع ما ابتدع وتوسع فيه من أصناف الزراعات الصيفية الجديدة كالنيلة والارز وقصب السكر والتبناك والاقطان حيث يمتلئ قلبه سرورا ويتفقا به بحجة وجوباً اذا نظرت لآلات الجمل المعبر عنها بالثوابير قائمة بمد اخنها الشاحنة

في وسط تلك القفار وعلى الجانبين من شواطئ النيل وسائر الترع والمخارج تشغل معامل السكر ودواليب حلب الاقطان وتسقى تلك المزارع الخضرا مع السواقي المعروفة بالنواعير بدلا عن عمل الانسان مع حسن منظر القرى والنواحي والمدن محتفة بالبساتين والاشجار مصطفة في وسط تلك الصحرا بما فيها من التين والزيتون والتخيل والاعناب وغير ذلك من أنواع الاشجار

المبرمسا في خط سكة الحديد المتوجه الى جهة الصعيد من سعة الاراضى المزروعة بالقصب السكرى ما يقضى منه العجب الميمد نظره الراكب على عربانات خط سكة الحديد المتوجه الى جهة السويس فيرى تلك المدن والعمارات المصرية القائمة برؤس منارات ومساجدها وقباب معابدها في وسط تلك الاراضى المتسعة المسنحمة من تلك الجبال على الجانبين من التربة الاسميطة المسجدة المعروفة بالتربة الحلوة وعلى ترعة برزخ السويس المدادثة المعماة بالتربة الملحة حيث يجد ان الارض الزراعية قد اغارت من تلك الجهات على الاراضى الرملية واستولت منها على مقدار وافرح عن حالة الموات وصار ارضا منزرعة تسر الناظر وتروق الخاطر ولا يخلو ان يلاقى نظر الناظر في خلال تلك المزارع الوسيعة والناظر البديعة حقير منظر رجل فلاح ضئيل يعمل بالشادوف على بئر مصطنعة لسقى مقدار قليل من ارض له ضيقة منزرعة بالذرة البلدية او بعض الاقطان (نحو نصف فدان) ولعمري ان هذا المنظر الحقير لا يولى بان يقف عليه نظر الناظر البصير من تلك الوسائط المتسعة من حيث ما يدل عليه ذلك المنظر الفقير من صبر الفلاح المصرى على كذا العمل وكونه بكل مشقة على مصلحة معاشه بخيل

فاذا حل موسم الزراعات النيلية أعنى وقت الاعتدال الخريفى او اوان فيضان النيل مع من وصف الواصف المسطر آنفا ما قيل غير انه فاته انه بصيرة أصح من وصف الاراضى من قبيل الروائب والنبارى صارت تزرع أكثر تلك الاراضى الشبيهة بالقفار والبرارى بالمزارع النيلية كالاصناف الخضارية والذرة المعروفة بالذرة الشامية وغيرها من المزارع المتنوعة البلدية وينضم اليها ما ينبت على الارض من المزارع الصيفية فيحدث من مجموع ذلك منظر جميل حيث تسقى المزارع من الآن بالراحة من ماء النيل فيستمر وجه الارض في ذلك الاوان في كثير من الجهات بما هو أشبه ببساط من سندس أخضر جليل

ثم اذا حل موسم الزراعات الشتوية وعمت عملية التحضير كان منظر وادى مصر في مثل هذا الاوان بهذا العصر اجمى وابهى وانور وازهى وازهر وأخضر مما هو فى الوصف السالف مسطر يفوق خصوصا في ذلك الاوان ما هو فى كتب الادب العربية في جملة منزهات الدنيا السبع قديما كرم من وصف غيضة دمشق الشام بلجنة عدن التى سبق عليها الكلام وكل ذلك بعناية الدولة الحديوية ورعاية الامة الدورية في هذه الحقبة العصرية وبالجملة فاعلموا ايها الاخوان ان وطننا هذا المحسب موقعه الحقر فى الجليل الشأن وبعض ما يذكر

أيضاً من وصفه التعريف أعني كونه الوصلة بين بلاد آسية وأروبة وأفريقية والطريق الأعظم إلى بلاد الهند الشرقية ومخزن ميرة الحرمين الشريفين والجامع الآن خصوصاً بواسطة ما حدث من جدول برزخ السويس بين البحرين (الاحمر والابيض) هو أجل الاوطان وان بلدنا هذا هو أفضل البلدان ولعل هذا هو معنى ما سارت به الركبان من القول بان مصر هي ام الدنيا ومصداق ما ورد فيها من الآيات القرآنية والروايات النبوية ذات السندات العليا كقوله صلى الله عليه وسلم ومصر اطيّب الارض تراباً وبهجتها اطيّب اللحم ، وغير ذلك مما ذكره المقرئ وغيره فيما يعلم وان هذا البلد العظيم والمقام الكريم لا يحيط بالوصف ولا يسع التكميل عليه فبأن يقف متملاً بقول سيدى عمر بن الفارض الشاعر المصيرى رحمه الله فيما رواه بقوله هذا وعناه

وعلى تفتن واصفيه بوصفه * يعنى الزمان وفيه ما لم يوصف

مطلب - الكلام على ما ورد في بعض التواريخ القديمة من ذكر دولة ميريويه (مصر) بان مختصر التاريخ القديم للأورخ ويكتوردوروى

قال المؤرخ المذكور طالمّا قيل انه كان يوجد في قديم الزمان على جنوب الديار المصرية في القطر المسمى على وجه المجاز باسم جزيرة ميريويه أعني فيما هو كائن من البلدان فيما بين نهر النيل والغدير المعروف عند السلف باسم الاستابوراس (وهو الغدير المسمى الآن في بلاد الحبشة باسم ادبرة والتاجزة) دولة ايتيوبية قديمة ذات شوكة عظيمة كان منها على ما يقال قد قامت أقوام من أسلاف سكان بلاد الحبشة تحت قيادة بعض قسس معبود قدماء المصريين المسمى باسم اوزيريس وساروا على مجرى النيل الاسفل إلى الجهة الشمال حتى نزولوا بصعيد مصر واخذوا بمدينة طيبة الصعيد وأنشأوا هناك معابد في مدينة قيس (بكسر التاء المثناة من فوق مدينة مصرية عتيقة بصعيد مصر لم يوجد لها الآن أثر) وفي جزيرة ايلينتين (المسماة عدد العرب بجزيرة الساج وهي جزيرة اسوان) وجعلوا مكان متفرقاً هناك على شواطئ النيل من رعاة المواشى وحرث الارض واحد ثوا من هم دولا صغيرة ثم عمروا بالتدريج نواحي الاقاليم الوسطى من الديار المصرية ثم ما عرف باسم الدلتة من الجهات البحرية وهذا القول لا اصل له فلا ينبغي الالتفات اليه ولا التعويل عليه اذ لم يعثر لغاية الآن فيما يوجد بصعيد مصر من البلدان على آثار عمارات قديمة سابقة على عهد العائلة الملوكية المصرية الثانية عشرة من البنين (انتهى كلام المؤرخ ويكتوردوروى في هذا المقام)

والقول المعتمد الآن في اصل عمارة ديار مصر في سالف الزمان هو ما يأتي بعد منقولاً عن المؤرخ فرانسيس لوفورمان (ترجمته للنقل من مختصر التاريخ القديم للأورخ فرانسيس لوفورمان)

مطلب - تقسيم قديم لتاريخ الديار المصرية الى ثلاثة أقسام أصلية - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في مختصر تاريخه القديم مامعناه اعلم ان تاريخ ديار مصر هو اقدم تاريخ عالم له على حوادث تاريخية مؤرخة بالسنوات تذكر وانه يشتمل على أكثر مدة من القرون الصاعدة الى أقصى الدهر تحصر وقد عدت قدماء المصريين لانفسهم في تلك المدة المديدة والاعصار العديدة احدى وثلاثين دولة او عائلة ملوكية تداولت الولاية بطريق التوالى واحدة بعد واحدة على بلادهم. وقد جرت عادة المؤرخين السلف ان يميزوهن بصفات تعدادهم على حسب ترتيب وجودهم فيقولون العائلة الملوكية الاولى والثانية والثالثة وهكذا الى آخرها ثم جاء المحققون من المؤرخين الخلف فانبثوا للديار المصرية في تلك المدة الدهرية ثلاث مدد كبيرة اوعود تاريخية شهيرة بناء على ما تحقق عند العلماء الاورباويين المتأخرين من التحريات العلمية والنقائص التاريخية ورسموا تلك العائلات الملوكية الكبيرة والدول المصرية المذكورة الى ثلاث مراتب أصلية وهي ما يعبر عنه في اصطلاح المؤرخين الاسلاميين بدول الفراعنة السابقين وهي هذه

الاولى ما يعبر عنه بالدولة المصرية القديمة وهي عبارة عن ولى ديار مصر في سالف العصر من ابتداء العائلة الملوكية المصرية الاولى لغاية العاشرة وذلك عبارة عما يشمل مدة من الزمن يمكن حصرها بوجه التقريب فيما بين سنة ٤٠٠٠ ق فنازلا الى سنة ٣٠٠٠ ق م

الثانية الدولة المصرية الوسطى وهي عبارة عن العائلات الملوكية المصرية من ابتداء العائلة الحادية عشرة لغاية السابعة عشرة وتشتمل على المدة الزمنية المنقضية من بعد نحو سنة ٣٠٠٠ ق فنازلا الى سنة ١٧٠٠ ق م

الثالثة الدولة المصرية الحديثة ومبدأها من العائلة الملوكية الثامنة عشرة أى من القرن السابع عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام لغاية العائلة الملوكية السادسة والعشرين اعنى سنة ٢٧٠٠ ق م

ولنتكلم على تاريخ مصر في سالف العصر على هذا الترتيب حسبما سطره المؤرخ فرانسيس لونورمان الممكور في مختصر تاريخه الصغير موزعا على عدة فصول فنقول

الفصل الاول

فى الكلام على الدولة المصرية القديمة

مطلب ذكر أصل الامة المصرية ومنشأ عمارتها بمصر فى سالف المدة الدهرية - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان لاشك ولا تردد الآن فى ان اول السكان لمصر فى سالف العصر هم من ولد حام بن نوح عليه السلام ومن ذرية ولده المسيح باسم مصر او مصرائيم وانهم وفدوا الى الاقطار النيلية من بلاد آسية بطريق صحارى بلاد سورية وتوطنوا فى وادى النيل الكريم وهذه حادثة تاريخية ثابتة من طريق العلم وواقعة محققة كدت كل التأكيد ماورد عن موسى عليه السلام بنص التوراة من الذكر المقيّد وأما ما كان يقال سابقا وكان مقبولا عند الجمهور من القول بان أصل الامة المصرية ينتسب الى نسل من الانسال الافريقية كان أول مصر كرتة مدينة فى مدينة ميريويه وانه نزل بالتدريج من أعلى صعيد شواطئ النيل الى حد سواحل بحر سفيد فهذا قول بعيد لا يسمو ان يعتد به الآن بدليل ماثبت بطريق العلم من البرهان وقضية ذلك اننا نعلم اليقين الآن بدليل قراءة ما وجد على العمارات المصرية القديمة من النص والبيان على ان أقدم مركز للتمدن بالديار المصرية قد كان فى القطر السكاش حوالى مدينة منفيس اعنى فى الاقاليم الوسطى والسفلى أى البحرية من الديار المصرية قبل ان يحصل للمدينة طيبة الصعيد عصر العليّا التأسيس وانه يمكن ان ننتسب انما التمدن المصرى ناشئ بالتدريج فى سالف العصر من ثمة فصاعدا مع صعود وادى النيل فى اتجاه بلاد الانيو بية بعكس ما كان قد توهم أولا فى بادئ الامر غير ان أخبار الاعصار الاولى التى كان قد أقام فيها بمصرائيم على تلك الارض التى كانوا قد توطنوا عليها قد ضاعت فى بحور ظلمات الروايات الخرافية وانقطعت عنها بالكلية وصارت تاريخ الديار المصرية لا يعتمد الا من حين ان قامت بهادولة وراثية وولاية سياسية محضة خالصة عن الولاية الدينية يظهر عليها ظواهر اينسا اثر القوة العسكرية اعنى انها جاءت فاحدثت الولاية الملكية بدلا عما كانت انديار المصرية محكومة به لغاية ذلك الحين من الولاية الالهية بمعنى نوع الولاية التى ولادة الامر فيها معتبرون كأنهم يولون امر الرعية بطريق الوزارة والتفويض من لدن الحضرة الالهية (انتهى معربا من تاريخ فرانسيس لونو رمان الصغير)

مطلب ما ذكر فى كتب التواريخ القديمة للديار المصرية من الولاية عليها بالدولة القديمة (معربا من مختصر التاريخ القديم للأورخ ويكتور دوروى) - قال المؤرخ المذكور اعلم ان تاريخ الديار المصرية فى سالف الحقبة العصرية يكاد ان يكون مجهولا لنا بالكلية وانما حكى القسس المصريون للأورخ اليونانى الشهير باسم هيرودوت ان الالهة المعبودين للمصريين كانوا قد حكموا هذا القطر فى سالف العصر مدة حقبة طويلة من الدهر يريدون بذلك ان خرفة

القسس كانوا قد مكثوا مدة طويلة من الدهر ويسدهم مقاليد ولاية الامر على ديار مصر ثم اوجبت ضرورة المدافعة عن تلك البلاد من غارات الاقوام الرحالة التنزلة بالصحارى والجبال لاحداث الطبقة العسكرية بقو بعد نوالى عدة اجيال قام بعض الجنود هاجموا الطبقة القسيسية على ان تقسم معها الولاية الامرية العمومية وتعرف بصفة الملوكية لا بد من ثناء القوة العسكرية (اه) (رجع للنقل من مختصر التاريخ القديم للمؤرخ فرانيسس لونورمان كما كان)

مطلب احداث الولاية الملوكية بالديار المصرية - قال المؤرخ فرانيسس لونورمان السالف الذكر والبيان وقد كان المباشر لهذه الحادثة السياسية رجلا جنديا من قواد العساكر المصرية يدعى باسم **ميمينيس** اصل مولده بمدينة **تينيس** بالاقليم الوسطانية وهى التى دعيت فيما بعد من ذلك العهد بمدينة **ايدوس** (عذالهمزة فى أوله) وقد كان هو الذى اختط مدينة منف اومنة فليس واتخذها قاعدة لملكته وكرسى سلطنته ولقد نص على اسمه سائر المؤرخين اليونانيين والرومانيين المعتمد على تأليفاتهم فى تدريس علم التاريخ بالمدارس الاوروبية عند الكلام على ديار مصر فى سالف العصر واكد ما ذكره عنه من طوق السندات الاصلية الاهلية حيث لم يزل ميمينيس هذا يذكر فيها دائما باعت مؤسس السلطنة المصرية وبالجملة فلم نعتز لغاية الآن على أثر عمارة معاصرة لعهد هذا الملك الذى قد كان من ذريته ملوك العائلة الملوكية المصرية الاولى

مطلب ذكر العائلات الملوكية المصرية الاولى - قال المؤرخ فرانيسس لونورمان ثم جاءت العائلة الملوكية المصرية الثانية وكان أصلها كالاولى من مدينة **تينيس** المذكورة آنفا ولا شك انها كانت من أقاربها حيث لم يميزها المؤرخون السالفون دائما عنها وكثيرا ما يخلطونها بها ولقد عثرنا على بعض عمارات اثرية معاصرة لعهد هذه العائلة الملوكية المصرية يشاهد عليها اعلامات البداءة الاولى والغشامة الاصلية وهدم ثبات طريقة الابنية العمارية مما يدل على ان الفنون الصناعية المصرية فى عهد العائلة الملوكية الثانية كانت لم تزل تبحث عن الطريق المستقيم وانها لم تكن قد بلغت بعد افاية ذلك العهد لتعام الاهتداء الى سواء السبيل اللهم الا بشئ قليل

وبعد انقراض هذه العائلة الملوكية الثانية كانت قد جاءت عائلة ملوكية ثالثة أصلها من مدينة **منفيس** وأخذت بزمام الولاية المصرية فى تلك الحقبة العصرية ومن هذه العائلة الملوكية كان أول من خرج فيما يعرف من الفرعنة الفاتحين للممالك الاجنبية من تلك الارض الفرعونية وذلك انه عثر فى صخور جبل الطور على نقش بارز يشاهد فيه تمثال الملك المسمى باسم **اسنفرو** (بهمزة مكسورة فى أوله يليها سين مهملة ساكنة فنون موحدة فوقية عمالة على فاه موحدة فراء مهمة يليها واو فى آخره) الذى هو الملك السلف لآخر ملوك من ملوك العائلة الملوكية الثالثة

مصوراً على هيئة الزاير أقبائل عرب البوادي الكائنة بالشمال الغربي من بلاد العرب ولقد استدلل بما حصل عليه انعمور من العمارات المعاصرة قلعه المذكور على ان هيئة التمدن المصري في ذلك العهد الدهري كانت قد بلغت من درجات التمام وحسن الانتظام لمثل ما كانت قد صارت عليه في مدة فتح ساحل ديار مصر بدولة الفرس والمقدونيين (أى اليونان أو الروم) غير انها كانت في ذلك العصر متكيفة بكيفية خصوصية وصفة شخصية قائمة بهامع جميع العلامات التي تدل على انها قديمة جداً متوغلة في حيز وجود سابق طويل من سالف الدهر وبيان ذلك ان سكان وادي النيل كانوا قد بلغوا في ذلك العصر لتأسيس سائر أنواع الحيوان النافعة لنوع الانسان بل وبعض أنواع حيوانية من ذوات الثدي لا تعرف لنا الآن الا بالحالة الوحشية فمن ذلك أنهم كانوا يستخدمون البقر والطيور العوامية في مصالحهم منذ مدة مديدة وكان المقتنون منهم لتلك الحيوانات قد توصلوا الى ان تحصلوا من كل نوع من هذه الأنواع على أصناف عديدة وكانت اللغة المصرية قد تكونت تكوناتاً ما وتوصلت تحصلاتاً منتظمة بما هي عليه من الصفات الخاصة بها وتميزت عما سواها من سائر اللغات المجازة لها

مطلب عمر الاهرام الكبيرة وبيان تاريخ انشاء هذه العمارات الشهيرة - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فيما سطره بمختصر تاريخه القديم وانشاء ما معناه فلما جاءت العائلة الملوكية الرابعة وهى من مدينة منفيس أو منف كالشالفة استنار تاريخ الديار المصرية وتكاثر بها العمارات الاثرية وفي ذلك العصر كان انشاء الهرم من العظمين اللذين انشأهما في أرض مصر بجوار مدينة منفيس الملوك الثلاثة المصريون وهم الملك **كيوسيس** (بامالة الكاف على ياء مشددة تحتية فواو قباء فارسية بعدها سين مهملة فى آخره) والملك **كهرين** (بامالة الكاف على فاء موحدة) والملك **ميميسير تينويس** فأما كيوسيس فقد كان ملكاً حريصاً على كماله على ذلك ما عثر عليه ببحر جبل الطور من النقش البارز الذى فيه مرسوم ما يشهر نصرات الملك المذكور على قبائل البدوان العربية حيث كانوا ينافسون نزال العمال المصريين الذين كانوا متوطنين بذلك القطر من أرض مصر لقصد استخراج معادن النحاس التي كانوا يعملون عليها في ذلك العصر والذي خلده ذكر هذا الملك على عمدة قرون من الدهر انما هو الهرم الذى انشاء وشيد ببناءه حيث تحقق بذلك ان يتخذ اسمه مادام يوجد على ظهر الدنيا نوع بشر وذلك ان مائة الف عامل كانوا يعملون كما يقال بطريق التبادل في كل شهر على اعمال هذه العمارة الهائلة مدة ثلاثين سنة كاملة من العمر لقصد ان تكون له بمنزلة القبر ولقد صارت اعجب للمصنوعات التي صنعتها يد الناس من العمل من حيث جسامتها لا أقل وان ما يدل عليه بناء الاهرام من تقدم قدماء المصريين في فن العمارات لعظيم جدوا ولم يكن قد فاقهم فيه اخداً أبداً حتى في عصرنا هذا

حيث أنه مع ما وصلت اليه العلوم من درجات التقدم لم يزل يصعب حل مسألة كون المهندسين المعمارية من قدماء سكان الديار المصرية كيف توصلوا لأن يبنوا في مجسم عظيم كالأهرام ويتأودها الزنى باطنها لم تزل على ما كانت عليه من كمال الحال إلا إلى وحين الانتظام الأول ولم يعترورها أدنى خلل في أى مكان منها كان بعد نحو ستمائة قرناً من الزمان مع ما عليه مجسم تلك الأهرام من الحمل بثقل ملايين من الكيلوجرام (والكيلوجرام ألف جرام والجرام عبارة عن نحو ثلث درهم بالوزن المصري).

وبالجملة فإن عصر العائلة المالوكية الرابعة هذه هو نقطة أوج تاريخ مصر في سالف الدهر والظاهر أن ما كانت قد بلغت اليه الديار المصرية في عهد ملوك هذه العائلة المالوكية من العظمة والثروة الداخلية كان أمراً عظيماً جداً كما يدل عليه عماراتهم الجبيلة وتأسيساتهم القوية وكانت حدود مملكتهم تتدلغاية جنادل النيل غير أن قاعدة دولتهم كانت بمدينة منف أو منفيس وصر كثر حياة سلطنتهم بأقياحواليم الاغير

مطلب بيان كيفية تمدن ديار مصر في ذلك العصر - وقد كانت عمارات العائلة المالوكية الرابعة هذه التي مكثت حاكمه على الديار المصرية مدة ٢٤٨ سنة وعمارات العائلة الخامسة التي كانت كذلك منفيسية وقد أقامت مستولية على كرسى المملكة المصرية مدة ٢٥٨ سنة مع ما كانت عليه تلك العائلة المالوكية الرابعة من درجة التمدن المرتفعة عديدة جداً وذلك أنه قد استكشف بناس العمال حول مدينة منفيس عدة قبور تحت الأرض لجملة أناس من اعيان ذلك العصر كانوا من أرباب المناصب العالية في دولة ملوك هاتين العائلتين من فراعنة مصر وبها استدل على أن الجمعية البشرية المصرية في تلك الاعصار الغابرة جداً من الحقب الدهرية كانت متعكيفة بهيئة سيادية تامة وذلك أن القوة التفوذية أعنى أن ولاية أمر العامة بتلك البلاد كانت مخصصة بيد طبقة عسكرية قليلة للأفراد يذعن لها تمام الطاعة والانقياد سائر الطبقات الاهلية من الامة المصرية وكانت تلك الطبقة الجندية على درجات قرابية بعيدة او قرينة كها تنسب لاصل العائلة المالوكية الاصلية وكانت افراد هذه الهيئة السيادة بهفة كونهم ارباب اوسية عظيمة اعنى اصحاب املاك جسيمة يقطعهم السلطان اياها بشرط أن يكونوا تحت الامانة والطاعة له يتوارثون جميع المناصب العلية والوظائف السفية العسكرية والسياسية ويتعاقبون من الالاء الى الالاء على ولاية الاقاليم المصرية بل تغلبوا ايضا على الوظائف القسبية واحتكروها لانفسهم كسائر الوظائف السيادة السالفة في مدة الاعصار الوثنية وذلك ان ما عثر عليه بالاستكشاف من قبور الملوك المنفيسيين والاعيان المصريين السالفين في مدة العائلة المالوكية الرابعة والحامسة انما يشاهد على جوانبها صور ومناظر من أطوار الحياة البشرية المنزلية والزراعية وبواسطة هذا التصورات تيسر لنا أن نتقرب على أسرار كيفية وجود الهيئة

السيادية التي كان عليها أعيان أهل مصر منذ سبعمائة سنة من الدهر وتفرج على ما كانوا يتخذونه في جعل الكهنة وأملأ لهم الأرضية من متسع الضياع والمواطن الزراعية ونعرف رؤايتهم حيث يعد فيها رؤس المواشي بالآلاف وتوجد فيها الحيوانات وذوات القرون الفارغة والطير المعشى بالكرى والأوز من سائر الأصناف يقتنونه في منازلهم بالحالة التأنيسية ويعتنونه على اختلاف الجنسية ونسأدهم ذاتهم في داخل مساكنهم الجبلية محاطين بناية الاحترام والطاعة من أتباعهم بل يصح أن يقال من عبيدهم ونعرف أنواع الأزهار التي كانوا يزرعونها في سباتينهم واطعمة المغنيين والراقصات وأنواع الملاهي التي كانوا يجوزونها في منازلهم اترويح أنفسهم وزراهم من أشد غواة الصيد والقنص وغير ذلك

مطلب ذكرنا آخر الدولة المصرية القديمة - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان - وباتهاء مدة العائلة الملوكية السادسة انتهت المدة التاريخية الحقيقية التي يطلق عليها اسم الدولة القديمة المصرية وذلك أن الديار المصرية بعد عهد العوائل الملوكية الخمس الأولى كان لها ظاهراً حالة السلم الداخلية وكانت فيها قد بلغت إلى درجة التمام وإن حالة البلاد كانت في غاية الانتظام وإن أبواب الوسايل البكار كانوا منضبطين تحت الطاعة والوقار والرعاياء محمّلين ثقل الظلم والصغار وكذلك العمل الذي كان يجبرهم عليه كبرولاء الأمور المنشئين للأهرام حتى جاءت العائلة الملوكية السادسة فظهرت في عهدها وائل الفتن الأهلية والمحن الداخلية والظواهر أن مدة حكم الملوك الأولين من أعضاء هذه العائلة الملوكية قد كانت ساكنة وإن البلاد كانت في عهدهم آمنة مطمئنة ومنهم الملك المسفي باسم فيوبسيس (بفتح الفاء الموحدة في أوله يليها ياء مثناة تحتية فواو قاف فارسية فسین مهمل في آخره) حكم ديار مصر مدة قرن كامل من الدهر وهذه حادثة تاريخية فريدة لم يعهد لها نظيرة معهودة في تاريخ العالم بتمامه وقد كانت مدة حكمه هذه على ديار مصر لا تتخذ لوعن فخر إذ وقف له على آثار بعض عمارات نصر فيها على أنه غزا بعض غزوات واتصر عدة نصرات على أقوام الزوج المتوطنين بصعيد وادي النيل الأعلى وغيرهم من القبائل الرحالة التزالة الوارد من نواحي بلاد آسيية حيث كانوا يسعون بالفساد على ثغور البلاد من تلك الجهات غير أنه قد كان في مدة عهده الملك المديد أن قام رجل من ذوى البغي والطغيان يقال له اكتويس (بفتح الحزق في أوله) ورفع لواء العصيان بمدينة هيرقلا وبولس أو هيرقلية الصغرى (مدينة مصرية قديمة كانت موضوعة على مسافة ٢٥ كيلومتراً من شرقي مدينة تانيس وهي المدة الآن باسم أهناس المدينة) بنواحي الدلتة النيلية وعزل من بلاد السلطنة الفرعونية عدة أقاليم مصرية واتخذها لنفسه ملكة خصوصية وجاءت بعد الملك فيوبسيس هذا الملكة المصرية المسماة باسم نيتوكريس (بكسر النون الموحدة في أوله) المعروفة في التواريخ بنعت (الجناء ذات الجودود الوردية) وقد اطرى القسيس ما نيتون المصري والمؤرخ

هيرودوت اليوناني ما كانت عليه هذه المملكة من درجة الحكمة والكمال وشدة الحسن والجمال فأرادت ان تجتهد في اطفاء نار الفتنة والاختلال وكانت قد اشتملت حتى وصلت الى كرسى المملكة الفرعونية الاصلية فلم تبلغ تلك الامنية بل أدركتها المنية في اثناء المباشرة لهذا العمل فهلكت وقد خاب منها الامم ومكثت الديار المصرية مدة تقرب من ثلاثة قرون دهرية وهي منقسمة الى مملكتين ومتوزعة بيد دولتين متفرقتين احدهما مستولية على نواحي الدلتا المصرية والثانية على بلاد مجرى النيل العينية وكانت العائلة الملكية التاسعة والعاشر من ترتيب المؤرخ ما يتون المصري حاكمة على الجهات البحرية والثامنة والحادية عشرة على الجهات القبلية

مطلب بيان انحطاط درجة التمدن المصري في ذلك العهد العصري قال المؤرخ فرانسيس لوفورمان في مختصر تاريخه القديم السالف الذكر والبيان ما عناه ومن وقت ان اقتضت حادثة تعدى الرجل الباغي المسمى باسم اكنويس المذكور آتفاع هذا التمدن الاهلية بالديار المصرية كان قد اعترى شمس التمدن المصري في ذلك العهد العصري على حين بغته منه حادثة انكساف كلي من حوادث الزمان لا يعلم لها سبب بعد لغاية الآن وذلك انه انقضت بعد ذلك مدة نحو ثلاثة قرون دهرية ونحن لا نرى للديار المصرية آثار عساة أثرية مطلقا وكأن ديار مصر في خلال ذلك العصر قد انمحت بالكليّة من مراتب الامم والممل ولما انقضى من رقدة تمدنها هذا الاجل كأنه قام يستأنف السير في طريقة بالثاني يدون ان يقفوا اثره الماضي

قال المؤرخ فرانسيس لوفورمان المذكور وفي عبارة المؤلف مارييت المشهور (وهو مارييت بك ناظر الانتيقانة المصرية السكّانة الآن على مجنة نهر النيل ببولاق مصر الحمسية اى ناظر مخزن الاثار القديمة الفرعونية وهو من لدن الحضرة الخديوية بالحفر والبحث عن المواد التي يحصل عليها العثر في الاطلال القديمة المعروفة بل كفرة لقصد الاستدلال بها على الحقائق التاريخية العلمية مأمور) مانصه كما هو بعد مسطور

ودولعمرى ان المنظر الذي يظهر من حال ديار مصر في عهد الدولة المصرية القديمة هو جدير جدا بان يقف عليه الناظر البصير وذلك انه لئنما كان سائر جهات الارض المعمورة في الحقبة المذكورة منغمسين في ظلمات التوحش والبداءة وكان أشهر الملل والامم الذين صار لهم فيما بعد في المصالح الدينية من العناية والمداخلية المنصب الاعظم لم يزالوا بعد متلبسين بالحالة الوحشية كانت سواحل نهر النيل تظهر لعين الراى في منظر حسن جميل ومراى زاهر جليل تغذى قوما من الناس في سالف تلك الحقبة أولى حكمة وتمدن وأدب ودولة ذات شوكة قوية تعتمد على حقن ترتيب هائل من أبواب المناصب والعمال الدولية تحكم في نوازل الملة بالاسباب والادلة ومن أول وقت لحظنا هذه هيئة التمدن المصرية في سالف تلك الاعصار الدهرية ولو بلغت ما بلغت

من التوغل في الاعصار الماضية لم نزل نراها بحالة كمال على وجه بحيث تكاد ان لا تحتاج
لاكتساب فائدة جديدة من الاعصار التالية وان كانت اياما كانت عديدة بل ربما صحت ان
يقال ان تمدن ديار مصر من بعض الحثيات اعتراه التناقص والانحطاط حيث صار لا يبق
في عصر من الاعصار من العمارات مثل الاهرام (انتهى معربا)

الفصل الثاني

في تاريخ الدولة المصرية المتوسطة

مطلب يقظة تمدن مصر في سالف ذلك العصر - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور
اعلاه في مختصر تاريخه الصغير مامعناه وفي وقت ان كانت الدولة المصرية القديمة قد ظهرت
الى تلك الدرجة العظيمة من ذلك العهد لم تكن مدينة طيبة الصعيد توجد بعد والظاهر
ان تلك المدينة التي كان المصريون يعتقدونها حراما لعبودهم المدهوب اسم آمون كان أول تأسيسها
في مدة الاختلال والنجول التي اعترت الديار المصرية بعد العائلة الملوكية السادسة حسبما هو
آنفا من قول وكانت هي أول مهد لتلك النشأة الثانية التي نتج عنها اشراق الملك والتمدن المصريين
بالشأن وقد جرت عادة المؤرخين بالتعبير عن تلك المدة في اصطلاحهم بـ الدولة المصرية المتوسطة
وكأنها هي مدة القرون الوسطى بالنسبة لدار مصر العتيقة وان كانت سابقة على كل تاريخ
يعهد في الحقيقة وقد كان من مدينة طيبة هذه منشأ الملوك الستة الذين قاتلوا عصية البغاة
الخارجين على الدولة المصرية الاصلية مع غاية الهمة والثبات بالاقليم البحرية وغيرهم بحسب
الخمسين من الغزاة المتعدين على الديار المصرية من ملوك البلاد الاجنبية وكانت عاقبة
أمرهم ان استرجعوا دولة مصرهم لا يديهم بالشأن قال المؤرخ ماريت بك (في مختصر التاريخ
القديم الذي ألفه للديار المصرية بأمر الحضرة الخديو بقما تعريب عبارته هكذا

وفي العهد الذي تشاهد فيه الديار المصرية بعد العائلة الحادية عشرة الملوكية قد استيقظت
من طول رقدها كانت الروايات المأثورة فيها من قديم الزمان قد انزوت في زوايا النسيان
وحدثت أمور أخرى جديدة فتبدلت أسماء الاعلام التي كانت معتادة للمصريين في تسمية
العائلات الالهية وتغيرت الالقاب والنصوت بالوظائف التي كانت تعطى لارباب المراتب المصرية
وأصحاب المناصب الميرية وتغير كل شيء في مصر بذلك العصر حتى كيفية الكتابة الالهية وحقيقة
الديانة المليية وزالت وظيفة قاعدة المملكة السلطانية عن كل من مدينتي تينيس وإليفتين (جزيرة
أسوان) ومتفيس وصارت مدينة طيبة من غير سابقة ذكر لها في المأثورات المصرية السابقة
هي قاعدة السلطنة الفرعونية وكرسي الشوكه المصرية السلطانية غير ان دولة مصر في ذلك

العصر كانت قد زالت يد هاعن كثير من أملاكها الارضية وصارت مملكة ملوكها الحقيقيين لا تمتد على غير مقدار سبيل لا يتجاوز حدود القطر المبرعنه بلفظ الطيبايد (أى البلاد الطيبية بمعنى الصعيد) ولقد أكد النظر فى العمارات العصرية التى حصل الوقوف عليها فى ذلك العهد للديار المصرية تلك المخوفات العمومية كل التأكيد وقضية ذلك ان تلك العمارات لم يرزل يتظاهر عليها اشارات الفشامة والقساوة ويتبادر منها علامات الفظ والبداوة وبالأطلاع عليهم ايظن الناظر اليها ان الديار المصرية فى عهد العائلة الحادية عشرة الملوكية قد عادت تستأنف ما كانت قد تلبست به من حالة الطفولية فى عهد العائلة الثالثة الملوكية « انتهى معربا من تاريخ مصر القديم للورخ مارييت بك)

مطلب ذكر العائلة الملوكية المصرية الثانية عشرة — قال المؤرخ فرانيس لونورمان المذكور أعلاه بعد ذلك ما معناه

ثم جاءت بعد ذلك عائلة ملوكية أخرى هى بحسب الحدس والتخمين لهؤلاء الملوك الطيبين الاولين فى النسب من الاقربين وأصل نشأهم كلهم من مدينة طيبة الصعيد المذكورة وهى التى يعبر عنها فى اصطلاح المؤرخين بالعائلة الملوكية الثانية عشرة وسائر ملوك هذه الدولة المصرية كلهم يدعون أما بائسم اوزورتوزان اوباسم آمونيه وكانت قد أقامت على كرسى السلطنة مدة ٢١٣ سنة ولقد كان عصر هذه العائلة الملوكية على الديار المصرية من السعادة والرفاهية وحسن الانتظام والسلم فى الامور الداخلية والهيبة الفرعونية لدى الممالك الاجنبية على وجه تام وذلك ان ملوك العائلة الحادية عشرة المصرية هذه كانوا قد استردوا ما كان بأيدي الدولة المصرية السالفة من بلاد الجزيرة العربية الشمالية الغربية وكانت قد انزلت من ايديهم فى مدة الفتن الاهلية والمحن الداخلية التى كانت قد اعترت الديار المصرية فى سالف الحقبة العصرية وادخلوا تحت الطاعة الفرعونية بالطريقة القطعية بلاد اخوبة مع جزء من بلاد الايتيوبية وانشأوا بعض عمارات اثرية عجيبة وابنية غريبة تضاهى من حيثية القرابة عمارات العائلة الملوكية الرابعة وان كان بعضها على منادرجة من حيث كونها نافعة فمن ذلك المغارة المشهورة والبركة المذكورة كل منهما بائسم مغارة موريس وبركة موريس (بنواحى الفيوم) حيث كان انشأهاتين انعمارتين العجيبتين و بناء هذين الاثرين القريبين فى عهد ملوك هذه العائلة الملوكية على وجه بحيث يخلد بهما منم المذكر ويبقى لهما المفضل فيما بعد على عمر الدهر

مطلب الكلام على بركة موريس وأصل الباعث على انشاء هذا الاثر النفيس — قال المؤرخ فرانيس لونورمان فى هذا الشأن ما تعريه هكذا.

فأما بركة موريس فقد كانت معدودة عند الامم الاقدمين من عجائب ديار المصريين وكانت مع ذلك من انفع المصنوعات الاثرية الماثورة عن المملكة الفرعونية المصرية وبيان ذلك كما أوضحه المؤرخ ماريت بك في مختصر تاريخه القديم المذکور ونص عبارته (معربة) كما هو بعد مسطورته انه في ذلك العصر قد كان نهر النيل بديار مصر اذا كانت زيادته الدورية غير كافية لرى الاراضى الزراعية بقى بعض الاراضى بدون رى وصار بالضرورة غير متزده واذا خرج النيل عن مجراه الطبيعى بشدة طغيان قلع القناطر والجسور وافسد الترع والخجان وأغرق القرى والبلدان وأجذب الاراضى الزراعية بدلا عن ان يخصبها وكانت ديار مصر على مر الدهر لا تزال مترددة بين آفتين هائلتين مخيفتين طامتين غائلتين فلما ولّى ديار مصر الملك المسعى باسم امونته الثالث من ملوك العائلة المالوكية الثمانية عشرة استيقظ لهذه الماهرة فأنشأ لتذكّرها عمارة جسيمة جدًا وذلك انه يوجد فى غربى الديار المصرية بلسلة الجبال الليبية واحة متسعة من الارض الصالحة للزراعة وهى ما يدعى الآن بالفيوم تنصل بأرض الوادى الذى يرويه ماء النيل بما هو أشبه ببرزخ من الارض كما هو من المعلوم وكانت تلك الواحة ضائعة لا تتفاح بها فى وسط تلك الصحرا وفى وسط الواحة المذكورة هضبة متسعة تساوى درجة استواء سطحها درجة استواء سطح أرض وادى مصر المنزوعة على وجه العموم وعلى جهة الغرب منها انخفاض عظيم من الارض يتكون منه واد توجد فيه بركة طبيعية تبلغ عشرة فراعخ طولها وهى التى تسمى **بركة قارون** فى وسط الهضبة المذكورة شرع الملك امونته الثالث فى ان يحفر حفرة أوبركة أخرى صناعية على نحو عشرة ملايين من الفراعخ المربعة فتم هذا العمل وصار النيل اذا جاء تزدادته غير كافية لرى الاراضى المصرية المزروعة توجهت تلك البركة المصطنعة فسالت المياه المخزونة فيها وامت أرض الفيوم وغيرها من أراضى الشاطئ الايسر من النيل لقاية ساحل بحر سفيده وان جاءت الزيادة فوق الحد المحدود وخشى على القناطر والجسور من هذا المخذور تركت محازنها المتسعة مفتوحة حتى اذا طاف الماء على شواطئها انصرف ما ينض من تلك البركة الصناعية بواسطة قنطرة الى بركة قارون الطبيعية هـ (هـ) مفقولا من تاريخ مصر القديم المؤرخ ماريت بك

مطلب ذكر ما عثر عليه من العمارات الاثرية المنسوبة الى هذه الحقبة الدهرية - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان فى مختصر تاريخه القديم السالف الذكروالبيان - لامناقضة الآن فى ان مصر العائلة المالوكية الثانية عشرة قد كان فى تاريخ الديار المصرية من أعظام الاعصار بل يصح ان يقال قولاً لا يخفى عليه من ردولاسكار بأن تمدن الدولة الفرعونية فى تلك الحقبة الزمنية كان قد بلغ الى أعلى أوج الإفتخار وأتم درجة الانتشار والازهار غير ان غارة الملوك

المعروفين في تاريخ الدار المصرية بالملوك الرعاة الذين جاؤا من جهة بلاد آسية وتغلبوا على بلاد وادي النيل بعد ذلك بقليل كانوا كما يظهر قد وجهوا جل همهم وأعمالهم أشد قضاة نظمهم وغلبتهم نحو اتلاف كل ما بقي بملوك العائلة الثانية عشرة هذه أدنى ذكر أو أثر فاقطفوا آثارهم وانحروا ديارهم وأزالوا ما كان هؤلاء الملوك المصريون قد أنشأوه من الابنية العظيمة والعمارات الجميمة حتى أنهم لم يبقوا لهم أثر عظيم مطلقا من مبدول لا غيره ومع ذلك فقد حصل العثور لحالة الصنائع والفنون المدرسية في العهد المذكور على مقدار كثير من الفؤوجات والعينات المفيدة في جملة أعمدة أثرية عديدة وجدت في قبور بعض الموتى من آحاد الناس ولم يرزل يوجد منها العدد الكبير في ذات القبور الكائنة بالناسية المشهورة بنى حسن من بلاد الصعيد المصرية وقد نهل منها شيء كثير إلى مخازن الانثى فغنائات الأوروية

وهذه المقابر الجميمة والملاحد الغريبة هي مقابر بعض اناس من اعيان قدماء المصريين كانوا متقلدين بأعلى المناصب الميرية وأكبر المراتب العمومية في الدولة المصرية وكانوا يعيشون عيشة كريمة المعاش السيادة التي كان عليها الامراء العظام والاعيان السكرام في عهد الدولة المصرية القديمة أعنى على الوجه الذى هو من ذلك العصر معهود من انهم كانوا يعيشون بمنزلة الاسياد وباقي الرعية لهم بمنزلة العبيد بل كانت حالة وجودهم الاجتماعية قد استجسب الظن في هذا العهد من الزمن من أنواع الحكومات الدولية إلى صورة الحكومة الاهيانية الوراثة النامة عن ذلك قبر رجل من ارباب الوظائف العامة يقال له آمينى أو آمونى (بمذاهمة في أوله بإيهامهم مما لعله على يام من ثناء تحية ساكنة أو مضومة يليها أو معدودة ثم نون موحدة بعد هاياه من ثناء تحية في آخره) وجد فيه ٤٠٠٠ من هذا القبيل مسطرا عليه بالقلم المصرى القديم نص اثر طويل يحكى فيه مناقب حياته بنفسه قائلا « انه بوظيفة قائد عسكر غزا غزوة بلاد السودان ونيط اليه أمر خفر القوافل الحاملة للعدا اذهب المحلوبة من بلاد النوبة إلى مدينة قبط (المسماة بامم قبطوس عند اليونان) واختصر قصة مدة حياته بوظيفة عامل اقليم من الاقاليم المصرية (المعبر عنها الآن بانظ المديرية) بقله وقد كانت جميع الاراضى الكائنة تحت ولايتى من الشمال إلى الجنوب محروقة مفروسة ولم يبق شيء من معالمنا ولم ازل معش طفلا صغيرا لا أذيت أرمله قبط بل أعطيت عطائى للارملة والمزوجة بالسوية ولا قدمت كبير اعلى صغير انى جميع الاحكام التى صدرت عنى » (انتهى نص كلامه معربا معناه حسبما نقله المؤرخ ماريت بك في تاريخ مصر القديم ورواه)

مطلب - ما حصل في نظام الدولة المصرية المتوسطة من الاختلالات الاهلية والفن الداخلية

ثم باقراض العائلة المالوكية الثانية عشرة عادت الفتن الاهلية والمحن الداخلية في الدولة المصرية بالثاني وذلك ان العائلة المالوكية الثالثة عشرة وعدة ملوكها استولوا على كلهم من مدينة طيبة وسائرهم الا قليلا منهم يسمى أما باسم سيجخو طيب أو باسم نيفرو طيب (بامالة الطاء المهملة على ياء مثناة تحتية يليها ياء موحدة في آخره) هي وان كانت قد ابتدأت مدة ولايتها على كرسى الدولة الفرعونية بالاستيلاء على جميع أراضى الديار المصرية من غير منازع ولا شريك بالكلية بل كانت قد امتدت حدود المملكة المصرية في تلك الحقبة العصرية من الجهة الجنوبية والشمالية بدليل ما عثر عليه مما هو من قبيل الصور الحائلة (العروقة بابى الهول) المصورة فيها ملوك هذه العائلة المالوكية في المسكن الكائن فيه اطلال مدينة تأنيس (سان) باتصى جهة الشمال الشرقى من ديار مصر وفي جزيرة ارجو (بقبح الهمزة وسكون الراء المهملة) على القرب من دققله غير انها بعد مدة يسيرة من ولايتها كانت قد قامت عليها في الجهات البحرية من الديار المصرية عائلة ملوكية باغية أصلها من مدينة اكسويس (بكسر الهمزة في أوله وهي الآن سخا) وهذه العائلة المالوكية الحادية هي المعدودة في ترتيب المائتين المصرية بالاربعة عشرة

مطلب مذكرة غارة الملوك الرعاة على الديار المصرية ومن القرن الحادى والعشرين فنالوا الى القرن السابع عشر ق م — وفي هذه المدة الدهرية كان قد اعتزى الديار المصرية منسية هائلة وبليغة غائلة هي أعظم المصائب وأدوم النوائب المسجلة في سجلات تواريخها السنوية حيث جاءت فقطعت ثمانى مرة ما كان حاصله على شواطئ النيل من سير التمدن الجبل ومحت ديار مصر من مراتب المال والاعم مدة حقبة من الدهر وبيان ذلك ان هذه من قبائل العرب والشام الرحالة التنزلة وكان من أعظمهم شوكة وأقواهم عصية الاقوام المسمون بالهيثيين من بنى كنعان انتحروا الفرصة مما كان واقع بين العائلة المالوكية الطيبية والاكسو يسية من العداوة والاختصاص وما ترتب على ذلك في تلك البلاد بالضرورة من اختلال النظام فجاءوا الى الديار المصرية وأغاروا عليها وأدخلوها تحت طاعتهم وهذا هو ما عبر عنه في اء طلاح اهل التاريج الاور وباو بين بقارة الملوك الرعاة على الديار المصرية (ويقال له عند المؤرخين الاسلاميين ملك العمالة على ديار مصر) وهو آخر مدة الدولة المصرية المتوسطة وقد كان من اخبار الملوك الرعاة المذكورين انهم بعد أن تمكنوا من ديار مصر أخذوا في أول الامر كما فعل التاريج لاد الصين في انهم وجهوا جل همهم واعملوا كل قضاظتهم وغلظتهم نحو اتلاف كل ما قابلهم من عمارات القوم السالقين ثم انتهى أمرهم بعد مدة يسيرة من السنين بان أذعنوا العالى تمدن القوم المغلوبين وتخلوا وبالالاخلاق المصرية وتعودوا بالاموال البلدية الاهلية فانخذلهم مثل العائلات المالوكية المتقدمة بيوت ملك هنتظمة وكانت جهة الصعيد لم ينزل بها من القوم المصريين الاهليين من لم ينظر اعليه شائبة اختلاط الدم

الاجنبي بقيت فيه العصبة الاهلية والشهامة الاصلية فقام منهم قوم على هؤلاء الاغراب يقر ملكتهم وخرجوا عن طاعتهم وانقسمت البلاد الى ملكتين وانتظم فيها امر دولتين محيرتين احدهما في الجهة الجنوبية وهي مصرية مخضعة قام بها ملوك العائلتين المالوكيتين الطبييتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة وكانت قاعدة ملكهما بمدينة طيبة والثانية بالجهة الشمالية بيد الملوك الرعاة وقاعدة ملكهما مدينة تانيس (سان) المسماة ايضا بمدينة اواريس وقد كان في مدة دولة احدهما وآخر هؤلاء الملوك الرعاة المسمى باسم ابوفيس ان حضر يوسف بن يعقوب الى الديار المصرية قصاره ووزيرا وتوطنت عائلته يعقوب على الشواطىء النيلية ودليل ما ذكر اعلاه انه لم يثر لنهاية الا ان للملوك الرعاة على اثار عمارات ولايتان اللهم بمدينة تانيس هذه التي كانوا قد اتخذوها قاعدة لملكهم وجعلوها كرسى سلطنتهم ولقد انضج بالاطلاع على الاثار المذكورة ان صناعتها كانت أجل وان العمل فيها كان ادق واكمل من العمارات الماثورة عن العائلات الملوكية المعاصرة لها بالجهات القبلية وما ذلك الادعاء ان المملكة التي كانت يسكنها هؤلاء القوم البغاة كانت بالضرورة أغنى وأهنا واثري راسراً عما كان قد بقي بسدولة الملوك المصرية الاصلية من بعض الافاليم الجنوبية التي كانت لم تزل تقاتل مع غاية المشقة والجهدة لقمع خروجها عن طاعة الملوك الرعاة

ولقد يشاهد في تلك الآثار من صحيح الاخبار ان الملوك الرعاة المذكورين كانوا قد انتهى أمرهم بأن صاروا فراعنة حققيين وتلقبوا بعين الاقارب التي كان يتاقب بها اعضاء العائلات الملوكية السابقين بل تدينوا ايضا بديانة اهل مصر والدرجوا بطريق القهر في ضمن عبيوداتهم المصرية الملية واصنامهم الاهلية ما كانوا يعبدونه في بلادهم الاصلية من الاله المسمى باسم (سيت) وانتهى امره بأن بقي مندرجاً في جملة معبوداتهم الاهلية بالطريقة القطعية لاعلى وجه كونه في أول مرتبة الالهية كما أرادوا ان يجعلوه في أول الامر ولكن بدرجة ثانوية ولقد كانت اخلاقهم وعوائدهم هم وورعاياهم هي عين عوائد المصريين الاصليين مع بعض عوائد خصوصية قليلة كانوا قد حضروا بها من اقطار اسيية التي هي اوطانهم الاصلية

مطلب انقاذ الديار المصرية من يد الملوك الرعاة — كانت ديار مصر قد مكثت مدة اربعمائة سنة من الدهر منقسمة بين القوم الاغراب البغاة المعروفين بالملوك الرعاة والملوك المصريين الاصليين من القوم الصعيديين بل كان هؤلاء القوم المذكورون في اكثر تلك المدة ليسوا بانفسهم مستبدين بل كانوا اتباعا لدولة القوم المتغلبين حتى جاء وقت أحسن فيه القوم البلديون بأنهم صاروا من البأس والقوة على درجة بحيث يمكنهم أن يتخلصوا من ربة القوم الباغين الذين هم عليهم من بلاد اسيية من الاغراب الطارين وكان قد قام على كرسى ملكة طيبة الصعيد بيت ملك جديد كان أربابه أولى شهامة تامة وبأس شديد وأصحابه ذوي

حرب عنيد فكان أول من قلد منهم بتاج المملكة الصعيدية الملك المعني باسم أموزيس
(بعد الهزيمة في أوله بعد هزيمة قوا وقزائ هجته فيا، مناة قحتمية فسين مهملة في آخره) وكانت
حادثة تقليده على المملكة قد اشتهرت بحراية لقصد انقاذ الوطن يظهر انها وان كانت غير مستطيلة
لكنها كانت حرا بشديدة وذلك ان الملك أموزيس هذا غلب المملوك الرعاة وظفر بهم واستولى
بطريق العنوة على قاعدة ملكهم وادخل تحت طاعته سائر البلاد المصرية لغاية حدود
أرض كنعان وانتقلت عليه القوم الرعاة الى ما وراء برزخ السويس وفروا الى بلاد آسية ورخص
الملك أموزيس لمن بقي منهم في حيازة قطعة من الارض كان اسلافهم قد تغلبوا عليها
ليزرعوها ويتعيشوا منها قال المؤرخ ماريت بك المذكور أعلاه في هذا المقام ما معناه
ولقد تكون منهم في شرقي الاقاليم البحرية من الديار المصرية نزلة اجنبية بالشرط التي
كان قد اقام عليها بديار مصر بنو اسرائيل في ذلك العصر غير انهم لم يكن لهم حادثة هجرة
وطنية اى قصة خروج من ديار مصر حكيت في سفر مخصوص من التوراة مثلهم وبالتقدير الازلية
البعية نرى انهم هم الاقوام الغريبة اولو البنية القوية والوجوه الكثرة المستطيلة الذين هم
لغاية الآن على شواطئ بحيرة المنزلة سكان (اه)

الفصل الثالث

في الدولة المصرية الحادثة

مطلب ١ - ذكر العائلة المالوكية الثامنة عشرة المصرية (اعني تاريخ ديار مصر في القرن
السابع عشر ق م من سالف العصر)

اهم ان حادثة طرده هؤلاء القوم البقاة المعروفين في تاريخ الديار المصرية بالملوك الرعاة هي أول
البشرى العظيمة بقدم مدة حكم العائلة المالوكية المصرية الفخيمة المدة بالثامنة عشرة
وذلك ان الملك أموزيس بعد ان أعاد حدود السلطنة الفرعونية الى درجة كمالها الاصلية
التفت لاصلاح الاحوال الداخلية وجير ما اتلفته يد الغارة الاجنبية فأعاد عمارة مدينة
منفيس الى الثاني وكانت قد أخربها الملوك الرعاة المذكورون واشاد المهابد والهياكل في سائر
المحال وكانت قد صارت من قبيل الاطلال واستمر على أعمال العمارة والانشاء بالثاني سائر
خلفائه الذين اتفقوا آثارهم من الملوك الاولين المدعوين باسم الفراعنة الطوطموسين
والامينوفيين حيث كانت الديار المصرية في مدة عهد هؤلاء الملوك المصريين
ايضا قد دخلت في طريق الفتوح وشدت جيوشها على بلاد آسية أشد الغارات وكان ذلك
لقصد ان تتنقم لنفسها ما فعله بها تمدد هؤلاء البقاة فاستولت على جميع ارض كنعان

وتعددت الما وراء صحاري الشام من البلدان واغارت على الاسوريين (للعراقيين) بلاد الجزيرة وقد كانوا لم يبلغ لدرجة الكمال دولتهم ولم تهم مادة تكوين مدنياتهم وان كانوا هم ذلك العصر قد استولوا على مدينتي نينوى وبابل ومن غنازيم هذه كان المصريون قد جاءوا الى الديار المصرية بنوع الفرس حيث لم يشاهد له رسم في تصويراتهم ولا عهد له ذكر في تذكيراتهم بعد بل يظهر انه قد كان امرا مجهولا لهم لغاية ذلك العهد

مطلب — ذكر فرعون طوطميس الثالث (اعني تاريخ الديار المصرية في نحو سنة ١٦٠٠ ق م) وكان قد حكم الملك المذكور على ديار مصر مدة نصف قرن من الدهر

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور اعلاه مامعناه ان اعظم ملوك ذلك العصر ولربما صح ان يقال ان اعظم من تعجل له ذكر في سجلات التواريخ السنوية بديار مصر هو الملك المسمى باسم طوطميس او توتميس الثالث (بالطاء المهملة او بالياء المشددة التحيية) وكان الملك المذكور قد صعد على كرسي علكة مصر بعمدة طويلة من الدهر قد اقامها وهو بحالة القصور فاستولت على المملكة المصرية بالطريقة التوكيلية اخته المسماة باسم هاتاسو وكانت عاقبة امرها ان تقلبت على سائر الامم من ولاية مصر حتى نال اخوها هذا أشده وبلغ رشده فوضع يده على مقاليد المملكة الفرعونية وادار بنفسه فيها الحركة السياسية وان عبارات عهد هذا الملك لمسي كثيرة جدا لا تحصر عدا واتجاه لجملة الصنعة جلية البدعة وان ديار مصر لتظهر لعين المتأمل لها في ذلك العصر في صورة الحكم المرضي الحكومة والقاضي النافذ الكلمة بين سائر الامم والملل المتدنة في تلك الحقبة من الدهر اذ كان سائر بلاد وادي النيل الاعلى مع ما يكاد ان يكون لغاية درجة خط الاستواء الاقصى داخل تحت قبضة ملك الفراعنة في ذلك العصر وكانت الاساطيل المصرية بمعنى السفن البحرية قد استولت مع ذلك على جزيرة قبرس و بعد عدة غزوات لم تزل تجدد على الدوام مدة ثمانى عشرة سنة من الاهوام كل فرعون طوطميس هذا قد اطاع لسيقه سائر بلاد آسية الغربية وكانت مملكة مصر في مدة ولاية هذا الملك المحلية بالعز والفخر كما هي عين عبارة بعض ارباب الادب والشعر من أهل ذلك العصر وتضع حدودها أين شئت وتنتقل بثغورها حيث اشتهت وأرادت وكانت تقوم سلطنتها تمتد على ما يعبر عنه الآن ببلاد الحبشة والسودان وبلاد النوبة والشام وبلاد الجزيرة (بمعنى بلاد الموصل) وبلاد العراق العربي واليمن مع أرمينية وكرديستان ولم يترشوا كذا الفراعنة الخارجية ولا كيفية سعادتهم الداخلية وهيئة رفاهيتهم الالهية في مدة العهدين التاليين عهد الملك طوطميس الرابع والملك آمينوفيس الثالث أدنى القبطاط ولاشين حيث كانت آثار هذين الملكين كذلك تهاهي في الكثرة واتقان الفن والصنعة آثار لهما هذا من غير شك ولا من

مطلب ١ — ذكر ما اشتهر الديار المصرية في تلك الحقبة العصرية من الفتن الدينية والمحن الوطنية (في القرن السادس عشر ق م)

قال المؤرخ فرانسيش لونورمان في مختصر تاريخه القديم السالف الذكر والبيان وبعد وفاة الملك أمينوفيس الثالث حدثت في أحوال الديار المصرية حادثتان أغرب الحوادث وأعجب الوقائع المقيمة في دقات التواريخ الفرعونية وذلك ان أمينوفيس الثالث المذكور كان قد توفي عن عدة أولاد ذكور كان أرشدهم واكبرهم سنا واشدهم ولده البكرى المسمى أيضا باسم أمينوفيس فخلف أباه على تخت المملكة المصرية غير انه في مدة ولايته على السلطنة الفرعونية ترك نفسه بالكلية في طاعة والده المسموعة بالمذبة طيبة (أوتية) بالطاعة المهمله أو بالثناء الفوقية) وقد كانت غريبة المولود الحسب وليست بمصرية المحتد والنسب فصرع هذا الملك طاعة لسوء تأثيرها واذعاناً لجأها عنده وتأثيرها في أن ينسخ الديانة المصرية المأثورة من قديم الزمان ويبدلها بالاعتقاد والايان باله واحد يسمى اتان (بالثناء المثناة الفوقية) يعبد في صورة اشراق جرم الشمس قال بعضهم وليس قوله هذا مبنياً على غير اسباب قوية انه هو الاله المعبود باسم أدوناي (بدا الحمد في أوله وتشد يد الياه المثناة التحتية في آخره) بيلا دآسية عند الام السامية فتوجهت باسم هذا الملك علمية ظلم وتغيب منتظمة على سائر افراد الرعية بسائر جهات السلطة الفرعونية وأخافت فيهما معابد الاصنام القديمة وحجبت صورهم واسماؤهم التي كانت مثبتة في أساطير تلك العمارات العظيمة خصوصاً اسم وصورة الصنم الشهير المعبود باسم آمون بصفة الاله الكبير في مدينة طيبة الصعيد وتغيرت الاسماء والنوعت المعتادة بين الناس في تلك الاعصار الى شكل غير معروف حتى ان الملك ذاته بدل اسمه وبعد ان كان يسمى باسم أمينوفيس سمى نفسه باسم **شوا اتان** ومعناه اشراق جرم الشمس وأراد أن يقطع بالكلية والجزئية كل مواصلة تربطه بمأثورات اسلافه السابقين واجداده العتيقين فترك كرسى مدينته طيبة المعهود واختط لنفسه كرسى مملكة في مكان آخر جديد هو ما يعرف الآن باسم تل العمارنة بجهة الصعيد وبعد وفاة الملك أمينوفيس الرابع المذكور بقيت الديار المصرية بحالة اختلالية لداعي ما كان قد شرع فيه هذا الملك من تبديل عقائدها الدينية فقام ثلاثة من أهليان أرباب دولته وأصحاب المناصب العالية في مملكته كان كل منهم منشرفاً بماهرته أعني متزوّجا كل واحد منهم بواحدة من بناته وتعاقبوا على كرسى السلطنة بعد وفاته وتنازعوا منصب السلطان مدة حقبة من الزمان حتى قام ولده الثاني المسمى باسم **هارا نهبي** فأعاد انتظام الامر واخذ بزمام الولاية الصحيحة على بلاد مصر

مطلب ٢ — ما بطن من قبيل الآراء الخمينية من تدخل الامة العبرانية في هذه الفتن الدينية

قال المؤرخ المسطور اعلاه في هذا المقام معناه ولم بما يقال هل كان للامة العبرانية بعض مدخاية فيما كان قدمه به وان كان لم يتم الملك آمينوفيس الثالث من اغرب الحوادث اعني ما حصل منه من الاحكام والالزام بالاعتقاد في الوجدانية الالهية والحال انهم كانوا قد تكثر عددهم وتوفر مددهم بمصر حيث كانوا قد توطنوها منذ عشرة اجيال من الدهر لغاية ذلك العصر والجواب عن ذلك انه لا مانع من الحدس والتخمين بما هناك بدليل ان مبدأ اضطهاد العبرانيين بديار مصر وتحميلهم باثقال الامر والامر حصاروى في ضمن قصة خروجهم من تلك الديار بالتوراة قد كان بما يكاد ان يكون من قبيل الضبط واليقين معاصرا من الزمان لوقت قطع دابر من كان قد تعدت به للاستيلاء على كرسي السلطنة الفرعونية من هؤلاء الثلاثة الاعيان البغاة واسترداد الاحزاب الثاني برنامج الولاية الملوكية ايد مسحقها من أهل بيت المملكة المصرية وان لنا من التهامين العديدة والظنون الاكيدة ما يدل على أن ما ذكره من التوراة من القول بأن الفرعون الذي لم يكن يعرف يوسف هو عين سيفيتوس الاول وأما ما ورد في الكتاب المقدس المذكور من أن مدينتي يثوم ورسيس بالشمال الشرقي من بلاد مصر اثما كان بناؤهما بجمل بني اسرائيل في ذلك العصر حيث كان فرعون قد حكم عليهم بالاعمال الشاقة فقد دل على ذلك ما مصرح به في عدة مواضع من أساطير العمارات المصرية القديمة من الشهادة بأن الملك رمسيس الثاني ملك مصر هو الذي شيد المدينتين المذكورتين في ذلك العصر

مطلب — ذكر فرعون سبتى أوسيتوس الاول وفرعون رمسيس الثاني (اعني تاريخ مصر في القرن الخامس عشر والرابع عشر ق م من ذلك العصر)

قد كان فرعون سبتوس الاول وفرعون رمسيس الثاني من أر باب العائلة الملوكية التاسعة عشرة التي خلفت بطريق المصاهرة العائلة الثامنة عشرة وقد كانت مدة ولاية كل من هذين الملكين ولا سيما المدعو منها باسم رمسيس الثاني وهو المعروف عند اليونان باسم سينوس وستريس متخلفة بالهبة والغفار مختلفة بوقائع حرية كبار ولم يعهد لملك من ملوك مصر على عمر الدهر ان أبني أكثر ولا أجسم ولا أغفر مما وجد لهذا العصر على جمرا الاغصا بوادي النيل من العمارات والآثار وكلاهما كان انشاؤها وتشيد عمارتها وبنائها بعمل اسرى الحرب الكثيرين الذين كان يأخذهم كل من هذين الفرعونين الشهيرين في غزواتهما المستمرة على القبائل الرحالة النزالة ببلاد العرب والكنعانيين والفنيقيين (أي السوريين) والهيثيين وهم قوم كانوا متوطنين على شواطئ نهر الاورنت أو الاورونتس (وهو النهر النابع من جبال لبنان الى حيث يصب في بحر سفيد ويسمى باسم نهر الآزى الآن) وعلى الاسوريين (أي العراقيين) والارمن وغيرهم من سكان بلاد آسية الصغرى والزنج والليبيين ولقد دل على واقعية تلك الحروب ما حصل العثور عليه من القصائد الشعرية المصرية المسطرة على قبر النيات المصرية القديمة

المعنى بالبردى (بضم الباء الموحدة في أوله) والاساطير الاثرية المحرقة بغاية التطويل والبيان كقصائد الشعرية والتصورات المنقوشة على الجدران من الهياكل والمعابد الالهية ولقد صار الحصول الآن على مقدار وافر جداً من السندات الرسمية والنصوص الاصلية التي يستدل بها على صحة واقعية هذه الوقائع الحربية ولا يتأخر ان يتيسر للورخين العصريين أن يقصوا تلك الحوادث التاريخية على ما هي عليه من حقيقةها الواقعية لغاية أدق أحوالها التفصيلية

ولقد يظهر الآن من خفي تلك السندات الاصلية والنصوص الالهية من مئة مئة حكم فرعون سيزوستريس هذا بالنسبة لغيره من الفرعنة المصرية على خلاف ما كانت قد تنظرت به لاهن مؤرخي اليونان في سالف الزمان بالكلية حيث كانوا قد اغتروا بما شاهدوه في تلك الازمان لهذا السلطان من عجيب البنيان وغريب العمارات الاثرية والذي تقضيه للعدالة التاريخية هو ان الملك رمسيس الثاني المعبر عنه على لسان مؤرخي اليونان باسم سيزوستريس هذا لم يكن قد وسع السلطنة المصرية اذ كانت من قبله قد ابلغها طوطميس الثالث لغاية العظمة الدوامية ونهاية ما تيسر لسيزوستريس من ذلك الغرض النفس هو انه اجتهد في حفظ ما كانت اسلافه قد احاطت به من سعة الفتوحات والقبض على ما كانوا قد استولوا عليه من الممالك والولايات ولقد دل جميع مدته حكمه على أن الشوكة الفرعونية الفخيمة والصولة المصرية العظيمة التي كانت ملوك العائلة الثامنة عشرة قد أبدعوا وشيدوا بناءها وصنعوها كانت قد كادت تريد ان تنقض وقارب بناؤها ان تنقض حيث ترى جميع الامم الذين كانت دولة ملوك مصر السالفين المدعويين بالطوطميسيين والامينوفيسيين في جميع الجهات من الجنوب الى الشمال ومن المغرب الى المشرق قد أرغوا أنوفهم وقهوههم واستولوا عليهم وأطاعوهم كانوا قد أخذوا في القيام عليهم واشتروا عن طاعتهم وترى السودان قد أخبذوا اليه اشتعل نيران الفتنة والثوران وترى حيطان الهياكل الدينية والمعابد الوطنية مملوءة بتصورات سائر الانتصارات التي كانت ولاية بلاد الايتوبية المنصوبون من لدن الدولة المصرية يظفرون بها على هؤلاء الاقوام الخارجين عليها وترى من جهة أخرى جزيرة صغيرة بارزة من الصحاري السكاثة على غربي الدلتا المصرية يخرج منها اقوام رحالة أولوعيون زرقاء وشعور شقراء (وهي الاقوام المعروفون بالليبيين) ينزلون في ذلك العهد من جزائر البحر المتوسط الابيض (أو بحر سفيد) على قارة افريقية فيهددون الاقاليم الشمالية واليهودية ولا تخفيهم البيوش المصرية الابغاية المشقة والجهد وترى كذلك بلاد آسية مثل هذا الامم يهاجمون قبيل رد الفعل وهو الدكر على ديار مصر حيث يشاهد من هذه الجهة أيضاً القوم الليبيون بالهليين وهم قوم أولو شجاعة وبطش شديد يقاتلون على عرايا ناب حربية قد عادوا

للقصص من عهد جديد مع عشرين قوما آخرين وعقدوا فيما بينهم عقد عخالفة على المصريين من أشد ما يقدر من هذا القبيل ويعهد ويعدان حاربهم الملك رمسيس هذا مدة ثمانى عشرة سنة متوالية لم يصل من نتيجة محاربتهم الغير المنقطعة الى غير عقد شروط مفصالة معهم على أن يترك لهم سائر ما يدهم من الالهة الارضية ولقد حفظت نسخة هذا العقد ووصلت الينا فى هذا العهد وافضح منها ان الشروط التى اشتملت عليها هى أكثر عود الفخر على الهيتيين منها على فرعون مصر

مطلب ذكر ما ثبت من الظلم والجور عن فرعون رمسيس الثانى ملك مصر قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور أعلاه ما فناءه كلما تأمل الناظر البصير فى حقيقة تاريخ رمسيس الثانى ملك مصر عرف ان هذا الملك كان غير جدير ببعث الملك الكبير الذى كان قد وصفه به أولا بى سادى الرأى اسلاف المترجمين لاساطير العمارات المصرية القديمة من العلماء الاورباويين ولقد استقر الحال الآن بما فيه مقنع كاف لذوى العرفان من الدليل والبرهان على انه يصح أن يقال عنه انه انما كان رجلا دنى النفس شديد الطمع والكبر محبا للالهة والفخر الجمالى له نهاية وانه كان ملكا جائرا للغاية قد بلغ من حب التظاهر والفخر الى ان يحا من سائر العمارات والاثر التى تيسر له فيها ذلك العمل اسماء الملوك السالفين الذين كانوا قد أنشأوا ووضع اسماء عليها بالاعنهم كانه هو مؤسسها وانيها وقضى سائر مدته ولايته مفتخرا بفروغها فى عصر شببته مستندا فيها لما حصل منه من الجراة وهو ابن عشرين سنة فى مبدأ وفاته الحربية مع الهيتيين وقد دارت عليهم دائرة الحرب وعادت عليهم مرة التزال والضرب فوق فى مكيدة كين لهم وتوصل لان تخلص منهم وليس معه من الخفر غير نفر يسير ولم يكرره واقعة حرية على سائر العمارات التى هى عن مدته ولايته مأثورة غير هذه الحادثة المذكورة وهى التى اشتهرها الشاعر المصرى العتيق المدعو باسم **بنتا وور** فى قصيدته المشهورة التى اتقن ترجمتها ناع اللغة القبطية الى الفرنسية العالم الفرنساوى الشهير باسم لوتوننت دوروجيه (بالجيم الفارسية) ولم يصل الينا غير ما من الاشعار الفخرية والمؤلفات الادبية المصرية

وقد وصف الملك رمسيس الثانى هذا فى سفر قصة خروج بنى اسرائيل من مصر فى التوراة بالملك الجائر لداعى ما اتقل به على العبرانيين من انقال الظلم والاسر وقمعياهم باحمال المشقة والاثر ولعمري ان هذا الذمت هو ما بصغه التاريخ حتى تم عمل الكشف عن سائر اعماله وتتحقق حقيقة افعله وان ذات الالهة المصرى قد كانوا هم ايضا فى مدته ولايته على هذه الديان

يناسون القسود بقعة من المذلة والصغار ولقد حصل العنور الآن على سندات أصلية أثرية وقبودات أهلية مصرية مشر وحافيا باقوى ما يأخذ بمجامع القلب حقيقة أحوال ما كانت تقاسمه أهالي الأرياف في عهد من الضنك والركب

مطلب — ذكر فرعون ميرافته (في القرن الرابع عشر ق م)

قال المؤرخ المحكي هذه اعلاه ماعناه وقد كانت مدة حكم فرعون ميرافته وهو ابن رمسيس الثاني السالف الذكر وخلفه على كرسي ملكة مصر كله مصر خمس وشوم حيث نوات فيه مصائب الدهر على رأس ديار مصر بسوء عاقبة ما كان قد حصل من إيه في مدة حكمه من الجور والظلم وذلك ان الليبيين انضمواهم الى الاقوام البيلاجيين (بالهاء الفارسية في أوله والجسم الفارسية أيضا قبل ياء النسبة في آخره بمعنى اليونانيين) المتوطنين في جزائر بحر سفير على سواحه والاقوام المسهين بالآشيين والتيرانيين والسيكوليين والدور دونيين (من سكان البلاد المعماة ببلاد اوروبا الآن) كانوا قد تعصبوا على المصريين واغادوا على ثغور الديار المصرية من الجهة الشمالية الغربية واضروا بجميع بلاد الدلتة والاقاليم البحرية وبلغوا من وراء مدينة منفيس الى حيث لم تحصل عليهم الغلبة والنصر من أهل مصر الابغاية المشقة والصبر ولم يكن قد حصل دفع هذه الغارة الشديدة حتى بدأ امر الفتن العديدة وظهر سر المخن المتنوعة التي كان قد تسبب فيها على مصر بنو اسرائيل في ذلك العصر وانتهت بمحاذنة هجرتهم بمعنى خروجه من ديار مصر حيث كانت هذه المحاذنة التاريخية في مدة ولاية هذا الفرعون على الديار المصرية وانتهت مدة ولايته بغارة أخرى جديدة حصلت على ديار مصر في ذلك العصر أيضا من الاقوام المتوحشين والامم الرحالين التزاين من الآسيين واعقب تلك النازلة الكبرى عصر فتن أهلية ومنازعات داخلية استغرقت سائر آخر مدة ولاية العائلة المالوكية التاسعة عشرة المصرية ولم تته مدة تلك الحركة القتنية الا بوقت ان قام على سرر ملكة الديار الفرعونية الملك رمسيس الثالث على رأس عائلة جديدة ملوكية

مطلب — ذكر رمسيس الثالث ملك مصر (وهو آخر مدة القرن الرابع عشر ق م)

قال المؤرخ المذكور اعلاه ماعناه وقد كان هذا الملك الذي بهذا الاسم وهو الذي بنى القصر المتسع المشيد الكائن بالناحية المعماة بمدينة آيومن طيبة الصعيد هو آخر الفراعنة المصريين العظام وناقة الملوك المصريين الفخام غير ان سائر وقائمه الحرية انما كانت مجرد دفعية (يعني انهم لم تكن من قبيل الفارات البدائية) وكانت جميع همة متوجهة على الدوام والاستمرار نحو مقاومة ما كان يتوارد على ثغور ملكة مصر في آخر ذلك العصر من امواج الامم المتوحشين واقواج القبائل البدويين الذين كانوا يتوافدون اليها ومن كل جانب يغيرون عليها وينذرون على تلك الديار تغاربات الخراب والاندثار فمن ذلك ان الهيثيين الذين هم اشدها أعداء فراعنة الدولة

المصرية الحديثة كانوا قد بلغوا مقاصدهم من عقد معاهدة شديدة على المصريين وتعبوا عصبية جديدة مع اقوام كثيرين دخل فيهم لغاية القوم الاقدمين المسمين بالدردانيين الذين هم سكان اقليم نزادة الشهيرين واتحدوا ايضا مع عصبية الامم البيلاجيين وقد كان رأس عصبيتهم في ذلك الحين القوم المعروفون بالفلسطينيين الخارجين من جزيرة كريد وكان هؤلاء القوم المذكورون قد عقدوا سالف عهدودهم على المصريين من جديد مع الاقوام الليبيين وشنوا الغارة كلهم دفعة واحدة على سائر الاقاليم والولايات الداخلة تحت طاعة الدولة الفرعونية من جهة الشرق والغرب والشمال فقتل الليبيون على غربي الاقاليم البصرية والحيثيون على الديار الشامية وزلزلت الاساطيل البيلاجية على سواحل أرض فلسطين ودارت رحى الحرب والقتال على البر والبحر معاً في عدة محال وقد عثر في آثار أهل مصر القديمة على صورة جميع وقائع هذا الحرب العظيمة منقوشة على واجهة ابواب القصر الملوكي الكائن بجهة مدينة أبو حيث ترى الملك رمسيس الثالث هذا مورا فيما على هيئة الخارج منصوراً من المعركة وفي صورة الحامي لجميع عمالكة التسعة من غائلة المهلكة وأنه يدفع صائفة الليبيين ويقمع شوكة الاقوام الآسيين ببلاد الشام مع كون اساطيل البحرية رافعة الاعلام تلتف الاساطيل البيلاجية والسفن الفلسطينية غير ان ظفروهم يصمغ هؤلاء الاقوام لم يكن على وجه تام بحيث أنهم لم يضطروا أن يفعل كما فعل امبراطرة الرومانيين بوقت انحطاط دولتهم حين كرت عليهم داهية الاقوام المتوحشين ولم يصكهم الظفر بهم بالكلية وذلك انهم بعد ان انتصروا عليهم وغلبوهم اضطروا لأن اقطعهم مقاطعات أرضية من بلاد الدولة الرومانية وهكذا فعل فرعون رمسيس الثالث في آخر تلك الحوادث حيث نرى عدة قبائل عديدة من الليبيين مكتوامة وتوطين بالاقاليم البحرية من الديار المصرية ونرى الفلسطينيين وان كانوا قد اضطروا للاعتراف بسيادة فرعون مصر عليهم لكنهم بلغوا غرضهم الاصل من شن الغارة على بلاده حيث نراهم قد استقروا في ساحل غزة وهسهة لان وشاهدتهم وقد صاروا قوماً أولى قوة عظيمة وسولة جسيمة بعد قرن من الزمن لا أكثر كما هو في سفر القضاة من التوراة قد ذكر وتقرر

مطلب — ذكر مبدأ ضبط الكرونولوجية المصرية (أي ذكر الحوادث التاريخية بتواريخها الزمنية على وجه الضبط والصحة اليقينية)

قال المؤرخ المحكي عنه أعلاه مامعناه ان الكرونولوجية المصرية بمعنى علم الازمان التاريخية أي اقتصاص الحوادث بأوقاتها الزمنية كان قد أخذ من يعمدة ولاية فرعون رمسيس الثالث هذا في أن يكون على وجه الضبط والصحة اليقينية وذلك انه قد عثر على تاريخ فلكي متيد بزيج منقوش على جدران قصر مدينة أبو المذكور آنفاً في نسخة العالم الفرنسي ساوى المشهور باسم **ليموت** ومنه استنبط ان تقليد هذا الملك بولاية الديار المصرية قد كان في سنة ١٣١٢

قبل ميلاد المسيح عليه السلام وقد دلت نصوص القيودات الهيرودية على اكتشافها المؤرخ ماريت بك في اطلال مدينة منفى أو منف فيما يتعاقب عدة ولايات الملوك الخلف في داخل قبور الاثوار المقدسة التي كان يعيدها المصريون السلف ويسمونها باسم أبيس (بمذلة حمزة في أوله يليم بابة فارسية فيا منة تحتية فسين مهملة في آخره) على تاريخ ولاية كل ملك تقلد فيا بعد على كرمي الديار المصرية من هؤلاء القوم بالسنة والشهر واليوم ونسخة اصل هذه القيودات موجودة بمخزن الاثنية فحانات المحفوظة بمراية ملوك الفرنسيين المعاصرة بمصر لور (في مدينة باريس)

مطابق — ذكر انحطاط المملكة المصرية (من القرن الثالث عشر فمارا الى القرن العاشر ق م)

قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه وقد تعاقب على ملكة مصر عشرة ملوك كلهم يدعون باسم رمسيس من العائلة المتبعة للعشرين مدة قرن ونصف من الدهر وفي مدة تعاقبهم على سري المملكة الفرعونية كانت قد انفلتت من ايديهم شيئا فشيئا سائر الاقاليم الاسمية التي كانت تابعة للدولة المصرية وكان هؤلاء الفراعنة المذكورون من قبيل الملوك الكسالي الذين هم في جملة ملوك ديار فرانسة بهذه الصفة مشهورون وذلك انه في مدة سلطنتهم على ديار مصر كانت كبارة من عبادة الصنم المعبود للمصريين السالفين باسم (آمون) في مدينة طيبة الصعيد ذلك العصر قد تغلبوا شيئا فشيئا على جميع ولايات الامم المصرية وانتهى أمرهم بأن تجاروا على التتوج بتاج المملكة الفرعونية غير ان تعديهم هذا لم يقرهم عليه كافة أهل البلاد بل كانت قد قامت عليهم بالاقاليم البحرية عائلة ملوكيه أخرى وانتصبت خصمها الطائفة كبار القسس الصعيدية وحيث كانت هذه العائلة الملوكية الجديدة قد ظفرت بهم وانتصرت عليهم في وقائع حربية عديدة كانت بالضرورة هي التي تسجلت في جملة بيوت الملك التالية بصفة كونها هي العائلات الملوكية المصرية والدول الصحيحة اشترعيه

مطلب — ذكر العائلات الملوكية المصرية الناشئة بالاقاليم البحرية (من القرن العاشر فمارا الى القرن الثامن ق م)

قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه ومن وقت ان انزمت كبار القسس الذين كانوا قد قتلوا بمنصب السلطنة المصرية في الاقاليم القبلية من الديار المصرية ثم زالت دولتهم وتوات صولتهم كانت مدينة طيبة قد زال عنها ما كانت عليه من درجة الاعلوية بالكليية وصارت العائلات الملوكية الخالفة تخرج كاهن الاقاليم البحرية وفيها جعلوا بقر على كلتهم واتخذوا فيها قاعدة سلطنتهم وصاروا من الآن فمارا لا عيارة هن عائلات ملوكية حقيقية من قبيل الدول المصرية المعروفة بدول الممالك البحرية التي استولت على بلاد مصر الاسلامية بمدة القرون

الوسطى من الاقسام التاريخية وذلك ان ملوك تلك الدول المصرية الحادثة كانوا كلهم يخرجون من الطوائف العسكرية الاغراب عن الديار المصرية الذين كان الملوك الحاكون على شواطئ نهر النيل يتخذون منهم خاصة طوائف حرسهم الملوكية ومن أشهر تلك العائلات المذكورة العائلة الملوكية الثانية والعشرون التي كانت قاعدة ملكتها بمدينة بوابستيس (وهي المعروفة بتل بسطة الآن) وقد مكثت على سرير الملك من سنة ٩٨٠ الى سنة ٨١٠ ق م اذ كانت هي خصوصاً مشهورة بأول ملوكها المسمى باسم فرعون سيمز ونخيس (سبن مهملة في أوله يليها بالمشنة تحتية فزاي مجة فواوقونن موحدة نخاء مجة فيه، مشنة تحتية فسبن مهملة في آخره) وهو الذي غلب الملك روبوام ملك يهود من أرض فلسطين واستولى على ملكة بيت المقدس واستلب خزان الهيكل المقدس ومن تأمل في جداول انساب سائر الملوك الخارجين من سلسلة هذه العائلة الملوكية استغرب كل الاستغراب وقضى غاية العجب العجيب حيث يظهر له بالطريقة الجلية أن أكثر أمماتهم هي محض أسورية (أي سوريانية بمعنى عراقية) كتمرد وتجلت وسرجون وما أشبه ذلك ولا شك ان هذا دليل قطعي وبرهان اقناعي يدل على منشأ ملوك هذه العائلة الاصلية .

مطلب — ذكر الملوك الايتوبيين والاسوريين الذين استولوا على دولة الملوك المصريين (من سنة ٧٢٥ ق م الى سنة ٦٦٦ ق م)

قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه وكان قد تعاقب على سرير المملكة المصرية من بعده العائلة الملوكية البوسطية خمسة ملوك أصلهم من مدينة تانيس (سان) ومدينة اكوييس (سخا) تركبت منهم العائلة الملوكية الثلاثة والعشرون والرابعة والعشرون وكان آخرهم الملك المشهور باسم فرعون بوخوريس الملقب بالشارع أو القانوني وهو الذي كان قد عزله عن كرسي الديار الفرعونية وقتله في سنة ٧٢٥ ق م اقوام اثيوبيية كانوا قد اغاروا تحت قيادة ملكهم المدعو باسم ساباكون على ثغور الديار المصرية الجنوبية واستولوا على سائر بلاد مصر مدة حقبة من الدهر تبلغ تسعاً وعشرين سنة وتكونت منهم عائلة ملوكية مركبة من ثلاثة ملوك لا غيرهم طرأ عليهم الاسوريون وتنازعوا معهم مملكة مصر حيث كانت قد صارت في ذلك العصر لحالة الهجز وعدم القيام بالذات وأصبحت مفتحة الابواب بالكلية لكل من أراد أن يطردها من الامم الاجنبية حتى ان الملك سيناغريب (ملك العراق) كان قد استعد ليقفها ووصلت مقدمة جيوشه الى مدينة بيلوز (وهي المسماة تبنة الآن أو عين فمس المسماة أيضاً باسم اواريس في سالف الزمان) من تلك الديار ثم رعى الله سبحانه وتعالى عساكره في حصار القدس على وجه غريب بدهية الموتان العجيب فاضطر للرجوع الى بلاده بالشافي وفي سنة ٦٧٠ ق م انتزع الملك آسارادون ملك نينوى الديار المصرية من يد الملك طهراقه ملك الايتوبية وبعد مدة يسيرة من الزمن قام الملك طهراقه بالثاني فطرد الاسوريين منها واستولي

فأصابها ولما نولى ملكة العراق الملك أسور بانيبال بعد الملك أسارادون المذكور أنشأ عابد بالكر في سنة ٦٦٧ ق م على طهراقية ببلاد مصر ومكث الايتيوبيون والآسوريون يتنازعون فيما الامر واشتد بينهم القتال وامتد الحرب والتزال مدة ثلاث سنوات مرت على بلاد مصر وهي في غاية الذل والاضمحلال حيث كان يطأها العسكران ويدوسها الطرفان حتى تخربت البلاد وهما فيم ابتدأ زعان وأباحت حرمته مدينة طيبة لانتهاك العسكر فسلبت ونهبت وكثر فيها الفساد وكادت أن تغترب بالكلية وقصير من قبيل الاطلال وفي آخره الامر تمت الزكرة على الآسوريين وبقيت البلاد بيد الايتيوبيين

مطلب — ذكر الدولة المصرية الاثني عشرية وولاية العائلة المالكية الصاخرية (في سنة ٦٦٣ ق م)

قال المؤرخ المذكور أعلاه ما معناه ولما خرج الآسوريون من الديار المصرية لم يبق الايتيوبيون ولاية ثابتة من غير منازع لهم فيها الا بالاقليم الصعيدية من تلك البلاد وأما الاقاليم الشمالية أو البحرية فكانت قد تحصلت لنفسها على حرية الاستقلال والاستبداد وقام فيم ابولايه الامر اثناعشر ملكا صغار تشاركوها فيها واتسموها وكان بعض الكهنة قد أخبر بان مصر كله ينتهي أمره لان يكون لمن يصب شرا في اناة من نحاس على ذكر الصنم المعبود لهم باسم ملك أفتاء على انه الاله الاكبر بمدينة منفيس واتفق ذات يوم ان اجتمع الاثنا عشر ملكا المذكورون في محفل ديني ليقروا بقرابنا للصنم المذكور فقدم لهم كبير القسس أقدا حان ذهب كانت قد جرت عادتهم باستعمالها في محافلهم ونسبوا تسمى فأتي بأحد عشر قدحاً لاثني عشر ملكاً الحاضر بن المجلس فبادر أحدهم المسمى باسم ابسماتيك اوابسماتيكوس ملك قسم مدينة سيس (صالحجر) حيث بقي دونهم بغير قدح فزع خودته عن رأسه وكانت من نحاس وصب فيها ما كان قد أعد للقرابان من الخمر ولربما كان قد دبر لنفسه هذا الامر من قبل في السر ليكون هو الملك اشارة اليه في خبير الكاهن كما قد يظهر ولما حسده على ذلك رفقاه من الملوك الاثني عشر اضطر لأن فر واختفى في بعض الجبورات بالاقليم البحرية حتى تسر له ان استعان بقرعة امدادية اجتمعت له من جوع الاغراب اليونانيين والكاريين وتوصل لأن غلب بهم عصبة اخوانه الملوك المصريين الذين كانوا قد اتفقوا معه مملكة الاقاليم البحرية وذلك في واقعة حربية قطعية وقعت بينهم في الناحية المسماة باسم مومافيس وأخرج كذلك الايتيوبيين من الصعيد وأعاد للديار المصرية حدودها الارضية الاولى أهني من الشلال الاول لغاية بحر مفيد

مطلب — ذكر مملكة ولاية الملك ابسماتيكوس على جميع الديار المصرية قال المؤرخ المذكور أعلاه ما معناه لما كان الملك ابسماتيكوس انما قال الرفعة على كرى

سائر مملكة مصر في ذلك العصر باعانة الاغراب استمر على ان يدعوا اليه منهم الجرم الغفير ويستعجب منهم الجوع الكثير من الاصحاب فترتب على ذلك ان قام عليه قوم من الجنود المصرية وهاجروا الى بعض البلاد الاجنبية وكان قد ساعد مادة التجارة الخارجية وأحدث طارق محاطات اهلية مستقرة مع بلاد اليونان والفتنيين وأخرج بذلك الديار المصرية عن حالة العزلة المصرية التي كانت قد انحصرت فيها منذ عدة قرون من الزمان بسياسة ملوكها السالفين ويحسن تدبيره واتقان سياسته كانت الديار الفرعونية في مدة عهده وعهد من خلفه من الملوك الذين تكوّن منهم العائلة المالوكية السادسة والعشرون المصرية قد عادت لظهورها الاولى واسترجعت على مرتبتها الاصلية

مطلب - ذكر حروب الدولة المصرية ببلاد سورية

قال المؤرخ المذكور اعلاه مامعناه وحيث كان الملك اسمعدي كوس المد ثورا راد ان يثبت اقدام عائلته المالوكية على كرسي المملكة المصرية بواسطة المفاخر العسكرية تثبت بان يسلك سنن الطريقة السياسية التي كان قد استتبها اسلافه من ملوك العائلتين الثامنة عشرة والثامنة عشرة في بلاد آسية وتعلق شد رغبته بان يفتح بلاد سورية فلم يسهل له ان يستولى منها الا على بلاد الفلسطينيين ثم جاءه من بعده ابنه نيناو او نيناووس (بالسين المهملة وعدمها في آخره) فاستمر على ما كان قد بدأ به والده من شن الغارة المصرية على بلاد سورية وظفر في أول الامر في مغازيه بكنس من النصر وهزم الملك بوزياس ملك يهودا من ارض فلسطين في مدينة ماجيدو (بتشديد الال المهملة بعد هاو او لعلها ما تعسمى الآن باسم مجدله) حيث قتل الملك المذكور (في سنة ٥٠٩ ق م) في حومة القتلة واستولى فرعون مصر استيلاء وقمبا على جميع بلاد سورية وذلك انه كانت قد ظهرت في ذلك العصر ببلاد العراق فيما بين دجلة والفرات الدولة المالوكية الكلدانية البابلية (بمعنى العراقية) وكانت قد دنت من ان تبلغ الى أعلى درجة من الشوكة الدولية بمدة الملك المدعو باسم نابوكودونوزور الا كبير هو المعروف عند العرب باسم مجتنصر ولزم ان يتصادم الدولتان المصرية والعراقية بالبلاد الشامية حيث كان كل منهما ما يدعى ان لهيلا دآسية درجة الاعلوية فالتقي هناك الجيشان وتلاطم العسكران تحت أسوار مدينة جرجيسية فظفر مجتنصر المشهور ولم يكن بعد غير ولي عهد للمملكة العراقية بفرعون نيناووس المذكور ولم ينجح مجتنصر في استلاب جميع فتوحاته بالديار الشامية وطرده الى الديار المصرية لغير هذه الواقعة الحربية

مطلب - توسيع الدائرة التجارية بالديار المصرية في تلك الحقبة العصرية

قال المؤرخ المودى عنه اعلاه مامعناه غير ان هزيمة الدولة المصرية هذه ببلاد سورية كانت قد انجبر ضررها وانسدورها بما كان قد حصل في الديار المصرية بتلك الحقبة العصرية من

بتفسير اسباب السعادة الداخلية وتوسيع دائرة التجارة الاهلية وكانت القنون والصناعات بشواطئ النيل قد تلبست في ذلك الجليل بانحرلاس زاه زاهر جميل وذلك ان الملك نياووس كان قد شرع في أن يفتح الخليج من نهر النيل الى البحر الاحمر وبحر القلزم وكان قد حفره من قبله الملك سبتوس ثم ترك العمل فيه ولم يقم به بانذار بعض الكهنة له وبعث الملك نياووس ايضا اسطولاً من السفن الفينيقية (أى الصورية) للسفر في البحر حول داترسواحل بلاد افريقية بالابتداء من البحر الاحمر الى بحرسفيد لقصد ان يحدث من ذلك مادة التجارة طريق جديد

مطلب — ذكر فرعون ابريس — قال المؤرخ المذكور اعلاه مامعناه ثم ظهر بعد الملك نياووس حفيده المسمى باسم ابريس وكان قد عقد العهد مع الملك سيدياس ملك يهودا من أرض فلسطين على مدافعة صولة الاسوريين لكنه لم يتسهر له أن يحضر في الوقت اللازم لمساعدة مدينة القدس اذ كان قد حضر اليها مختصراً وحصرها وانتكح حرمها ودمرها وانما كانت الاساطيل المصرية قد توجهت الى جهة سورية من الطريقة البحرية فظفرت بكثير من الظفر والنصر على سواحل بلاد الفينيقية ثم بعد ذلك بمدة يسيرة حصل لملك ابريس هزيمة كبيرة في حرب وقعت بينه وبين القوم اليونانيين المتوطنين (من بلاد برقة) بمدينة قورين وحينئذ ثارت على فرعون ابريس هـذ اثورة من جنوده فعزلوه وتحكوا به وقتلوه وولوا بدلا عنه علي كرمي السلطنة المصرية رجلاً من سفلة الناس كان قد ترقى الى أعلى المراتب العسكرية

يقال له اما زيس وذلك في سنة ٥٧١ ق م

مطلب — ذكر فرعون اما زيس — قال المؤرخ المذكور اعلاه مامعناه وقد كان اما زيس هـذا ملكاً كامها راسعياً وسلطاناً قافراً شديداً استرجع جزيرة قبرص ليد المصريين وكانت قد خرجت عنهم واستولى عليهم الاسوريون ثم البابليون وكان أكثر ملوك عائلته الملوكية اعانة لاجتلاب الاغراب من اليونان الى الديار المصرية وفي مدة ولايته السلطانية بشاهدانه قد نشأ على حدود الدلتا المصرية بالاقاليم البحرية المدينة الهلانية (بمعنى اليونانية) المسماة باسم نوكراتيس (وهي المعروفة باسم قوة الآن) حيث كان الملك اما زيس هـذا قد اذن في سالف ذلك الزمان الجماعة من الهليقيين (بمعنى اليونان) ان يبنوها ويغلبوها لهم وطناً ويعمروها فبلغت من درجة النجاش والفلاح الى ما يشر بما تكون عليه فيما بعد من ذلك مدينة الاسكندرية

مطلب — زوال الدولة الفرعونية وسقوطها — قال المؤرخ فرنيس لوفورمان المكرر الذكروالبيان فيما تقدم اعلاه مامعناه ان ديار مصر كانت تظهر اربعين الراي في عصر الملك اما زيس على وجه من الرنق والفخار يضاهي ما كانت عليه في أى عصر كان من سالف الاعصار غير ان هـذا المنظر كان لا يحجب الاعلى وجهه غير تام ما كان قد ظهر في كافة أهـل مصر في ذلك العصر من قنور العقل العام وتقير القلوب من الخواص

والعوام وتفرق الكلمة الاهلية وتزق عروة العصبة الاصلية وضيع الترتيب المالية فان ترتيبهم المالية وان كانت في الاصل مبينة على قواعد قوية لقصد ان تكون مخلدة ازاية تقاوم صدمات الدهر كان تمدن اهل مصر في سالف العصر لا يمكن أن يستمر الايقانه على حالة واحدة وكيفية ثابتة فلما اعترا في ذلك الزمان الاختلاط بحركة التقدم والسيان الطارئة عايه من طبيعة تمدن اليونان لزم بالضرورة ان يثره الفساد والموتان وبيان ذلك ان الطائفة العسكرية في تلك الحقبة الدهرية كانت قد هاجرت بنماها تقريبا من الاوطان المصرية فبقيت الملة بدون جنود اهلية وحل في مكانهم المحافظة عليها جنود من الاغراب كان المصريون ينفرون منهم ويهضونهم وكان قد اشتد فيهم الغضب العام حتى آل للحالة الثورة والقيام وكان قد قام فيهم رجل من اهل البراءة والعصبة وتغلب على كرسي المملكة الفرعونية حيث رأى الديار المصرية متوجهة في تلك المدة الزمنية الى طريق جديدة تمدينة فساعد على اجتلاب الاغراب فيها أكثر من كل من كان قد سبقه من الملوك السالفين عليها وكان هذا هو السبب في فتح اكنساب الديار المصرية لدرجة الغنى والثروة الاهلية غير انه كان هو السبب ايضا في فتح أعين ذوى الاطماع من الملوك الفاتحين اليها ولما قدموا عليها وجدوا فيها قوما كانوا قد فقهوا إعادة استعمال الاسلحة الحربية ولذلك كان الملك ايسماتيكوس الثالث ابن امازيس لم يصعد على كرسي ملكة مصر ان فيس بعد أبيه الا ليرى نفسه مضطرا للتنازل عنه والاسقرار منه بعدمدة سيرة من توليه اذ كان قد شن الغارة على القطار المصري الملك قميز الفارسي واستولى على ديار مصر بطريق العنوة والقهر ومن تاريخ ذلك العصر كانت قد زالت عنها الحالة الاستقلالية وصارت بالتبعية للدولة الفارسية (في سنة ٦٢٨ ق م)

الفصل الرابع

في بيان كيفية تمدن ديار مصر في سالف العصر

مطلب — ذكرنا كان عليه اهل الديار المصرية في سالف الحقبة العصرية من تركيب الهيئة الاجتماعية الاهلية وترتيب الجمعية الانسانية المالية قال المؤرخ فرانسين لونورمان المذكور أعلاه ما معناه ان ترتيب الامة بديار مصر في سالف العصر على مراتب أو طبقات اهلية قد كان يتفق المؤرخين المتقدمين هو القاعدة الاصلية التي بني عليها تركيب الهيئة الاجتماعية بتلك الديار في تلك الاعصار وكان منصب الملك بها هو الرأس لها وانما وقع بينهم الخلاف في عدد تلك المراتب فقط فعدتها هيرودوت اليوناني سبعة وهي طبقة القسوس وطبقة الجنود وطبقة رعاة البقر وطبقة رعاة الخنازير وطبقة ارباب الحرف والصنائع وطبقة التراجمة وطبقة النواية وقال ديودور الصقلي انها كانت

نحسب الاغبروهي مرتبة القسس والمحاربون والفلاحون والرعاة وأرباب الصنائع والفنون ولقد يدق هذا الخلاف الحاصل في هذا المقام بين المؤرخين المذكورين مع كون كل منهم ما شاهد بنفسه واخترق بذاته جميع الديار المصرية في تلك المدة الدهرية على أن ما نقلوه لنا من الفوائد التاريخية في هذا الشأن كان غير تام التحقيق ولا مستنبطاً بوجه التدقيق وطالما كان العلماء الأوروبيون يذهبون بناء على تأويل مثل هذه الشهادات التاريخية على غير وجوهها الحقيقية إلى أن الملة المصرية قد كانت في تلك المدة الدهرية منقسمة على وجه الضبط والدقة إلى فرق متميزة وفرق متفرقة وليس هذا القول بصحيح ولا لهذا المذهب ما يشهد به بالترجيح وقضية ذلك أن ما يعبر عنه بالثروة المالية أو الفرة الأهلية إنما يتحقق في صورة الوجود الخارجية بثلاثة شروط أصلية وهي أن يكون أربابها ممنوعين البتة من الاحتراف ببعض حرف أو صنائع خصوصية وأن يكونوا ملزومين بعدم المصارعة إلا مع أبناء فرقهم وبالأستقرار على الارتباط باقتصادات ثروتهم من أبائهم من صنعتهم في عين فرقهم والحال أن المجدد شيئا من ذلك وأقعا بالديار المصرية في سائر تلك الحقب الدهرية والقول الصحيح في هذه المسألة التاريخية هو أنه نعم قد كان بديار مصر في سالف العصر مراتب تدرججية بمعنى طوائف أهلية على درجات بعضها فوق بعض يسمى لكل أحدان يترقى فيها من مرتبة إلى أعلى منها أما به فضله أو بفضله الساطع عليه بذلك لأنها كانت خرقاً ملتزمة وقرقا محتمة بالمعنى المذكور أنفاً بمعنى أن كل فرقة كانت مغلقة الأبواب عن كل أحد من في سواها من الأرباب والأصحاب وأما كون الحرف والصنائع بديار مصر في تلك الأزمان كانت تنوارث من الآباء إلى الأبناء في أغلب الأحيان فلم يكن ذلك بوجه من الوجوه قاعده جبرية ولا شريعة قهرية بحيث يصح للقائلين بهذا القول أن يأخذوا القولهم هذا منه أدنى توجيه

مطلب — ذكر ما كان عليه منصب الملك بديار مصر في سالف العصر

قال المؤرخ المروى عنه ما معناه قد كان ترتيب أمر الولاية المصرية من الحيثية السياسية في جميع مدة السلطنة الفرعونية المديدة وتلك الأعصار الزمنية العديدة على حال واحد لم يتحول وطريق ثابت لم يتبدل أعنى على صورة الحكومة الملكية المطلقة بل ربما كان أطلق ما وجد من أنواع الدول الملكية وأنفذ تصرفاً من سائر ما عهد في العالم بقامه من أنواع الولايات السلطانية المحقة إذ لم يطرأ عليه أدنى تغيير ولا تبدل ولا اعتراء شائبة تحويل لا يتداول الدول والعائلات الملكية عليه ولا يتنازع الملوك المتنازعين فيه بوجه من الوجوه مطلقاً قال المؤرخ ديودور الصقلي في تاريخ ما نصه «إن المصريين يحترمون ملوكهم ويعبدونهم كالآلهة ويرون أن ما تقليد الملوك بالحكمة الإلهية من ولاية الأمر السلطانية والقدرة على تثير الأعمال الخيرية إنما هو من صفات الألوهية» (انتهى كلامه) وهذه العبارة التي ذكرها المؤرخ

المؤرخ اليوناني المذکور موافقة بالكتابة لما ينبثق من الوقائع التاريخية بدليل النظر في العلامات
الاثريّة وذلك انه منذ اقصى اعصار العائلات الملوكية المصرية الاولى لم يزل يشاهد وجود
هذه الحرمة اللانهاية المتوجهة من سائر افراد الرعية بالديار المصرية للرتبة الملوكية الفرعونية .
البالغة لدرجة الربوبية والعبادة الحقيقية بحيث كان يتصور لهم ان فرعون هو الاله المحسوس
لسائر الرعية ولم يكن الملوک المصريون متقلدين بمنصب السلطنة العليا مع رياسة الديانة القصوى
فقط بل كانوا معدودين عند رعاياهم المصريين في جملة آلهتهم الحقيقيين ومعبوداتهم الصحيين
وكانت طائفة اعضاء الديانة المصرية في مطلق التبعية للتقلد بمنصب المملكة الفرعونية
يتصرف فيها كيف شاء بجميع أنواع التصرفات الملكية وكان من جملة الالاقاب السلطانية التي
تتضمن بطريق القرينة الضرورية لاسم كل فرعون من فراعنتهم في سائر تلك الاحقاب الزمنية
الاعنوان (يا بن الاله الشمس) مع كونهم يتلقبون ايضا بلقب (الاله الكبير) و(الاله الرحيم)
وكانوا يجسمون ويتحدثون في ذات معبود المصريين الكبير المسمى باسم (هوروس) حيث كانوا في
تلك الاعصار يرون كما هو نص ما وجد مكتوب في بعض الآثار ان الملك بين الاحياء انما هو صورة
معبودهم المسمى باسم را (براهمة) يلها ألف معدودة وهو الشمس) وكان الملك متى صعد على كرسي
المملكة كانه انسلخ عن الصورة البشرية وتصور في أعين الرعية بالصورة الالهية وصار هو
في قيد الحياة الانسانية يتوجه اليه هيئة عبادة حقيقية
ولا يخفى على كل ذي مفهومية ما كان يترتب من التأثيرات الوهمية في تلك العهود على مثل
هذه المبالغة المجاوزة للحدود في المرتبة الفرعونية لتفخيم الصولة السلطانية وتقسيم الشوكة
الملكية فكان المصريون بالنسبة للوکهم : اهلهم منزلة اعبيد المستقرين يجب عليهم بمقتضى ذات
الاحكام الدينية ان يتشلقوا قضية مسلطة لاوامرهم السلطانية وينقادوا من غير نظر في الاسباب
الموجبة لارادتهم العلية وكان رباب اهل المناصب العلية واقرى اصحاب المراتب العمومية
بالدولة الفرعونية يرون انفسهم انما هم عبارة عن خدم للدائرة الشخصية الفرعونية وعبيد
لذات العلية السلطانية ومن ثم يعلم ان المصريين في تلك الاحقاب الزمنية المصرية لداعي
حکونهم استطاعوا لمثل هذه الطريقة من الهيئة الاجتماعية وارتضوا باعدام صورة
وجودهم الذاتية وازالة مرتبة انفسهم بالنسبة بالكتابة أهني كونهم لم يأنفوا من اعتبار نفوسهم
بمنزلة مجرد عمال لما خرا سيادتهم الفراعنة السالفين والالت اشغال بمنزلة لاهوا هو لاه
السلطاني كانوا خالين بالكتابة والجزئية عما به تمام قوة الامم المتأخرين وقوام شرف الملل
الاوربواو بين المعاصرين وما كان قد أخذ يذب في طباع اليونانيين والرومانيين من الاحساس
بما يقتضى ان يكون قائما بكل نفس بشرية من صفة الحرية الشخصية ومعرفة قيمتها الانسانية
الخصوصية

مطلب - الكلام على شرائع المصريين وقوانين الفراعنة السالفين

قال المؤرخ المروى عنه اعلاه ماعناه ان القوانين المصرية القديمة هي من الشهرذ العظيمة في درجة كبيرة معلومة بحيث يجب على كل مؤرخ الالتفات اليها فلا يسوغ لنا ان لا نذكرها عليها فنقول قال المؤرخ الشهير باسم الاسقف بوسوده الفرنساوي ما نصه وقد كانت ديار مصر في سالف العصر منبع كل سياسة حميدة وأصل كل ضابطية سديدة (هـ) وذلك ان ما نقل اليها عنهما من الاخبار في هذا المقام وان كان غير تام غير انه يسجل على كل من تأمل في كتب التواريخ المأثورة عن السلف ان يعرف ان شرائع المصريين كانت مبنية على احترام سائر الحركات العظيمة التي تحسب الروح البشرية مع الوفاء بجميع الامور التي تمس اليها حاجة نظام الهيئة الاجتماعية الانسانية ولنذكر بعض أحكامهم هنا نقلها عن نص عبارة المؤرخ المشهور باسم ديودور الصقلي اذ كان كلامه أتم ما قيل وأصدق ما ذكر في هذا القليل حيث قال ماعناه كما سطر أدناه ان من جملة أحكام المصريين في الاعصار السالفة انهم كانوا يعاقبون على اليمين الكاذب بالقتل لداعي ان خيانة العهد جامعة لذتين هما أعظم الذنوب التي يتصور في العقل ارتكابها وهما الاساءة لذات الآلهة المقسم بهم والاضرار بالناس المكذوب عليهم ومن أحكامهم ايضا ان من رأى في طريقه وجلا يصول عليه قاتل أو سائل مطلقا ولم يغنه وهو يقدر على ذلك عوقب كذلك بالقتل فان لم يتمكن في الحقيقة من اغاثته وجب عليه ان يسعى بالذنوب عند الحاكم ويرفع أمره الى الحاكم وان لم يفعل ذلك كان جزاؤه الحد بالضرب بالقضيب الى عدد محدود مع الحرمان من الطعام مدة ثلاثة أيام ومن اتهم أحدًا بالباطل وثبت عليه ذلك كان جزاؤه عقاب المعتاب وكان من الواجب على كل مصري ان يسلم الى القاضي وثيقة مكتوبة تشمل على بيان أسباب معاشه فان كان مقرر فيها كاذبا أو اوضح ان أسباب معاشه غير مأذونة شرعا حكم عليه بالقتل وكل من قتل نفسه اعدا سواء كان المقتول حرا أو عبدا كان قصاصه القتل وذلك ان مطمع نظر الشارع هو نية القاتل لا اختلاف أحوال المقتول وكان من أحكامهم مع مراعاة جانب الرقي حسما ذكر ان العبد مأمور بأن لا يتعرض أبدا لاساءة الخربووجه من الوجوه مطلقا هذا فيما يتعلق بالجنايات وأما فيما يتعلق بالاحكام المدنية بمعنى المعاملات الخاصة بين الناس في الجمعية البشرية فقد وصل اثنا ايضا من أحكامهم ما ليس أدنى مما ذكر أعلاه شهرة ولا أقل منه بالثبوت عليه جدارة فمن ذلك ما يعزى الى فرعون بوخوريس من تشريع عدة قوانين تتعلق بالمعاوضات التجارية منها ان جاهد الدين يصدق بيمينه في سقوطه عنه اذا لم يكن عند الماذعى سدد يشهد له به ومنها انه في أى حساب كان لا يجوز ان يكون الربح المستحق زائدا عن رأس المال وان الدين يتعلق بمال المدين لانه نفسه لان الشارع نظر لكون ذات الشخص مملوكة للدولة بحيث يسوغ لها ان تطلبه لخدمتها في كل وقت شامت اما في الحرب أو في السلم ومن ثم كان حبس النفس ممنوعا عندهم في أى حال كان

وقد ذكر المؤرخ هيرودوت الاكيكارناسي أيضا المصريين السالفين قانونا غربيا وحكما شرعيا عجيبا يعزى الى الملك أوزوز تازان الثالث وهو انه كان يباح لهم ان يقتروا بالرهن على جثث آبائهم المصبرة وان يضع المقرض مع ذلك يده على قبر المقرض بحيث اذا لم يدفع البعدينه كان له ان يمنعه من الدفن عند موته في مقبرة عائلته وان يمنع من الدفن فيه أيضا كل من مات من ذريته مدة بقائه الدين في ذمته الى غير ذلك من الاحكام والقوانين التي تروى عن قدماء المصريين

مطلب — الكلام على ما كان يتخذہ المصريون من الحرف والصنائع والفنون
قال المؤرخ المحكي عنه أعلاه ما معناه انه يلزم كتابة جملة مجلدات للاحاطة بكل ما استفيد من آثار العربات المصرية القديمة فيما يتعلق بأخلاقهم وعوائدهم الاهلية وكيفية معيشتهم المنزلية ومخلص ذلك ان قدماء المصريين كانوا اناسا فلاحين وأرباب صنائع وفنون ورجالا بحارين معا اما من حيث الزراعة فان ارض وادي النيل الخصبة كان يرزعا أهلها الكثيرون ويتنفع بها سكانها العديدون في كل جيل وأما من حيث الصنائع والفنون فان أهل مصر وان كانوا لم يتيسر لهم في كل عصر ان يخفصوا على الآلات الصناعية والدواب الحقيقية الممينة على الامل البشرية وكان اصطناع أمتعة المعاش الضرورية والمواد التي تفي بها الحاجات اليومية انما يحصل عندهم بواسطة طرق ساذجة بسيطة تشبه ما كانوا يستعملونه من الآلات والادوات الزراعية فغير ان ما كانوا يتخذونه من أمتعة الترف والرفاية قد كان لعمرى أمر اظرفا وصنعا لطيفا مع كونه أكثر كلفة ومهروفا ولقد كانت جميع هذه المواد الترفهية تصطنع بيد أرباب الصنائع والفنون الاهلية بالديار المصرية من أوائل الحقب الدهورية فان جميع الانتقحات (بمعنى مخازن الخف العتيقة والطرف القديمة) بالبلاد الاوربية يوجد بها من الادلة القطعية العديدة والبراهين القوية السديدة على اثبات هذه الحقيقة التاريخية المفيدة ما لا يمكن معه توهم أدنى شك ولا شبهة في هذه القضية ولقد كان بديار مصر في ذلك العصر جم غفيرة وجمع كثير من العمال يعملون في صناعة نسج الاقشة الجيدة الغنية وآخرون يشتغلون بصناعة صبغ اغنياء بالالوان المستحسنة البهية وكانت صناعة المعادن واتخاذ الاواني القيشانية (المعروفة بالصينية) وصناعة الزجاج وتحضير مواد الطلا واستعمال النصب بالمصطكى في عمل النصب النقوش الزواجية كل ذلك كان قد بلغ بشواطئ وادي النيل من ميادى ذلك الجيل الى أعلى درجة من التمام والتكامل وبالجملة والاختصار فقد كانت حواصل الصناعة المصرية تجلب في تلك الاعصار على البرور وعلى البحار الى أقصى الاقطار غير ان المصريين كانوا لا يعرفون في مدة تلك العهود استعمال المسكوكات وصناعة النقود بل كانوا يتعاملون في تلك الازمان بطريق المبادلة في الاعيان أو باستعمال المعادن لاهيئة النقود بل على صورة القصبان أعنى بحسب مبلغ قيمتها بالاوزان

مطلب — ذكر طباع الامة المصرية في سالف الحقبة العصرية

قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه قد كانت طباع المصريين في وجه العموم سهلة هينة واخلاقهم جرة لينة قال المؤرخ هيرودوت المكرالذكر أعلاه في هذا المقام مامعناه لم يوجد في الامم اليونانيين من يوافق طباع المصريين من حيث خصلة احترام الشبان للشيوخ غير المقدونيين وذلك انهم كانوا اذا لقي منهم الفتى شيخا انطى لعالطريق وانحرف الى أحد الاجناب واذا أقبل الشيخ على مجلس فيه شاب قام له الشاب وكانت تحية المصريين اذا تلاقوا بالانفاظ بل بالانحناء الشديد والركوع الاكيد لغاية ان تبلغ ان يد منهم الى الفخذ (هـ)

مطلب — ذكر ما كان لامة المصرية من عوائد معيشتهم المنزلية وكيفية حياتهم في ديارهم الداخلية

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المكرالذكر والبيان قال المؤرخ هيرودوت المذكور أعلاه في هذا المقام ايضا وتحقق جميع ما بداه من الاخبار بدليل ما اوضح من النظر فيما أثر عن سلف اهل مصر من العمارات والالتار ونص عبارته في هذا الشأن ايضا مامعناه

ولم يكن في جملة الامم السالفين والمثل الاقدمين بعد الليبيين اناس اتم صحة واكمل من حيث اعتدال المزاج نعمة ومنفعة من المصريين وذلك انهم كانوا متيقنين من ان اصل منشأ جميع الامراض البشرية انما هو من المواد الغذائية (هـ) وقد كانوا يتخذون خبزهم من صنف الخنطة ذات السمائل الشعرية ويشربون في بعض الاقاليم من الديار المصرية نوع الشراب المعروف بالبوزة وياكلون الاسماك النيئة من بعد تصفيها بجمرة الشمس او تلججها بوضعها مدة من الزمن في ماء او مانع آخر مع الملح وكانوا يتناولون ايضا من لحوم الطيور النيسة كلعم السما في والبط وبخيره من صغر الطير مع العناية بتجفيفها قبل اكلها وبالجملة فقد كان المصريون يتخذون من مائر انواع الحيوانات والطيور التي كانت توجد في بلادهم ويتعاطونها امامشوية او مسلوقة ما عدا انواع الطيور والاسماك التي كانت محترمة عندهم بحسب عقائدهم الدينية وعوائدهم التنسكية

وقال المؤرخ هيرودوت المحكي عنه اعلاه ايضا مامعناه وقد كانت ملابسهم متخذة من غزل الكتان عبارة عن خرة من القماش تدار حول الخصر كالازار ولها اهداب تسقط على الخنطة ويتدثرون عليها بعباءة او دفئية متخذة من قماش الصوف الأبيض غير انهم كانوا يخلعونها اذا كانوا في معابدهم وهياكلهم ولا يدفنون بها اذا كان ذلك ممنوعا عنهم يقتضي احكامهم الدينية وقوانينهم التعبدية (هـ)

مطلب — الكلام على ما كان يتخذة قداماء المصريين من كيفية دفن الموتى في البور وصناعة التعمير

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور أعلاه مامعناه قد كانت العناية بشأن الجثة بعد الموت والحرم على وقايتها من سائر ما يمكن ان يعثر بها من اسباب الفساد من اهم الامور وذوات الببال عند اسلاف المصريين بتلك البلاد ومن ثم حدثت عندهم عوائد تصبير الموتى واتخاذ التوابيت لدفعهم في القبور والتوابيس المصرية منه في اصطلاح ارباب النظر في المواد المصرية القديمة بلفظ الموميا واصيل مبنى ذلك على ما كان مركزا في اذهانهم من الافكار الدينية المتعلقة بما يعثرى الروح البشرية من الاحوال الاخروية ولذلك كان يتراعى لهم لزوم جعل البدن بعد الموت في وقاية من الانهالك والفساد حتى تعود اليه الروح بالنفث في يوم النشور والبعاد فنجده حينئذ محفوظا على حالته الاولى وما قاي في صورته الاصلية ولهذا السبب نشأ عندهم ما نشأ من أنواع العناية الشديدة وأصناف الاحتراسات العديدة لحفظ جيف موتاهم وعثر لهم على ما لا يحصى كثرة ولا يستقصى حصر او عبرة مما يعرف باسم الموميا المصرية وهي عبارة عن جثث الاموات المصرية (قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان) وذلك بحماة امتلأت به الانثى فنانا الاوروية ولا زال يوجد منه العدد الكثير والقدر الغزير في كل ناحية من الديار المصرية القبلية والبحرية ومن أراد ان يطلع على كيفية التصبير فليقرأ ما أورده المؤرخ هيرودوت المذكور في تاريخه من الوصف الجليل والبيان الغريب لاعمال التصبير التي كان قسما المصريين يعملونها على جثث موتاهم حيث كانت تختلف باختلاف مراتهم في الجمعية البشرية من أمير وحقير وعلى حسب درجاتهم الدينية من غنى وفقير

مطلب — الكلام على القلم المصري القديم المسمى بالهيوريجليف

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المكرر المذكور والبيان أعلاه مامعناه كان اليونان يطلقون على كيفية الكتابة الالهية المصرية اسم الهيوريجليف وهي كلمة يونانية مركبة من كلمتين معناها في الاصل النقوش المقدسة بمعنى المطهرة والمحترمة أي الدينية حيث كان قسما اليونان يتوهجون انها كلها مركبة من صوراً شيئا مادية وليس الحال كذلك كما استقف عليه بالتفصيل والبيان وهذا الاسم وان كان غير صحيح الوضع في الاصل غير انه سارت به الزبان ولا زال يستعمل عند العلماء المتأخرين من الاوروبين على وجه من الشهرة والاعلان بحيث لا يمكن الآن استبداله باسم آخر أضبط منه ولم يحصل للتفات مطلقا لامن اليونان ولامن الرومانيين بوقت استيلائهم على بلاد المصريين لتعترف كيفية قراءة هذا القلم المصري القديم ولا اشتغل احد منهم بشئ مما يقتضى له من التعلم والتعليم حيث كانوا يتوهجون انه سر مكنون وعمل مصون مع كون الالهة المصريين الهلديين كانوا يزاولوا يستعملونه في سائر مدة ولايتهم عليهم واقامتهم فيما بين ظهور انبياءهم وبقيت الكتابة الهيوريجليف المذكورة مدة اعصار عديدة واجيال عديدة محاطة بمحجب مظلم ومستورة بمحجب كثيف غير نافذة ولم يتقل عن سلف المؤرخين

المعتدين في مدارس الاوروباويين من اليونان والرومانيين شئ مطلقا يدل على انهم تعرضوا لما يساعده على فهمها وكان قد حصل اليأس بالأكاديمية من الوقوف على علمها حتى برز الى حيز الوجود فتى فرانسوا دي فوريجه ناقبة وقطنة صائبة فتوصل منذلا أكثر من خمسين سنة لأن كشف عنها القناع وتحصل على نفع ما كان عليه حصتها من شدة الامتناع وحقق بحجيب اجتراحه من طريق الاستنباط والقوة التفسيرية اعظم استكشاف حصل في مدة القرن التاسع عشر هذا من الميلاد المسيحي فيما يتعلق بآثار العلوم التاريخية الا وهو الشاب الذي اشتهر باسم يوحنا فرانسيس شامپوليون المولود بقرية فيجياك من انايم اللوت (بيلادفرانسة) في الثالث والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٧٩٠ وتوفي بمدينة باريس في رابع شهر مارس سنة ١٨٣٣ (ميلادية) وذلك انه توصل لأن وضع اصول قراءة الحروف الهيروغليفية على قواعد قونية وجاء بعده جم غفير وجهور كثير من العلماء الاوروباويين فاحتدوا جذوه وانتقوا خطوه في تلك الطريق التي افتحتها وكان من اشتهرهم واعظمهم وأكبرهم واعلمهم من طائفة الفرانسيس كل من العالم الشهير باسم امبير والفاضل الكبير المشهور باسم دوروج وحضره ماريت بك ومن طائفة الالمان المحقق ليسبيوس وحناب الموسيوس بروكش وبيلا دالنجتره العالم الانجليزى المشهور باسم بيرش واجتهد كل منهم في هذه المادة غاية الاجتهاد وانهذ فيها وسعه كل الاستنفاد حتى بلغ استكشاف الشاب شامپوليون هذا بواسطة بذل مجهودات هؤلاء العلماء الاعلام وما حصل منهم من المواظبة على الاشتغال بهذا المقام الى درجة السكال والتمام واتسعت دائرة ثمره هذا الشأن في سائر الاماكن والبلدان وصار لا يشك فيها أحد الآن ولقد أصبح فلم كتابة قديما أهل مصر يترجم الى جميع اللغات الاجنبية في هذا العصر بما يرضاه من حيث الهيعة والضبط ترجمة كتب الاداب المأثورة عن اسلاف اديان اليونان والرومانيين المعتسمين في مدارس الامم الاوروباويين المتأخرين وملل الافرنج المعاصرين قال العالم الفرانسوا المعروف باسم روبيو مانسه ولقد صار من المستحيل الآن ان ينقل أحد بما كان يقال به منذ مدة عديدة واعصار عديدة من الزمان بان القلم الهيروجليفي هو من قبيل الادوار المصرية المكشونة والالغاز المصرية المصونة التي اختص بعرقها الكهنة المصريون واحتكروا بواسطه الاختصاص بها جميع العلوم القديمة التي كان يعرفها هؤلاء التمس المتقدمون والقول الصحيح الذي يقتضى ان يقول عليه في هذا المقام هو ان القلم المصرى القديم انما هو امر عام كان يكتب به الخواص والعوام بدليل ان الكتابة الهيروغليفية تشاهد موشة في كل مكان من الديار المصرية وغيرها سواء كان على الصمات العمومية كالحياكل والمعابد وما شبهها او على الامتعة المستعملة في مواد المعاش المتزلية وفي القصص التاريخية وفي ضمن المدائح الشعرية والنثرية المؤلفة لقصد تخليد ذكر بعض الملوك مدة لعناية انشروا والاعلان وبقاء الذكر الى آخر الحلف على عمر الزمان كما توجه

مسطورة في الاصول الاثرية المعد للبيان اهل العقائد الدينية المصرية ومن الخطأ البعيد جدا عن طريق الحق والوهم الخالي عن ثابته الصديق ايضا مذهب من يرى ان الكتابة الهيروغليفية قد كانت كلها وعلى وجه العموم في تلك الاوقات عبارة عن مجرد رموز و اشارات نعم لاشك في انه كان من جنسها بعض اشكال رمزية لكن ما قد كانت غالب اسماء الانتهام وكثير منها هو اشكال تمثيلية او تصويرية بمعنى انها عبارة عن صورة ذات الشيء الذي يراد الدلالة عليه بالطريقة الخطية واكثر ما يوجد في جميع العبارات والنصوص الاصلية التي حصل العثور عليها مكتوبة بالقلم الهيروجليفي المصري القديم انما هو اشكال صوتية اعنى دالة على صوت يدل على مقاطع لفظية او على حروف هجائية وهذه الحروف هي ايضا عبارة عن رسم صور بعض معاني يكون اسمها مبدوءا بذلك الحرف كما ان الاشكال المقطعية التي هي عبارة عما يعرف في اصطلاح اهل الادب من انواع الاغازو الاحاجي بالمعجمات تدل ايضا على معنى يشار اليه بالمقطع اللفظي الموضوع له والمرتبة التي توصل بها تقطن اشباب اللبيب والاديب الاربيب المشهور باسم شامو وليون المذكور اعلاه لاعادة ما كان قد اندثر من معرفة سائر مجموع طريقة الكتابة الهيروغليفية واصول اللغة القبطية القديمة هو مضاد الحروف المكتوب بها بعض اسماء الاعلام الدالة على ذوات بعض الملوك حيث راهما مسطورة مع ترجمتها باللغة اليونانية في بعض النسخ الاصلية المحررة باللغة القبطية القديمة (كالأثر المشهور برأثر رشيد) فاستدل بها والاعلى تعرف اوائل قراء بعض حروف الهجاء المصرية ثم استعان على معرفة سائرها بمعرفة اللغة القبطية الحادثة المتفرعة عن اللغة المصرية العتيقة وهي لغة قريبة منها لم تزل تستعمل في الادعية والصلوات الدينية لغاية عصرنا هذا عند طائفة الاقباط اى نصارى الديار المصرية، (هـ)

مطلب الثاني الكلام على ديانة المصريين وعقائد سكان وادى النيل السالفين

قال المؤرخ فرانسيس لوفورمان المذكور اعلاه مامعناه تعجب المؤرخ هيرودوت اليوناني بوقت سياحته في الديار المصرية من شدة مبالغة سكان ديار مصر في الاعمال التعبدية وكثرة تعاليمهم في التنسكات الدينية فقال ان المصريين هم ادين جميع سكان الارض اجمعين واكثر عبادة لا الهتهم من سائر الملل والامم الا تخبرين ويان ذلك ان كل شئ في ديار مصر بذلك العصر كان يظهر عليه طابع الدين وكانت جميع كتاباتهم ملوثة بالاشارات الدينية والرموز الى الخرافات الالهية وكان استعمالها في اعداد المواد الدينية التي هي من هذا القبيل بكاد ان يكون من قبيل المستحيل وكانت علومهم وآدابهم عبارة عن فروغ من العلوم الالهية وصنائعهم وفنونهم ليس الغرض منها غير اشهار الاعمال التعبدية واطهار مفاخر آلهتهم او فراغتهم بالباغين عندهم لمزجة اللوثة وقد كانت احكامهم الدينية واولعهم التعبدية كثيرة جدا للغاية انه كان من المستحيل لاحد من اهل الديار المصرية ان يتخلل حرفة لها شغل او يستغل حتى

بالحصول مادة اقواته الضرورية وحاجاته الاصلية الاولى بدون ان يصكون على الدوام والاستمرار مستحضرا في ذهنه وفهمه ومتصورا في خزانة حافظته وعلمه جميع القواعد المقررة والاصول المحررة من لدن الطائفة القيسية وقد كان للصريين بكل اقليم من الاقاليم المصرية طائفة آلهة واصنام مخصوصين ومحافل دينية واتواع حيوانات معبودة لهم بطريقة خصوصية

فقال المؤرخ المروى عنه اغلاه أيضا ما معناه أن دين النصرانية لم يخش من ان يتكشف بل يخفى على الناس من غير تستر ولا التباس ومع ما عليه عقائدهم من الدقة والتعمق بلغ لأن صار مقبولا عند الكبار والصغار والعلماء والجهال لكونه هو الدين الحق الازلي المخاطب به جميع النوع البشري بخلاف سائر الاديان الباطلة التي كانت تتعلق بها الامم السالفة حيث كان كل ما احتوت عليه من الاسرار الدقيقة والافكار الفلسفية العالية الرقيقة بقي محصرا في دائرة المحراب ومحتكرا من وراء الحجاب في قبضة يد طائفة امناء الاديان المذكورة وجماعة من الخواص والمحباب الاسرار محصورة لصدورهم مرتبتهم وجرم نفعهم وفي الحقيقة ونفس الامر قد كان يوجد بديار مصر في سالف العصر كما كان الحال كذلك في جميع الاقطار والبلدان المتدنية بعبادة الاوثان في تلك الازمان دينان متباينان احدهما دين طبقات العوام وهو عبارة عن مجموع بشيع وتلفيق شنيع من افخس الاوهام واوحش ما يتعلق به الافهام والثاني يختص به المتوغلون في العلوم الدينية وهو يشتمل على بعض عقائد اعلى مرتبة واشرف منقبة يتمكن منها نوع من علم الآلهيات الدقيقة (وضرب من المعارف التوحيدية المسمى عند اهل الاسلام بعلم الحقيقة) وهو دين الخواص حيث يتضمن في باطنه عقيدة وحدة الله سبحانه وتعالى التي هي العقيدة العظيمة والفكرة النورانية الفخيمة وذلك ان المؤرخ هيرودوت اليوناني صرح لنا في الواقع بان المصريين بدينية طيبة الصعيد كانوا يؤمنون بآله واحد فريدا لأول له يعرف ولا ينبغي ان يكون له آخر عليه يوقف غير ان هذه العقيدة العالية الشأن اعنى معنى الوحدانية الالهية السامية المذكورة التي يقتضى ان يكون أصل مورد هالهم وحى سابق كانت قد اعترأها من أول الامر فيما بعد من سالف العصر الالتباس والاهام بمحائب الجهل والظلام ففسدت بتصورات قسهم زحيل العبادات وبما ابدعوه في شأن الحقيقة الآلهية من عند انفسهم من الخيالات الخرافية واختلطت عندهم شيئا فشيئا حقيقة الذات العلية بظهور صفة القدرة الآلهية وتشخصت في اعينهم الصفات الالهية الاصلية ونعوت الذات الاولى في صورة عدد كثير ومقدار غير محصور من ذوات ثانوية مساعدا للذات الالهية الكبرى اعنى من آلهة أخرى كانوا يعتقدون انهم يقرنونهم (كما هو نص القرآن الشريف) الى الله زلي ووزعهم على مراتب تدريجية وزعموا انهم كلهم يساعدون على حسن نظام المخلوقات وحفظ سائر الموجودات ومن ثم نشأ عندهم تعدد الآلهة

المعبودين وكثرة الاوثان العديدين وآكل هذا الامر على ما يظهر من حقيقة ما انقمح لناهما كان لهم من الاشارات الجيبية والرموز الغريبة المتعلقة بمادة المعبودات لأن شمل جميع الكائنات من الكواكب والمعادن والنباتات وأنواع الحيوانات

مطلب — بيان ما كان يعبد في الديار المصرية من الآلهة الملية والادوثان الاصلية قال المؤرخ المروى عنه اعلاه مامعناه ولاسيما لنا هنا الى استقصاء جميع الذوات المؤهلة التي كان يعتقد قدماء المصريين نصبها في درجة ثانية حول عرش الحضرة الآلهة العليا حيث يطول شرح ذلك ويضل السارى في بحر ظلمات تلك المسالك والآلهة الاصلية منها هي الآلهة الكبيرة اسمى باسم (آمون و آمون را) وهو عبارة عن الشمس والآلهة المدعى باسم (اوزيريس) والآلهة المسمى باسم (هوروس) وهذه الآلهة الملية قد كانت في الاصل صفات ونعوت الذات الوعيد والفرد القديم الازلي الواجب الوجود ثم آل أمرها في اعتقادهم لأن نسب اليها ضرورة وجودية وهيئة ظاهرة خاصة بها وصارت يمكن تعددها الى ما لا نهاية وجاءت أوهام العوام فلم تقصر في ذلك للغاية ومن تأمل في ماهية هذه الآلهة الاصلية والمعبودات الكبيرة الملية من قرب ظهر له انها ليست بمشابة الحقيقة في الوجود الحسارى وانما عبارة عن شيء واحد في التصور الظاهري ويتضح له بالطريقة المحلية انها قد يلتبس بعضها ببعض ولا يتأخر ان يستنتج من دقة النظر في حقيقة هذا الامر ان تلك الخرافات المصرية وسائر افراد المعبودات الملية في تلك الاعصار الفرعونية ترجع في الباطن الى عدد يسير ومقدار محصور من الاصول الآلهية ثم تنوع افرادها الى ما لا نهاية وتتوزع آحادها للغاية في صور الوجود الظاهرية

اما في دائرة الديانة العامة المرتبة اعلى في الاحتفالات الخارجية التي كانوا يشهرونها في الهياكل التعبدية أمام أعين العوام فقد كانت تلك الآلهة مصورة باصنام مقبزة الهيئة والقوام متباينة المرتبة والمقام وكانت العامة تؤمن بها على هذا الوجه بخلاف طائفة القسس وكل من كانوا قد اطلعوه على امرار الحقيقة الدينية فانهم كانوا يعرفون حقائق العقائد الاصلية ويقفون على دقائق الديانة الملية ومن ثم يعلم قدينا من المصريين وان كان ميناء الاصل ومنشأه الاوى على الاعتراف الصريح بالوحداية الآلهية قد كان يظهر لاس الناس في صورة تعدد الآلهة المعبودين وعبادة الاوثان العديدين الى ما لا نهاية له ولا حصر ويتراءى لمن لم يتأمله بدقة النظر انه يشتمل على جملة معبودات عجيبة الهيئة والشكل غريبة الصورة والجل بل في الاكثر شنيعة المنظر بشيعة المخبر وهكذا كان يظهر لاهين عوام الملة وسائر الجاهلة والسفلة من الامة لا غير

مطلب — الكلام على ما كان قدماء المصريين يعبدونه من انواع الحيوانات المحترمة والدواب التي كانت عندهم معظمه

قال المؤرخ المحكى عنه اعلاه مامعناه وقد كان استعمال الاشارات والرموز من أصل طبيعة قريحة

الامة المصرية واساس دياتها الالهية وقد كانوا أسرفوا الاسراف الكلى فيما كانوا قد جلبوا عليهم من هذا الميل الجلبى وتجاوزوا الحد في هذا الطبع الاصلى لغاية انهم صاروا من حيث صورة عبادتهم الملية القاهرة وهيئة مناسكهم الالهية الخارجية الى أغش طرق الضلال وأوحش ما به وداليم بالوال وذلك ان قسوس ديانة المصريين السالفين لقصد ان يتخذوا من الرموز والاشارات ما يلزم لتصور ذوات آلهتهم المتنوعين وتثنيص ما أوجبوه لهم من الذنوت والصفات في صورة ذوات آخرين كانوا قد بنحروا واتخذوا كل شئ من السكائنات حتى استعملوا لهذا الغرض أنواع الخيوانات فتخذوا النشور والبقرة والكبش والحمر والقرود والتمساح وفرس الماء والبالز والطير المسمى بالقلقي حتى اتخذوا لذلك الجميل والخنفاء وغيره من أنواع الدواب والحوام وجعلوا كل واحد من هذه الحيوانات رمزا وإشارة الى ذات مخصوصة كانوا يعتقدونها من الذوات المعبودات وكانوا يصورون كل آله معبود لهم بصورة ما جعلوه له علامة وإمارة على سبيل الرمز والاشارة من أنواع هذه الحيوانات بل كانوا في أكثر الاوقات يعبرون عن كل ذات آلهية معبودة لهم بصورة تلتقيت غريب وتوفيق عجيب خاص بالديار المصرية يركبونه من قتال جسم انسان عليه صورة رأس ذلك الحيوان ومن ثم حدثت عندهم عبادة الحيوانات المحترمة وتأليه الأنواع للدواب المعظمة التي كان اليونان والرومانيون لها يستغفرون ومنعوا يتعجبون وكان المصريون يعتقدون كل العناية ويحرصون اتم الحرص على الرعاية على علف كل واحد من هذه الحيوانات المقدسة والدواب المكرمة على حسب ما تنتهي نفسه في داخل الهيكل المعبود المعبود الذي اقتضاها لآلهة عليه وجعلوا رمزا وإشارة اليه وتسمى مات ذلك الحيوان صبروه وقد تم في قبورهم كما كانوا يدعونه بجثة لانسان وكان كل مدينة أو إقليم من الأقاليم المصرية مختصا بنوع من هذه الحيوانات بدروعة خصوصية اذ لا ينبغي ان يتوهم انهم كانوا يربون أنواع على ما هو مرسوم بل كانوا يتخصون بالعبادة والتكريم بعض افراد محصورة من الحيوانات المذكورة وكان بعض افراد معينة منها يندق عليه من طرف الدولة ويخدمه بعض أعيان من كبار ارباب الماصب والصولة فكانت السلطة مثلا اذا ماتت تنقل من بعد تصبيرها الى مدينة بوباستيس (توسط) والبالزات الى مدينة بوتو (استواو الرخاوة) والآن تلقى الى مدينة هورموريوليس (مدينة مصرية قديمة) وكانوا كذلك اذا خصوا بعض أنواع الحيوانات بالعبادة لا يبعدونها في جميع الأقاليم فكانت فرس الماء مثلا معظمة في الأقاليم المسمى باسم بيريس من ديار مصر القديمة وكان نوع التمساح ليس معبودا بالأقاليم طيبة الصعيد مع انه كان يصاد ويحارب بأشد الطعان فيما عدا ذلك الأقاليم من كل مكان ومن ثم يعلم ان دين الالهة المصرية في سالف الاحقاب الدهرية كان عبارة عن اختلاط غريب بهمج وتلفيق عجيب لا يكاد يفهم من بعض عقائد عالية تختلفت عن وحى سابق كان قد نال من أمره

وبقي أثره مع بعض تصورات مبتدعة وتخييلات مخترعة أكثرها غير مستقيم وكلها في درجة المبالغة والتفخيم فيما يتعلق بالمهابة الآلهية واصل الملية الدينية بخلافها طريقة مكارم اخلاق مهذبة نقية مع صوة عبادة حقيرة دنية تنصم إلى أوهم عامية وتصورات فاسدة أهلية من أخش ما يكون وأرذل ما تتعاقب الظنون قال أخيراً النصراني المعروف باسم كليمان الاسكندراني مامعناه : المبادا دخلت هيكلان المعابد المصرية في تلك الاعصار لاقاك قسيس بيثة الزقار وهو تلومد فتجيدية في حق الذات العلية ورفعك طرف الستارة ليريك الحضرة الآلهية وانى احرايت من وراء الحجب امامرة أو تمساح أو ثعبان أو غير ذلك من أنواع الحيوان المؤذي لنوع الانسان ولا ترى حشد غير بهيمة مفترسة تفرغ على يساط من حرير الارجوان فهذا هو أهل مصر في ذلك العصر (انتهى كلام المؤرخ الاتف الذكر)

مطاب — الكلام على أعظم عارات أهل مصر في سالف الايام وهي الاهرام قال المؤرخ راسيس لو نورمار : اروع هذه اعلاه مامعناه لم ينكر أحد ان أعظم العمارات المصرية من حيث الحجم واغرب الانية الفرعونية من حيث الترفع في القدم هو اهرام الجيزة وقد أسلمنا الكلام في غير هذا المقام على كثرة لزوم لينائها من الاعمال وغزارها من مقتضى لانشائها من الاعمال ولم يكن نظرها يتسرله اريد صورها على وجه الضبط تقريباً الاذ عرف ان أكبر هذه الاهرام وهو هرم الملك كيوس او خيوس (بالكاف او بالحاء المجمة في اوله والباء الفارسية بعدد اثنين مهملة في آخره) هو بنيان مخروط عظيم وعران هرمي جسيم مركب من اكثر من مائتي مسدداً او صفاً من البناء بالاحجار والنحت الكبيرة الحجم والكتل البليغة الجرم جدا وقد كان ارتفاعه في الاصل قبل ان يعتريه الفساد يبلغ ١٣٠ متر اعني نحو مرتين يتدرا ارتفاع برج الكنيسة الكبرى المدعاة باسم (نوتردام) بمعنى كنيسة سيدتنا اي مريم بمدينة باريس وان مساحته فعدته تبلغ ٣٣ متر عرلا واربعون متر كعب منها بناؤه يتكون من مجسم يبلغ القدر هائل المنظر يبلغ خمسة وعشرين مليوناً متر مكعب بحيث يمكن ان يبنى منه جدار يبلغ من السور الف متر عر على ارتفاع ستة امتار ولا جسر اعانة قاعة التابوت الملوكي على ما فوهما من النقل العظيم دبر المهندس المعماري المصري القديم في اعلى عمارة هذا الحرم الجسيم عدة فراغات في ذات العمارة لمذكورة بها عدة قيعان اخرى وامية صغيرة وفيها قاعة تابوت ثانية كانت على وجه الضبط تقريباً تحت القاعة الكبيرة غير انها ليست من اصل البناء بل جربيل هي في ذات مخراج الجبل مفحورة ووضع هذه العمارة الهائلة بالنسبة لوضع الشمس هو على طريقة مضبوطة كاملة بحيث ترى جهاتها الاربع مقابلة بغاية الضبط والدقة للجهات الاربع الاصلية

واما الهرمان الاخران فهما كذلك على هذا الوجه من الضبط موضوعان غير ان بناء هاتين فيه فراغ كبناه الهرم الاول وهما في ذات الضمن الجبل مصطنعان والهرم الثاني هو دون الاول في الارتفاع لكن الاول مرسوم على مكان من الجبل هو اعلى من الثاني وبناء هذا الهرم الثاني هو كذلك دون بناء الهرم الاول من حيث كمال الصنعة والاتقان وكان القصد بانشاءه ان يدفن فيه جثة الملك شفرين فانه لما نذر في غير هذا المكان ولم يبق من جميع الاهرام ما بقي عليه طبقة نظيفة بالجفر لاحت من الخارج غير هذا الهرم الثاني لا غير

واما الهرم الثالث فلا يلعب من الارتفاع الى ثلث الهرم الاول غير انه اكثر منه تقشورا وفاقا وقد عثر فيه من الخشب على تابوت الملك ميسيرينوس وهو الذي كان قد انشاه وشيد عمارته وبناء والقاعة التي وجد فيها تابوته وجدت كلها مطبقة الجدران من الظاهر بالجفر الصوان وحيث كان الجبل الذي يؤخذ منه نوع الجفر الذي هو من هذا القبيل لا يوجد الا باعلى صعيد وادى النيل على القرب من جهة اسوان لزم انهم كانوا يجلبونه على السفن من ذلك المكان وقد كان على هذا الهرم في سالف الزمان كذلك طبقة من الظاهر بالجفر الصوان المحلوب من جهة اسوان غير انه يظهر عليه انه اقرب عهدا من بناء ذات الهرم المذكور وانه اضيف اليه فيما بعد من انشاء الملكة نيتوكرس التي هي من ملوك العائلة السادسة كما هو فيما تقدم مسطور

مطلب - شرح القول على التمثال العظيم المعروف باسم ابي الهول

قال المؤرخ المروى عنه اعلاه مامعناه واما التمثال العظيم (المعروف على لسان العامة باسم ابي الهول) الذي يشاهد في اسفل الاهرام الكبيرة المذكورة وكأنه كان ذيلا لونه لهذه العمارات الشهيرة فهو في الاصل من انشاء الملك شفرين المذكور وان كان لم يتم سائر عمارته في مدقولايته وقدر مساحته نحو ٩٠ قدما طولا على نحو ٧٤ قدما ارتفاعا ومساحة رأسه من عند اسفل الذقن الى اعلى الجمجمة ٢٦ قدما وهو مضمون في ذات صخر الجبل الذي هو قائم عليه ومنقسم الى ست مناطق افقية بقدر الطبقات الطبيعية الكائنة في ذلك الجبل الذي هو مصطنع فيه وقد اقتضت له في أحد الشقوق الفاصلة بين تلك الطبقات الجبلية وابو الهول العظيم هذا هو صورة ميجود قدما المصريين المسمى باسم (هارماشو) وهو عبارة عن الشمس في وقت الغروب وقد كان من عقائدهم الدينية انه بالامالة اله الجنائز وفيما بين مقدم يديه محراب صغير معد لعبادة الاله المذكور كان قد اعاد انشاءه بالثاني الملك طوطميس انشأه قال العالم السياح الفرنسي المشهور باسم امبير في كتاب رحلته مامعناه ان هذا التمثال العظيم مع ما وقع عليه من التشويه بالجسم لا يخفى بجماع قلب الناظر اليه ويؤثر عليه تأثير الامر العجيب وكان له امرى طيف خيال غريب ظهر وهو اليد بالاعين الناظرين من ارواح الاقوام السالفين وكان ذلك الخيال المتصور من الجرد وروح كاد يسمع ويصر وكان اذنه الكبيرة

الدرس الثامن (١٤١) في التاريخ العام

لتصفي لما يلقي اليه من اخبار الماضين وفي كيفية مواجهة نظره لبصر الناظر اليه بدقة ظاهرة وحقيقة باهرة تمهدة لب كل من التي نظره عليه وانه يشاهد لعمري على وجه هذه الصورة الهيبة التي نصفها منم ونصفها جبل مهابة غريبة ونوع من البشاشة بل ربما كان يرى عليها ايضا نوع من اللطافة والهشاشة ، (هـ)

مطلب ذكر عوائد المصريين فيما يتعلق بدفن موتاهم وما كانوا يتخذونه لذلك من المغائر والقبور وما كانوا يعتنون به من كثرة الزناق والتصور

قال المؤرخ المروى عنه اعلاه مامعناه قال ديودور الصقلي مانعه وقد كان المصريون يسمون مساكنهم في الحياة الدنيا بما معناه الجحأ أو المتوى أو المأوى لداعي انهم يأوون اليها مدة قصيرة من الزمن و يسمون قبورهم بالدور الابدية لداعي انها هي دار الخلود ولذلك كانوا لا يعتنون بزواق منازلهم الدنيوية بخلاف مقابرهم حيث كانوا يذلون كل مجهودهم ويمسرتهم في ان تكون في اعلى درجة من الابهة والفخار ولا يسمون شيئا مما يبلغه الى اجمع الزينة وابهى الآثار قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المكرالذ كر والبيان اعلاه مامعناه وحيث كان لا يمكن لنا هنا ان نحصى عدد ما بقي لاسلاف اهل مصر ولا ان نستقصى وصف كل ما اثر عنهم من آثار ذلك العصر من المغائر الكثيرة والمقابر الغير المحصورة التي توجد في كل محطة من طول شواطئ وادى النيل مشحونة بما لا يحصى من أنواع النقش والزينة القزيرة التي اشهرها واعظمها واجدوها بالذ كرواهاها المغائر الموحودة بضواحي مدينة منف أو منفش (اعني بجهة البحيرة وصفارة) ومغائر ناحية بني حسن بالاقاليم الوسطى فلا اقل من ان نقف من جملة ذلك على القبور الملوكية الشهيرة الكائنة بجهة مدينة طيبة العظيمة حيث وقف عليها ووصفها كل من ساحب ديار مصر في هذا العصر من اهل العلم والخبرة بالآثار القديمة وهذه القبور هي عبارة عن عمارات عظيمة وابنية جسيمة مشيدة في امرب تحت الارض يمتزجها الناظر اليها طربا ويقضى منها عجبا كما يستغرب مما يوجد على القرب منها على وجه الارض من العمارات والآثار المجاورة لها قال العالم السائح الفرنسي المشهور باسم رويو في كتاب رحلته مانعه وداشهر هذه القبور وراكبرها واحراها بالذ كروا جدرها هو قبر الملك رمسيس الخامس وذلك انه يشتمل على عدة قيعان يوجد فيما بينها محازات يسير فيها السائر في بطن الجبل حتى يصل الى قاعة التابوت الملوكي الكبرى وكلها يوجد عليها سلسلة طويلة من النقوش المقصورة والزواقات الجميلة وهي صورة مناظر تراقية وغمايل فلكية تصور فيها سير الشمس وكيفية التواب والعقاب التي تلقاها الروح البشرية في دار الحياة الاخرية وعلى الخصوص من قاعة التابوت الكبرى التي وصفها شامبليون مع غاية التفصيل والتبيين في رسالته التي حررها من ديار مصر فيما يتعلق بالآثار المصرية القديمة حيث ذكر فيها تصوير كيفية سير الشمس وهي جوانب

جذرائها مالا يهوى من الكتابات بالقلم المصري القديم المعروف باسم الهيروغليفية وليست بجميع القبور الستة عشر الموجودة بالوادى المسمى باسم بيبان الملوك كلها تامة الزوايا والزينة على سائر جهاتها مع معتاب ابل بعضها كان قد تم فيه هذا العمل وهو قبور الملوك الذين كانت اقامتهم على كرمى المملكة أطول وبعضها كان لم يتم فيه ذلك العمل وذلك انه كان من عوائدهم انه متى جلس الملك على كرسى السلطنة حصل الشروع على الفور في اجراء العمل لانشاء القبر اللازم له ومتى توفي دفن فيه على الحال الذى يكون عليه يوم وفاته سواء كانت هذه العملية قد تمت أو توقفت على حسب اختلاف قدر مدة ولايته طال أو قصرت وحتى دفن في قبره الجسد أغلق بابه الى الابد ومن جملة أتم القبور الملوكية المذكورة وأعجبها وأعظمها: أغربها قبر الملك سيتيوس الاول وقبر الملك رمسيس الثالث وذلك ان قبر الملك سيتيوس الاول قد تصورت فيه أنواع الانسال البشرية على حسب ما كان يعرفها بالى مصر فى سالف العصر وعلى قبر الملك رمسيس الثالث كما يوجد مثل ذلك على جميع قبور الانصار الإولى صورا متعة منزلية وأدوات تتعلق بكيفية انعاش المصوية مع صورناشرية للسنة لزراعية المصرية مصورة على ستة هياكل مختلفة للثيل وأرض مصر مثلا كل منهم فى صورة ذات مصورة بالثي المجعول لها عندهم من قبيل الرضى والاشارة وعلى سبيل العلامة والامارة وقد تصور فى كل هيئة من الهياكل الست المذكورة صورة سائر الخواص الزراعية التى تختص بكل موسم من المواسم السنوية المصورة فى تلك النقوش الصنعية وذلك ان من المعلوم كدور مياه النيل هى التى يتخذهما فى الديار المصرية أوقات المواسم الزراعية (١)

مطلب — ذكر ما كان لقدما المصريين فى سالف العصور من الهياكل والنقوش قال المؤرخ المكررا الذى ذكر أعلاه ما دعاه اند بوقت غزو عسكر الفرائسيس لديرهم كانت فرقة العسكر الفرائسيى الكائنة تحت رئاسة القائد المسمى باسم ديزيه قد أرسلت اتباعا مضادا بل ومنهم جماعة الجنالك الى أقصى جهة الصعيد ومع كون جماعة العساكر الفرائسيية المذكورة كانوا قد اروا الحالة العدم ونفاذ الميرة وكانوا أن يملكون من شدة الحرارة فمجرد أن بدت لا عينهم على - بر فذلة طالع اطلال طيبة نسوا من أول وهلة ما كان قد اتراهم من المشقة والتعب وكل ما كان قد أصابهم من ألم الجوع والنصب مع قرب العدو منهم وامتلأت قلوبهم حمية وحاسا وصاروا جميعا يصفقون بكنوفهم استغرابا دفعة واحدة ويصبحون استجابا عن حركة معقدة وذلك ان مدينة طيبة هذه التى كانت فى سالف الاعصار عند المصريين لا تلهم اللهى باسم (أمون) هى المدينة المقدسة (بمعنى الحرم المأمون) هى وان كانت قد انكب عليها من نجات اندهر وانصب اليها من صدمات كل عصر مصائب شديدة مدة عدة قرون من الزمن عديدة وانضم فيها عمل الخراب الحاصل عليها من تعاقب الاحقاب ثواب الفساد الحاصل فى تلك الاعصار

من غارات الاقوام المتوحشين على تلك البلاد فلم تزل تظهر لنظار الناظر اليها في أعظم منظر واجم
 مخبر وتبدو لبصر المتفرج عايم في أعجب مجموع من الابنية والعمارات التي باشرتها يد الصنائع
 والفنون على عمار القرون مما يكاد أن يكون بمثابة جميع الغلات الملوكة الكبيرة التي
 تملك على ديار مصر من عصر الملك أوزير تاان الاول الى عصر آخر ما لوك دولة البطالة الكبيرة
 الذي هو والد الملكة قليوطرة الشهيرة ولوارثان ندمته على وجه شامل وصف ما بقي من
 من آثار عمارات مدينة طيبة المذكورة للزم لنا وضع محله كامل ولذلك اقتصرنا القصد ايراد
 ما فيه الكفاية الامام بما كانت عليه هذه المدينة الشهيرة من بلاغة السعة والزينة الكبيرة
 على ان نقول ان مساحة سور اطلال الجهة المعروفة الآن بالكرك من مكان هذه المدينة القديمة
 يبلغ ١١٠٩ اقدام تقطع النظر عن مكان صفوف التماثيل المعروفة باسم أبي الهول الساكنة
 امام الباب البراني وعن الهيكل الآخر الذي أنشأه الملك رمسيس الثاني على ذات سمت الهيكل
 الاول فيما وراء حائطه الحادث بحيث يبلغ مجموع مساحة حائل الجميع لما يقرب من مبلغ ٢٠٠٠
 قدما تقريبا ويؤيد ذلك في حلة العمارات المشمولة في دائرة المساحة الرحبة القاعة ذات
 الاعددة الهيبة التي هي من انشاء الملك ستموس الاول ولاتفي العبارة بوصفها على الوجه الاكمل
 قال المؤرخ فرانسيس لوزرمان وهذا نص عبارة العالم السباح الفرائساوي المعنى باسم أمير
 في كتاب رحلته بديار مصر السالف الذكر والبيان حيث قال فيه ما نصه في هذا الشأن
 واذا أردت ان تصوره هذه القاعة افريقية فخليل غابة من الابراج ونصور امامك مائة وأربعين
 عمودا في مثل غلظ العمود الكبير المنصوب في الميدان المعنى باسم (لابلاس وندوم) بمدينة
 باريس يبلغ أكثرها ارتفاعا الى ٧٠ قدما (ونذلك هو مبلغ ارتفاع مسانينا الفرائساوية هذه
 تقريبا) ومساحة قطرها هذه الاعددة القرعونية ١١ قدما وكلها مغمورة بافواج النقش
 البارز الظريف والكتابة بالقلم المصري القديم المعروف بالهيروغليف ومحيطة برؤس هذه
 الاعددة ٦٥ قدما ومجموع مساحة هذه القاعة الملوكة ٣١٠ اقدام طولها على أكثر من
 ١٥٠ قدما عرضا وكانت في الاصل كلها مسقوفة ولم يزل يشاهدها كوة من الكوات التي
 كانت متخذة فيها الدخال النور اليها (هـ) وقال العالم السباح الالماني المشهور باسم
 ايسبيوس في كتاب رحلته بديار مصر ما هو هذا الضاحك بالذكور ونص عبارته كما هو بعد مسطر
 وانما لا يدخل في حيز الامكان أن يعبر الانسان بالقلم أو اللسان عما يجده في قلبه من التأثير
 الجميب والاندعاش القريب اذا دخل أول مرة في هذه الغابة من العمدان وخطر أول خطرة
 بين تلك الصفوف المتعددة من تماثيل الالهة المصرية العظيمة وصور الذوات الفرعونية
 الفخيمة التي هي مغمورة بها تارة عايمها كلها وطورا على جزء منها وعلى جميع جدرانها نقوش
 مغمورة مزينة بأنواع الصباغات الملونة بعضها بارز وبعضها مغرغ ولم يتم عملها الا في مدة عهد

الدرس الثام ١٤٤ في التاريخ العام

خلفاء الملك سيتوس وعلى الخصوص في مدة ولاية ولده رمسيس (٥١هـ)

وفيما بين عمارات الكرنك والجهة المسماة بالاقصر بحيث تصل احدى العمارتين بالآخرى سلسلة من العمدان والكبوش المصنعة من حجر الصوان موضوعة بغاية الضبط والاتقان على وجهه من التدبير بحيث يتكون فيما بينها طرق وجسور وهي عبارة عن هياكل وقصور من انشاء الفرعنة المتعاقبين على ملكة مصر في عدة اجيال مضت على تعاقب الدهور وأقدمها عهدا وأعظمها الهيكل الكبير الذي هوم من انشاء الملك آمينوفيس الثالث وفي جهة الشمال منه مجاز من الاعمدة يوصل الى هيكل آخر من بناء الملك رمسيس الثاني ومساحة مسطح مكانه ٢٥٠٠ متر وقد كان الملك المذکور شاد في مقدم الساحة الكائنة أمام هذا الهيكل مستلتي عظيمتين احدهما نقلت الى بلاد الفرانيس وهي الموجودة الآن بالميدان المعمرى (باسم لابلان دولا كوتارد) أي ميدان الاتفاق بمدينة باريس

وبالجملة فان آثار مدينة الصعيدية هذه هي أعظم الاطلال وأجسم الآثار التي بقيت من عمارات الديار المصرية على مر العصور وقد كان يجب علينا أن نطيل الكلام عليهم ولكن استصوبنا الإشارة اليها على وجه الاختصار ولا ينبغي أن يتوهم انه لا يوجد غيرها على شواطئ وادي النيل مما هوم من هذا القبيل بل يوجد في عدة أماكن من الديار المصرية بجزيرة اسوان وامبو وادفو واسنا وارمنت. وندره عدة هياكل قديمة ومعابد عتيقة عظيمة بعضهم ابقى بنجامة على حالته الاصلية لغاية الآن وبعضها اعتراه الفساد بمرور الزمان غير ان أكثرها كان قد تجدد بناؤه في مدة دولة البطالسة الخالفين على الاسلوب الذي كان قد جعل عليه انشاؤه في اعصار الفرعنة السالفين وقد استكشف المكرم مارييت بك ناظرا أعمال البحث عن الآثار القديمة الفرعونية بالديار المصرية في المدينة المسماة باسم آبيدوس (المدفونة) بنواحي الصعيد هيكل كاملا لم يلحقه اطلاق كانه بناء جديد من عهد الملك سيتوس الاول وهو أعظم وأجمل ما يوجد بالديار المصرية من المعابد الفرعونية من حيث اتقان الصناعة الفنية ومساحة مسطوح مكانه ٨٦ قدما طولا

وأما مدينة مصر القديمة المسماة باسم منف أو منف (مائة رهينة) فلم يبق من عماراتها الجسيمة شيء قائم على حالته الاصلية وهيثة الاولية والذي أمكن بقائه من آثارها انما هو مدفون تحت الارض وغاية ما تيسر اظهاره من هياكل هذه المدينة العظيمة هيكل واحد استكشفه المكرم مارييت بك المذکور آنفا وهو الهيكل المعمرى باسم (لوسيرايوم أي معبد آله قدام المصريين المعمرى باسم سيرايوس) وقد عثر في داخل سورده على مدافن سلسلة جميع الآثار التي كانوا يبدونها ويسمون بها باسم (آيس) من عهد العائلة المالوكية المصرية التاسعة عشرة الى عهد ادخال الديار المصرية تحت ولاية السلاطة الرومانية وقبل أن ننهي الكلام على هذا الباب لا بأس لنا بأن ننبه

الدرس الثامن ١٤٥ في التاريخ العام

هنا بطريق الاختصار على ما يوجد من عديد العمارات والآثار الباقية من عهد الاغصان
الفرعونية متسلسلة على شواطئ النيل بيلاذ النوبة من عند شلال اسوان لغاية الشلال
الثاني ببلاد السودان ولا سيما الهيكل العجيب الكائن هناك تحت الارض بالحامية
المسماة باسم **ابن مذبول** (يكسر الهمزة في أوله) حيث يوجد كثير من النقوش التاريخية
والتصاوير الدينية على جوانات جدرانها وعلى واجهته بابا الغريب المركب على اربعة اعمدة من
الصور الهائلة (اعني من نوع الصور الجسمية المعروفة باسم ابى الهول) مخوفة في ذات الصخر
من الجبل مصورا فيها دات فرعون رمسيس الثاني على هيئة الجالس مع كون ارتفاع
كل صورة منها يبلغ نحو ستة قدما (انتهى اليه هنا معربا من مختصر تاريخ الامم المشرقين
والهند للؤرخ فرانسيس لونومان السالف الذكر والبيان)

تتمة

تستعمل على بعض ايضا حات جديدة وزيادات مفيدة فيما يتعلق بتاريخ مصر
في سالف العصر
وذلك في عدة مسائل (معربة باختصار من التاريخ القديم الكبير للؤرخ فرانسيس لونومان
الشمير)

المسألة الاولى

مطلب - بسط الكلام على اصل ما أخذ تاريخ المصريين القدماء قال المؤرخ فرانسيس
لونومان المذكور اعلاه في تاريخه القديم الكبير ما معناه طاما كان أهل العلم بالبلاد
الاوروبية اذا ارادوا ان يكتبوا تاريخ الديار المصرية يضطرون للاقتصار على اعتماد
ما كان قديما اليونان قد اودعوه في سالف الزمان بمصنفاتهم التاريخية من القصص
والروايات الحكوية وذلك لانهم كانوا لم يطلع احد منهم بعد في سالف العهد على أسرار
الفلم المصري القديم ولا كان احدا التفق لما كان يقتضى له من التعلم والتعليم ولما كان
ما اقتضاه سلف المؤرخين من الشهادات التاريخية فيما يتعلق بتاريخ الديار الفرعونية
متناقضا كل التناقض بعضها لبعض كانوا يظنون لزوم ترجيح ما ابداه من الماهويات
التاريخية كل من المؤرخ هيرودوت الايكارناسي وديودور الصقلي وابشاره على سائر ما عداه
فهذا هو ما كان جاريا عليه العمل بين أهل العلم في سالف الزمان واما الآن فقد تغيرت احوال
العلم في هذا الشأن بالكلية لاداعي ما اقترحه في هذا العصر من الاستكشاف المخد للذكر العالم
الفرانساوي التبيه والفاضل الاوروباوي الوجيه حنا فرانسيس شامبوليون المذكور في

حلف اعلاه حيث تبصر لنا بما ابداه من الوقوف على حقيقة حروف الهجاء المصرية وتعرفت اصول اللغة القبطية امكان قراءة ما يوجد مسطرا على الآثار الفرعونية من الاساطير المعروفة بالكتابة الهيروغليفية وقد كانت قراءتها معدودة عند اهل العلم والعرفان في جملة المسائل التي لا يمكن حلها الى آخر الزمان وها هو قد تبصر لنا الآن ان نأخذ تاريخ هذه الديار العتيقة عن ذات ما حرره اهلها بأنفسهم من الكتابات وسطره بقلمهم القديم على ذات ورقة هم البردى وما اثر عنهم من الآثار والعمارات ومن حين استوت يد التاريخ على تلك السندات الاصلية والتحريرات الرسمية بمعنى الدواية الدالة على حقيقة احوال شواطئ وادي النيل في سالف الجليل كادت ان تضل بالكلية اعتمادية هذين المؤرخين اليونانيين الذين كان يعتمد عليهم ادون غيرهما في المدايز الاوربية وتلاشت تقريرا سنديتها في المواد التاريخية ابا هيروdot والاذيكارناسي فقد كان رجلا سياسيا عجيبا مضطربا غريب التقييد والربط يقص ما شاهد به يعني رأسه من الحوادث الواقعية بطريقة هي للفلوب ساحرة وقطعة نادرة اما فيما يتعلق بوصف اخلاق المصريين وعواثد هم قترى كتابه كثيرا نفيسا الى ما لا نهاية له حيث ادعاه ما كان قد عاينه بنفسه فعبّر عنه باضطراب معبرة وسطره باصح مسطرة وفي كل يوم تأتي العمارات المصرية القديمة بفوائدها الجديدة تؤكد ما استفيد منه من الشتمادات العديدة واما فيما يتعلق بذات الوقائع التاريخية فحيث كان لا يعرف لغة المصريين وكان لا يمكنه ان يأخذ الحوادث الحقيقية من منابعها الاصلية كان بالضرورة يعتمد على ما يرويه له قس الهياكل التي كان يزورها ويستند الى حكيمة له ارباب المجالس التي كان يقيم له حضورها ولذلك لم يتيسر له كما اعترف بذلك بنفسه ان يحزر للديار المصرية مختصر تاريخ تام ولأن يأتي بزيادة خبره منتظم للدول الفرعونية على وجه عام بل كان كتابه كما هو نص عبارته عبارة عن مجموع نوادر تاريخية ومحاضر علمية تتعلق ببعض احوال الملوك المصرية فقط على ان تلك النوادر التاريخية لم تكن متواليات الترتيمات الزمنية ولا متواليات المواقف الحقيقية ومن اطلع على كتابها تنضح له بالبرقة الجليلة ان هذا السباح اليوناني الكيس اغماؤد بطون اوراقه بتقييدات كان قد أخذها بمدينة منفيس عن كان فيها من طائفة القسوس وانه خلط خلط عشواء وخبط خبط عياء في مادة المدة الزمنية ونسب بعض الوقائع لغير اعصارها الحقيقية وأما ديودور الصقلي فقد كان كذلك سنداقويا ومعدا مستقيما سويا فيما يتعلق بمادة الاخلاق والعواثد المصرية حيث كان بنفسه دعايتها فعبّر عنها وبينها واما فيما يتعلق بالتاريخ الحقيقي فقد كان مجرد جامع لاقوال غيره روى في كتابه عدة روايات مختلطة وضمنه جملة حكايات مختبطة من العلم وبعض مواد مادرة عن اياد شتى في نهاية من سوء الحضم وكتابه في الواقع ونفس الامر لا قيمة له مطلقا فيما يتعلق بتاريخه فاعنه مصر ولا يكاد يؤخذ منه فيما يتعلق ببيان احوال ذلك العصر غير قدر يسير جدا من بعض نوادر تاريخية هي في الحقيقة من الاصل لمحض مصرية يوجد منها في كتاب هيروdot والسالف الذكر القدر الكبير

ولا يوجد في كتب على الفراعنة المصريين السالفين من يبق له من بعد التمكن من قراءة حروف القلم المصري القديم المعروف باسم الهيروغليفية المقام الشريف والقدر الثمين الماتجدا غير مؤرخ واحدة فقط وهو مائة وثلاثون القسيس المصري المعروف بل أم رز في كل يوم تغار فيتمته وتعود ربحته كلها حصلت مقابلته بما استفيد من السندات الأصلية والقيودات الالهية التي لم تزل تستكشف على العمارات المصرية وطالما كان أهل العلم بمحتقرونة وينازعون في صدقه وينكرونه وكانوا يرون أن ما ذكره في كتاب تاريخه من مد يد سلسلة العائلات الملوكية المصرية وعديديوت الملك والدول الفرعونية انما هو من قبيل الخرافات لا من قبيل الحقائق التاريخية وأما الآن فقد تحقق بأقوى البرهان أن ما بقي لنا على عمر الدهر لغاية هذا العصر من كتاب هذا المؤرخ المصري العظيم هو أول ما أخذ بهد وأفضل منبع يوجد لاشاء تاريخ ديار مصر القديم

وقصة مانيثون هذا هي أنه كان رجلا قسيسا مصرية وشيخا دنيا من أهل مدينة سينيت أوسينيثيس (وهي منود) بالأقاليم البحرية كان قد كتب تاريخ وطنه من عين معدنه بأمر الملك بطليموس فيلاداف بناء على ما كان محفوظا في الهيكل المصرية من السجلات الرسمية والدفاتر السلطانية والدينية ولكن انعدم تأليفه هذا النفيس ككتيب من الكتب التي كان قد كتبها السلف ولم يصل اليه مانه غير بعض قطع يسيرة وعبارات متفرقة غير كبيرة مع جدول يشتمل على ذكر جميع الملوك المصريين والفراعنة المتقدمين كان القسيس مانيثون المذكور قد وضعه في ذيل كتابه المشهور فنقله عنه لنا من سعدنا في ضمن تأليفاته التاريخية بعض احبار عهد دين النصرانية وقد توزعت في الجدول الماسطور جميع الملوك والسلطين والفراعنة السالفين الذين تعاقبوا على ولاية الامر بديار مصر في سالف العصر اغاية عهد الاسكندر الاكبر الى عدة سيوت ملك اودول سلطانية جرت عادة المؤرخين بالتعبير عنها بالاعائلات الملوكية أو الدول المصرية وقد نص القسيس مانيثون في أكثر هذه العائلات السلطانية على اسم كل ملك ومدة ولايته وسائر مدة اقامة ملوك عائلته على كرسي السلطنة الفرعونية واقتصر في قليل منها على ذكر بعض فوائده مختصرة وابراد بعض أخبار مقتصرة تتعلق ببيان أصل بيت الملك وعدد من تقلد منه بقلادة الولاية المصرية مع رقم قدر المدة التي أقامت كل عائلة سلطانية قال المؤرخ قرانيس لونيورمان المكرر الذكر والبيان ولا سبيل لنا هنا لأن نورد هذا الجدول بتمامه وكاله حيث كان أكثر ما ورد به من اسماء الملوك والسلطين قد اعتراه التغيير والتبديل وداخله الفساد والتحويل من يد النساخ اليونانيين لداعي جهلهم بلغة المصريين ولا يمكن لنا اصلاح ما اعتراه من الاختلال والمغايرة اللهم الا بدقة النظر فيما يستنبط من العمارات المصرية القديمة بطريق المباشرة واستكثار آياتها بالأسبى أن نورد منه ممنا لأقل من الفوائد الأصلية في ضمن هذا الجدول المختصر الذي هو بعد مسطر

جدول

يتضمن زبدة ما روى عن ما ينتون المصري من قائمة العائلات المالكية المصرية

ترتيب العائلات بمعرفة الجيد	منشأ أو قاعدة كل عائلة	اسماء حادثه	مدة إقامة كل عائلة	تاريخ ق م
أ	تيفيس	خرابة المدفونه	٢٥٢ سنة	٥٠٠٤
ب	منف أومنفيس	مائه رهينه	٣٠٢	٤٧٥١
ج	منف أومنفيس	مائه رهينه	٢١٤	٤٤٤٩
د	منف أومنفيس	مائه رهينه	٢٨٤	٤٢٣٥
هـ	منف أومنفيس	مائه رهينه	٢٤٨	٣٩٥١
و	منف أومنفيس	مائه رهينه	٢٠٣	٣٧٠٣
ز	منف أومنفيس	مائه رهينه	٧٠	٣٥٠٠
ح	منف أومنفيس	مائه رهينه	١١٢	٣٥٠٠
ط	منف أومنفيس	مائه رهينه	١٠٩	٣٣٥٨
ي	منف أومنفيس	مائه رهينه	١٨٥	٣٢٤٩
١	طيبة	مدينة آبو	٢١٣	٣٠٦٤
٢	طيبة	مدينة آبو	٤٥٣	٢٨٥١
٣	طيبة	مدينة آبو	١٨٤	٢٣٩٨
٤	طيبة	مدينة آبو	٥١١	٢٢١٤
٥	طيبة	مدينة آبو	٢٤١	١٧٠٣
٦	طيبة	مدينة آبو	١٧٤	١٤٦٢
٧	طيبة	مدينة آبو	١٧٨	١٢٨٨
٨	طيبة	مدينة آبو	١٣٠	١١١٠
٩	طيبة	مدينة آبو	١٧٠	٠٩٨٠
١٠	طيبة	مدينة آبو	٠٨٩	٠٨١٠
١١	طيبة	مدينة آبو	٠٠٦	٠٧٢١
١٢	طيبة	مدينة آبو	٠٥٠	٠٧١٥
١٣	طيبة	مدينة آبو	١٣٨	٠٦٦٥
١٤	طيبة	مدينة آبو	١٢١	٠٥٢٧
١٥	طيبة	مدينة آبو	٠٠٧	٠٤٠٦
١٦	طيبة	مدينة آبو	٠٢١	٠٣٩٩
١٧	طيبة	مدينة آبو	٠٣٨	٠٣٧٨
١٨	طيبة	مدينة آبو	٠٠٨	٠٣٤٠

الدرس التام ١٤٩ في التاريخ العام

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في تاريخه الكبير المنقول عنه أعلاه مامعناه هذا حاصل جمع مانصر عليه المؤرخ المصري في قائمة ملوك وطنه من الارقام والمخلص ماسطوره فيهم من المندول الاحكام وكل من اطلع عليه فلا بد وان يتعجب ولا يسهه الا ان يستغرب من جسامه مدة الزمن الناتجة من حاصل جمع مدد اقامة العائلات الملوكية المصرية على كرى السلطنة الفرعونية وذلك انه بقابلة مبالغ حاصل هذا الجمع المسطر أعلاه مع مبالغ عمر الدنيا جميعا أو تخنا تحقيقه فيما أسلفناه يرى ان ما ذكره في قائمته قسيس سينيت يوصلنا الى أقصى الأزمان التي هي هندساتر الامم الاقدمين معدودة من الاعصار الخرافية وهي عند المصريين معدودة من الأزمان التاريخية الحقيقية ولما تحيرت افهام بعض العلماء المتأخرين في توجيه هذه المشكلة العلمية مع كونهم لم يسعهم ان يشككوا فيما يقتضى ان يكون عند المؤرخ مانيون المصري من الصدق والاعتمادية اضطروا في توجيه ذلك بالقول بأن ديار مصر في عدة عهود ومن تاريخها في سالف العصر قد كانت منقسمة الى عدة دول متفرقة وجملة عمالك متفرقة وان مانيون المصري انما ذكر منهم عدة عائلات ملوكية على وجه كونها متعاقبة مع انما كانت متعاصرة وذهب آخرون منهم العالم الافرانساوى المسمى باسم بوسان الى خلاف هذا المذهب السالف البيان فقاوا ببدل انما ذكره مانيون من ان حادثه تأسيس الدولة الملوكية بالديار المصرية قد كانت في سنة ٥٠٠٤ قبل تاريخ ميلاد المسيح عليه السلام حسب ما سطر أعلاه انه يقتضى أن تكون الحادثة المذكورة قد حصلت فقط في سنة ٢٦٢٣ ق م (قلت وهذا قريب مما ذكرناه في ضمن الباب الاول وأوضحناه)

قال المؤرخ ماريت بك المذكور فيما أسلفناه مامخلص معناه فان قيل باليت شعري ما أصدق القواين المذكورين ويا هل ترى ما أصح المذهبين المسطورين قلنا انه كلما تدقق النظر في هذه المشكلة التاريخية تحقق انه لازال يصعب حل هذه المعضلة العلمية وان أعظم الموانع للوقوف على حقيقة ترتيب الأزمان في تاريخ الديار المصرية هو ان ذات المصريين لم يكن لهم تاريخ مسمى منتظم ولا توقيت تاريخي مستقيم بل كانوا يجهلون توقيت الحوادث التاريخية بحادثة ثابتة متحدة ولغاية الآن لم يتيسر لاحد ان يثبت انهم كانوا يؤرخون حوادثهم الوقتية بشئ آخر غير سنوات ولا ية ملكهم المتولى عليهم وقد كانت تلك السنوات ليس لها مبدأ ثابت اذ كانوا تارة يعدونها من ابتداء السنة التي مات فيها الملك السلف وتارة يحسبونها من أول اليوم الذي عمل فيه الاحتفال لتقليد الملك الخلف فلو بلغت ما بلغت درجة الضبط والتدقيق في الحساب الجارى لعدة تلك السنين بمعرفة أهل العلم والتحقيق من المتأخرين فلا بد لهم من الوقوع في الغلط اذا أرادوا الحصول على تعيين

الدرس الثامن ١٥٠ في التاريخ العام

أوقات معينة وتواريخ ثابتة للحوادث المصرية اذ كان ذلك معدوما عند ذات المصريين ومع ذلك فالذي يقتضيه الوجه في هذه المشكلة العلمية هو ان يقال ان الديار المصرية قد كان فيها من غير شك ولا منازعة عدة دول أو عائلات ملوكية متعاصرة غير ان المؤرخ مانيون المصري لا بدوانه في عمل انتقيج الذي أجرا في تحرير تاريخ وطنه كان قد صرف النظر منها عما كان يظهر له انه الدولة الباغية ولم يدرج في جدول غير ما كان يظهر له انه هو الدولة الشرعية والعائلة الملوكية الحقيقية والا لزم أن يكون عدد العائلات الملوكية المصرية بالغائة الستين لا الاحدى والثلاثين كما جرت عليه بناء على ما ذكره مانيون المذكور عادة المؤرخين

ولم يصر لاحد من العلماء الذين تصفوا باختصار الارقام المسطورة في جدول مانيون المذكور أعلاه ان يأتي بيرهان مطلقا من العمارات المصرية القديمة على ما ادعاه من أن دولتين ذكرتا في جدول المؤرخ المصري على انها متعاقبتان قد كانتا متعاصرتين بخلاف أرباب المذهب الثاني القائلين بأن جميع بيوت الملوك الذين عددهم في جدول القسيس السبتي كانتوا قد جلسوا على كرسى المملكة الفرعونية بعضهم إثر بعض فان ما التقطه كثير من العلماء بأحوال المصريين واستنبطه جمهور كثير من العلماء المتأخرين من الأدلة المأخوذة من الآثار المصرية القديمة شاهدة لما ذهبوا اليه ومعضدة لما عولوا عليه هو قدر كثير وعدد كبير جدا (اه ماريت بك)

وفي الحقيقة ونفس الامر لا يوجد في جملة الامم المتقدمة في سالف العصرامة يتيسر تحرير تاريخها على سندات هي في الحقيقة أصلية ومعتمدات أهلية اى مأخوذة عن ذات أربابها الاصليين واحكامها الاهلين أكثر من ديار مصر حيث يوجد عمارات مصرية عديدة وآثار فرعونية مفيدة لا فقط في الديار المصرية بل في بلاد النوبة والسودان لغاية الديار الشامية فضلا عن القدر الكثير الذي حصل عليه لغاية الآن العثور من الامثلة المنزلية العتيقة التي لم تزل تلتقط منذ خمسين سنة من تلك العمارات المصرية والآثار الكفرية حتى اثلاث منها جميع الانتقعات الموجودة في جميع المدن الكبيرة والقواعد الشهيرة من جميع بلاد الدنيا ولا سيما الانتقعات الخديوية الكائنة على شاطئ النيل الايمن ببولاق مصر القاهرة حيث سارت الآن في جملة تلك الانتقعات ما بعد في أعلى الدرجات لداعي ما شحنتها ببلدينا الفاضل ماريت بك من نتائج حيل التحريات وجيل انتقعات ثمن الآثار التاريخية المصرية على ضربين أحدهما ما يتعلق منها بعموم تاريخ ديار مصر والثاني ما يتعلق بخصوص تاريخ عائلة الملوكية معينة بحيث يدل ما على أصل وجودها وعلى تحقيق مدة كينوتها الزمنية من سالف العصر

ولنتكلم هنا ولا بوجه الاختصار على الآثار الأصلية التي تدل على بعض فوائد غومية فيما يتعلق بمجموع التواريخ المصرية القديمة فنقول

الأول قرطاس من الورق البردي يوجد محفوظاً في بقعة خاتمة مدينة نوران (بيلاد اباطالية) وكان قد باعته إليها قنصل عموم دولة فرانسة بمصر المدعو باسم (درويني) ولو كان هذا القرطاس باقياً على حاله تمامه الأولى لكان أنفاس أثرى بوجود علم الآثار القديمة المصرية وذلك أنه يشتمل على قائمة أسماء جميع الذوات المعترين بوجه كونهم حكام ديار مصر في سالف العصر سواء كان ذلك في الأزمان الخرافية أو التاريخية الحقيقية من منذ أقصى الأعصار الأولى لغاية مدة لا يمكن لنا الوقوف عليها لداعي أن ذيل القرطاس المذكور مفقود وهو محجور في عهد الملك ترميس الثاني (من العائلة الملوكية التاسعة عشرة) أعني في أحد أجمع الأعصار وأجى مدد الألبه والفتار من تاريخ الديار المصرية فهو منتصف بجميع الشروط اللازمة لكونه يعد من جملة السندات الرسمية والمعتمديات الدولية وفيه لعلم التاريخ اعانة قوية وفائدة كبيرة حيث ترى فيه في أثر كل اسم من أسماء الملوك المكنوبة عليه رقم مدته ولايته وبعد ذلك عائلة من العائلات الملوكية بمجموع السنوات التي أقامتها على ولاية مصالح الديار المصرية غير أنه من سوء الحظ وعدم السعد لم يوجد هذا الكثر من العلم الذي لا يقوم الا قطعاً متفرقة وأجزاء متمزقة تبلغ ١٦٤ قطعة أكثرها لم يمكن تعقيبه ولم يتم توقيفه وترتيبه

الثاني آثار أخرى نفيس وجدته بكل الكرك وتقل الى الانثية في غانة السلطانية الكاثبة بمدينة باريس وهو عبارة عن قاعة صغيرة وجددهم وراع على جوانب جدرانها تماثيل الملك طوطميس الثالث (من العائلة الثامنة عشرة) على هيئة المتنسك امام صور واحد وستين ملكاً من اسلافه ولذلك سميت قاعة الاسلاف غير ان الملوك المندرجين في هذا الاثر العظيم ليسوا مرتبين على وجه متسلسل منتظم ولا نوال مستقيم بل جماعة مختارين من خيار اجداده السالفين اختارهم الملك طوطميس الثالث المذكور اقصد ان يتعبد لهم ويتجدهم ويتنسك امامهم ويعبدهم ومن اطلع على تماثيل هؤلاء الملوك المصريين والفراعنة السالفين ظهر له من اول وهلة أنهم اغامهم فخر غير متعاقبة من دفاتر ملوك مصر الاولين وثقاية غير مرتبة من سجلات الفراعنة الشهيرين حيث ترى المصور الذي صورهم وادرجهم في هذا الاثر وحرهم لاسباب لم نقف عليها قد انتخب بعض الملوك مخصوصين فتارة يجمع بين ملوك عائلة ملوكية وبأني يجمعهم وتارة يترك اجبا لامن الدهر مستطيلة ولا يأتى بلوكهم وما ينبغي عليه التنبية هو ان المصور الذي نيط لنظره زوايا قاعة الاسلاف المذكورة بتلك الآثار الماثورة اغما توجهه نظره في تصويره للحصول على هذا الغرض الى مجرد التزييق والزينة فقط فلم يحضر على ترتيب من أتى به فيها من الملوك على حسب ترتيب ازمانهم بالضبط والدقة وما يؤسف عليه أيضاً

في هذا الأثر الوجيه هو ان بعض تماثيل الملوك المعروضة فيه قد اجترأ التشويه فلم يوجد فيه اسم اثني عشر ملكا وبذلك فقد منه ما كان يفتضى ان يكون له من درجة الاهمية من حيث الفوائد التاريخية ومع ذلك فقد استفيد منها أكثر من سائر ما عداها من قوائم أسماء الملوك ضبط أسماء ملوك العائلة الثالثة عشرة المصرية

الثالث الاثر المعروف باسم جدول آييدوس المستخرج من اطلال المدينة الشهيرة المسماة بهذا الاسم وهو المحفوظ الآن بالانثيقانة الانجليزية الكاثنة بمدينة لوندريه وهو عبارة عن تصوير هيئة تعبدية وحالة تعبدية مركبة من تماثيل عدة ملوك متخفين وجملة فراغنة غير مرتبين لبواعث هي لنا غير معلومة وأسباب غير مفهومة نظير ما سبق ذكره فحياتصور بقاعة الاسلاف السابقة الذكر في ران الملك المنسل امام اسلافه في هذه الهيئة التعبدية هو الملك رمسيس الثاني المذكور آنفا وقد كانت في الاصل أسماء الملوك المصورين فيها تحسین ثم انعمى بعضها فلم يبق غير ثلاثين من التماثيل المذكورة بعضها تام التصوير وبعضها مشوه الصورة وقد كان جدول الملوك الذي عثر عليه بآثار مدينة آييدوس بهذه المثابة يكاد ان يكون خاليا عن القيمة التاريخية بالكلية حتى ظفر منه ما ربيت بك من عهد قريب في هيكل آخر من المدينة المذكورة بنسخة أخرى هي اثر واكمل واعم واشمل لاكثر الصور والاسماء المفقودة من الاولى مؤرخة من عهد الملك سبتوس الاول الذي هو والدرمسيس الثاني وسلفه على كرسي المملكة المصرية وقد استفيد من جدول آييدوس هذا الجديد بيان أسماء ملوك العائلات الملوكية المصرية الست الاولى على وجهه من الضبط والكمال بكاد يضاهي تقريرا ما ذكر من ذلك بجدول الماورخ مانيتون السالف الذكر وبذلك تحقق ما ذكره في هذا الخصوص مؤرخ مصر اتم التحقيق وتطابق عليه كل التطبيق

الرابع الاثر المعروف باسم أثر سقاره الذي عثر عليه ايضا ما ربيت بك وهو المحفوظ الآن بالانثيقانة الخديوية السكائمية بولاق مصر القاهرة المصرية وبهنا كذا ايضا ما وجد بجدول ملوك آييدوس الجديد فيما يتعلق بأسماء ملوك العائلات الملوكية المصرية السابقة العهود وليس مصدر تحرير جدول سقاره هذا كغيره من الآثار السالفة الذكر عن ملك من ملوك ذلك العصر بل وجد في داخل قبر رجل قسيس كان موجودا في عصر الملك رمسيس الثاني يقال له (توتاري) من احاد اهل مصر وقد كان من عقائد المصريين في سالف الدهر ان من الفضائل التي تختص بها في الدار الآخرة روح الرجل الصالح اى الذى استحق بصالح اعماله في الدار الدنيوية التمتع بالحياة الابدية ان يقبل في ضمن مجلس الملوك المتوفين فلذلك ترى في الاثر المذكور القسيس توتاري هذا مصورا على هيئة الداخل في الحضرة العلية المركبة من تماثيل ثمانية وخمسين ملكا لاشك في انهم كانوا بمدينة منفيس بحسن

المذكور هم الملوك الأكثر اعتبارا والفراغة الذين كانوا عندهم بالعدل والتقوى هم
 الأكثر اشتهارا وانتخابهم أشبه بمنى بما جرى في انتخاب الملوك المصورين بجدول آيدوس مع
 بعض فرق مفيد يقتضى التنبيه عليه وهو ان بعض الملوك المصورين موجود في احدى الجداول
 المذكورين مع انه في الجدول الآخر مفقود وان ملكين لاشك عند أهل التاريخ في
 انهما كانا معاصرين تجد احدهما واردا في جدول لسقارة والثاني في جدول آيدوس ولذلك
 لم تنفق كلمة المؤرخين بوجه الإطلاق على من يقتضى أن يكون هو الملك الحقيقي والسلطان
 الشرعى من الملوك المتنازعين في عهد العائلة المالكية التاسعة عشرة المصرية لتكون قائمة
 ببيان أسماءهم الموجودة في تلك الآثار الكفرية كانت تختلف باختلاف المدن وعلى
 حسب الاماكن التي كانت تعترف لهم بالولاية الشرعية ولا تعترف من سائر نواحي الوطن
 هذا ما يتعلق بالآثار العمومية وأما الآثار الخاصة بعهدي التي تختص بتاريخ عائلة ملوكية
 أو مدولة سلطانية بالخصوص فهي كثيرة جدا فلا يتيسر لنا هنا ان نصفها ولا ان نحصيها
 هذا بل اقتصرن على ان اشرنا اليها في سياق كتابنا هذا في كل موضع لزم فيه الاستدلال بها
 وهي كذلك على ضربين احدهما كتابات على قرطاسات من الورق البردى وذلك
 عبارة عن قصائد شعرية تتعلق بأشهر بعض وقائع حربية لبعض الملوك المتقدمين
 والفراغة السالفين ومؤلفات أدبية أو مراسلات كدابة أو دفاتر ومجلات حسابية
 تتضمن حساب بعض الدواوين العمومية والمصالح الميرية والثاني الكتابات المسطورة
 على العمارات الأثرية وهذه أيضا على ضربين أصليين احدهما ما سطر على
 الآثار العمومية والثاني ما يوجد على العمارات الأحادية الخصوصية والآثار الشخصية
 فاما ما سطر على الآثار العمومية اعني الكتابات الرسمية المحفورة على اعمدة فنترقه او على
 جدران المساجد والمعابد المتنوعة حيث توجد عليها معطوبة بنقوشات كبيرة بارزة
 ملونة بأنواع الصباغات الكثيرة فهي تشمل خصوصا على اقتصاص بعض الحوادث الكبيرة
 والفترات الشهيرة التي وقعت لبعض الفراغة المصريين والملوك السالفين ومن قصص
 هذه الوقائع العسكرية ما هو مطول جدا كأنه قصائد شعرية يروى فيه حكاية سفر أو عدة
 أسفار من تلك الوقائع الحربية مع توضيح أدق أحوالها الواقعية بغاية التفصيل والبيان
 وذلك بقسم من التأليف والبيان هو أشبه بأسلوب التأليف التوراتية وأما ما يوجد على
 العمارات الأحادية الخصوصية والآثار الشخصية فهو يشمل على بيان أحوال معيشتهم
 الداخلية وأشغال كبروتهم الإلهية وهيئة جمعيتهم البشرية المصرية يعرفنا كيفية
 ترتيباتهم الباطنية وحقيقة تأسيساتهم التمدنية ويوقنا خصوصاً على أقوى الاساسات
 القوية وانفس الاصول النفيسة السوية التي يمكن ان يتبنى عليها ما دخر ترتيب ازمانهم

التاريخية اذ كثير ما عثر على شواهد قبور من مقابرهم وآثار مكتوبة من مآثرهم
تجدها مسطرا عليها تاريخ اليوم والشهر والسنة التي توفي فيها صاحب الاثر فلان من
مدة ولاية فلان سلطان ذلك الزمان وانه عاش مدة كذا وكذا عاما وشهر او يوما وهكذا من
قيل هذا التفصيل والبيان

المسألة الثانية

مطلب - ذكر بعض ملوك آخرين من ملوك الدولة القديمة غير الافراعنة المذكورين
قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في تاريخه القديم المطول المذكور ما يخصه بعدمسطور قد
ذكرنا فيما تقدم ان اول من اسس الحكومة الملكية بالديار المصرية كان اصل مولده بمدينة
ثينيس وهي المسماة في اللغة المصرية القديمة باسم تني (بألة التاء الشماة الفوقية على ياء مثناة
تحتية ياء انون موحدة فوقية بعدها ياء مثناة تحتية) وهي التي سميت فيما بعد باسم ابيدوس
بالاقايم الوسطى قال المؤرخ هيرودوت اليوناني ما نصه : وقد كان المدهوباسم مينيس هو اول
ملك قبض زمام الامر ببلاد مصر وكان حصارواه القسوس هو الذي بنى مدينة ممر المسماة باسم
منشأومثفيس وقد كان النيل لغاية هذه الملك المذكور يجري في سفح الجبال الرملية التي
هي من جهة البحارى اللبية ولما عتني هذا الملك بسد مجرى النهر من الجهة الجنوبية وانشا
هناك جسرا على نحو مائة شوط (والشوط عبارة عن مقياس قدره ٨١ مترا) فوق مدينة منفيس
جف مجرى النهر القديم وحادث له مجرى آخر جديد في خليج مصطنع فيما بين الجبلين المتوسط
مجرى النهر فيما بين جانبين متساويين واختط تلك المدينة في هين الموضع الذي انحرف فيه
مجرى النهر حيث صار ارضا جافة بوقاية ذلك الجسر وشيد في المدينة المذكورة ايضا هيكل
كبيرا ومعبدا فاخر عظيميا لاله المسى عند اليونان باسم بركان وعند المصريين باسم افتا (ا)
قال المؤرخ فرانسيس لونورمان قلنا وقد اتفقت كلمة جميع المؤرخين السلف المعتمد
عليهم في المدارس الاوروبية وسائر المؤلفين الذين تكلموا على تاريخ الديار المصرية على ان
الملك مينيس هذا هو اول مؤسس للحكومة الملكية بالديار المصرية واكد شهادتهم بذلك
ما ثبت على الآثار المصرية القديمة والعمارات الفرعونية العتيقة من ذكر مدائن على انه هو
اول مؤسس لدولة الافراعنة بمصر في سالف العصر ولا زال يوجد افاية الآن الجسر الذي كان
قد انشأه هذا الملك في سالف الزمان وهو المعروف في عصرنا هذا باسم جسر قشيشة في الاقايم
الوسطانية وعلية عمدة توزيع مياه الري وقد تكون من خلفاء الملك مينيس مؤسس مدينة
منفيس المذكور الذين جاؤا من بعده على الاثر ملوك العائلة الملكية الاولى ونص ما يتون
المصري على انها اقامت على كرسي ملك الافراعنة بدار مصر مدة ٢٥٣ سنة من الدهر
ولم يصل اليها اثر مطلقا ولا عمارة هي لعهد هؤلاء الملوك معاصرة غير ان منهم الملك المسى

باسم تيتا (بتاتين مشتاتين فوقيتين عمالة اولاهما على يام مشناة تحتية بينهما بعدها ألف مقصورة) وهو الوارد في جدول مانيتون المصري باسم أطوطيس أو أتوتيس (بالطاء المهمل أو بالتاء المشناة الفوقية) وهو الذي خلف الملك مينيس بطريق المباشرة وبما يذكر عنه انه بنى مصر الى مدينة منفيس وألف بعض كتب في علم الجراحة وخامس ملوك العائلة المالكية الاولى هذه هي باسم هيزي يتي وهو الوارد في جدول مانيتون المصري باسم اوزافيدوس وقد ذكر في هذه وأضح من صورة دعاء الخنازة المأثور عن سلف المصريين على انه مؤلف بعض كتب دينية وذكر في باقي من اجزاء تاريخ مانيتون المصري المذكور انه بمدة ولاية سابع ملوك هذه العائلة المالكية المصرية المسمى باسم سيماميدس يتيين وقع بديار مصر طاعون شديد وموتان عديد والذي يؤخذ من مقابلة جدول الملوك المأثور عن القسيس مانيتون المصري المذكور مع ما حصل عليه العثور في الآثار المصرية القديمة من جدول آييدوس وجدول سفارة ان وحدانية الحكومة المصرية لم تستقر من أول وهلة بدون منازعة ولا نهائية بل حصل مدة حقبة طويلة من أول عصر ولاية العائلة المالكية الاولى عدة منازعات بين جملة ملوك متخاصمين كان مستقر دولة بعضهم من غير شك ولا تلبس بمدينة منفيس وبعضهم بمدينة آييدوس

ومن ملوك العائلة الثانية الملك كيكيو (وهو الوارد في جدول مانيتون المصري باسم كيكينوس وبحسب الظن القوي يكون هذا الملك هو الذي انشأ هرم سفارة ليخذه قبره وبناء على هذا القول يكون هذا الهرم هو أقدم العمارات المصرية بل أقدم عمارة في الدنيا بناءها بعد آثار برج بابل ويقال ان هذا الملك هو أول من أحدث عبادة الحيوانات بديار مصر في سالف العصر ولا سيما عبادة الجمل المسمى أيميس الذي كان يعبد على انه مجسم الاله المسمى باسم افتا في مدينة منفيس وثالث ملوك العائلة المذكورة أيضا الملك المسمى باسم باني تير (وهو المدعوف في جدول مانيتون المصري باسم بينوتريس) وبما يعزى اليه أنه شرع فائوا يجوز لافسائه ان يتكبر على كرسي مملكة مصر وفي الحقيقة قدعه عدة مرات في سياقات تاريخ الديار المصرية هذا الامر ويحكى عن سابع ملوك هذه العائلة المسمى باسم نيفير كير (وهو المدعوف في جدول مانيتون باسم نيفير كيريس) حكايات عامة عجيبة واحاديث وهمية غريبة وبما يقال أيضا ان فرعون سيزو خريس ثامن ملوك هذه العائلة الثانية قد كان عونا حقيقيا بمعنى طويل القامة جدا

ولقد تبصر الحصول على بعض آثار نقشية يصح التجارى على القول بأنهم من أعمال اواخر ملوك هذه العائلة المالكية الثانية منها قبر رجل من ذوى المناصب العالية والراتب السنية

يسمى باسم **توتنوتيب** استكشفه بعناية الحفر الجارية بعناية الحكومة الخديوية بهذه الحقبة المصرية حضرة مارييت بك ناظر الاتية قنائة المصرية في مقابر سقارة التي كان يدفن فيها موقى مدينة منفيس العظيمة في تلك الاحقاب القديمة ومنها ثلاثة تماثيل قائمة من نوع الاحجار الجيرية تصور فيها رجل آخز من ارباب الوظائف بذلك المصري يدعى باسم **سيليده** مع اثنين من ابناءه وتلك التماثيل الثلاثة محفوظة بالمتحف بمصر لوردة (بمدينة باريس) تفخر بها هذه الخزانه على ما سواها غايبه الغنى

ومن ملوك العائلة المالكية الثالثة وهوانبهم الملك المسمى باسم **تريسمهور تز** (وهو الوارد في جدول مانيتون المصري باسم **توزدروتوس**) وما يذكر عنه انه كان له اشتغال بالخصوص بعلم الطب وفن قطع الاحجار والكتابة عليها ومن هذه العائلة المالكية كان قد خرج من الديار الفرعونية أول الملوك الفاتحين للملك البرانية قال المؤرخ مانيتون المصري ان أول ملوك هذه العائلة المالكية المدعو باسم **سيمكي** تقيهم كره (وفي جدول المؤرخ المذكور باسم **نخوردوفيس**) كان قد ادخل تحت طاعة الدولة المصرية جزءا من بلاد الصحارى الليبية (بلاد برقة) حيث غزاهم فظفر بهم وانصر عليهم لداعى فرخ شديد من كسوف الشمس كان قد حصل لهم وقد عثر ايضا على مجوهرات من الذهب تقوش بارزة وجدت فيها صورة الملك استيفرو (وهو الوارد في جدول مانيتون المصري باسم **سيفوريس**) سلف آخر ملوك هذه العائلة المالكية المصرية على هيئة الظاهر بالقبائل العربية الرحالة البرانية المدعوين باللاتينيين بجهة بلاد العرب الجنوبية (كأسلفيا ذكره آنفا)

وما يوجب جد في الاتية قنائة السلطانية بمدينة باريس نسخة كتاب باليد على قرطاس من ورق البردى مؤرخة من مدة ولاية الملك **آساقنتكيرا** (المسمى في جدول مانيتون المصري باسم **نخبريس**) وهو سلف آخر ملوك العائلة المالكية الخامسة من تأليف شعج من اهل بيت الملك يقال له **اقتاوتيب** يشغل على حكمه وما هو لا الارشاد الى حسن السلوك في الدنيا نظير كتب قونفسوس ببلاد الصين وأصل مبنى مكارم الاخلاق المقررة في هذا الكتاب على طاعة الوالدین مع تعجب مدلول هذا اللفظ لما يشمل طاعة ولى الامر الحاكم حيث كان المصريون يعتقدونه مقلدا بولايه بولايه حقيقة وما ذكر في الكتاب المذکور من انصه وان الولد الذى يصنى لقول آبيه يطول عمره لهذا السبب وطاعة الولد والديه هي القذة حيث يحبه ابوه وينش عليه كل حى يدب على الارض والخارج على ولى الامر معتزرى العلم فى الجهل ويرى القضايل فى الرذائل ويتجارى فى كل يوم على ارتكاب كل نوع من الفس وبذلك يعيش يعيش الاموات وما يرى الحكيم انه الموت هو بالنسبة اليه الحياة فانه

انما يسير في طريقه مغمو را في كثير من اللعنات وثواب من يعمل بهذه القواعد في دار الدنيا هو طول الحياة والقبول عند الملك والولد البار والديه سعيدا طاعته حيث يغمر العمر الطويل ويبلغ القبول، (اه) ثم ذكر مؤلف هذا الكتاب نفسه على سبيل التمثيل فقال ووبذلك صرت أنا من أطول اهل الارض عمرا وعمرت من السنوات مائة وعشرا وأنا في القبول عند السلطان والرضى عنى من مشايخ الزمان لداى انى أدبت ما يجب على الملك في موضع قبوله، اه
ويوجد في الانتيقخانه المذكورة ايضا نسخة كتاب آخر باليد عن هذا القبيل لم يبق منها من المصنفات غير شئ قليل تشمل على ما هو أشبه شئ بأمثال سليمان بن داود عليه السلام منها قوله ومع السعد كل مكان طيب والذنب الصغير يحرق الرجل الكبير والقول العايب أضوا من الزمرد الذى تلتقطه يد الرقيق من بين الحصى والعالم شعبان بما يعلم مكان قلبه طيب وشفاؤه مقبولة الى غير ذلك من الحكم والامثال،

وأول ملوك العائلة السادسة يقال له آتى (وفي جدول مانيتون المصرى آتويس) قال المؤرخ المذكور ان هذا الملك بعد ان أقام على كرسى المملكة ثلاثين سنة قتله جماعة من عسكره والذى يظهر من طريق النظر فى الآثار المصرية القديمة هو ان مدة من ولايته كانت قد انتفرت بالفتن اذ كان قد قام عليه خصمان يمكن أن يكونا من أبناء ملوك العائلة الملوكية السالفة يقال لاحدهما تيتا ولثانى اوزور كيرة ولكن جاء من بعده ولده المسمى باسم يديى ميريره (وفي جدول مانيتون المصرى باسم قيويس) خلفه على كرسى المملكة الفرعونية وكان من أقوى ملوك مصر شوكة وأعظمهم فخارا وضوة جمع تحت طاعته جميع القطر اذ وجد له آثار عمارات فى سائر نواحي مصر من عند اسوان لغاية مدينة تانيس وكان يبنى الأول هذا كالمملك خوفو وملك كاجريا وفرعوناجا ديا حارب قبيلة تسمى باسم الواوة من القبائل السودانية وحمل الغور المصرية من الجهة الجنوبية عن قبيلة أخرى بدوية مجاورة الحال من قبائل ذلك الزمان قال المؤرخ فرانسيس لونورمان ولطها ما تعرف الآن باسم العرب البشارية وقع كذلك من الجهة الشمالية صولة قبيلة عربية كانت قد صالت على العمال المصريين المشتغلين باستخراج معادن النحاس بناحية جبل الطور وكان للملك المذكور أيضا اشتغال بنافع الاعمال اذ يظهر من دليل النظر فى بعض آثار عماراته انه هو الذى فتح الدرب الذى تسافر فيه القوافل فى الصحارى الكثائة من عند قنا لجهة الصعيد الى ميناء القصير على البحر الاحمر فرتب فيه المنازل وحفر فيه الابار لتشرب منها القوافل وهو غير ملك آخر يدعى ايضا باسم يديى تيفير كيره اوييى الثانى (وهو الوارد فى جدول مانيتون المصرى باسم قيويس بياقارسية قبل السين المهملة فى آخره) وهذا هو الذى أقام على سرير المملكة الفرعونية مدو حقة من الزمن قرينة ولا يكاد يعرف شيا

من اخباره ولم تقف على كثير من آثاره غير ان مدة ولايته هذه الطويلة كان قد ظهر فيها فتنة اهلية واختلالات داخلية مؤولة ثم بعد لها نظير بعدى الديار المصرية وجاء بعده خلة المدعو باسم منتاساف (وفي جدول مائتين المصرى باسم منتوسوفيس) فلم يقيم على كرسي المملكة الفرعونية غير سنة واحدة ثم قتل وخلفته اخته المسماة باسم نيتما كبره وعند اليونان باسم نيتوكر يس وهى التى اجرت عمارة الترميم فى ثالث اهرام الجيزة لتتخذ قبرا لها على ما يقال بدون ان تستولى على قاعدة مقبرة فرعون من كبره ومن اخبار الملكة المذكورة ايضا انها كما يحكى عنها كانت قد اسرت فى نفسها الالهة ام إقتل اخيها ولم تزل مصرة على الاخذ بثأره من قاتليه حتى جمعهم لولية ذات يوم فى سرداب تحت الارض ثم اسالت عليهم فى السرما النيل قاتلوا كلهم غرقا بكيدتها ولم تتأخر ان قتلت نفسها ايدها لتخلص من تباعة اوليائهم وقد كانت آخر ملوكها تلنها

المسألة الثالثة

مطامير ذكر بعض توضيحات تتعلق بالوك الهيكسوس أى ملوك القوم البغاة المعروفين فى تاريخ الديار المصرية بدولة العمالة أو الملوك الرعاة مسألة تاريخية ماذا كان الملوك الرعاة المذكورون فى تاريخ الديار المصرية - يوجد لهؤلاء القوم بعض ذكر فى كتب التواريخ الاسلامية بعنوان دولة العمالة أو العماليق فى جملة من ملك ديار مصر فى سالف العصر وذكر لهم فيها عدة ملوك تسعة أو اربعة باسماء اعلام يظهر على أكثرها انها عربية لاسماء ابحام وبعضها تها بما ذكر فى كتب التواريخ الاوربية يظهر ان ما كان قد تحصل عليه مؤرخو الاسلام فى هذا المقام وفى سائر ما يتعلق باخبار دول القراعنة السالفين وجميع الامم المتقدمين انما هو شئ واحد خال عن الضبط والتحقيق وانه لا يمكن بين القولين فى الاكثر جمع ولا توفيق فمن ذلك ما ذكر فى تاريخ ابى العدا من لاقى المقام المذكور مع كونه هو المحقق المشهور ونص عبارته

واما القراعنة فهم ملوك القبط بالديار المصرية قال أبو سعيد المغربي ونقله من كتاب صاعد فى طبقات الامم ان أهل مصر كانوا اخلاطاً من الامم ما بين قبطى ويونانى وعيلقى الان جهرتهم قبط قالوا اكثر ما تملك مصر الغرباء قالوا كانوا صابئة يعبدون الاصنام وصار فى مصر بعد الطوفان علماء يضرب من العلوم خاصة بالطلسمات والسيرنجيات والسكندرية وكانت مدينة منف هى كرسي المملكة وهى على اثني عشر ميلا من القسطنطين قال ابن سبيد واسنده الى الشريف الادريسي ان أول من ملك مصر بعد الطوفان يي مصر بن حام بن نوح ونزل مدينة منف هو وبناتون من ولده وأهله ثم ملكها بعده ابنه مصر بن يي مصر وسميت البلاد به لامتداد عمره وطول مدة ملكه ثم ملك بعده ابنه قفط بن مصر ثم ملك بعلبة

أخوه **أتريب** بن مصر وأتريب المذكور هو الذي بنى مدينة عين شمس وبها الآثار
 العظيمة إلى الآن ثم ملك بعده أخوه **صا** وبه سميت مدينة صا وهي مدينة خراب
 على النيل من أسفله ثم ملك بعده **نذراس** ثم ملك بعده **ماليق** بن نذراس ثم ملك
 بعده ابنه **حرايا** بن ماليق ثم ملك بعده **كلكلي** بن حرايا وكان ذا حكمة وهو أول من
 جد الوثيق وسبك الزجاج ثم ملك بعده **حرييا** بن ماليق وكان شديد الكفر ثم ملك بعده
طوليس وهو فرعون أبراهيم عليه السلام وهو الذي وهب سارة هاجر وكان مسكن طوليس
 بالقرم ثم ملك بعده أخته **جودياق** ثم ملك بعدها **زلفا** بنت مامون وكانت عاجزة
 من ضبط الملك وسعت عاقلها الشام بضعها فغزوها وملكها وصرات الدولة العملاقة
 وكان الذي أخذ الملك منها **الوليد** بن دؤمغ العملاقي وكان يعبد البقر فقتله أحد في بعض
 ممتلكاته وقيل هو أول من تسمى بفرعون وصر ذلك لقباً لكل من ملك مصر بعده ثم ملك بعده
 ابنه **الريان** بن الوليد وهو فرعون يوسف ونزل مدينة عين قمس ثم ملك بعده ابنه **دارم**
 ابن الريان وفي زمانه توفي يوسف الصديق عليه السلام وتجبردارم المذكور واشتد كفره وركب
 في النيل فيبعث الله تعالى عليه بها عاصفة أغرقته بالقرب من حلوان ثم ملك بعده **كاسم**
أو كاشم (بالسين المهملة أو بالشين المحجمة) ابن معدان العملاقي أيضاً وقصد أن يهدم
 الحرمين فقال له حكماء مصر أن خراج مصر لا يفي بهدمهما أو أيضاً فاتهم ما قبران لثنيين عظيمين
 وهما شمشيت بن آدم وهرمس فامسك عن هدمهما ثم ملك بعده **الوليد** بن مصعب وهو
 فرعون موسى عليه السلام وقد اختلف فيه فقيل أنه من العملاقة وهو لا يظهر وقيل أنه هو
 فرعون يوسف وأما الله تعالى عمره إلى أيام موسى عليه السلام قال ابن سعيد وذكر القرطبي في
 تاريخ مصر أن الوليد المذكور كان من القبط وكان في أول أمره صاحب شرطة لكاسم العملاقي
 وكانت الاقباط قد كثرت فخلعوا الوليد المذكور بعد كاسم وانقرضت من حينئذ دولة
 العملاقة من مصر قال الوليد المذكور هو الذي ادعى الزبوية قال وصنف الناس في سيرته
 وخلدوا ذكره وكانت أرض مصر على أيامه في نهاية من العمارة ف عظمت دولته وكثرت عساكره
 وفي مناجاة موسى عليه السلام يارب لم اطلت عمر عدوك فرعون يعني الوليد المذكور مع ادعائه
 ما فرددت به من الزبوية ويحمد نعمته فقال الله تعالى أمهلتك لان فيه خصلتين من خلال
 الايمان الجنود والحيا وكان همام وزير فرعون المذكور وهو الذي حفر لفرعون خراج
 السر دوسى ولما أخذ همامان في حفره سأله أهل كل قرية أن يجر به اليهم ويعطوه على ذلك
 ما لا فسكان يأتي به إلى القرية نحو المشرق ثم يرده إلى القرية من نحو المغرب وكذلك في الجنوب
 والشمال واجتمع له امان من ذلك نحو مائة ألف دينار فأتى بها إلى فرعون وأخبره بالقضية فقال
 فرعون ويحك أنه ينبغي للسيدان يعطف على هيئته ولا يطعم فيما بأيديهم وردد على كل قرية

ما أخذ منهم وأخبر فرعون الملك كور المجنون بظهور موسى عليه السلام وزوال ملكه على يده
فاخذ في قتل الاطفال حتى قتل تسعين ألف الف طفل وسلم الله تعالى نبيه موسى عليه السلام
منه بان التقطته زوج فرعون اسنية وجنته منه وترجم اليهودان التي انتقلت موسى هي
بنت فرعون والاصبح انما زوجته جسمان طبق به القران العظيم ولما كان منه ومن موسى
ما تقدم ذكره من اظهار الآيات لفرعون وهي العصا يده اليها والجراد والقمل والضفادع
وصيرورة الماء دما وغير ذلك سلم فرعون بنى اسرائيل الى موسى عليه السلام فلما أخذهم
موسى وسار بهم ندم فرعون على ذلك وركب بعساكرة وتبعهم فلقتهم عند بحر القلزم
وأوحى الله تعالى الى موسى فضرب البحر بعصاه فصار فيه اثنا عشر طرية لكل سبط طريق
فتبعه فرعون فغرق هو وجنوده وكان هلاك فرعون الملك كور لاضى ثمانين سنة من ٤-
موسى عليه السلام وكان هو قد علم من قبل ولادة موسى ولذلك أمر بقتل الاطفال في أيام
ولادة موسى عليه السلام فمدة ملك فرعون الملك كور تزيد على ثمانين سنة قطعا ولما هلك
فرعون الملك كور ملك القبط بعده **دلوكة** المشهور بالجوز وهي من بنات ملوك
القبط وكان السحر قد انتهى اليها واطال عمرها حتى عرفت بالجهوز وصنعت على ارض مصر
من اول ارضها في حداسوان الى آخرها سور امتصلا قال ابو الفدا والى هنا انتهى كلام ابن
سعيد المغربي ولم يذكر من تولى بعد دلوكة ثم اتى وجدت في اوراق قد نقلت من تاريخ ابن
حنون الطبري وهو تاريخ ذكر فيه تاريخ ملوك مصر في قديم الزمان قال فيه ثم ملك مصر
بعد دلوكة صبي من ابنا اكابر القبط كان يقال له (دركون) بن بكتوس ثم ملك بعده (نودس) ثم
ملك بعده اخوه (لقاش) ثم ملك بعده اخوه (مزينيا) ثم ملك بعده (استمادس) ثم ملك بعده
(بلطوس) بن ميكاكيل ثم ملك بعده (مالوس) ثم ملك بعده (مناكيل) ثم ملك بعده (بوله) وهو
الذي غزا رجيع بن سليمان بن داود عليهم ما السلام وقد كتب في كتب اليهودان الذي غزاه
اسرائيل على ايام رجيع كان اسمه (شيساق) وهو الاصح ثم لم يشتر بعد شيساق الملك كور غير
فرعون الاعرج وهو الذي غزاه بختنصر وملكه وكان بين رنجيع بن سليمان عليه السلام وبين
بختنصر فوق اربعمائة سنة وكان شيساق على ايام رجيع فبشيساق قبل فرعون الاعرج باكثر
من اربعمائة سنة قال ابو الفدا لم يقع لي اسماء الفرعنة الذين كانوا في هذه المدة اعني فيما بين
شيساق وفرعون الاعرج ولما قتل بختنصر فرعون الملك كور وغزا مصر واباد اهلها بقيت مصر
ازبعين سنة خرابا ومن كتاب ابن سعيد المغربي قال وضازت مصر والشام من حين غزاها بختنصر
تحت ولايته حتى مات بختنصر وتوالت الولاة من جهة بني بختنصر على مصر والشام حتى
انقضت دولة بني بختنصر فتوالت ولادة الفرس على مصر فكان منهم (كشروس) الفارسي باني
قصر الشمع ثم تولى بعده (طاردست) الطويل قال وفي أيامه كان يقرط الحكيم وتوالت بعده

الدرس الثامن ١٦٩ في التاريخ العام

فواب الفرس الى ظهور الاسكندر وغلبته على الفرس (انتهت عبارة ابى الفدا) وانما سطرناها هنا بنما مع ما سبق نقله عن المؤرخ فرانسيس لوفورمان لانه قصد تعليم تاريخ مصر في سالف الزمان على مقتضاها بل على سبيل التوضيح والمثال لغاية ما تحصل عليه ما شهر مؤرخى الاسلام رحمهم الله تعالى وحروهم من التاريخ القديم بناء على ما علم لهم على وجه عام أمان الكتب المقدسة أو نقل عن مؤرخى الرومانيين واليونان في سالف الايام وليظهر ما فى ذلك من القصور بالنسبة لما هو عن المحققين من العلماء الاورباويين المتأخرين مسطور

قال المؤرخ فرانسيس لوفورمان السالف الذكر واليهان اعدلاه في تاريخه الكبير ما معناه ان تاريخ القوم البغاة المعروفين في تاريخ مصر القديم بالملوك الرعاة وان كان قدمكث صدقة قديمة غامض الحال غير مستند لسندات اصلية من عصر هؤلاء الملوك هاهوا الا ان قد أخذ في الاتصاح والبيان بما استكشفه بلد بنما ريت بك من الاستكشافات الجديدة فتحقق كاذب كزناه انما انهم كانوا اخلاطاً من قبائل رحالة نزلة من أهل بلاد العرب والشام وان جهرتهم كائنهم عليه المؤرخ مانيتون المصرى فيما يقى لنا من بقايا تاريخه ايضا كانوا من الكنعانيين وان القبيلة الرئيسة التي كانت تقود حركة الجميع وتديرها هي المسمية في اساطير العمارات الفرعونية القديمة باسم الخيتاسيين وفي التوراة باسم الهيتيين الذين وجدهم ابراهيم عليه السلام بارض كنعان متوطنين وذكر المؤرخ مانيتون المذکور في تاريخه المسطور ايضا ان هؤلاء الجموع من الاقوام الشتى كان يطلق عليهم اسم الهيكسوس بمعنى الملوك الرعاة فحقير الهم وهى كلمة مركبة من جزئين احدهما اللفظ (هيك) ومعناه باللسان المصرى المقدس القديم الملك والثانى (سوس) ومعناه باللسان المصرى العامى الراعى وقد وجد كل من اللغظين المذكورين مثبتا على حديثه في الكتابات الهيروغليفية اولهما على صورة (هالك) للدلالة على رؤساء القبائل السامية والثانى على صورة (ساسو) معبراه عن القبائل البدوية من العرب ولكن لم يعثر في جميع الآثار المصرية المعروفة لغاية الآن التعبير عن القوم البغاة المسمين في تاريخ مانيتون المصرى باسم الهيكسوس الابكلمة (ميننا) ومعناها ايضا الرعاة

وقد دلت جميع الآثار المصرية القديمة على صدق ما ذكر عنهم لدى مصر من الخريب الشنيع في اول الامر قال المؤرخ مانيتون المذکور وقد كان أول من قلده بالملك منهم على مصر يسمى باسم سيبتوس وفي رواية أخرى باسم (سلايس) وكان مقر دولته بمدينة منف أو منفيس وكان قد ضرب الجزية على الاقاليم القبلية والبحرية من الديار المصرية ووضع من عساكره حرسا فى أليق الاماكن للمحافظة على البلاد وتحصن خصوصاً من جهة الشرق خوفاً من المصريين حيث كانوا أقوى شوكة منه (قال المؤرخ فرانسيس لوفورمان

وفي الواقع ونفس الامر قد كان هذا العصر كما سنذكره بعد هو الذي كانت قد استقرت فيه الدولة الاولى ببلاد كلداء والعراق ثم تراءى الى فرعون سلاطيس المذكور باقليم تانيس مدينة الابق منها بتحصين اغراضه يقال لها اواريس فانتقل اليها وكما ذكر في رواية قديمة عن القسس المصريين كان قد اعد عمارتها واساطها بكثير من الفلاح والحصون ووضع فيها عسكر يبلغ مائتين واربعين الف رجل كلهم شاكى السلاح لاجل تمام المحافظة على الاديان المصرية من تلك الجهة الشرقية وكان مصيعة في تلك المدينة يوزع على عساكره القمح والجياكى ويعتق بتدريجهم على استعمال الاسلحة الحربية خوفا من الاعداء الاجنبية (انتمت عبارة المؤرخ مانيتون المصري) ثم ذكر بعض تفاصيل تتعلق ببن تملك مصر بعد فرعون سلاطيس المذكور من الملوك الرعاة وقد بقي ذكر اسمائهم محفوظا على وجه اضيق منه فيما نقله عنه المؤرخ اليوناني المعروف باسم يولوس الاقرى فاقى حيث ذكر ان مدة ولايتهم على ملكة مصر قد كانت ٢٨١ سنة وقال ان الذي خلف فرعون سلاطيس المذكور هو المسمى باسم **آنون** وفي رواية اخرى **بانون** ثم ملك بعده **باخناس** وفي رواية اخرى **أباخناس** ثم **استان** ثم **ارخليس** ثم **ابوقيس** وذكر المؤرخ اليوناني المذكور فيما نقله عن المؤرخ مانيتون المصري ايضا أنه كان يوجد في مدة عهد الملوك الرعاة المذكورين عائلة ملوك بلدين كانوا لهم سواج الصعيد معاصرين وهي العائلة السابعة عشرة وقد وجد لأول ملوكهم وهو المذعوف في جدول ملوك مصر المنقول عن المؤرخ مانيتون باسم **سيتوس** ذكر باسم **سينايتي نوبتي** وذلك في عهد أثرى مأثور عن فرعون رمسيس الثاني (من العائلة الملوكية التاسعة عشرة) وجد في مدينة تانيس التي هي عين مدينة اواريس مذكورا به أنه كان قد اعد عمارات المدينة المذكورة واشاد فيها معبد للضم المسمى باسم **سيتاو** **سوتيج** الذي هو معبود قبيلة الخيتاس وذلك قبل ولاية الملك رمسيس الثاني المذكور عدة ٤٠ سنة وكذلك اسم الملك المذعوف في جدول مانيتون باسم **آنون** وجد مذكورا في قطعة من ورق البردى المحفوظ في انيقضانة مدينة تورين (ببلاد ايطالية) باسم **أنوب** (بالهاء الموحدة التحتية بدل النون القوية) يليه اسم ملك آخر على صورة **اب** يقتضى أن يكون بتمامه **أباخناس** وجد ايضا اخر ملوكهم مذكورا على عدة عمارات مصرية قديمة باسم **أبيي** وهو المحرف في اللغة اليونانية باسم **ابويس** قال المؤرخ **قرايس** لونيومان و **فرعون آبيي** هذا هو الذي حكم ديار مصر مدة احدى وستين سنة من

الدهر وفي مدة عهده كان قد حضر الى مصر يوسف بن يعقوب وتقلد له بونايفة أول وزير وقد
 فهم من اقتصاد هذه السادة في سفر الخليفة من التوراة ان دولة فرعون هذا كانت كلها
 مصرية (انتهى ملخص ما ذكره المؤرخ فرانسيس لونورمان فيما يتعلق بتحقيق هذا الشأن
 بالدليل والبرهان) فانظره مع ما سلفناه في عبارة أبي الفدا المنقولة اعلاه حيث سرد عدة اسماء
 على أنها اسماء من ملك مصر واحد بعد واحد في سالف الزمان حتى انتهى الى ذكر العاقله
 وهم المذكورون هنا بعنوان الملوك الرعاة فذكرهم باسم الوليد بن دماغ ثم الى ابن الوليد
 ثم دارم بن الى بن عم كاسم بن معاذ ثم الوليد بن مصعب الى آخر ما ذكر فيها على كل اسم من
 التوضيح والبيان نقلا عن ابن سعيد المقرئ والقريطي وغيرهما من كتب في هذا المقام من
 مؤرخي الاسلام الناةلين هم ايضا كما يظهر من مؤرخي اليونان والروم في سالف الايام
 قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور ايضا في تاريخه القديم الكبير وأما ملوك مصر
 الباديون الذين كانوا بنواحي الصعيد لدولة الملوك الرعاة معاصرين فلا نعرف منهم غير اسم
 الملكين الآخرين وهما الملك المدعو باسم تياخان والملك المدعو باسم كاميس وهو
 أبو الملك المدعو باسم اهميس وفي جسدول مانيثون المصري باسم آموزيس
 الذي تمت له الغلبة على الملوك الرعاة فجمع شوكتهم وازال دولتهم واخرجهم من الديار المصرية
 واعاد الى مدينة منف درجتها الفخرية واشاد فيها الهياكل والماهبد الالهية كما دلت على ذلك
 كله العمارات الاثريّة العصرية وهوابن الملكة اسماء يامم آهو تيب زوجة فرعون
 كاميس السالف الذكر التي عمر لها مارييت بك على طاقم المصاغات الهيبة المحفوظة بالانبيتمخانة
 المصرية (انتهى ملخص ما ذكره المؤرخ فرانسيس لونورمان الكبير)

مسائل

تتضمن على وجه الاختصار ما تقدم في الباب الثاني من الفوائد والافكار

افكار تقديميه وفوائد عموميه

١ كيف جرت عادة المؤرخين الاوربيين في ترتيب التاريخ القديم وما هي الطريقة التي يتبعونها في كتابتهم عليها معاصر المصريين في التعليم

مقدمة

٢ ما المراد بما يعبر عنه بلفظ مصر في كل عصر وما اسماؤها وواحدوها جساما وادها

في عبارات المؤرخين الاوربيين وما بين من الذكر

٣ ما النيل وماصة هذا الوادي الجليل

٤ ما احوال نهر النيل من الزيادة الدورية وما اسبابها الحقيقية

٥ ما مصاب النيل القديمة الاصيلة

٦ ما مناظر الديار المصرية بحسب اختلاف الفصول السنوية

تقديميه

٧ ما منظر الديار المصرية الآن حسبما استجد فيها بهذا العصر من التمدن والعمران

٨ ما اذا قيل في التواريخ القديمة بشأن دولة ميريويه وهل اصل منشأ عمارة الديار المصرية

من الجهة الجنوبية أو الشمالية

٩ كيف يتقسم تاريخ ديار مصر القديم حسبما ذكره المؤرخون الاوربيون من التقسيم

الفصل الاول

١٠ ما اصل الامة المصرية وما منشأ عمارة ديار مصر في سالف المدة العصرية

١١ كيف كانت هيئة ولاية ديار مصر في سالف العصر

١٢ من كان أول من احدث الولاية الملوكية بالديار المصرية في سالف الحقبة العصرية

وما منشأ العائلة الملوكية الاولى

١٣ ما منشأ العائلة الملوكية الثانية وما حال ديار مصر العمارة في تلك الحقبة العصرية

حسبما يظهر من العمارات الاثرية

١٤ ما منشأ العائلة الملوكية الثالثة ومن كان أول ملوك مصر الفاتحين للبلاد الاجنبية

وما دليل هذه الحادثة التاريخية وكيف كانت حالة مصر القديمة في تلك الحقبة الزمنية

١٥ مامشأ العائلة الرابعة ومن الذي انشأ اهرام الجيزة وماذا كان القصد بانشائها وماذا قيل في مدة وكيفية بنائها وما درجة العظمة والثروة الداخلية التي كانت تدل على دولة ملوك مصر في ذلك العصر

١٦ كيف كانت هيئة الجمعية المصرية في تلك الحقبة المصرية وما دليل تلك الفوائد التاريخية

١٧ كيف كانت حالة الديار المصرية في اواخر عهد الدولة القديمة الملوكية وما قصة الفتن الاقليمية والمحن الداخلية التي اعترت ديار مصر في ذلك العصر

١٨ ما بيان المخطاط درجة تمدن المصري في ذلك العهد المصري
الفصل الثاني

١٩ ما قصة بقعة تمدن الديار المصرية بظهور ملوك الدولة المتوسطة وما مدة تأسيس مدينة طيبة الصعيد في تلك الاعصار القديمة وماذا كان قد آل الي حال تمدن مصر في ذلك العصر

٢٠ مامشأ العائلة الثانية عشرة الملوكية وماذا كانت اسماء ملوكها وما مدة اقامتهم على كرسى السلطنة المصرية وما حالة تمدن ديار مصر في ذلك العصر

٢١ ما بركة موريث وماذا كان الباعث على انشاء هذا الاثر النفيس

٢٢ ما حالة العمارات ال اثرية التي عثر عليها هذه الحقبة المصرية

٢٣ ما قصة الفتن الداخلية التي اعترت حالة نظام الديار المصرية في تلك الحقبة المصرية وما اسماء ملوك العائلة الثالثة عشرة الملوكية بالطريقة العمومية وما دليل تلك الدعوى التاريخية

٢٤ ما كيفية غارة الملوك الرعاة وما تاريخها من المدة الميلادية القبلية وماذا كان مقر ملكهم من الديار المصرية وما اسم فرعون يوسف الصديق وما ثبت عند المؤرخين الاور وباو بين من البحث والتحقيق

٢٥ ما كيفية اقتحام الديار المصرية من يدهؤلاء الملوك الاغراب وعلى يد من كان انقاذها من ملوك الدولة القبطية الاصلية

الفصل الثالث

٢٦ ما تاريخ العائلة الثامنة عشرة الملوكية من المدة الميلادية القبلية وما اسماء ملوكها على وجه العموم وما حالة عظمت دولة الفراعنة في تلك الحقبة المصرية

٢٧ ما هي الحوادث التاريخية الخصوصية التي تتعلق بمدة ولاية فرعون طوطميس الثالث وخلفائه على الديار المصرية

- ٢٨ ماقصة ما عثرى الديار المصرية من الفتن الدينية والحن الأهلية في تلك الحقبة
العصرية
- ٢٩ هل كان للإمة العبرانية بعض مدخلة في حادثة تلك الفتن الدينية وما دليل هذا
الدعوى التاريخيه
- ٣٠ ما تاريخ العائلة التاسعة عشرة الملوكية من المدة الميلادية القبلية وما أثر
ملوكهم وما حدود السلطنة المصرية وما حقيقة شهرة فرعون شيزوستريس
في تلك الحقبة العصرية وما دليل تلك الدعوى التاريخيه
- ٣١ ماقصة ما ثبت من الظلم والجور عن فرعون رمسيس الثاني ملك مصر
- ٣٢ ما حالة الديار المصرية بعد وفاة فرعون ميرافته وماذا كان السبب في تلك الحالة
الاختلاليه
- ٣٣ ما تاريخ مدة رمسيس الثالث ملك مصر وما عثرى الديار المصرية من الانحطاط في
ذلك العصر
- ٣٤ ما مبدأ ضبط السكر ونزولجية المصري وما اصل ما خذ هذه الحقيقة التاريخيه
- ٣٥ ما تاريخ انحطاط المملكة المصرية
- ٣٦ ما تاريخ العائلات الملوكية المصرية اثنا عشر بالاقايم البصريه خصم الدولة
القسيسيه المصعيديه
- ٣٧ ماقصة منازعة الملوك الاثيوبيين والاسوريين على بلاد المصريين
- ٣٨ ماقصة الدولة المصرية الاثني عشرية والعائلة الملوكية الصالحه
- ٣٩ ماقصة ولاية الملك ايسماتيكوس على جميع الديار المصرية
- ٤٠ ماقصة حروب الدولة المصرية التي حصلت ببلاد سورية في تلك الحقبة العصرية
- ٤١ ما كيفية توسيع دائرة التجارة بمصر في ذلك العصر
- ٤٢ ما تاريخ فرعون ابريس
- ٤٣ ما تاريخ فرعون اماريس
- ٤٤ كيف كان زوال الدولة الفرعونيه وسقوط استقلال الديار المصرية

الفصل الرابع

- ٤٥ كيف كان تركيب الهيئة الاجتماعية الاهلية وترتيب الجمعية البشرية في سالف
الحقبة العصرية بالديار المصرية
- ٤٦ كيف كان منصب الملك بديار مصر في سالف العصر

- ٤٧ كيف كانت حالة الصنایع والفتون التي كان يتخذها المصريون السالفون
- ٤٩ كيف كانت طبايع الامة المصرية في سالف الحقبة العصرية
- ٥٠ معاونا للامة المصرية في معيشتهم المنزلية وكيفية حياتهم الداخلية
- ٥١ ما كيفية دفن موتاهم في القبور وما اسباب صناعة التسمير
- ٥٢ ما حقيقة القلم المصري القديم وما معنى لفظ الهيور يجليف وما قصة ما حصل على قرآنه من الوقوف والتعريف
- ٥٣ كيف كانت ديانة المصريين وعقائدهم سكان وادي النيل السالفين
- ٥٤ ما الالهة المللية والاوثان الالهية الاصلية التي كانت تعبد في سالف الاعصار بالديار المصرية
- ٥٥ ما اسباب عبادة الحيوانات المحترمة والهباب التي كانت عند اسلاف أهل مصر معظمة
- ٥٦ ما صفة الاله اهرام وماذا تحقق بشأنها من صحيح الكلام
- ٥٧ ما شرح القول على ما يعرف عند العامة بأبي الهول
- ٥٨ ما عوايد المصريين في سالف العصور فيما يتعلق بدفن موتاهم من المناسبات والقبور وكثرة الزواقي والتصوير
- ٥٩ ما تاريخهما كان لقدماء المصريين في سالف العصور من الهياكل والقصور

تتممة

المسألة الاولى

- ٦٠ ما توضيح الكلام على اصل ما أخذ تاريخ المصريين وما هي الآثار الاصلية التي انبثى عليها تاريخهم عند المؤرخين العصريين

المسألة الثانية

- ٦١ ما اذا ذكر عن بعض ملوك آخرين من ملوك الدولة القديمة خبر الفراعنة المذكورين

المسألة الثالثة

- ٦٢ ما توضيح الكلام على ما يعرف عند أهل التاريخ بالملوك الرعاة الذين ملكوا مصر في سالف الايام وما نودح غايه ما ذكر في ضمن التواريخ القديمة بشأن فراعنة مصر عند مؤرخي الاسلام وما حقيقة ذلك بالنسبة لما تحقق من تاريخ الفراعنة في هذه الايام

الباب الثالث

في تاريخ اليهود والعبرانيين وذ كر الشام وأرض كنعان وفلسطين

أعني تاريخ بني اسرائيل وبيان كيفية تكوّنهم وذ كر أولياتهم وأنبياءهم وموقد ما همم
وحكامهم وملوكهم ودولتهم في سالف الأيام من عهد بعثة ابراهيم عليه السلام غاية سلطنة
دولة الفرس على ملكهم

واصل ما أخذ هذا الباب الاصلية

اولا من أسفار التوراة الاول المسمى بمجموعها باسم البنتا كوك

ثانيا من تاريخ القانديوسف اوبوسفوس مؤرخ اليهود المسمى بالآثار اليهودية القديمة

ثالثا من مؤلفات المؤرخين الاورباو بين المتأخرين وسياحات علماء الافرنج المعاصرين

افكار تقديميه وفوائد عموميه

قال المؤرخ الفرنسي المدعو باسم جيلمان في كتابه المسمى باسم تاريخ المشرق القديم
السالف الذ كر والبيان فيما سلفنا في ضمن مقدمتنا اعلاه ما تعريبيه ادناه
اعلم انه كان يوجد في سالف الاعصار امة صغيرة اذا نظرنا لمجردها حصل منها من الحوادث
السياسية يظهر لنا نظري تاريخها انها كانت دون من جاورها من الامم بمسافة كبيرة غير
انها قد كان لها على أحوال النوع البشري تأثير شديد وهي امة اليهود وذلك ان لها الافتخار
بكونها قد كانت هي مستودع اقدم الآثار الماثورة في العالم من قديم الاعصار وانها الحارسة
لاقدم المواعيد التي وعددها الله سبحانه وتعالى لنوع الانسان في سالف الزمان ولقد
حفظتها وثبتت عليها في جميع الاطوار سواء كان في ابعج اعصارها وفي اصعب صروف الدهر
التي مرت عليها من اخبارها (انتهى معر با من كتاب تاريخ المشرق القديم للمؤرخ
جيلمان)

وتاريخ اليهود هو المسمى في اصطلاح اهل التاريخ الاورباو بين بالآثار المشرق المقدس ويعبر
عنه في اصطلاح المؤرخين المسلمين بالتاريخ الاثرى نسبة الى الاثر بمعنى الآثار وعن الكتب
المتنقلة في مقابلته التاريخ البشري بمعنى الآثار وعن اهل التاريخ من البشر وتاريخ اليهود
عبارة عن اخبار الاولياء المتقدمين وقصص الانبياء السالفين من الامة العبرانية وذ كر

ما عتراه من التقلبات الزمنية . من عهد الخليقة الانسانية الى عهد ظهور المسيح عليه السلام . وينقسم عند الامم النصرانيين الى قرون عظيمين احدهما العهد القديم وهو عبارة عن التوراة والثاني العهد الجديد وهو عبارة عن نسخ الاناجيل والرسائل التي كتبها الحواريون اى تلاميذ عيسى عليه السلام

وحيث اسلفنا الكلام في الباب الاول على تاريخ الاعصار الاولى من عهد خلق الانسان الى ما بعد الطوفان وابتدأنا في الباب الثاني من تواريخ الامم الاقدمين بتاريخ المصريين لغاية زوال دولة الفراعنة باستيلاء دولة الفرس عليهم في سالف الازمنة وبسطنا القول في ذلك بقدر الامكان على الوجه الاتم لكونه هو التاريخ الاهم بالنسبة اليها معاشر القوم البلديين ساغ لنا الان بحسب الترتيب الطبيعي ان نتقل من تاريخ وادي النيل الكريم الى تاريخ بعض اهل الجديرة من الامم الشهيرين في الزمن القديم وهم العبرانيون لكونهم كانوا هم اقرب الامم المجاورين الينا وأكرمهم علينا ولاهية معرفة تاريخهم بالنسبة لاسائر الامم المتوغلين في القدم لداعي انهم كانوا هم اهل الشرائع الدينية واصل سائر الفنون والحرف والصنائع المدنية وعليهم نزلت الكتب القدسية والرسالات الالهية ومنهم كان الاولياء الكرام السالفون والانبياء العظام المتقدمون ولداعي ارتباط تاريخهم بتاريخ الفراعنة في سالف الازمنة فلذلك لزمنا ان نقدم بعد تاريخ المصريين تاريخ القوم العبرانيين على سائر الامم الاقدمين ونصعد بالثاني في ميدان الازمان السالفة من بعد الطوفان لتتبع احوال القوم اليهود وكيفية تكون ملتهم ودولتهم وما استولوا عليه في اقطار الدنيا القديمة من الاوطان في سالف الايام من عهد بعثة ابراهيم عليه السلام لغايه عهد تطرق الفساد اليهم وسلطنة دولة الفرس عليهم أعنى من بعد الطوفان لغاية سنة ٥٠٠ هـ وكسور من الاعوام قبل المسيح عليه السلام

قال المؤرخ جيلمان السالف الذكر اعلاه مامعناه وقد افرغ غير تاريخ العبرانيين بالتأليف واطال فيه من البيان والتعريف واتى فيه بسائر التفصيلات حسب ما ورد في التوراة غير اننا نحن حيث كان الغرض لنا هنا انما هو التاريخ العام اعنى الكلام على مجموع الحوادث الكبيرة والاحوال الشهيرة التي حصلت من سائر الامم الكبار في سائر الاعصار بسائر الاقطار على وجه عام وهو القصد الذي يجب علينا فيه الانحصار لزمنا هنا الاقتصاد على أن نورد بغاية اليجاز والاختصار زبدة ما ورد من القصص والاخبار فيما يتعلق بتاريخ القوم العبرانيين قبل أن يصيروا هيئة أمة مستقلة ويتكاثروا في صورة ملّة ولا تعرض من تواريخهم الالهية وقصصهم المالية الا ليراد مختصر وجيز جدا من تواريخهم السياسية يعنى احوالهم الدينية وكيفية سيرهم من حيث سياسة الامم والدول لا لقصصهم

الدينية واخبارهم النبوية اللهم الامست اليه الحاجة من ذلك وكان له اشد الارتباط بتلك المسالك وقوله غير نابشر به الى ما نشره المؤرخ ويكتور دوروي في ضمن مجلة كتب التواريخ التي ألفها هو واصحابه في هذا العصر الحاضر من كتابه المسمى باسم التاريخ المقدس حسبما ورد في التوراة واجود الكتب المؤلفة في هذا الموضوع عند الاور وباوين المتأخرين واهل التاريخ المعاصرين هو ما كتبه المؤرخ فرانيس لو نورمان السالف الذكر والبيان غير مرة في كتابنا هذا وهو الجزء المختصر من تاريخه القديم الكبير المسمى باسم تاريخ القوم اليهود غير ان هذا المختصر وان كان يقتضي أن يكون ثلثا عليه المعول هو كتاب كذلك مطول بالنسبة ما يلزم لنا هنا من الاختصار والافحصار في دائرة التاريخ العام بسائر الاعصار ولذلك استصوبنا أن تأتي لكم هنا أيها الاخوان في هذا الباب الثالث من تاريخ العبرانيين بتعريب ما كتبه في ضمن كتابه المسمى بتاريخ المشرق القديم المؤرخ جيلمان بدلا عما التزمناه في الباب السالف من النقل عن المؤرخ فرانيس لو نورمان وقبل الشروع في ذلك التزمنا أن نقدم لكم بعض فوائد تعريفية ومعلومات جغرافية تتعلق بقسم آسية على العموم وبلاد آسية الغربية بالخصوص مع بعض كلام على ما كان يدعي في سالف الزمان بأرض كنعان وفلسطين والشام وبيان ما المراد بهذه اللفاظ الآن وفي سالف الزمان لقصد تعريف المكان قبل السكان وذلك في مقدمة وعدة فصول وهكذا نصنع في اقتصاص تاريخ العبرانيين كما صنعتنا في تاريخ المصريين فنقول

مقدمة

في بعض فوائد تعريفية ومعلومات جغرافية تتعلق بآسية العمومية وبلاد آسية الغربية

مطلب — تعريف ما المراد من لفظ آسية وبيان اقسامها الاصلية

اعلموا أيها الاخوان ان لفظة آسيا أو آسية هكذا (بمذاهزة في أوله وبالالف المقصورة أو بالهاء في آخره) هي لفظة انجيمية وافقت في صورة ما اذا كان آخرها متبها بالهاء صيغة اسم الفاعل المؤنث في اللغة العربية ومعناها كما نعلم يطلق في جملة مدلولاتها اللغوية في كتب العرب المتقدمين على آسية بنف مراحم التي هي كما يقال عند علماء الملبز زوجة فرعون كما في القاموس هي ايضا في اصطلاح الجغرافيين الاور وباوين اسم لاحد اقسام الدنيا الجنس الكبيرة وهي أعظمها وأقدمها تمدنا وعمرانا واجمعها اذ كانت آسية بهذا المعنى الاخير كما اسلفنا ذكره هي أول مهد للتنوع البشري وأول مهد للوحى

الالهى وأول ميدان للتاريخ المقدس أو الأثرى وموقعها على شرقى فسمى أوروبة وأفريقية
ولذلك يعبر عنها ببلاد الشرق أو البلاد الشرقية وهذا القسم ينقسم بحسب أوضاعه
الطبيعية الى تسعة أقطار أصلية وهى ماأتى بيانه بعد بطريقة إجمالية

فى جهة الشمال منه روسية آسيا أو بلاد سيبيريا
وفى غربيه تركية آسيا أو بلاد الدولة العثمانية بآسية وهى بلاد الشام والقدس والعراق
والموصل وماوالاها من بلاد الأرمن والروم المملوكية لدولة بنى عثمان فى هذا الزمان
ثم بلاد العرب وبلاد تركية آسية المذكورة مع بلاد الغرب اعنى الحجاز واليمن وحضرموت
وباقى الجزيرة العربية هو ما يعبر عنه ببلاد آسية الغربية

وفى جهة الجنوب منه بلاد فارس المعبر عنها عند العرب ببلاد العجم (وهى إيران وقابل وهراة
وبلوخستان) ثم بلاد الهند فيما وراء نهر الكنج واماها

وفى جهة الشرق منه السلطنة الصينية وبلاد يابونية

وفى وسطه بلاد تركستان وترستان وقد يعبر عنها ببلاد آسية الوسطى أو الوسطانية

فهذه هى اقسام بلاد آسية العمومية وللاياتها الأصلية حسبما ذكره علماء الجغرافية
ثم ان المراد من لفظة آسية عند الاطلاق هو جميع هذه البلاد فى مقابلة بلاد أوروبة وأفريقية
وهى ما يعبر عنه بالقارة القديمة فى مقابلة قسم امريقة وهى القارة الجديدة وخامس الاقسام
هو بلاد الاوقيانوسية اى جزائر البحر المحيط الاعظم وهذه هى جملة الاقسام الخمس الأصلية
التي اليها جميع بلاد العالم انقسم كما هو فى موضعه من كتب العلماء الجغرافيين المتأخرين
يفهم ويعلم فان تقيدت آسية بالصغرى كان المراد منها هو البحر فى جزيرة الكائنة فى اقصى
جهة الغرب من قارة آسية المذكورة فيما بين ارمينية والشام من جهة الشرق والبحر الاسود
من جهة الشمال وبحر جزائر الروم المسمى ببحر الارخبيل من جهة الغرب والبحر المتوسط
الابيض من جهة الجنوب وهى البلاد المعبر عنها الآن بآيلة الاناضول وماجاورهما من بلاد
الترك العثمانية ببلاد آسية الغربية تميزها عما عن باقى الارض القارة المذكورة حيث
يعبر عنها بآسية الكبرى وحينئذ فقط آسية الصغرى هو عبارة عن مجموع ما يعرف
الآن فى اسان دولة بنى عثمان بآيلة الاناضول وسيرة أو الروم ويران وبلاد القرم
وسفلحة وادنة ومرعش وهى ست باشويات كما هو فى موضعه معلوم

وبلاد آسية الغربية هى اقرب بلاد قسم آسية الى الديار المصرية وهى مصابقة لها
اعنى متصله بديار مصر من جهة الشرق الحد فى الحد بواسطة برزخ السويس الذى
حصل فيه فى هذا العصر عملية الحفر لتخليج المالح بقصد التوصيل بين البحرين اعنى بحر الروم
أو بحر سفيد أو البحر المتوسط الابيض وبحر القلزم أو البحر الاحمر وآخر تقوم الديار المصرية

من تلك الجهة الشرقية هو دولة العريش ويلها من بلاد الشام بلاد القدس و فلسطين المسماة في سالف الزمان بأرض كنعان وأولها غزة وعقلان إلى آخر ما سنوضحه في المطلب الآتي بعد من التفصيل والبيان

مطلب — الكلام على جغرافية الشام وأرض كنعان وفلسطين وتعريف المراد بهذه الألفاظ عند الأمم المتقدمين والمتأخرين

أما لفظة الشام (بالهمز وبالتخفيف) فهي كلمة حصل في أصل اشتقاقها وسبب التسمية بها اختلاف كثير قال في القاموس ما نصه **والشام** بلاد عن مشاة القبلية وسميت لذلك أولان قوما من بني كنعان تشاءموا إليها أي تياسروا أو سمي باسم بن نوح فأنه بالشيم بالسرانية أولان أرضها شامات بيض وجر وسود وعلى هذا لا نهمز وقد نذكره إلى آخر ما ذكر فيه وتسطر وقوله سمي باسم بن نوح عليه السلام قد انكر ذلك كثير من محقق أئمة أهل التاريخ من علماء الإسلام كافي تاج العروس شرح القاموس وبناء عليه فلفظة شام (بالشين المعجمة) هي عين سام (بالمهله) ونص عبارة أبي الفدا في هذا المقام حيث توضح عبارة القاموس المنقولة أعلاه **وإنما سمي** شام لان قوما من بني كنعان تشاءموا إليه أي تياسروا لانه عن يسار الكعبة وقيل سمي شاما باسم بن نوح واسمه بالسرانية والعبرانية شام وقيل سمي شامال للبقع فيه بيض وجر وسود تشبيه الها بالشامات وهي تجمع أيضا على شام كما تجمع الهامة على هام (انتهى)

وهي كل حال فإن الشام ويسمى أيضا باسم سورية أو سورستان هو اسم عام يطلق عند المتأخرين على ما يعم بلاد الشام القديمة الأصلية المسماة أيضا في التوراة ببسلا دشت أو بلاد آرام وهي البلاد الكائنة فيما بين نهر الفرات من جهة الشرق والبحر المتوسط الأبيض من جهة الغرب وبلاد آسية الصغرى من جهة الشمال وبلاد العرب من جهة الجنوب بما فيها بلاد يهودا و فلسطين وبلاد الفتيقية أو بلاد السوريين وقد يعبر عن هذين القطرين الأخيرين بسواحل الشام ومنظر هذه البلاد على وجه عام كما هو تعريب عبارة المعلم فورتنبير الجغرافي الفرنسي في كتاب جغرافيته الكبرى يشتمل على مناظر متباينة تباينا ظاهرا حيث ترى في جهة الشرق منه سهولا جديدة وودى ليست بخصبة وفي جهة الغرب سلسلة الجبال المبهجة المعروفة بجبال لبنان وسلسلة الجبال الموازية لها المسماة باسم (انثليميان) بمعنى التي هي امام جبال لبنان وتعرف بالجبال الشرقية في مقابلة جبال لبنان الغربية الأصلية وكتناهما قطعة بأودية جميلة وفي وسط تلك البلاد إلى جهة الجنوب منها ترى أراضي خصبة كأرض دمشق و حوران وفلسطين بجوار أراضي أخرى من أجذب ما يكون وفي جهة الجنوب من بلاد الشام توجد أرض يهودا و فلسطين وفي جهة

الغرب منها بلاد فيقية أو بلاد الصوريين قال المعلى قور تميم الجغرافى المنقول عنه أعلاه
 ماعناه وعلى سواحل الشام يرى المتوجه من الشمال الى الجنوب مدينة اسكندرون على
 البوغاز المسمى باسمها اقرب بياض المكنان الذى كان فيه المدينة القديمة المسماة باسم اسوس
 ثم اللاذقية وهى مدينة لاوروسية القديمة ثم طرابلس وهى مدينة ظريفة وحاضرة لطيفة
 يقال لها طرابلس الشام أو طرابلس الشرق تميزها عن طرابلس الغرب الكائنة بقسم
 افريقية ثم بيروت وقد كانت تسمى فى سالف الزمان باسم بيروت وهى من ثغور بلاد الشام
 الاكثر ترددا لاورباوين عليها ثم صيدا وهى صيدون القديمة وقد كانت من أجمع
 مدن بلاد الفتيقيين فى سالف الزمان ثم صور وهى الآن مدينة صغيرة وان كانت فى
 الاعمار القديمة مدينة شهيرة ثم عكا المسماة قديما باسم البطليوسية وفيها قلعة شهيرة
 بما حصل عليها على عدة مرار من شديد الخصار ثم يافا (وهى المسماة عند السلف باسم
 يوبه) ثم غزة المسماة ايضا باسم رزة (بالراء المعجمة بدل الغين المعجمة)

وفى داخل بلاد الشام مدينة حاب وقد كانت أعظم مدن الممالك العثمانية بأسية ثم صغرت
 بكثرة ما اعتراها من الزلازل الارضية ومدينة نصيبين أو نيبالى التى انتصرت فيها الجوش
 المصرية تحت قيادة المرحوم ابراهيم باشا على العساكر السلطانية فى سنة ١٨٣٩
 الميلادية فى جبهة وفائع حرب الشام العصرية

وعلى طول نهر الاورونط المعروف بنهر العاصى اربع مدن وهى انطاكية وقد كانت فى
 الاعمار السالفة من أعظم حواضر بلاد آسية ثم افامية ثم حماة المسماة قديما باسم حث ثم حص
 وفى وسط بلاد الشام توجد مدينة دة شق المعتبرة كبرى ولاية سورية وهى مدينة كبيرة
 اهلها رباب صنائع وحرف كثيرة كائنة فى وادى نيز يقال له غوطه دمشق أو روضة دمشق
 الشام ويعتد المشارقة من الجنان الارضية ببلاد آسية يسبقه نهر بردى قال فى القاموس
 ويردى بكمزى نهر دمشق الأعظم (اه) ونصبه (بثلاث فتحات على البناء الموحدة والراء
 والذال المهملتين) وهو يتوزع الى جلة خلجان عديدة ثم ينصب فى بحيرة عتيبة المعروفة
 بحيرة المريج وعلى الجانب الشرقى من سلسلة جبال لبنان مدينة زحلة وقد كانت مدينة عظيمة
 ثم اخربها الدروز فى سنة ١٨٦٠ الميلادية وعلى الجانب الغربى من تلك الجبال ايضا
 مدينة دير القمر التى قتل الدروز سكانها من النصارى فى السنة المذكورة ثم مدينة قانونين
 وهى مقر اسقف الطائفة المارونية وعلى اقرب منها توجد غابة من نوع الشجر

المعروف بارز لبنان وفيها عدة اشجار من عهد سليمان عليه السلام
 وعلى الجنوب الغربى من دمشق الشام آثار مدينة جبراش المسماة عند الامم المتقدمين
 باسم جبرازة وفى جهة الشمال آثار مدينة بعلبك المسماة فى سالف الزمان باسم هليوبوليس

أو بلع هامون وهى فى الوادى الجميل الكائن بين سلسلتى جبال لبنان المعسمى باسم البقاع وفى الشمال الشرقى آثار مدينة تدمر المعروفة قديماً باسم بعلر وفى الجنوب الشرقى بلاد حوران وأكثراً هله من الدروز وفيه آثار عارات قديمة كثيرة

وأعظم المدن السكانية فى جنوب بلاد الشام مدينة أورشليم أويث المقدس المسماة عند المشرقين بالقدس الشريف أو مدينة سايان ويجرى من تحتها سيل صغير يقال له قدرون ينصب على الشرق منها يسير فى البحيرة المعلقة أو المعلقة (أى بحيرة لوط) وهى مدينة غير جميلة المنظر محاطة من جميع جهاتها بجبال كثيرة الصخر عارية عن الشجر لكنهم اشهر مدينة فى الدنيا بمقامها من حيث الخبر وما يتعاقب بها من سالف الذكر والاثر يحج إليها كثير من الامم النصرانية ليزروا فيها كنيسة اقباط المقدس (أى قبر المسيح عليه السلام) المعروفة بالقمامة الكائنة على جبل الصليب فى المكان الذى يقال ان عيسى صلب عليه ودفن فى مغارة فيه وللمسلمين فى هذه المدينة ايضا عمارات من اعظم اعمارات المحترمة عندهم وهى مسجد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه حيث اسسه على المكان الذى كان فيه محراب سليمان عليه السلام فى سالف الازمان وعلى جنوب أورشليم قرية بيت لحم حيث ولد يسوع المسيح واسست على مكان ولادته بنت هيلينة ام قيصر قسطنطين كنيسة عظيمة ثم مدينة الحلب وهى المسماة فى سالف القرون باسم حبرون وعلى الشمال منها مدينة نابلس المسماة قديماً باسم سيشام ثم سميت بعد ذلك باسم نابلس ثم تعربت باسم نابلس وقرية الناصرة المسماة قديماً باسم نازاريت المشهورة بسكنى المسيح وامه فيها وبها سميت النصارى (انتمت عبارة قورتبى باختصار)

وقد فهم منها أن لفظ الشام عبارة عن جميع هذه البلاد المسرودة اعلاه وقد يعبر عن مجموع ذلك ببر الشام وحدوده هى كما اسلفناه وقد كان بر الشام عند الامم المتقدمين ينقسم الى قسمين سورية وفلسطين ثم اطلق اسم سورية على اثنتين معاً من ذلك اضافة الى سلطنة القياصرة الرومانيين قبل التاريخ المسيحى ببعض مدن واطاق عايمه اسم الشام منذ افتتاحها بالعرب المسلمين فى اثنا سنة ٦٣٢ من تاريخ المسيح عليه السلام ومن ثم يفهم أن ارض كنعان أو بلاد الكنعانيين هى ما يسمى الآن ببلاد القدس الشريف وهو اقرب الاقسام لبر مصر من بر الشام وقد سميت على تعاقب الايام بالارض المقدسة والارض الموعودة أى المارعود ما عطاها من الله سبحانه وتعالى الى بنى اسرائيل ليتموطنوا فيها ثم بأرض يهودا وفلسطين وحدودها من جهة الشمال بلاد الشام بالمعنى الاخص ومن جهة الشرق والجنوب بلاد العرب والجزء المجاور لها من بلاد العرب هو ما يعرف بتيسه بنى اسرائيل (من تاه بمعنى ضل فى الارض) يعنى الجبال التى اقاموا فيها بعد خروجهم

من ديار مصر كما سيأتى لذلك بعد اتم ذكر ومن جهة الغرب بحر سفيد او بحر الروم وفي الجزء الشمالي منها جبال لبنان المذكورة في شعر اجد بن الحسب المتنبى بقوله
وجبال لبنان وكيف يقطعها * وهى الشتاء وصيفهن شتاء

وهى عبارة عن سلسلتين عظيمتين احدهما جبال لبنان الاصلية والثانية الجبال الموازية لها وهى المسماة عند الافرنج باسم اثيليان بمعنى التى امام جبال لبنان وتعرف بالشرقية وأعلى رؤسها يعرف على لسان اهل البلاد بجبل الشيخ ومن جبال لبنان المذكورة تتفرع الى جهة الشرق جبال هرmon وجلعاد والى جهة الغرب جبل جلبوة وجبل غرزيم المشهور فى تاريخ العبرانيين ببناء هيكل للسامريين فى مقابلة هيكل اورشليم وهو جبل نابلس وفى الوادى المتكون من الجبال المذكورة يوجد كل من بحيرة طبرية أو فلسطين التى يحترقها من الشمال الى الجنوب نهر الاردن (بشديد النون فى آخره) ثم بحيرة لوط أو البحيرة الميتة أو الممتنة المشهورة بقصة قوم لوط وينصب فيها من جهة الغرب مسيل قدرون السالف الذكر ومن جهة الشمال نهر الاردن ولا يوجد سيل فلسطين من الانهار غير نهر الاردن المذكور وهو الذى يقال له ايضا نهر الشريعة ومنبعه من جبل الشيخ السالف الذكر كما هو مشهور

وقد كانت ارض فلسطين فى ايام يوشع عليه السلام تنقسم الى اثني عشر قسما من الاقسام يعرف كل قسم منها باسم واحد من ذرية يعقوب أو اسرائيل ويعبر عنه بالسبط بمعنى القبيلة أو القبيل منها على الشاطئ الايمن من الاردن سبط أشارون فتأتى زبولون ومدن الاصلية بيتايبه ويزاشار ثم نصف سبط منسى الغربى وسبط افرائيم ومدينته الاصلية سيشام وسبط دان وشعمون ويهود أو يهوذا (بالذال المهملة وبالذال المعجمة فى آخره) ومدينتها الاصلية بيتيم وسبط بنيامين ومدنه الاصلية اورشليم وياربكو وعلى الشاطئ الايسر نصف سبط منسى الشرقى وسبط كاذاو كاد (بالذال المهملة وبالذال المعجمة كذلك) وسبط

روبان أو روبيل

مطلب — تعريف المراتب من لفظ العبرانيين واليهود أو بنى اسرائيل أو الاسرائيليين — أما اسرائيل فهو فى الاصل اسم يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وكان لاسرائيل المذكور اثنا عشر ابنا وهم روبان أو روبيل ثم شمعون ثم لاوى ثم يهوذا ثم يساخر ثم زبولون ثم يوسف ثم بنيامين ثم دان ثم نفتالى ثم كاذ ثم اشير أو مانشة (بالشين المعجمة أو بالسين المهملة) وافرأيم فهما اسما يوسف عليه السلام وهؤلاء الاثنا عشر ابنا الذين هم ابنا يعقوب منهم كانت اسباط بنى اسرائيل بمعنى قبائلهم وجميع بنى اسرائيل هم أولادهم وذرايعهم وهذا هو السبب فى تسميتهم بنى اسرائيل أو الاسرائيليين ويعبر

هتسم ايضا بالعبرانيين (نسبة الى عابر بن شالح بن قينان بن ارغشذين سام بن نوح عليه السلام) واما تسميتهم باليهود فقد قال أبو الفدا (في الفصل الخامس في ذكر الامم من تاريخه) عند الكلام على أمة اليهود مانسه و أمة اليهود اعم من بني اسرائيل لان كثير من اجناس العرب والروم والفرس وغيرهم صاروا يهودا ولم يكونوا من بني اسرائيل وانما بنو اسرائيل هم الاصل في هذه الملة وغيرهم دخيل فيها فلذلك يقال لكل اسرائيلي يودي ولا يقال لكل يودي اسرائيلي، (٥١) ثم قال بعد ذلك مانسه و اما اسم اليهود فقد قال المهرستاني في الملل والنحل هاد الرجل أي رجع وتاب وانما نزلهم هذا القول لقول موسى عليه السلام انا هذان اليك أي رجعا وتضرعنا قال البيروني في الآثار الباقية ليس ذلك بشيء وانما سمي هؤلاء باليهود نسبة الى يهوذا أحد الاسباط فان الملك استقر في ذريته وابدلت الدال المجهمة دالا مهملة كما يوجد مثل ذلك في كلام العرب وكتابهم التوراة الى آخر ما ذكر (٥١) ما اردنا قوله هنا من تاريخه (ابن الفدا) ومنه يعلم السبب الصحيح في تسميتهم باليهود بناء على هذا القول الاخير وهو القول المعتمد المرجح واذا كان قد تقرر ما توضح اعلاه من هذه الفوائد التعريفية والمعلومات الجغرافية في أذهانكم أيها الاخوان ساعنا الآن ان نشرع في المقصود اعني نتبع تاريخ العبرانيين أو اليهود فنقول على الوجه الذي اسلفناه

الفصل الاول

في اصل أوية الامة العبرانية وكيفية تكون الملة اليهودية والاسرائيلية

مطلب — ذكر أصل منشأ الاسرائيليين وقصص بعض اوليائهم وأنبيائهم السابقين — قال المؤرخ جيلمان المذكور اعلاه في هذا المقام ما تعريبه ادناه قال الاسقف بوسو في تاريخه العام ما معناه وكان الناس في الاعصار الخالية والازمان الماضية بتعاقب الدهور والتباعد عن اصل الامور قد فسدت اخلاقهم واختلت افكارهم فانحرفوا عن الطريق المستقيم الذي كان قد أسسته لهم اسلافهم من الزمن القديم وغلب على الالهام البشرية حجاب الطبيعة البهيمية فلم تقدر على الترفي لادراك الامور العقلية واجمع الناس في سائر الاقطار بتلك الاحقاب الزمنية على ان لا يعيدوا غير الاشياء التي هي لهم مرئية وانتشرت عبادة الاصنام والوثون في جميع اقطار الارض المعمورة بذلك الزمان فاراد الله العظيم سبحانه وتعالى ان يمنع هذا الضرر الجسيم ويقطع مادة هذا الخلل السقيم ولذلك اصطفى عبده ابراهيم عليه الصلاة والسلام واعذله ان يكون اصل عائله كريمة تبقى فيها عبادته الصحيحة الاصلية وجهه منشأ ذرية صالحة مستقيمة تحفظ بهما عقيدته الاولى سواء كان ذلك فيما يتعلق بتاريخ اولية الخليقة الدنيوية او فيما

يتعلق بالحكمة الالهية التي تعلق ارادته الازلية بأن يدبر بها سائر الاشياء البشرية «
(اه)

مطلب — ذكر قصة ابراهيم ولوط عليهم السلام وما جرى على ايديهما من الحوادث التاريخية في سالف الايام — قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه اعلاه مامعناه وقد كان ابراهيم الذي هو صفة المولى الاعلى جل جلاله هو ابراهيم بن تارح (وهو المدعو ايضا باسم آزر) وكان اصل مولده وموطنه وأول منشاءه ومساكنه بمدينة أور (بضم الهمزة في اوله) يليها واوراءهم في آخره قال المعلم بوليت القرائن في كتابه المشهور بمامعناه مجمل البلدان ومشاهير ابناء الزمان هي مولد ابراهيم وابيه تارح ولعلها المعروفة باسم وورقة (الآن) (اه) وهي بلاد كادة (أو العراق) وكان ابراهيم من بني سام بن نوح عليه السلام اعني من تلك الذرية الصالحة الكريمة والعائلة البشرية العظيمة التي كان هذا الاب الثاني للنوع الانساني قد دعا لها بالبركة من المولى الازلي الواحداني وكان الله سبحانه وتعالى قد اوحى اليه بقوله له «قم يا ابراهيم واخرج من بلدك واهجر اقاربك ودار والدك واهب الى البلد الذي اذك لك عليه واتوجه بك اليه واني اخرج منك أمة كبيرة وجعل لاسمك ذكرى شريفة وسابع واحد من بنيك رحمة لجميع العالمين وبركة على سائر الامم الاكبرين قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه اعلاه مامعناه فقام ابراهيم مسترشدا بقوة عقيدته في الله ومصدقا لما أمر به مولاه وهجر الارض التي ولد عليها وتوجه الى البلد التي هدها الله سبحانه وتعالى اليها الى أن قال عقب ذلك المؤرخ المذكور ما هو بعد مسطور وبعد ان ساح ابراهيم زمن طوطو يلاقي البوادي والغفار يقودما كان له من الخدم ورعاة المواشي العديدة وكانت اعظم اموال الاولياء السالفين في تلك الاعصار دخل بارشاد الله سبحانه ارض كنعان وكان معه لوط ابن اخيه وكان من أمره وما جرى له من حوادث دهره انه اضطر لحادثه فحط حصلت في تلك البلاد لان سافر مرة الى وادي مصر الخصب اقصد أن يجلب منه قمحا لاهله وذويه وسافر مرة أخرى الى بلاد الميزوبوتاميه (بلاد الجزيرة والموصل) فدفن بخدمته صولة جنود ملك تلك البلاد عن لوط ابن اخيه وكانوا قد امروه وكان ابراهيم عليه السلام قد شهد واقعة فخر ببقري قوم لوط وهي سدوم وعمورة وصبة وادما وصوبيم وبالع (بالعين المهملة) عقابا بالحسم على ما كانوا قد ارتكبوه من الذنوب والآثام وسدوم وقراها الخمس المذكورة هي التي يرى في مكانها الآن بحر لوط أو البحيرة المائلة أو المنقطة قال المؤرخ المذكور اعلاه مامعناه وبعد ان عمر ابراهيم عزرا طويلا قضاء في تثبيت قومه وبنيه وعاش عيشا جليلا فاته في عكبر جميع اهله وذويه على الاعتقاد في الله الواحد الاحد وفاته مولاه قيرك ميراثا لاسحق احسد ولديه الذين كان قد تولى عنهم ما فاتني اسحاق اثر ابيه

في كل ما كان يتخذه وأتبعه من التبعش بصناعة رعاية المواشي والتنقل والارتحال بها إلى حيث تجد مرعاها مع المواظبة على هداية الناس للإيمان بالله الخالق لجميع الأكون

مطلب — ذكر يعقوب وبنيه وقصة يوسف وما جرى لبني إسرائيل بمصر في سالف العصر — قال المؤرخ المذكور أعلاه مامعناه — وجاء من بعدنا هاق يعقوب وهو المدعو أيضا بإسرائيل (ومعناه بالسرانية مقاتل الله سبحانه وتعالى لقبه به ملك نزل عليه في صورة بشر فقاتله إلى الفجر كما في التوراة) وكان من أمره أنه اقتدى بأبيه وجده وكان له اثنا عشر ابنا من ولده صاروا أصول القبائل الاثنتي عشرة المعبر عنهم بالاسباط التي بقي بنو إسرائيل إليها منقسمين بدون اختلاط من بعده وكان يوسف من اصغر بنيه فحسده اخوته وحقدوا عليه حيث لحقتمهم الغيرة منه لا اعى كون أبيه كان يؤثره عليهم بالحببة الابوية فاخذوه وباعوه على اربعة قيق الخبار كانوا مسافرين إلى الديار المصرية ولكن كانت عناية المولى جل جلاله قد لحقته فاساطت به السعادة في سائر احواله فالتحق بخدمة أحد كبار باب الدولة الفرعونية بتلك الاعصار (وهو المدعو باسم يوتيفار) فظهر في جميع افعاله حكمة عجيبة وقصيلة غريبة جذبت اليه التفات فرعون مصر في ذلك العصر حتى رقاها إلى مرتبة اول وزير له واتمته على خزائنه واتفق انه قد اعترى اخوته ببلاد الشام سنة فحط بجأوا إلى مصر ليشتروا لهم قمحا فكشف حاله عليهم بعد عدة اختبارات القها اليهم واحضر أيام عنده بدار مصر وكان ابوه لم يزل يبيكه حيث كان يظن انهم قد قتلوه فأت من مذبح من الدهر ثم احضر جميع عائلته من أرض كنعان بالديار الشامية واقطعهم وادى غسان (وهو المعروف الآن بالوادي وهو الكائن على حدود مديرية الشرقية) قال مؤلف الاصل اعني في تلك القطعة التي كانت مدينة تانيس (وهي المعروف الآن بسجدة أوسان) هي قصبتها ويندر ولايتها من الديار المصرية في تلك الحقبة العصرية فتوطنوا بها واقاموا فيها قال مؤلف الاصل المنقول عنه أعلاه بعد ذلك مامعناه وقدمت العبرانيون وبنو إسرائيل في ذلك الوادي الخصيب من وادي النيل مدة ٤٣٠ سنة من الدهر يعيشون بصفة القوم الاغراب بين اظهراهم مصر القبطيين محافظين على بساطة اخلاقهم وعوائدهم وملازمين انقاوة ديانتهم وعقائدهم وفي أسرع مدة من الزمن ازداد عددهم واشتد عضدهم ومددهم إلى درجة بليغة جدا حتى صاروا أمة ذات عصبية كبيرة وملة قوية كثيرة يبلغ عدد الرجال الذين يمكنهم حمل السلاح والقتال منهم إلى ستمائة ألف رجل (٦٠٠٠٠) ولذلك خشيت من صولاتهم الفراعنة على دولتهم على انهم كانوا في سائر مدة اقامتهم بين اظهراهم لم يزالوا يحقدون عليهم ويفترون سنهم ويضربون لهم العداوة والبغضاء لدا عي شدة تبائن ما بين اخلاق القوميين وعوائدهم وتباعدا ما بين ديانات الطرفين وعقائدهم حيث كان المصريون قوما حضريين

يعبدون أو ثمانية عديدين والاسرائيليون لناسا بدوين ورعاة مواش رحالين نزالين وهم لاله واحد يعبدون فلم يلبث ان داخل قلوب المصريين للقوم الاسرائيليين أقصى العداوة والشقاق واسروا لهم أقصى الغيرة والنفاق لداعي ما توضح من اختلاف العقائد والاختلاف

مطلب — ذكر موسى وهارون وما جرى على ايديهما من خروج بني اسرائيل من ديار مصر في سالف العصر — قال المؤرخ السالف الذكر وقد كان صعبا على كرسى منحة ديار مصر في ذلك العصر كما هو عين نص التوراة وملاك لم يكن يعرف يوسف عليه السلام قال بعض العلماء الاعلام في تفسير هذه العبارة وليس قولهم هذا مبني على غير اساس ان هذا الملك قد كان أحد ملوك المصريين والمراعنة الاصليين الذين انقذوا ديار مصر من ايدى القوم البغاة المعروفين بالملوك الرعاة أو الهيكوسيين وذلك ان هؤلاء الملوك البلديين بعد ان اخرجوا هؤلاء القوم الطغاة من ديارهم كان كل مطمح انظارهم وجل مطمح افكارهم متوجها للضرورة إعادة ما كان ديار مصر في سالف العصر من اتحاد مادة السياسة والدين في جميع دولتهم فلم يمكنهم الا ان ينظروا بين العداوة والبغضاء للاسرائيليين وازداد شوكتهم حيث كانوا الداعي كيفية معيشتهم الخلوية ووحدة اديانهم الدينية بعزلهم عن سائر المصريين وعلى كل حال مما هؤلاء العلماء وغيرهم من اختلاف المذاهب والاقوال في هذا المجال من الحوادث التاريخية المحققة والوقائع الزمنية المصدقة ان الفراعنة المصريين جعلوا القوم العبرانيين ديار مصر في ذلك العصر مالا يطاق من الظلم والجور والاصر واستخدموهم في بناء مدينتي رمسيس وبيتون واقامة سائر هذه العمارات الكثيرة والاعمال الكبيرة التي كانت ديار مصر قد امتلأت بها في عهده هؤلاء الملوك البلديين كما سبق لذلك في مواضع من هذا الكتاب وأوضحه الذكر ولم يكن فرعون مصر الحاكم في ذلك العصر بان جعل القوم العبرانيين جميع هذه الاثقال القاسية والاشغال الشاقة القاسية حتى كان من يغيه وطفيلانه ان أمر يقتل كل من ولد لبني اسرائيل من الاطفال الذكور فاختفت امرأة من سبط ليوى ولدها خمسة ثلاثة شهور ثم القته مراقد في مهد اتخذته من أعواد شجر الحنظل والخيزران فوق المكان الذي كانت بنت فرعون قد جرت عادتها أن تتردد عليه للاستحمام فيه من نهر النيل وجاءت بنت فرعون الى ذلك المكان حسب عادتها للفصل فسمعت صوت الطفل فراقت به وحنث اليه والنقطة من البحر وسمته باسم موسى ومعناه المنجى من الماء سمى بهذا الاسم لهذا الداعي ثم تبنته وأخذته الى قصر أبيها فنشأ وترى في قصر الفراعنة وتعلم جميع العلوم التي كان يعرفها أقصا المصريين في تلك الازمنة ومع ذلك فلم ينس أصله ولم يزل يذكر محبته وفصله فانفق له ذات يوم ان رأى قبطيا يضرب اسرائيليا فوكر القبطي فقتله واضطر لان فرعون ديار مصر لداعي قتله خرقا من دولة فرعون على نفسه

والاقتصار منه بنظيره فله وسافر الى أرض مدين ييلاد الحرب فمكث أربعين سنة عند شيخ من كبار أهل البلاد المذكورة يدعى باسم يتر وواجتروا (بالياء المشناة التحتية أو بالجم الفارسية في أوله بليماناء مشناة فوقية فقرأه مهمل فواو في آخره ويعرف في كتب المسلمين باسم شعيب عليه السلام) وأقام برعى مواشيه حيث انكحه إحدى ابنته المسماة باسم صفوره وفي تلك البلاد قد كان ظهر له ذات يوم على البعل في الصحراء شعلة نار من شجر العوسج وهو ضرب من الشوك ينبت بالبادية كافي كتب اللغة العربية فذهب اليها فسمع من قبله آياته صوتا يتضمن الامر له بالعودة الى ديار مصر لينقذ قومه ما هم فيه بتلك البلاد من الاسر قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه ما معناه قال الاسقف بوسوه وهو أفصح ترجمان للكتاب المقدس يعني التوراة ووهناك أيضا كان الله سبحانه وتعالى قد أطلع هذا الرجل العظيم من معرفة ذاته الكريم على ما لم يكن قد أطلع عليه احدا حيا من البشر في ذلك العصر فقام موسى واخوه هارون وعاد الى ديار مصر ودعا فرعون ذلك العصر أن يترك سبيل بني اسرائيل ليقرّبوا قربانهم في الصحراء فامتنع فرعون من ذلك الامر ولم يأذن لحسم الامن بعد ان رأى قومه المصريين قد ابتلاهم المولى سبحانه وتعالى بالجوائح والجراثيم السبع قال أبو الفدا (وهي القمل والضفادع وصيرورة المياه مالى آخر ما ذكر) وقرع في آخر الحال خصوصا لما شاهد من موتات الاطفال المولودين جديدا القوم المصريين فاذن لاهبانيين بالسفر ثم ندّم على تخلصهم من ربة دولة وخروجهم عن طاعته فاقبى اثرهم وتبعهم وهو يقود جيوشا عديدة من جنوده حتى وصل الى بحر القلزم وهو البحر الاسود فرأى مياهه قد افرقت وارضه قد جفت ونشفت تحت اقدام الاسرائيليين فزاعلهم من الفرق ناجين ولما توسط فرعون وجنوده البحر كانت قد عادت المياه ليجراها المعتاد وانطبقت عليهم أمواجه فاغرقتهم أجمعين وخروج موسى وقومه سالمين فذهب بهم وهو يدبر سيرهم ويدبر امرهم في بحارى بلاد العرب الى حيث يتباعد عنهم عن فساد مدن ديار مصر يصل عليهم أن يعودوا الى عبادته آبائهم السابقين ومكثوا مدة أربعين سنة في تلك الصحارى يقيمون ويدافعون صولة قبائل العرب الذين كانوا لهم مجاورين ويقعون مع ذلك في بعض الاحيان فيما كان منكمجا بديار مصر من عتيق الاوهام الدينية والعبادة الوثنية غير انهم كانوا يميزوا المحاطين بالنعناية الالهية

مطلب — الكلام على شريعة موسى عليه السلام — قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه ما معناه — وعلى هذا الوجه كان بنو اسرائيل قد انتقدوا من ظلم الفرعون المصريين ونجوا من القوم الظالمين ولما كان من اللزوم أيضا فريق مله الله سبحانه وتعالى عن سائر الملل بالكلية وتوثيق ربطهم بعقائد أسلافهم الاصلية بطريقة قطعية كان كما هو نص عبارة الاسقف بوسوه السابق المذكور والبيان وقد آن وان يكون العباداة الحقيقية

انتي كانت قد انجعت من مذكرة الناس في تلك الحقبة العصرية بالكلية لا يمكن حفظها وبقاؤها الا بواسطة تقييدها بالكتابة (٥١) ولذلك حين وصل موسى ببني اسرائيل الى جبل الطور بلغ قومه شريعته والاوامر الالهية العشرة التي نزلت عليه وهي عبارة عن عشرة خطابات أو مواد أصلية تشتمل على الاركان الاساسية التي تقبى عليها أصول الدين ومكارم الاخلاق واساس الجمعية البشرية في الامة العبرية وهي هذه

أولا - اني انا الله ربكم فلا تخذوا لكم الهاغيري ولا تصنعوا لكم تماثيل مفصلة ولا صورة مطلقا لتعبدوها واتخذموها من دوني

ثانيا - لا تحلفوا باسم الله ربكم باطلا

ثالثا - تعملون مدة ستة أيام وتستريحون في السابع

رابعا - اكرموا والديكم يضل عمركم

خامسا - لا تقتلوا احدا

سادسا - لا تزنا أبدا

سابعا - لا تسرقوا

ثامنا - لا تشهدوا بالباطل على جاركم

تاسعا - لا تشتموا امرأتك جاركم

عاشرا - ولا تشتموا اديارهم وخادمتهم ولا ثورهم وحمارهم ولا شيئا مما لهم مطلقا

قال الماورخ جيلمان المنقول عنه اعلاء مامعناه واجل طبع معنى التوحيد الالهى على الوجه الاقوى في العقول والافهام اكثر موسى عليه السلام من الاوامر والنواهي والحدود والاحكام وعاقب كل من خالفها بقاية التشديد والاحكام ووضع لبني اسرائيل قوانين الجمعية المدنية بمعنى شروط الهيئة الاجتماعية البشرية اى المعاملات الدنيوية في حالة اجتماع الامة بعضهم مع بعض على اساسات قوية هي اعلى من قوانين سائر الامم الآخرين وحيث كان هذا الرجل العظيم قد اهتدى هكذا للحقيقة فيما يتعلق بالاخلاق والاديان وقام لها بالاعلان مع غاية الوضوح والبيان لزم ان يكون اقرب من غيره للحقيقة الحقيقية ايضا فيما يتعلق بركان عقد الشركة الانسانية والجمعية البشرية وفي الواقع ونفس الامر قد كانت جميع الترتيبات المدنية التي وضعها للامة العبرانية مبنية على اصول من العدل والانصاف والرافة بالناس مع الاحسان اليهم والتصدق عليهم لان توجد في شرائع غيرهم من الامم السالفين من هذا القبيل ان بني اسرائيل بدلا عما كان متحكما عندها كثر الامم السابقين من قانون تمييز الطبقات الالهية والمرتبات البشرية كانوا كلهم منساوين على وجه الاطلاق عند الله وامام الشرية اليهودية وكان موبني عليه السلام قد اوثق عروقه هذه المساواة الانسانية

في الاحوال الشخصية والاموال الكسبية بما وضعه من قانون السنة السبعية والمدة الخمسينية أما الاولى فهي عبارة عن مدة كل سبع سنوات اذا اقامها العبد في خدمة مولاه هتق عليه وأما الثانية فهي عبارة عن مدة كل خمسين سنة يرجع فيها الملك المنتصر فيه للمالك الاصلي ويرد اليه وقد نفع عن هذين القانونين بمدة ما كانا جاريين ان اليهود لم يحدث فيهم أبدا هذه الطبقة السيادية المتردية برداء الكبر والفساد في سائر البلادين العباد ولاتلك الطبقة السفلية التي كان يحملها الفقر والجوع على ايقاع الفتن الشديدة والحن العنيدة في نظام الجمعيات الجمهورية القديمة وكانت رؤسائهم وملوكهم يخرجون من أبناء امتهم ويتخبون من عين ملتهم وكانت قسسمهم او كهنتم المعبر عنه بالليويين (نسبة الى ليوى احد الاسباط) متوزعين في جميع الامة الاسرائيلية لا يملكون شيأ من الاملاك الارضية غير ثمان واربعين قرية ليسكنوها فلم يكونوا متبرئين في هيئة طائفة قسسية ولا كانوا متكفين بكيفية خرفة دينية نعم كانت هذه الوظيفة فيما بينهم وراثية غير انه قد كان الولد لا يرث عن ابيه فيها بية-ين غير الفقرو بذل الذنس في خدمة الذين ومع كون الرق قد كان اساس كل جمعية بشرية عند سالف الامم قد كان لليهود اقل عبيدا من الخدم وقد كانت قوانين سائر الامم لا تنظر للفقير والمعدم وتحتقر اوقه ضيق الغريب بخلاف شرع اليهود حيث كان يجنح للفقير والمساكين ويصلح حال البعيد والقريب ويمنع الربا ويأمر بالصدقة ويفرض الاحسان ويأذن بالدخول في المحراب وحضور الضحايا والقرابين حتى لا اغراب وبالجمله والتفصيل فقد كانت شريعة بني اسرائيل ترفع شأن كل ما كانت شرائع سائر الامم السالفين في ذلك الجبل فتخذلته واسفلته واحترقته ووضعته فكان اغريب بين اظههم لا يعتبر عدوا كما كان الحال كذلك عند غيرهم وكان العبد لديهم لم يزل بمنظر الانسان اليه ينظر وتجلس المرأة مجلس الشرف في كل محضر يجوار رئيس العائلة على وجه بحيث تكرم كرامه وتحترم كعين احترامه الى غير ذلك من الاحكام الجليية والشرائع الجميلة

ثم ان موسى عليه السلام مكث مدة الاربعين سنة التي اقامها بالصحراء وهو يجاهد في اكثر الاحيان ما كان يحصل من الثوران والعصيان عليه من العبرانيين حيث كانوا لم يزلوا يأسفون على ما كانوا يجدونه بدار مصر من النعم الكثيرة والخصوبة الغزيرة ولكنه كان يعون الله الواحد القهار بمنع كل مانع ويدفع كل دافع ويغلب كل خصم حتى وصل بالقوم الى تقويم الارض الموعودة واراد ان يقدم عليها فلحقته الوفاة فنام الى رحمة الله وهو ينظر اليها على الجبل المسمى في سالف الزمان باسم نيبو (بامالة النون الواحدة في اوله هلى ياء مشناة تحتية ياء ياءه واحدة فواو في آخره) وهو المعروف الآن في تلك الاقطار من جبال فلسطين

بجبل العطار) وقد حفظه في التوراة صورة القصيدة العالی الذي انشاء حين حضرته الوفاة
 لقد تمجيد المولى الاعلى جل جلاله وتعالی اسماءه وفعاله وزجهته هكذا بالعربية
 وه يا سماء اسمي ويا ارضي فاني اريد ان اجد الياء هو (وهو اسم الله سبحانه وتعالى
 بالعبرانية) ان افعال الله كاملة ونعمه شاملة ولكن الناس قد كفروا به
 فاخذ يعقوب من نصيبه وكما يأخذ النمر افراسه تحت جناحيه ويعلمها كيف تنفض
 قد أخذكم المولى سبحانه وتعالى ايها القوم الخائفون تحت اجفنته ومد عليكم ظلال
 عنايته وهذاكم والآن حين غمركم باحساناته وشملكم ببياته فهو لا القوم
 عنه غافلون ومنه يتابعون ليعبدوا الهة لم يكن آباؤهم يعرفونها وانتم لسيما قيون
 ولكن الله يراف بعباده اذا رأى ان ابطالهم قد هلكوا في جهاده ويقول
 حينئذ ابن آلتكم وابن أماتكم افهمتم الآن انه لا اله غيري واني انا الذي أميت واحيي
 وامرض واشفي واني انا الحي الابدی (٥١)

وكانت وفاة موسى عليه السلام (في سنة ١٥٨٥ ق م) وقيل وفاته كان وهو بالصحراء
 بعد قد نصب اخاه هارون بوظيفة الكاهن الاكبر والخبر الاعظم ولفظ الكاهن بالعربية
 هو تعريب الكوهن بالعبرانية أي رئيس خدمة الدين ووضع الاوامر العشرة التي انزلت
 عليه بجبل الطور في تابوت أو صندوق يعرف بصندوق الشهادة واغلقه علمه واكتب اسفار
 التوراة الخمسة الاولى المسماة باسم البتسكوك السالف الذكر وهي سفر الخليفة وسفر
 خروج بني اسرائيل من مصر وسفر الليبيين وسفر العدد وسفر تجديد العهد (اتسمى
 معربا من تاريخ المشرق القديم للثورخ جيلمان السالف الذكر والبيان) قال المعلم بوليت
 صاحب معجم البلدان ومشاهير أبناء الزمان المروى عنه آتفا ما معناه ولفظ البتسكوك
 هذا عبارة عن الاسفار الخمسة الاولى من العهد القديم (يعني التوراة) وهي تشتمل على
 التاريخ المقدس أو الاثرى من مبدأ خلقية الدنيا الى غاية دخول بني اسرائيل في الارض
 الموعودة وعلى قانون من الشرائع والاحكام الموسوية وبمجموع اوامره ونواهي دينية (٥١)

الفصل الثاني

في تاريخ بني اسرائيل بارض كنعان وكيفية تكون دولتهم بتلك البلدان (من سنة ١٥٨٥
 الى سنة ١٠٩٦ ق م)

مطلب — ذكر يوشع عليه السلام واقتتاحه لارض كنعان وقلسطين من بر الشام
 (رجع لتغل من تاريخ المشرق القديم للثورخ جيلمان)

قال المؤرخ المذكور ان كوراعلاه مامعناه وما اغار بنو اسرائيل على ارض كنعان في ذلك الزمان كان به مساعدة قبائل من بني كنعان بن حام بن نوح عليه السلام تحت طاعة عدة رئيسا اطلق عليهم في التوراة لقب الملوك ~~وهو~~ فوا على حال قطيع من الفسق وفساد الاخلاق وملوكهم في نهاية من العداوة والشقاق (منهم الهيثيون واليبسيون) وهم اهل مدينة ييس التي بنيت في مكانها اورشليم وكانت تدعى قبل ذلك بمدينة سالم وهي مدينة القدس الشريف (والعموريون والجرجيسيون والهيريون والفيريون والكنعانيون الاصليون) فلما دنا منهم الخطر انعمام بفارة هؤلاء الاقوام اجتمع بعضهم لبعض ونعصب اقوامهم شوكتهم على دفع صائنتهم ومنع غنائتهم وكان موسى عليه السلام قبل وفاته قد استخلف يوشع من بعده فقام بتدبير بني اسرائيل احسن قيام ورفاهة هده ولم يفرع يوشع من عصبة هؤلاء الملوك بل استمر على ما قصده موسى من فتح بلاد الشام وسلك في قيادة بني اسرائيل احسن سلوك وعبر بهم نهر الاردن واستولى بطريق انعنوة والقهر على مدينة ياريكو (اورحما) وقتل ساثر اهلها ثم انتقل الى غيرها من مدن ذلك القطر ومن قائله منهم فعل به كما فعل بهما مع اعداء مدينة (جبين) حيث كانت قد دخلت تحت طاعته وسبغت نفسها اليه وتعاهدت معه فاجتمع عليها جماعة من الملوك المذكورين وحاصروها عاقبا بالها وجاء يوشع فخماها منهم (وقد ذكر بالكتب المقدسة انه في حصار المدينة المذكورة كانت حادثة توقيف الشمس أي يوشع عليه السلام حتى تم له اصر عليهم كما ذكر في هذه القصة المشهورة وهي المشار اليها بالتلخيص في قول ابى تمام) شعر

فردت علينا الشمس والليل راغم * بشمس لهم من جانب الحدر تطلع
فوالله ما درى احلام نائم * المت بناءم كان في الركب يوشع

ثم انعقدت عليه عصبة اخرى من ملوك جهتي الشمال والغرب كان رأس عصبتهم وشيخ دارندوهم الملك المدعو باسم (يايين) ملك المدينة المسماة باسم (حازور) من تلك البلدان ولكن يوشع عليه السلام كان قد ظفر بهم وشتت جوعهم وغلب جميع الملوك الذين كانوا يقسمون بلاد الكنعانيين وكانوا خمسة وثلاثين ولم يبق منهم بحالة الاستتال غير بعض قبائل قلائل تحصنوا في الجبال وعلى سواحل البحر وكثوا يناوشون بني اسرائيل وهم لم يشجعهم مجاهدون وعلى مقاومتهم يتجادون في تلك العهود لغاية عيود داود من ذلك العصر ولما تمكن بنو اسرائيل من الارض الموعودة اقتسموها بين الاسباط واتخذوا من كل سبط اوقبيلة ثلاثة رجال لقسمتها فوراها واطلعا عليها وقاسوها وزعوها عليهم فوطن منهم سبطان ونصف سبط فيما وراة نهر الاردن وبقى ساثرهم على الجانب الاخر ما عدا سبط ايوى حيث لم يقسم له حصة من الاولاك الارضية بل ترتب له عشر ثمة الارض كلها ونحوه.

لهم ثمان وأربعون قرية متفرقة فيما بين أراضي سائر القبائل ليأخذوها مساكين لهم وينبؤوها ثم التفت يوشع لترتيب أمور الدولة الإلهية وحسن إدارة الامور الداخلية فأنشأ المحاكم ونصب القضاة والحكام وأوضع لكل قاض منهم ما يختص بوظيفته من الخطط والاحكام ثم مات رحمه الله وله من العمر مائة وعشرة اعوام

مطلب - الكلام على حقيقة حكومة العبرانيين ببلاد الشام وبيان ما المراد من قدمائهم ومشايخهم وولاة امورهم المعبر عنهم بالقضاة أو الحكام - قال المؤرخ المنقول عنه اعلاء مامعناه وبقيت قبائل بني اسرائيل في ذلك الزمان متفرقين على سائر ارض كنعان لارابطة لهم عامة ولا جامعة لهم تامة غير جامعة الدين ولم يكن لدوائهم الجديدة ببلاد الشام اساس هي مبنية عليه غير عبادة اليا هو وشريعة موسى عليه السلام وكان الخبر الاعظم في بني اسرائيل هو عبارة عن خليفة المولى الجليل وهو الرئيس الحقيقي للامة العبرانية وولى الامر الاصلى للامة الاسرائيلية وكان اقدمائهم أو مشايخهم يحالسون بعقدونها ومحاضريهم ونها في كل سبط لقصد النظر والنشاور في مصالح كل قبيلة ولم يكن لهم علم ولا ولاية سياسية وكانت ولاية مشايخ بني اسرائيل في ذلك الزمان عبارة عن ولاية عرفية تركب من كل من يحب موسى بن عمران (بمنزله اصحاب محمد عليه الصلاة والسلام) ولم يكن لبني اسرائيل ولاية امر عومية تجمعههم ولا رياسة عالية تدبرهم ولذلك لم يتيسر لهم تمام افتتاح تلك البلاد بل صاروا من الضعفاء والاسعداد لداعي تفرق قلوبهم وعدم اتحاد همتهم الى عدم المقدرة والاستعداد لدفع غارات الامم المجاورة لهم ومن ثم حصل لهم ما يذكر في تواريتهم على عدة دفعات من حوادث الاسترقاق والاستعباد الذي كان يتخذهم منه رجال اولو شجاعة وابطال ذوو قوة منهم كانوا يوقدونهم للقتال وبعد تمام الظفر بالاعداء يطلقون عليهم لقب القضاة أو الحكام وهم عبارة عن ولاة امور لهم يدبرونهم وحكام ينهونهم ويأمرونهم من غير ان يكون لهم لقب الملوك غير انهم لم يكن لهم قوة نفوذ متينة ولا ولاية امر مستمرة بينة قال القائد يوسفوس مؤرخ اليهود في تاريخه لما نصه وورد كان بنو اسرائيل يطلقون لفظ القاضي أو الحاكم من القوم العبرانيين على أشهر رجل تميز بالشجاعة وأكبر بطل اشهر بفضيلة الجهاد والمنفعة ثم متى انقضى الخطر والحرب وعادت لما كانت عليه السلم رجع القاضي لحالة الاحاد الاهلين وربما بقي على وظيفة القاضي بل القضاة والحكام بين الاسرائيليين (هـ)

مطلب - ذكر قضاة بني اسرائيل وحكامهم - وكيفية تدبيرهم في تلك المدت وأدارة احكامهم - وقد كان عددهم هؤلاء القضاة والحكام الذين اتخذوا الاسرائيليين في اكثر الاحايين من يدهم هؤلاء القوم الظالمين أربعة عشر نفرا كان أشهرهم وأبعدهم صيتا

وأكبرهم هو واحد هم المسمى باسم (عثنبال) (بفتح العين المهملة وسكون التاء المثناة) ثم (اهوذ) (بفتح الهمزة في أوله وذال مجهلة في آخره) ثم المرأة المشهورة باسم (ديبوره) (بامالة الدال المهملة على ياء مثناة تحتية في أوله) ثم (كذعون) (بفتح الكاف يليها ذال مجهلة ساكنة فعين مهملة فواو فتون موحدة) ثم (بفتح) (وضبطه بضم الياء المثناة من تحتها في أوله وفاء موحدة ساكنة مع ضم التاء المثناة من فوقها يليها هاء مكه في آخره) ثم (شمعون) (بالتشديد المجهلة في أوله ووسطه) ثم (عالى) (المشهور بالكاهن) ثم (شمويل) (بفتح الشين المجهلة في أوله)

ويبان ذلك ان بنى اسرائيل بعد وفاة يوشع عليه السلام كان قد أغار عليهم وظفر بهم في بلاد الشام كوشان ملك الجزيرة (وهى بلاد الموصل) واستعبدوهم مدة ثمانية أعوام فخاف عثنبال واتخذهم من هذا الرق وقام بتدبيرهم مدة أربعين سنة (من سنة ١٥٥٠ الى سنة ١٥١٠ ق م) ثم ضيق عليهم واستعبدوهم عفاون (بفتح العين المهملة وسكون الغين المجهلة وضم اللام يليها واو فتون موحدة في آخره) ملك المايين (من ولد لوط عليه السلام) فقبضوا اليه بالجزية اهوذ وكان رجلا شجاعا وبطلا جرى القلب دفاعا فبعد ان سلم ماله من المال لخزينة الملك عاد اليه وحده وضمه الى جانب قتلته وانقذ بنى اسرائيل من يده وبعد ذلك بقبيل غلب الفلسطينيين على كل من سبط داز ويهوذا وشمعون من أسباط بنى اسرائيل واستعبدوهم ايضا مدة من الزمان حتى قام فيهم رجل اسمه (شمكار) (بفتح الشين المجهلة) فقتل ستمائة نفس ينصل محراثهم ودفعهم عنهم وحيث كان بنو اسرائيل قد تمكوا متفرقي الكلمة من غير رئيس عام يقبض بزمام امورهم وينهض بتدبيرهم كان يسهل على الاقوام المجاورين لهم الغلبة عليهم والظفر بهم فاستعبدوهم مرة أخرى الملك (ياين) ملك (حازور) من بلاد الشام وكان قد قام فيهم في الحقبة المذكورة امرأة تسمى باسم (ديبوره) كانت تقضى بينهم تحت ظل نخلة فوق جبل افرائيم فتمضت مع القائد (باراق) احد قصاة بنى اسرائيل وسارت على رأس جيش عظيم منهم لقتال القائد المسمى باسم (سبصاره) الذى هو رئيس جد ودياين المذكور فقتل القائد سبصاره وغلب وفرامام جيش العبرانيين وهرب وقتلته امرأه أخرى منهم يقال لها (ياهيل) في اثناء الفرار واشهرت ديبوره المذكورة تلك النصر الشهيرة بقصيدة شعرها من احسن الاشعار واحسن الافكار حوت بها في بنى اسرائيل راكدا للفرزة الاهلية وهيبت منهم راكدا للفرزة المالية غير ان تلك الهمة البطولية لم تستمر بل كانت كعهاب صيف مر وجاء أهل مدين فاستعبدوهم واذاقوهم أشد الضنك والامر مدة سبع سنين اخر حتى قام فيهم رجل منهم يدعى باسم (جذعون) وجمع منهم جيشا يبلغ ٣٦٠٠٠ مقاتل واستعدلا ن يدفعهم غائلة دولتهم

وبقاتلهم قال في التوراة ولكن الله سبحانه وتعالى لم يردان قومه بنفسين خلاصهم في هذه المرة الى محض حولهم وقوتهم فنقص عدد الجند حتى صار الى ثلاثمائة رجل فقما وقام فيهم جذعون وهذا فوز عظيم طبلوا وقد ورا من فخر قيمنا ديل موقدة وتخلل بهم معسكر الاعداء من اهل مدين وهم يصيحون من نوع الشعار في الحرب يقولون «سبح الله جذعون» ففرع المدينيون اضرب الطبول ونوا الفناديل وذبح بعضهم بعضا وفر سائرهم هاريين ثم توفي جذعون المذكور بعد ان اقام اربعين سنة وهو درع بني اسرائيل قائم لهمم باحسن التدبير وكان يسوغ له ان ينقلب بالملك ولكنه اكتفى بقلب للقاضي لا غير وترك من صلبه من عدة نساءه واحدا وسبعين من الابناء المذكور ثم قام فيهم من بعده احدهم المدعو باسم (ابيمالك) (بمعزة في اوله وباهم واحدة من تحتها ثم ياهم شاة من تحتها ايضا وميم والف وناهه مجمعة في آخره) فجعل نفسه ملك سيشام (وهي نابلس) وذبح جميع اخوته الا واحدا منهم فقام عليه بنو اسرائيل لداعي ظلمة وقته لونه وانتهر العمونيون (وهم قوم من بني لوط عليه السلام) الفرصة من الشقاق الحاصل بين الاسرائيليين فاغاروا عليهم واستعبدوهم مرة اخرى حتى قام فيهم رجل يقال له (يافق) من بلاد جلاو فاجلاهم عنهم وخلصهم منهم واخر ب عشرين مدينة من مدائنهم وكان من امر هذا الرجل البطل انه نزلته سبحانه وتعالى ان عادم من جهاده ظافر ان يقرب له اول من يلاقه حيا بعد اياه من سفره وافق له ان كانت ابنته من صلبه هي اول من لافي نظره فذبحها وقام به بعد وامتثلت تلك الفتاة لفرقة شيا بها وعمرها طاعة لاهمه

ومع ذلك فكان العبرانيون قدوةوا ايضا في حبالة اسرا الفلسطينيين مرة ثانية وكان المخلص لهم في هذه المرة هو شمشون وكان رجلا ذا قوة عجيبة وجراءة غريبة ظهر عليه منها الاثر من الصغر حيث قبض وهو ابن ثمانى عشر على اسد حديث السن فزقه قطعاً وذكر عنه في التوراة حديث طويل فيما يتعلق بما حصل منه مع الفلسطينيين من الوقايع والغزوات وانهم لم يتيسر لهم القبض عليه الا بحيلة علمتها عليه امرأته منهم يقال لها ديليه ولما استولوا عليه أخذوه معهم الى كنيسة لهم بعبدون فيها اصنامهم فغرضوه لسخرية الناس به في يوم عيداهم يشهدون فيه معبودهم فقام شمشون فحرك منها عمودين كانا يمسكانها فسقطت الكنيسة عليه فمات هو وثلاثة آلاف رجل منهم ولم يزل امر بني اسرائيل في اختلال واستمر حالهم أسوأ حال وانتشرت فيهم عبادة الاوثان بدلا عن عبادة الله الواحد الديان قال في التوراة وصار كل واحد من بني اسرائيل يعمل بهواه وكان قد قام فيهم عالي الكاهن وقبض على زمام الولاية المدنية والدينية معا فلم يحصل من ذلك فائدة ولا عاد عليهم عائدة وكان لهذا الخبر الاعظم ولدان كان يميل ميلامفرط اليهما ويتغافل عن

قبائحهما فازدادت بهما المصائب الوطنية واشتدت منهن نواب المنة العبرانية حيث
 دنسا المكان المقدس وصرفا مال الصدقات الخيرية المبدولة للخدمة الالهية في غير
 مصارفها الشرعية ولذلك تكلمت فيهما العامة ولغظت في حقهما جميع الامة وكانت
 امرأة من بني اسرائيل من أهل المدينة المسماة باسم (رماته) في ذلك الاوان (قال صاحب
 مجمل البلدان ومشاهير أبناء الزمان السالف الذكر والبيان) «دهى وطن النبي شعوبيل
 ولعلها المعروفة بالرملة الآن» قد مكثت مدة طويلة وهي عاقرة فزرت ولدها وهو شعوبيل
 المذكور لخدمة الكاهن الاكبر في المحراب وكان هذا الطفل على الدوام والاستمرار لا يفتر
 عن الانذار اليه بأنه سينسكب وبه قد ولديه لقبادة سلوكهما وتمييزه عليهما فلم ينفع
 انذاره ومع ذلك فلم يتأخر أن تحقق بالغيب اخباره حيث اغار الفلسطينيون على بني
 اسرائيل اغارة جسيمة وظفروا بهم وغلبوهم في واقعة حربية عظيمة على القرب من المدينة
 التي كانت تسمى باسم (شيلوح) (بالشين المحجمة في أوله بليم اياه مثناة تحتية فلام فواغها مهلة
 في آخره) (قال صاحب مجمل البلدان السالف الذكر والبيان اعلاه مامناه) «دهى أول
 مدينة كانت قاعدة لمملكة بني اسرائيل بارض فلسطين بعد حضورهم من ديار مصر
 ودخولهم بالارض الموعودة أي أرض الكنعانيين في ذلك العصر» وقتلوا منهم ثلاثة آلاف
 رجل كان ابنا على الكاهن من جلتهم واستولى الفلسطينيون على تابوت العهد واصندوق
 التمامة السالف الذكر ولما بلغ على الكاهن ذلك الخبر سقط على ظهره فانهكسرت
 رأسه ومات كما ذكر بالتوراة

وبعد ذلك بزمن قليل تقلد شعوبيل وظيفة قاضي بني اسرائيل فكان أول ما تشبث به همته
 وتعلق به عنايته هو اعادة الديانة الالهية الى تمام حاله نقاوتها الاصلية فريساثر البلدان
 وانتقل الى مدن بني اسرائيل من مكان الى مكان وصار يعظهم ويوقظهم ويخطبهم وينذرهم
 بان يهربوا من بينهم كل اله غير الله فصالح حال الامة وانزاحت هنالك الغمة وعادت
 لما كان فيها من حب الوطن والشجاعة المليمة واغاروا على الفلسطينيين فاربوهم
 وقهرهم وظفروا بهم وغلبوهم واجبروهم على أن يردوا صندوق التمامة اليهم وكان
 وجوده عندهم سببا لمصائب كثيرة حلت بهم وانتشر شعوبيل الفرصة من عود السلم فيا بينهم
 قائم اصلاح حال الدين وتوثيق بني اسرائيل من توحيد الله سبحانه وتعالى على قدم اليقين
 وحدث في كثير من مدائنهم مدارس نبوية ومجالس وعظية لقصص كين العقائد
 الدينية وتحسين الاخلاق والعوائد الوطنية بواسطة اغاني كانوا يشدونها وكتب كانوا
 يكتبونها قال الاسقف بوسوه في تاريخه ما نصه «وقد كان الله سبحانه وتعالى ينزل على
 أنبياء بني اسرائيل رسالاته ويوحى اليهم بواضلائه على وجه مخصوص ويظهر لآعين

الإمامة صدق وحيه اليهم بهجيب مجزاه ويثبت قول انبيائه بغريب آياته ولكن كان أكثر بعينه للرسول والانبياء خصوصاً في ذلك العصر الذي كان قد كثرت فيه الفساد وكاد أن تنقلب فيه عبادة الاوثان على شريعة الله سبحانه وتعالى فكانت الانبياء في ذلك العصر تكثر في كل مكان من الزجر والتخويف من هيبته المولى جل جلاله وما كانوا قد عرفوه وشهدوا به من الحقيقة الدينية سواء كان ذلك بطريق الكتابة او الخطابة وبقيت كتبهم التي كانوا قد كتبوها بين ايدي سائر الناس محفوظة بغاية العناية تشهد لهم شهادة قوية عند أهل العصر الآتية (هـ)

وكان شجوريل قد أراد ان يحدث حادثه كبيره في ترتيب دولة بني اسرائيل لقصود زيادة تثبيت دولتهم وتوثيق عروه جماعتهم فشرع في جعل امامتهم العظمى وولاية امرهم العليا ورأيه في عائلته وباقيه مستمر في ذريته. لكن بغيره لم يتيسر فيهم من حب العدل والانصاف ما كان قد توفّر فيه فلما تقلدوا بالامر في ذلك العصر اغتروا من زهرة الدنيا بالحطام وصاروا يأخذون الرشا على الاحكام فقامت عليهم الامه العبرانية وحصلت فتنة داخلية وكان قد انضم لذلك ايضا التمديد من طرف الاعداء الاجنبية فلحق بجميع الناس من ذلك القلق وأراد بنو اسرائيل أن يقيموا عليهم ملكا ينظروا في امورهم ويقوم بتدبيرهم فقالوا لشعوريل احطنا ملكا يقضي بيننا ويدبر لنا كما سائر الامم امرنا فامتنع من ذلك أولا مستندم للاصل القديم المقتضى ان بني اسرائيل لا ملك لهم غير الله سبحانه وتعالى ثم لما أبوا الاجابة دعائهم والحوالي رجاؤهم اضطروا لاجابتهم وتوجه نظره الى شاب جميل الصورة ذي قوة متين من سبط بنيامين وهو (شاول) (بالشين المجهمة في اوله يليها الف واو مضموه فلام في آخره وهو المعروف ايضا باسم طالوت) (كافي تاريخ أبي الفدا) فبعاه به وقده ملكا عليهم بان افرغ على جبهتهم زاجه من الزيت وجمع الامه العبرانية بمدينة (مصفاط) وتلا عليهم خطبة لاهم فيها على ما لربكم يوه من المعاصي والكفر بالله سبحانه وتعالى حيث عدلوا عن اقتضاه ولى امرهم دون غيره ثم قال لهم دونكم ملسكم فانتخبوا شاول وأطالوت المذكورين وأقاموه ملكا عليهم وهو أول من تلقب بالملك منهم في (سنة ١٠٩٢ ق م)

الفصل الثالث

لتاريخ مملكة بني اسرائيل الاولى لغاية تفرق دولتين متعاصرتين وهما كتيين صغيرتين

مطلب - ذكر ملك شاول وأطالوت (من سنة ١٠٩٢ الى سنة ٩٥٢)
قال للتاريخ جيلان السالف المذكور واليبسان أعلاه ماتعريه أدناه ولم يكن ملك شاول

على الامة العبرانية وولايتهم على الامة الاسرائيلية غير ولاية جهادية وملكه عسكريه لا غير حيث بقي رئيس هذه الملكة الجديدة مدع مديدة تحت طاعة صاحب الولاية الدينية وهو شمويل واستمر شمويل على التصرف في ولاية امر بني اسرائيل السياسية وكتب شمويل بنفسه مودة ترتيب اساسي للمملكة سديد وشروط سير للدولة سياسي جديد ووضعه في الهيكل بمضمون انه طبقا لقانون بني اسرائيل القديم لا يقتضي لهم الجهاد الا في سبيل الله سبحانه وتعالى وان يوضع صندوق شهادتهم في وسط معسكرهم بحيث ينظرونه ليعاقلوا دونه وان لا يكون ملكهم الا عبادة عن قائد معسكر يحمل السلاح ليلذب عن الامة ويحمي حي الملكة وان لا يكون له ارباب دولة ولا مقر ملكة ثابت كسائر الملوك بل ينتقل من مكان الى مكان في اسباط بني اسرائيل حيث يأمره الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه شمويل عليه السلام الى آخر ما ذكره من الشروط والاجكام فقام شاول او طالوت المذكور في قيادة بني اسرائيل الى القتال باحسن تدبير وحقق آمال الامة فيه وصديق اعتمداهم عليه بما فاز به من عدة نصرات على اعدائهم وذلك ان ملك العمونيين المعمر باسم (نايال) كان قد غزاهم ووضع الحصار على مدينة (بيس) يجبال جلعا فجمع شاول من بني اسرائيل ثلاثة آلاف رجل وسار امامهم للجهاد فقاتل العمونيين وظفر بهم وانتصر عليهم نصر اتماما وغلبيهم فاجتمعت الامة العبرانية مرة ثانية بمدينة (جبلهالة) وسلموا عليه بلاك بني اسرائيل من جديد وهنأوه بهذا النصر السديد لكنه لم يستقر على الامتثال لاوامر النبي شمويل واراد ان يخرج عن ولايته فقلده نفسه بالولاية الدينية مع المرتبة للوكية وتصدى لما لا يعنيه مما يختص بوظائف الطائفة القيسية وكان الفلسطينيون قد عادوا ويجنود عديدة للغارة على ارض بني اسرائيل بالثاني فتولى شاول وكب تقرير القربان لله في الهيكل وكان من حق النبي شمويل ان يليه فانذره بان ملكه سيزول جزاءه على تعديه وان الله سبحانه وتعالى سيعطيه الى رجل آخر اصطفاه لذلك وارتضاه وكان ولد شاول المدهوب باسم (يوناناس) قد اشتهر بالشجاعة والاقدام وقرر اعلاوية القوم الاسرائيليين على سائر الامم الاخصام في واقعة جديدة وقعت لهم مع اعدائهم الفلسطينيين حيث تقاسر على ان اقنعهم وسط معسكرهم مع سائير ركابه وحده ففرق شمويلهم ومزق جمعهم وجاءه ابوهم فقتلهم لئلا يظفر بهم والغلبة عليهم وحكم باللعنة على كل من تناول طعما قبل ان تتم هزيمتهم وكان يوناناس لم يباقي هذا الخبر فأكل ما تبسر من العسل البري وراغ اياه ذلك فحكم عليه بالقتل فعارض في هذا الحكم بنو اسرائيل وصاحوا قائلين : ان من خلص اليوم بني اسرائيل من القوم لا ينبغي ان يقتل وان الله نعم بالله العظيم أن لا تسقط شعرة من رأسه حيث جاهد في سبيل الله الكريم وكان جميع هذا النصر والظفر باعداء بني اسرائيل قد اوجب لشاول كثيرا من الغفر وحسن

الذكر وبقي عايمم الاتقام من العمالة حيث كانوا قد عطلوا في سالف الامر سير العبرانيين عند حضورهم من مصر للتوطن بارض كنعان فتوجه مساؤل اليهم وشن الغارة عليهم بجيوش عظيمة من الاسرائيليين وهزمهم شرهزيمة واسر ملكهم المسمى باسم (اجاج) (بفتح الهمزة في أوله) وقتل العمالة عن آخرهم غير انه خالف أمر النبي شمو بل اذا كان قد أمره باستصالحهم وقطع دابرهم ففعا عن الملك اجاج المذكور ومن ثم تمت المقاطعة بين شاول وشمويل وتحكمت العداوة والبغضاء بين الرئيسين المذكورين فأنذره النبي شمويل بانه حينئذ يرفض أمر الله فقد رفضه الله وغضب عليه وازال الملك من يده وهجره شمويل وذهب الى قرية يدت لحم وقدس داود ملك كاعلى بنى اسرائيل وكان داود المذكور من قبل قد أظهر برهانه شجاعته واشهر عنوان جراته بالذب عن مواشيه من السباع والنور حيث كان راعيا يرعى غنم أبيه ولذلك كان قد اصاب شاول داء الخيول يا شدد يد كان اذا أفاق منه عمر بدو كان لا يسكن الا اذا جاء داود فضر به على عوده المشهور حتى أحبه الملك وحناء عليه وتيقن من ضرورته احتياجه اليه فعمره بكثير من النعم ورفاد رتبة سائس ركابه وهو لا يدري انه قد تنوج في السر بالملك بدلا عنه ولم يشبث أمر شجاعة داود وكل الثبوت الاجساد تنصرع احدا بظال الفلسطينيين المشهور باسم (جالوت) وقد كان هذا البطل لا يخسر رجل على منازاته او يقدم بطل على الذئبة ففلا عن مقاتلته فجاء داود ونازله وواقفه في حومة الميدان وقاله وليس معك سلاح غير مقلعه فقد ذى عليه بحجر فسقط ملقى على الارض فبادر اليه وبرك عليه فقطع رأسه ولما شاهد الفلسطينيون صرع أشهر فرسانهم وابطالهم وأكبر قتيانهم ورجالهم لم يستقر لهم قرار وبادروا بالفرار وتبعهم بنو اسرائيل الى حدمدينة (أكرون) (بفتح الهمزة والكاف في أوله) يلهم ساراء مهذلة مضمومة فواو فونون موحدة في آخره) من بلاد الفلسطينيين وغنموهم مواشيم وودابهم شيئا كثيرا ولما بلغ شاول هذا الخبر شرف داود بمسارحته وزوجه بابنته واحبه ولديه يوناتاس بحبة شديدة وصادقة مصادقة أكيدة وودعه وذل المنة بفض شجاعته ثم داخل قلب شاول الحسد لداود منذ سمع بنى اسرائيل يشبهون فضله وما حصل على يده من النصر ويقولون اذا كان شاول قد قتل من الفلسطينيين الفا فقد قتل داود من مائة عشرة آلاف ومن ذلك الوقت كان الملك قد أسره أشد البغض والمقت بل هو بأن يطعنه برمح وهو في مجلسه يضرب له بعوده ولم ينبج داود من كيد الال بالفرار وتكرره منه هذا الفعل عدة مرار ولم يزل داود مع تلك يستعطفه ويتصبر على جفاه ويعمل لذلك من انة عطف والتكرم كل جهده حتى تأنى شاول عن قتله ولم يتأخر الفلسطينيون ان عادوا بالكره على الاسرائيليين وتذكروا شاول كما هو نص التوراة «ولم يزل تلبس بالسر» فأتى امرأة كانت تخبر بالمغيبات بالمكن

الأرض التام ١٩٣ في التاريخ العام

المعنى في تلك العصور باسم (متدور) وأمرها أن تريح خيال النبي شيريل وكان قد توفي متذعرا من فظهوره في المنام شيريل عليه السلام ولم يزد عليه في معاصيه وانذرته بأن هو وبنيه يصيرون في غد في القبر في اوراق ونفس الامر انني أن انزل مسطيين كانوا قد شذوا النار على بني اسرائيل من فوق جبل جلاوتة من الفجر فقتل دناناس وخرج شاول وطعن نفسه بسيفه خشية أن يقتل بيد أعدائه فمات وبكمداود أشد البكا ورناء بأجل الرنا وعبر في قصيد عال له عا - اعتراض شذو - فأنسف لونه دناناس (في سنة ١٠٥٦ ق م)

مطلب - الكلام على ملك ارد عليه السلام (من سنة ١٠٥٦ الى سنة ١٠٦٦ اقم)
قال المؤرخ المذوق له اعلاه ما عر به اذناه واما ما سأل وولده برناتاس قام رجال سبط
يورد اولو اود اود ادا الكارته هج سائر اسباط بني اسرائيل الا يشربوش بن شاول (وضبطه
بالف مكو رذ في اوله بليم اياه شفاة فحقة نشين محجة ما كة فياهه ووحدة فواو فشين
محجة اخرى سا كد به ده تافه من اذ فو حية في آرد) فقامت بنه وبين داود حرب
استمرت سبع سنين حتى انتهت بقتل ايشربوش المذكور (في سنة ١٠٤٩ اقم) وبهذا
سنة شهر حضر من ايج بني اسرائيل عن داود مدينة حبرون واطاعوه واقر وهو ملكا على
سائر اسباط بني اسرائيل وكان له حينئذ من العمر سبع واثلاثون سنة من الدهر

وقد كانت أيام ملك داود عليه السلام هي في تاريخ "يهودا" الأيام إذ كانت مملكة بني اسرائيل في مدة عهد داود قد اتخذت في أمورها الداخلية وكانت اعلاوية سبط يهوذا قد تقررت على سائر الاسباط الاسرائيلية وكانت وبجاهة دولة اليهود في تلك الاوقات قد امتدت على سائر الامم المجاورين لها في الجهات الخارجية من شواطئ البحر الابيض المتوسط الى حد نهر الفرات ولم يبق عابهم لتكوين هيئة الامة الاسرائيلية وترتيب وحدة الملة العبرانية الا هاية بالطريقة القطعية الان يقطع وادبر بقايا الامم الكنعانيين الذين كانوا لمزوا يوجدون في أرض فلسطين ويستأصلوهم عن آخرهم بالكلية والجزئية وبذلك كان قد اتدأ مدة حكمه داود عليه السلام فمازل القوم المدهين باسم (الديسين) وهم اشجع الاقوام الكنعانيين الموجودين بتلك البلاد وقال لهم واخذ منهم قطعهم المعصاة باسم (يس) او (سالم) وهي التي نثأب في مكانها مدينة او رشام او بيت المقدس في ما بعد وجعلها مقر مملكته وقاعدة دولته من ذلك العهد

وكان الاقوام المعروفون في تلك الايام بالفاستينيين مجتمعين على سواحل البحر الابيض المتوسط (بحر سفيد) متحالفين بعضهم مع بعض ومتشبين في صورة حكومة جمهورية ذات شوكة قوية يعملون على ممر الاوقات والمخالفات على النظم اليهودية يأخذون منهم الجزية في

بأنك اليهود فلم يسع داود أن يستطيع لهذا العار وأراد أن يعتق قومه وابناء اوطانه من هذا الاسر والصغار قاتل هؤلاء الاقوام الشداد وجاهد هم اشد الجهاد واخذ منهم سائر البلاد المسمعة في ذلك الوقت باسم (جيت) من تلك البلاد وقتل كذلك المايين عن آخرهم واتم قطع دابرهم ومن نجا من الموت منهم وضع عليه الجزية وكان من جملة هؤلاء الاقوام قومان متوطنان في جهة الجنوب من بلاد الشام فيما بين الارض المسكونة بالفلسطينيين والمايين وهما القوم المعروفون بالعمالة والايديميون فقاتلهم داود وغلبهم واتصرع عليهم وقهرهم وكذلك فعل بالقوم المعروفين بالعموفين المتوطنين في جهة الشرق ببلاد عمان ولداعى جميع هذا النصر المتوار وحصول هذا النجاح المتكاثر كانت قد انعقدت عليه عصبية كبيرة دخل فيها جميع الامم الذين كانوا متوطنين بتلك الاوقات فيما بين نهرى الاردن والفرات فلم يفرع داود من عصبيتهم ولم يجزع من كثرة جماعتهم بل سار بنفسه اليهم وأقدم يقود جيوشه عليهم وناجزهم بالقتال وبارزهم بالترال فغلب جميع أعدائه واستولى على ما كان يوجد لهم في ذلك العصر من الممالك الصغيرة بدمشق وسوىة وحسن من بلاد الشام واستولى على القوم الايديميين حيث قتل بهم فأتلف حالهم وشدت شملهم بوادى الملح وبواسطة ما حصل له من جميع هذا النصر والنجح كان ملك داود عليه السلام قد امتد في ذلك العصر الى شواطى نهر الفرات وكان قد أخذ من فرع القوم الايديميين الثانى فرصتى آسيون جابر وابنة الكائنيتين من بلاد العرب على نهاية بوناز ايلام وأحدث طرق توصلات تجارية في ما بين ممالك البحر القلزم والبحر الاحمر وأقصى بلاد آسية وافر بقيه ثم قال المؤرخ المنقول عنه أعلاه بعد ذلك ما ملخص معناه ان داود عليه السلام لداعى ساكن قد وقع منه في اثناء هذه الاعمال الجيلة والفتوحات الجيلة من قصة احد قواد عساكرهسمى باسم (اوريا) وزوجته المسماة باسم (بيتسبا) المشهورة جسمها في الكتب المقدسة مذكورة وان كان من ذلك قد تاب وحسن منه المآب كان قد ابتلاه الله في آخر عمره بفتن أهلية وجازاه في دنياه ببعض إحن منزلية تكفير تلك الخطية وذلك أنه قد كان قبيح بأول ولدرزقه لمن زوجته المذكورة اذ كان قد مات ولم يتمتع له بحياة وبعد ان ولد له منها ولد آخر وهو سليمان عليه السلام كانت جميع عائلته قد داخلها بالفتن والفساد بارتكاب بعض بنيه للذنوب والاثام فتعدى ابنة الكبرى المدعو باسم (امنون) على أخته المسماة باسم (تمار) فقتله أخوها الآخر المدعو باسم (ابشليم) وخرج ابشليم عن طاعة أبيه ودخل تحت لواء عصيانه عشرة من اسباط بني اسرائيل حتى اضطر داود عليه الصلاة والسلام لان يخرج راجلا من مدينته اورشليم وخرج عليه أجداد قارب شاول

السمي باسم (سيمي) وضبطه (سبن) مهمة معالجة على يامشنة تحتية يليها ميم قباء مشنة تحتية بمدها ياه كذلك اخرى في آخره) وأساه هذا الرجل في أثناء هذه الهجرة المستعجلة وقذفه بالاحجار وأوسقه بالشتم واللعن والشنار ثم لحق داود من بقي على طاعته واجتهوا عاياه فعاد على رأس جيش يبلغ عشرين ألف مقاتل منهم وبارز عسكر الخوارج برؤاى اقرائهم فغلهم وقتل اباشور بن داود بيد (بواب) فائده عسكر اياه وفي آخر سنة من ملكه خرج عاياه ايضا ولده المسمى باسم (عادونياش) وكان داود عليه السلام قد عهد بالملك لاسماعيل ولده وقدسه بيده واقره ملكا باعتراف الامة له وتخلي عن عادونياش اصحابه المتعصبون له فدخل تحت طاعة ابيه وعفاه عنه ولم يعمر داود النبي الملك عليه السلام بعد هذه المصائب الموهلة مدة طويلة بل أدركته الوفاة فانت عاياه الصلاة والسلام بعد ان أوصى ابنه سماعيل بن بوصايا من أحكم الكلام وسلم يديه صورة معبد عهدينائه اليه وأمره بانشاء هيكل مشيد لعبادة الاله الحقيقي بأن يعبد وكانت وفاته في (سنة ١٠١٦ ق م) ولم يكن داود عليه السلام قد وضع اساس الصولة السياسية لدولة اليهود فقط بل كان قد اوثق عروته ترتيب مملكتهم واحكم قواعد دولتهم قال المؤرخ المدعو باسم (هيران) مانصه ولم يكن شاول الاعبار عن قائد عسكري فذأ أمر اليها هو الصادرة اليه بواسطة النبي شاول وليس له ارباب دولة معينة ولا دار ملكة تابعة ولم يكن بنو اسرائيل في عهد هذه الاقواما فلاحين واناسا على زراعة الارض ورعاية المواشي من مكنين لا ثروة لهم ولا مال ولا رفاهية عندهم ولا حسن حال ثم صاروا شيافشيا قوما اهل حرب وجهاد حتى جاء عهد داود عليه السلام فأصلح حال الملة بالكلية وغير هيئته ولاية الامم العمومية وجعل مدينة اورشليم دار مملكتهم وقاعدة دياتهم وأجرى احكام عبادة اليها هو بمثابة القدوة والتشديد وجعله يدين الملة الاسرائيلية ومذهب الامة العبرانية دون غيره من الاديان ونزعه عن شوائب عبادة الاصنام والاونان وأوسع دائرة المملكة اليهودية سعة كبيرة بما اجراه الله على يده من الفتوحات الكثيرة غير انه في أثناء مدته كان قد دب بالتدريج في تركيب اعضاء دولته ديبب صورة الحكومة المطلقة التصرف ونوع ما يعبر عنه في العرف بحكومة أهل القصر التي ظهرت نتائجها السياسية بما حصل في أواخر ايام داود عليه السلام من الفتن الاهلية والحروب الداخلية الناشئة عن خروج اولاده عن طاعته السلطانية (اه) قال المؤرخ جيلان المنقول عنه اعلاه مامعناه وفي الحقيقة ونفس الامر قد كانت النتائج الاصلية الناشئة عن مذمة ملك داود الشهير الذكر هي ان مدينة اورشليم صارت قاعدة المملكة السياسية ومركز الولاية الدينية ودار اقامة ملك بني اسرائيل وذلك ان داود كان قد شيد له قصرا فيها ووضع تابوت العهد على الجبل المسقى في ذلك العصر بجبل (موريا) منها وكان اقابته ذلك

الوقت بوضع في وسط معسكر بني اسرائيل متى أقاموا وورحلوا ويتنقل معهم حيث انتقلوا وكان ولده سليمان عليه السلام هو الذي توفق للبناء على ما قد كان اسمه والده من الاعمال الفخام وشيد لاله بني اسرائيل معبد يليق به يستحقه من اعلى المقام ولم يكن داود عليه السلام يعد فقط في عداد الرجال العظام الذين نظموا احوال الامم السياسية بأقن النظام والابطال الكرام الذين فازوا من فتوح الممالك بالسعد وبوغ المرام بل كان كذلك نبيا ملكا حيث كهن قد نظر في المستقبل واخبر وانبأ بالمغيبات واشهر في ضمن تأليفه بقلم عال ثم يفليس له مثال ماستصير اليه فيما بعد من العظمة والجلال مدينة القدس الجديدة التي ستشيد بعد على مكان مدينة اورشليم هذه التي كان هو قد بناها وكان اول من اختطها وانشاها

مطلب - ذكر ملك سليمان عليه السلام (من سنة ١٠١٦ الى سنة ٩٧٦ ق م) قال المؤرخ جيمان المنقول عنه - علاه مات عمره اثنائه ولما توفي داود عليه السلام لم يحلس سليمان بالسهولة على سرير المملوكة الاسرائيلية بل كان قد قام عليه بالثاني اخوه عادونياش فقتله سليمان ليصفوه سرير الملك من الشوائب التكريرة ثم التفت لتثبيت اقدامه عليه بمقدح الفات ومعايدات في الجهات الخارجية مع ملوك الممالك الاجنبية فتعاهد مع فرعون مصر وملك بلده ووالا الذين كانوا وحدين في ذلك العصر واراد ان يبدأ مدة حكمه بما تردنية لاحرية فرحل الى مدينة جبون وذبح فيها الف ذبيحة قربانا لله سبحانه وتعالى من اجوداته قرابين وكان سليمان احكم المملوك وانفسر السلاطين استولى بطريق السلم على جميع البلاد التي كان ابوهم قد انتحها وكانت طاعته تمتد في ذلك العصر من عتدنه انقرات اقابطة واحل بحر صيد تخوم وادي مصر وكان ملكا قديلا الجهاد فكانت ممالك الامم الذين كانوا امنكته بجواربين وقد عبرت التوراة عما كان حاصله في هذه بني اسرائيل من الراحة انتامة والمدة انعامه بهذا التعبير الجميل قائلة ان كل احد من عند ان اقوية يرسبا (يعني من شمال المملوكة الى جنوبها) كان يعبر تحت ظل كرمه ونبته في الرخاء والسرور (هـ) وانتز سليمان الفرصة من حالة هذه السلم وزعم على ان ينفذ ما كان قد اوصاه ابو به من القرض المهم وعو انشاء هيكل فخيم لعبادة الله الواحد الاحد بمدينة اورشليم وكانت محاطة مع مملكة الفنيقيين او الصوريين اي ملوك صور من بلاد الشام بتلك الايام قديسرت له وسائل هذا العمل العظيم هكذا (حرام) (بكم الحناء المهمة في اوله) تلك صور يبعث له من بلاده بالعمال والاشباب اللازمة لبناء هذا المذبح كور واقام سليمان سبع سنين ونصف سنة يبني في هذا الهيكل المشهور حتى اتي فيه بسائر انواع الرفاهية والفخر التي كانت تنبئ بيلاد المتعرق في تلك العصر وفي السنة الثامنة كان قد انعمه وأكمل عمارته ونحته وعقد موكبا قافلا وموسما

شاملا حضره جم غفير وقوم كثير من بني اسرائيل لقصد ايقافه على عبادة المولى الجليل ووضع تابوت العهد اوصندوق الشهادته في المكان الاقدس وهو مكان لا يصل اليه احد اشارة الى استعالة الاحاطة بجلال الله سبحانه وتعالى وأول هذا الموسم في ذلك اليوم الى الامة بتمامها باثنين وعشرين ألف ثور من البقر ومائة وعشرين أفا من الغنم قال المؤرخ يوسوف وحرم سليمان التضحية لله سبحانه وتعالى في غير الهيكل المقدس اشارة الى اظهار وحدانيته بديل وجهه معبدته (٥١) .

ثم قال المؤرخ جيلمان المذكور ما هو بعد مسطور وبعد ان شيد سليمان لله معبدا واحدا لتوحيد معبده مسجد جدد لنفسه قصرا وانشأ حول مدينة اورشليم سورا وسبع عدة مدائن قديمة واخط مدائن اخرى جديدة عظيمة منها مدينة اشار ومجدلة وتدمر الشهيرة وقد كانت تجمع القوافل التجارية التي كانت في تلك الايام تتردد بين بابل العراق ودمشق الشام وكان سليمان عليه السلام قد بلغ من الشوكة الى أكثر مما بلغه أبوه فيه بمجرد ذكر اسمه وشهرته وسير جاده وهيبته كان قد ادخل تحت طاعته من كان قد بقي على بعض استقلال من الاقوام الكنعانيين كالحويين والهيثيين والعموريين وهم الذين كان يستعملهم في بناء العمارات الكبيرة التي كان قد انشأها في سائر بلاد مملكته بخلاف رعاياه العبرانيين حيث كان قد اختصهم بالجهاد والاستعمال على ولاية البلاد وكان قد رتب المملكة في أيامه ترتيبا جديدا ونظمهاته نظاما سديدا فقسمه الى اثنتي عشرة عمالة جعل على كل عمالة منها عاملا من طرفه يجي له خراجها قال في التوراة ما نصه : وكان قد لزمهم بيعت كل ما يلزم لسفرته وسائر اهل داره وحاشيته من روائب المائنة كل عامل منهم شهر من السنة (٥٢) وكان قد نظم الجفود ظما جديدا وبلغت طائفة العساكر الخيالة في أيامه وحسدها الى أكثر من ستين الفا وكانت هذه الدرجة من القوة العسكرية تورث باضرورة في قلوب الامم المجاورين المهابة والاحترام وتحشدت عندهم الخوف والاعظام ولذلك كانت تفد عليه الملوك من سائر الاقطار ليلقوا اليه مقاييد الطاعة والهدايا وسعت لهم أنهي بلاد العرب (بلقيس) ملكة سبأ مع جم غفير من قومه باحتفال كبير لنتظره هذا الملك الشهير في جميع بلاد المشرق بالحكمة والنسب وكان التجارة في تلك الايام تدبغت الى مقدار جسيم بحيث تزداد بها ثروة الامة على الدوام وكانت اساطيل سليمان عليه السلام تنضم الى اساطيل الملك حرام ملك بلاد صور وتساقر الى فرضتي اوقير وطرسيين من سواحل بلاد العرب المجاورة لخليج فارس والسواحل بلاد الحبانية والاندلس فتأتي بالذهب والفضة وسن الغنم وغير ذلك ما هو من هذا القبيل وبالجملة والتفصيل فان هذا الملك الكبير كما هو بنص عبارة التوراة مذكور كان الفضة في زمانه بمدينة اورشليم من

حيث كثرة الوجود كالأحجار وكان نوع الشجر المغز وفالآن (بارزلبان) كالجزير الذي
 بنيت في الفلوات ، (هـ) ثم قال المؤرخ المنقول عنه أعلاه بعد ذلك ما لخصه أدناه
 ولكن سليمان عليه السلام كان في وسط هذه السعادة الباهرة والباطنة الزاهرة قد علق
 عدة نساء اجنبيات من الاقوام الكنعانيين من ماب وعمون وايدومة وصيدا وبلاد الهيثيين
 وتزوج بهن له زوجات وتسرى بعدة جواري وسريات من غير قومه العبرانيين وأباح في
 ملكه عبادة الاصنام على خلاف نص التوراة وشريعة موسى عليه السلام اذ قيل فيها
 خطايا لبني اسرائيل في حق جميع هؤلاء الامم المذكورين ولا تنكحوا نساء هذه البلاد ولا
 تقبلوا البنات تحكما أزواجاً من رجالهم حيث يفسدون قلوبكم فتعبدوا الهتهم ، (هـ)
 فغضب لذلك بعض بني اسرائيل أشد الغضب وأوجب ذلك إيغار صدورهم عليه فتحملوه
 وخوفوه فلم يصع لهم صيحتهم ولم يكثرث باخاتهم حتى رأى سوء عاقبة هذا الامر قبل أن
 ينزل القهر حيث ذهب الرجل المسمى باسم عازر من القوم الايدوميين وآثار فرعون مصر
 على الاسرائيليين وخرج عن الطاعة آخر يدعى باسم (صين) واستبد بالامر في دمشق
 الشام وقوم عليه الاسباط (بريم) بن نوبات من سبط افرائيم فجهاز بذلك تفرق بني
 اسرائيل الى فرقتين وتقسم ملكتهم الى مملكتين وأذن لها بالخراب وذات البين وقد كان
 ير بم هذارجلانيها وانسانا حذافا وجيها فاجذب اليه نظر سليمان والتفت اليه بغنايته
 حتى أناط اليه منصباً في جملة أهل دولته ثم انبأ النبي عبدias من أنبياء بني اسرائيل بان
 هذا الرجل سيتولى ملك عشرة أسباط من مملكته فارادسليمان أن يقتله فهرب الى ديار
 مصر وأقام بها الى أن توفي سليمان بعد ذلك بقليل (في سنة ٩٧٦ ق م) وكان قد عملا
 مدة أربعين سنة على بني اسرائيل

قال بعض أهل التواريخ ، وكانت حكمة سليمان عليه السلام قد فاقت حكمة جميع المشركين
 وسائر المصريين وكان أعقل جميع العالمين قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في هذا المكان
 من مختصر تاريخ القوم اليهود والسالف الذكروا البيان (أي قبل ان يقع منه ما وقع من الخطا
 كالايحفي) وكانت شهرته قد انتشرت عند سائر الامم المجاورين وكان قد صنف ثلاثة آلاف
 مثل أو حكمة وأنشأ خمسة آلاف قصيدة لتهمجيد الله سبحانه وتعالى وتكلم في علم التواريخ
 الطبيعية على سائر الاشجار من اربانان اغاية النيات المعروفة في لغة العرب باسم الزوا
 والشمسية الذي ينبت بجوار الحيطان وتكلم على سائر أنواع الحيوان التي توجد على ظهر
 الارض وسائر الطيور والحوام والاسماك التي تعيش في البحر ، (انتمى كلام بعض
 المؤرخين) قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه أعلاه ما غناه وقد ضاعت كتبه هذه كلها
 ولم يبق منها غير التأليف المعروف بعنوان أمثال سليمان وهو عبارة عن مجموع حكم
 ومواظم والتصنيف المعروف باسم (الاكليز ياست) أو كتاب حكمة سليمان وهو كتاب

نظرفه بين الحقيقة الى جميع الاحوال النبوية والذات البشرية وقدرها بقدر قيمتها
الاصلية واستتج فيه من ذلك هذه النتيجة الحلية وهي ان كل شيء باطل وكل
نعم زائل واليه ينسب ايضا ما يعرف في التوراة بما معناه نشيد النشيد أو قصيد القصيد
وهو عبارة عن تسبيح وتمجيد وثناء على الله جل جلاله بما هو أهله من الشكر والحمد
مطلب — ذكر اعتزال الاسباط العشرة عن سائر مله اليهود وخروجهم عن دولة آل داود
قال المؤرخ المذكور ما تعريبه بعد بسطور وقد كانت مدة ملك داود وسلطان هي أعلى
درجة بلغها الامة العبرانية من الفخار والشوكة السياسية غير ان ذات تلك السعادة العالية
وما كان هذان الماكان قد أحدثا في أحوال اهل دولتهم من العوائد السلطانية والظنونة
الملكية وسعة المخالطات التجارية مع الدول الاجنبية والممالك الخارجية المجاورة لهما
لزم بالضرورة أن يرتد بأسوأ المضرة على أحوال المملكة الداخلية وبعود بالفسدة على
الاحلاق والعوائد الاعلية والقائد الملية ولذلك كانت قد ضعفت مادة الدين التي هي
الجامعة الوحيدة والرابطة الفريدة بين الاسرائيليين بما داخل عقائدهم في عهد سليمان
من عبادة الالوان وكانت مملكتهم ولو بلغت ما بلغت من الشوكة الدولية والهيبة السياسية
في عهد هذين الملكين الاخيرين قد عجزت عن تأسيس وحدة الامة العبرانية وضعفت
عن تقرير اعلى سبط يهودا على سائر الاسباط الاسرائيلية وكانت قد ظهرت علامات
الفن الاهلية وبدت اشارات النحن الداخلية في أواخر ملك سليمان بذلك الزمان وكان قد
قام فيهم النبي عدياس فأندس سليمان مع غاية التوضيح والبيان بتفرق ملكه واخبره مع نهاية
التدريج والتبيان بتعزق ملكه وكان ما جرى اليه الحال من صرف المصاريف الجسيمة
في العمارات العظيمة والاعمال الفخيمة بمدة هذا العهد الاخير قد تم تعجيز بني اسرائيل
لتفرق أهل الشمال عن أهل الجنوب منهم وأوجب بالفعل تفرق جماعتهم الى جماعتين وتفرق
شميل دولتهم الى دولتين وهذا هو ما يعبر عنه في عرف المؤرخين باعتزال الاسباط العشرة
المعبر عنهم بمملكة بني اسرائيل في مقابلة مملكة يهودا وبنيامين (قال أبو الفدا في هذا الموضع
من تاريخه) واقتربت حينئذ مملكة بني اسرائيل واستقر لولد داود الملك على السبطين فقط
اعني سبطي يهودا وبنيامين وصار للاسباط العشرة ملوك تعرف بملوك الاسباط واستمر
الحال على ذلك نحو ٢٦ سنة وكانت ولد سليمان في بني اسرائيل بمثلة الخلفاء الاسلام
لانهم أهل الولاية (يعني الحقيقة) وكانت ملوك الاسباط مثل ملوك الاطراف والخوارج
وارتحلت الاسباط الى جهات فلسطين وغيرها بالشام واستقر ولد داود يبيت المقدس (اه)
(رجع لنقل من التاريخ القديم للأورخ جيلمان)
قال المؤرخ جيلمان المذكور أعلاه ما معناه وتفصيل ذلك انه بمجرد ان توفي سليمان عليه السلام

كان قد قام بعده على الفور زابنه (رحيم) وذهب الى مدينة سيشام أوناباس اذ كان قد اجتمع
 فيما سائر بني اسرائيل ليدلوه ملكا عليهم وكان رئيسهم يرهم المذكور آنفا قد وافقوا عليه وان يحط
 عنهم بعض ما كان أبو سليمان قد كافهم به من كثرة الضرائب عليهم فامتنع من ذلك واغفل
 لهم ابواب فقال بنو اسرائيل بعضهم لبعض كما هو نص التوراة وما لنا ولا كل داود يابني
 اهل اسرائيل قوه والى خيامكم وتداركوا انتم يا بني داود الآن نفقة يقيمكم وقام جميع بني
 اسرائيل وبنو اوثام يوم ثامن رجب من سنة ثمان مائة واربعة عشر (عاشورام) لجمع هذا
 القيام فوجوه بالاجار حتى مات وقهرج كثر الخيام وثنى الملك على نفسه منهم فارد اربا الى
 اورشليم وخرج عن طاعته عشرة أسباط من الامراتيين وهم ما عدا اسباط يهودا وبنيامين
 حيث بقا على طاعته وتركب منهم واحد من اقوام ملكته وبابيع الاسباط العشرة
 الملك كورون بالملك عليهم يرهم الآخر المذكور وهكذا انقسمت مملكة اليهود بالشام الى
 مملكتين وتفرقت دولتهم الى دولتين واخفى الامر (وصار الامر بالتعبير بلفظ مملكة بني
 اسرائيل هو فقط جماعة هؤلاء القبائل العشرة) وقد كانت اوسع ارضا ومكانا وأكثر عمرا
 ومكانا من مملكة يهودا وان كانت هذه المملكة الاخرى أكثر منها ثروة وسارا واكبر
 حرمة واعتبارا لادامته بقي فيم الاستيلاء على تابوت العهد اوصندوق الشهادة ووضع
 يدها على البيت المقدس وكان جميع العبرانيين يحجون اليه في كل عام ويتسكعون ويحبل
 اعتقاد حرمة يشبثون ويتمسكون ويقرنون قرايينهم في معبد الياهو الاقدس فخشي
 يرهم ملك بني اسرائيل أن يرغب الحجاج من رعيته في المقام بمملكة يهودا ليعاث الدين ولذلك
 احدث حرمين آخرين بمدينة يثيل ودان من بلاد العبرانيين في ذلك الزمان ووضع لهم فيهما
 الاوثان ورتب لهما كهنة مخصوصين واحبارا قسيسين من غير اليهوديين وأمر رعاياه
 أن يحجوا اليهما ويقرنوا قرايينهم فيهما خلافا لشرعية موسى عليه السلام فساد ذلك الخلاف
 على احداث عبادة الاصنام في بني اسرائيل وتفرقت فيهم عداوة المخالطات بين اهلوكهم ومملكة
 السوربين (أي اهل الشام) وأمام مملكة يهودا فقد كانت أصح تنسكا وأكثر اعتقادا تنسكا
 بشرعية موسى عليه السلام ومع ذلك فكانت قد اخلتهم ايضا شائبة عبادة الاصنام واحتاج
 الحال غير مرة لقصد تزيينهم عنها وابعادهم عنها لان بعث فيهم رسل في ذلك العصر يخوفون
 الرعايا والملوك سوء عاقبة هذا السلوك ويعدونهم في الدار الاخرة اذا اطاعوا الامرا احسن
 حال في الاستقبال وانه سيبعث فيهم مسيح يهدي العالم بتمامه الى الدين الصحيح الذي جاءت
 به شريعة موسى عليه السلام

وبما ترتب على تفرق مملكة العبرانيين الى مملكتين وجوا ليه تفرق شمل دولتهم الى دولتين
 ان اضمحلت قوتهم وضعفت شوكتهم الى درجة طيفة جدا اذ كانت حدود مملكتهم في عهد

داود قد انتصرت منذ تفرق جماعتهم في مجرد بلاد فلسطين وصاروا بالاعداء الاجانب من كل جانب محاطين والتفتوا الى محاربة بعضهم بعضا وحصل فيما بينهم حروب داخلية شديدة زادت ضعف قوتهم وقامت فيهم فتن اقليمية عنيدة اذهبت بقية شوكتهم وجهزتهم لاستيلاء البابليين عليهم واسترقاقهم لهم وهو المعبر عنه بالامر الاكبر عندهم وكذلك اضعفت يدهم الطولى وزالت دولتهم الاولى غير ان هذا الزوال كان بطيئا حيث مكثت مملكة بني اسرائيل مدة ٢٥٥ سنة فقط وهي بحالة الاختلال الويليل وسقطت مملكة يهوذا بعد مدة ٣٨٩ سنة وهي كذلك على اسوأ حال من هذا القبيل

الفصل الرابع

في تاريخ دولة العبرانيين بعد تفرقها الى دولتين وذكروا ملوكهم بعد انقسامها الى مملكتين مقيزتين

مطلب — ذكر ملوك مملكة بني اسرائيل ويهودا من بعد تفرقهما وبيان أحوالهما بعد تفرقهما (من سنة ٩٧٦ الى سنة ٧٢١ ق م)

قال المؤرخ جيلمان السالف الذكر والبيان أعلاه ما معناه وقد قام ير بعهم على مملكة بني اسرائيل عشرين سنة لا فخر له ولا حسن ذكر خيرا انه قد كان أول من ادخل فيهم وبالمثال ندخل الاغراب في منازلهم الاهلية واول داع للملوك الاجانب لفقدت وسطهم في أمورهم الداخلية حيث دعا فرعون مصر المشهور باسم (شيشاق) في ذلك العصر لمداده على ملك يهودا ثم ملك عليهم بعده ولده المدعو باسم (نوذب) بالذال المعجمة في وسطه (في سنة ٩٥٥ ق م)

ولم يكن رحيم بن سليمان في مملكة يهودا بالنسبة لدين آباءه باحسن من ير بعهم سلوكا حيث اقام كذلك الاصنام للعبادة ببلاده فوق سائر الجبال المرتفعة وتحت جميع الادواح بمعنى الاشجار الملتفة وفي السنة الخامسة من ملكه كان قد حضر فرعون مصر السالف الذكر الى البيت المقدس واستولى عليه واخر به وانتهب كل ما يوجد في خزانته من المتاع الانفس واغتصب خزان الملك واخذ الدروع التي كان سليمان عليه السلام قد اصطنعها من الذهب وعاد الى بلاده بالثاني بغنائم كثيرة جدا

وتلك على مملكة السبطير بعد رحيم بن سليمان (في سنة ٩٥٩ ق م) ابنه المعمر باسم (افيا) (بفتح المعجمة وكسر الفاء الموحدة واشديد الياء المثناة من تحتها ياء الف في آخره) فسار كسيرة ابيه في ملكته ووشى على قاعدته وحارب ير بعهم ملك باقى الاسباط فهزمه ثم تولى بعده ابنه المدعو باسم (آءا) (من سنة ٩٥٦ الى سنة ٨٩٥ ق م) فنظف

بيت المقدس مما حكان آباؤه قد وضعوه فيه من الاصنام وحارب الملك المسمى باسم (زاره) ملك الحبشة أو اليتوبية فانتصر عليه وغلبه ثم تعاهد مع الملك (ريناداد) ملك سورية على الملك (يعشو) ملك الاسباط فاغار ريناداد المذكور على المملكة بني اسرائيل ولم يتعد على ملكة يهودا توفي آسابعان حكم ملكة يهودا مدة احدى وأربعين سنة

وكان قد تولى ملكة الاسباط في مدة هؤلاء الملوك الثلاثة ستة ملوك كلهم اشتمروا بالكفر وقبح السلوك منهم (نوب) المذكور آنفا وهو ابن برعم فاقام في المنحكة الامرائيلية اكثر من سنتين (اعني من سنة ٩٥٥ الى سنة ٩٥٣ ق م) ثم قتله (يعشو) وجلس على تخت الملك بدلا عنه (من سنة ٩٥٣ الى سنة ٩٣١ ق م) وكان الملك يعشو هذا الاجل تثبيت اقدامه في الحكم قد قتل جميع ذرية برعم فجاء أحد تواد عسكره الحية التي تسمى باسم (زمرى) (بفتح الزاى) المجهمة يليهم فراه مهلة فياه مشاة تحمية ساكنة في آخره) وقام على ولده الذي تقلد بالملك من بعده المدعو باسم (ابلا) فقتله هو وسائر ذريته واستولى على كرسى ملكته ولم يتمتع هذا الملك أيضا الا بأما قليل ثمرة عظيم جفخته حيث قامت الجنود فولت على المملكة بدلا عنه أحد قوادهم المدعو باسم (عري) (بفتح العين) المهلة يليهم فراه مهلة فياه مشاة تحمية ساكنة في آخره) وجاء عمرى فحصر زمرى في مدينة (طرشة) التي كانت قاعدة ملكة بني اسرائيل في عهد ذلك الجيل ولما رأى زمرى انه هالك يدا اعدائه بالضرورة اشعل النار في قصره فحرق نفسه وسائر اهل داره وهكذا صار عمرى ملك بني اسرائيل في مكان زمرى فاقام على كرسى المملكة المذكورة احدى عشرة سنة (من سنة ٩٣٠ الى سنة ٩١٩ ق م) منها ست سنوات بمدينة طرشة المذكورة ثم اشترى جبل سمريه بمبلغ مائة تالان (وهو مقدار وزن معبر من الذهب أو الفضة يختلف بحسب اختلاف البلدان في سالف الزمان) وحدث فيه المدينة المشهورة باسم (سمريه) وخلفه فيها ابنه المسمى باسم (احوب) (بتسميل الواو أو بالهمز عليم في وسطه) (من سنة ٩١٩ الى سنة ٨٩٦ ق م) فكان شر من آبيه واقبح من سائر سالفه حيث تزوج بجانية الملك المسمى باسم (ايتبعل) ملك صور المسماة باسم (هازايل) وحدث في قاعدة ملكته هذه عبادة صنم الصور بين المدعو باسم (بعل) وبني له فيها معبد المناظرة بيت المقدس الذي هو معبد الله عز وجل

وكان في اثناء تلك المدة قد تولى ملكة يهودا (يهوشافاط) بن آسا (وضبطه بفتح الياء المذمومة) من تحتها وضم الهاء وسكون الواو وفتح الشين المجهمة بعدها الف ثم فاء فالف أخرى بعدها طاء ههلا في آخره) فاقام عايبا (من سنة ٩١٥ الى سنة ٨٩١ ق م)

وكان يهوشافاط من أدين ملوك العبرانيين واحسن ولاة أمور الاسرائيليين ابتدى مدة ولايته باصلاح أمر الدين في سائر أهل مملكته وفي أيامه كان الديويون أى احبار اليهود من بني لوى بن يةقوب عليه السلام يسافرون من مدينة الى اخرى ويعظون الناس لقصد أن يعيدوا فيهم العقيدة الدينية الاولى وانتصر يهوشافاط على العموريين والمابين ومنع مملكته من صائفة العرب والفلسطينيين وأعاد لمملكة يهودا ما كانت قد فقدته من البهجة القديمة والصولة العظيمة وعقد محابقة أكيدة ومحبة شديدة مع احثوب بن عمري ملك بني اسرائيل حيث تزوج ابنة الملك المذكور المسماة باسم (عئليا هو) المرزوقة له من (هازايل) بنت ملك العموريين بولده المدعو باسم (يهورام) واجتمع مع ملك بني اسرائيل على تجهيز أسطول عظيم في فرضة آسيون جابر على بحر القلزم لقصد الانتفاع كالفنيقيين بالتجارة على البحر الاحمر وسواجل غرب افر بقية غير ان هذا المشروع لم ينجح ولعل الفنيةيين هم الذين عطلوه وابطأوه فلم ينجح خشية مزاجتهم على مواد تجارتهم وفي أيامه كان قد وقع في مملكة بني اسرائيل حادثة عظيمة أفنت كثير من الامة العبرانية مدة ثلاث سنوات متوالية ورأى الملك احثوب ان السبب في وقوع هذا المأذاهية انما هو النبي ايليا فابعده الى الصحراء طرده فعاد اليه مرة أخرى لابطال حجة قسس الصنم المسمى باسم (بعل) السالف الذكر وثانية لانذار هذا الملك وزوجته المذكورة أعلاه بما سيوقعه الله سبحانه وتعالى بهما من العقاب في نظيرة قتلهما (رجل فقير اسمه (نابوت) واستيلائهما على بستان كرم كان له في الواقع ونفس الامر لم يأت أخر احثوب السالف الذكر ان أصيب بهم توجه اليه بالصدقة فقتله في حرب قامت بينه وبين ملك سورية وقام بمملكة بني اسرائيل من بعده ولده المدعو باسم (احزيو) (بالف مفتوحة في اوله يليم اساءهه - ملة ساكنة فزاي مجسمة مكسورة فياء مئةاة تحتية فواوسا كنة في آخره) (في سنة ٨٩٢ ق م) فلم يملك على سرير المملكة غير نحو سنتين وكان شر من أبيه وامه المذكورين حيث عبد الصنم المدعو باسم (بعل) المذكور واعتراه مرض فبعث يستشير الصنم المسمى باسم (بلزوت) المعبود بمدينة (اكرون) قال في التوراة مانصه وه وكان له لم يكن اله اجنى اسرائيل ثم مات وخلفه على مملكة بني اسرائيل اخوه المسمى باسم (يهورام) (بفتح الياء المنةاة التحتية في اوله) (في سنة ٨٩٥ ق م) وكان قد تولى مملكة يهودا الملك المسمى ايضا باسم (يهورام) بن يهوشافاط (في سنة ٨٩١ ق م) وضبطه بفتح الياء المنةاة التحتية وضم الهاء وسكون الواو بايم اراههه ملة فالف فيم في آخره) قتل سائر اخوته واصدقاء أبيه وأهل دولته وفدت اخلاقه بدسية زوجته (عئليا هو) المذكورة أعلاه فاقبدي بملوك دولة بني اسرائيل في عبادة الاصنام وهزم القوم الايدوميين وكانوا قد خرجوا عليه مملكة لم يملكه ان يدخلهم تحت طاعته بالثاني وهزمه الفلسطينيين

والعرب واخذوا من يده مدينة اورشليم واتهبوها وهتكوا حرمتها واستلبوها ثمرات يمد ان اقام على سرير المملكة سبع سنوات (في سنة ٨٨٤) وخلفه عليه ابنه المسمى باسم (احزياهو) (وضبطه بفتح الحززة والحاء المهملة وسكون الزاى المعجمة ثم ياء مشناة من تحتها بليها الف هاء فواو فى آخره) فلم يمك غير سنة واحدة وقتل فى ضمن مقتلة بنى احوب حسبما سأتى ذكره بعد

وتقلد بمملكة بنى اسرائيل من بعده اخوه يهورام بن احوب فقام عليه ونخرج عن طاعته كان يدفع له الجزية من ملوك الامم المجاورين له لمملكته وباتحاده مع يوشافاط ملك يهوذا واعانة ملك ايدود تمت له الغلبة على ملك السابين واسمه (ميسا) وجسع يدفع له الجزية بالثانى وفى ايامه كانت حادثة القحط الذى اكلت فيه امرأة ولدها رجلا حزيل ملك سدور بقتله فى مدينته سمرية التى هى قاعدة مملكته ثم حصل لجندوه فرغ فتركوا الحصار واقتدي يهورام المذكور مع اخزياهو ملك يهوذا على حصار مدينة راموت جلعه ادا لا ستردادها من يده ملك الشام فاصاب يهورام بجراح فى اثناء هذا الحصار فعاد الى بلاده ليعالج جراحه وفى اثناء ذلك كان قد قام رجل اسمه (ياهو) ونقدس ملكا على بنى اسرائيل فى وسط المعسكر واقره سائر العسكر وخرج ياهو على يهورام فقتله بهمهم اصابه فى فخاه وهو مدبر (فى سنة ٨٨٣ ق م) وكذلك قتل اخزياهو ملك يهوذا وذهب الى قصر الملكة هازاييل بمدينة يسرائيل ورأى امرأة متبرجة وهى باجل الزينة متبرجة تنظر من شبك فضر بها بسهم اصاب مقتله افاقتلها واسقطها من شبك القصر وامر بها فانداس تحت سنابك الخيل واذا هى هازاييل حماة يهورام السالفة الذكر ولما اراد ادفنهم لم يجدوا من جثتها غير بقية رجل يم او يديهم اجمعتمتها وأكلت سائرها الكلاب وبذلك تحقق نبال النبى ايليا واستقصى بالقتل سائر اولاد احوب وجميع أصحابه وأهل دولته مع قس الصن المعروف باسم (بعل) وكل من بقى من ذريته وهدم هيكل الصن المذكور ومع ذلك فلم يمتد (ياهو) المذكور الى سبيل المولى جل جلاله بل استمر على عبادة الجول المخذلة من الذهب التى كانت بمدينة تيقيل ودان وكان غديره هاب عند الملوك الاغراب اذ كان قد حارب به حزيل ملك الشام فهزموه وزرق جيوشه واخرى سائر بلاد جاء ادو بازان من بلاده ثم مات وخلفه على سرير مملكة بنى اسرائيل ولده المدعو باسم (يهو يا حاز) فى (سنة ٨٥٥ ق م)

وفى تلك المدة كانت مملكة يهوذا قد استغرقت فى سفك الدماء بطغيان المرأة المشهورة باسم (عئليا هو) التى هى أرملة الملك يهورام السالفة الذكر وذلك انه بوفاة ولدها المدعو باسم (احزياهو) المذكور انفا كانت هذه المرأة الطاغية والمملكة الباغية قد تنبعت جميع بنى داود فافتقروا لهم ولم يسل منهم غير طفل واحد يدعى باسم (يوأش) بن اخزياهو (وضبطه بضم الياء المعجمة

التهتية ياهاواوعلهم اهزمة مفتوحة فالف فشن مجمة في آخره) وكانت قد اخفته عنها مرضعته وهى عته المسماة باسم (يوشايت) زوجة الحبر الاعظم المسمى باسم (جويده) (بشديد الياء المثناة التهتية في وسطه) وخبأته في داخل هيكل بيت المقدس مدة ست سنوات وكانت عثليها هو المذ كورة قد استولت على مملكة يهودا تلك المدة واقامت في مدينة أورشليم عبادة الاصنام بدلا عن عبادة الله الحقيقي بالعبادة والتعظيم وفي السنة السابعة جمع الحبر الاعظم في داخل الهيكل المعظم طائفة الديوبين وقواد الجنود العبرانيين وأخبرهم بأنه قد بقي طفل صغير من ولد داود الذين هم أهل الولاية الحقيقية وهو يؤاش بن اخريو وأخذ عليهم العهد بعبادته والذب عنه ولما بلغ عثليا هو هذا الخبر اسرعت بالتوجه اليه لتقتله وتغضى عليه - فارسل الحبر الاعظم من يادو بقتلها فماتت ولم تبلغ أمها وانماست جثمتا تحت سنابل الحنيل كما وقع اهازايل التي هى أمها وهرعت الامم الاسرائيلية الى داخل معبد الصنم المدعو باسم (بعزل) فهذه وامحرا به وعملوا بالاف قتله وصورته وقتلوا كاهنه المسمى باسم (مائان) في ذات المحراب المعقل بعبادته (في سنة ٨٧٧ ق م) وحكم يؤاش ملك يهودا من غير منازع ولا منغص بارشاد الحبر الاعظم المذ كورأنا مادام بقيد الحياة فلما طوته الوفاة طغى يؤاش وبنى وقباز الحدي في القدر حتى قتل ولد الحبر الاعظم المسمى باسم زكر يا في ذات دهليز الهيكل المحترم فصاح المقتول وهو يجود بنفسه قائلا مامعنا «وان الله ينظرالى» وسينقم لى « قال المؤرخ المروى عنه أعلاه وفي الواقع ونفس الامر كان حزيل ملك سورية قد أغار على بيت المقدس واستولى عليه وسفك كثيرا من الدماء فيه و بعد ذلك بقليل صار يؤاش محتقرا في أعين سائر بني اسرائيل فقتله اثنان من أرباب دولته (في سنة ٧٣٧ ق م) وكان قد أقام على سرير المملكة الاسرائيلية مدة أربعين سنة وملك بعده ابنة المدعو باسم (امصياهو) (بفتح الحزرة والميم وسكون الصاد المهملة يليها مثناة من تحتها فالف فهاء فواو في آخره) وانهض نصرته عظمة على القوم الايديوميين بواى المخرج حاربه صاحب مملكة بني اسرائيل المدعو كذلك باسم يؤاش فهزموه وازاله عن ملكه وعزله واستولى على مدينة بيت المقدس وضمها الى مملكته ثم استرد امصياهو سرير ملكه اليه بالثانى لكنه لم يلبث فيه الا قليلا حيث قامت عليه فتنة الجبائنة للهروب الى المدينة المسماة باسم (لاكى) وبها قتل (في سنة ٨٠٨ ق م)

وتقلد بملكية يهودا ونده المسمى باسم (عز باهو) (بضم العين المهملة وتشديد الزاى المهملة يليها مثناة من تحتها فالف فهاء فواو في آخره) فاسترد قاعة الملا واحاطها باحكام التعصين وهزم العمونيين والفلسطينيين ومن ثم داخله الكبر فتعدى على ما هو من حق صاحب الرياسة الدينية وأراد أن يباشر بنفسه ايقاد المظب على محراب العطر في القدس

الشريف فلقحه البرص ووضف أمره في آخر عمره وحبس عن سائر الناس على فغامة قدره بمقتضى شريعة موسى عليه السلام في مكان منعزل عن سائر الأنام قضى فيه باقى حياته وهو في آنكس كد عيش من الأيام وفي عصره كان النبي أشعيا وكان أكثرتبشيره بقرب ميلاد المسيح عليه السلام وتقلب عليه ولده المدعو باسم (يوشم) بياض مثناة من تحتها مضومة وداوسا كنة وثاء مثناة مفتوحة يابها ميم في آخره) وتقلد بمملكة يهودا من بعده (في سنة ٧٥٦ ق م) فكانت أيامه ببعض مكان من السعد ثم اعترى ماذة السلم الاختلال في آخر عهده بغارات الملك راصين ملك دمشق الشام وازداد على بلاد يهودا منه أشد الأحوال بمدة خلفه المدعو باسم (آحاز) (بهمزة مدودة فخاء مهجلة فالف فزاي همزة في آخره) (من سنة ٧٤١ الى سنة ٧٢٦ ق م) وكان آحاز هذا قد انهمك على جميع أنواع الاوهام التي توجد عند الأمم الاجانب فيما يتعلق بعبادة الاصنام حتى صار يذبح لها القرابين البشرية ويوقدها أنواع العقاقير العظرية في الاماكن العالية وينذر ابنه لحدهتها بإمراره في وسط النار وترتب على اهمال دين الملة الاسرائيلية أشد المصائب حيث انضم راصين ملك دمشق المذكور أعلاه الى ملك بني اسرائيل المسى (فاقح) واجتمع على حصار القدس حتى اضطر آحاز على ان يطلب الامداد من ملك العراق المسى باسم (تجلات فلصر) فلم يتأخر ان قام بجيوشه وحضر الى دمشق واستولى عليها وقتل راصين وبذلك نجح آحاز ملك يهودا من هذه الداهية غير انه وقع في أدهى مناسبات لم يمكنه أن يصرف غائلة حليفه هذا عن بلاد الايسنل نفاس أموال الحرم المقدس اليه وجعل نفسه تابعاً له وعولة عليه امكن خلفه ولده المسى باسم (حزقيا) وكان رجلاً صالحاً وبطلاً مظفراناً فاعاد الى مملكة يهودا بجنتها القديمة مدة من الزمن غير عظيمة (من سنة

٧٢٧ الى سنة ٦٩٧ ق م)

وفي مدة تعاقب الملوك المذكورين على سرير المملكة بمدينة القدس كانت مملكة بني اسرائيل بمدينة سمرية قد سقطت في حالة تمام الانحطاط والنحس فكان (يهو يا حاز) قد خلف عليه أباه (ياهو) ومكث على سرير الملك مدة سبع عشرة سنة فيها (من سنة ٨٥٥ الى سنة ٨٣٧ ق م) وفي جميع تلك المدة كانت مملكة بني اسرائيل مستقرقة في بجزر الخرب والفساد بغارة (حزيبيل) ملك الشام وابنه (بيناداد) ثم جاء بعد (يهو يا حاز) ابنه (يؤاش) (من سنة ٨٣٩ الى سنة ٨٢٣ ق م) فكان أسعد من أبيه حيث حارب (بيناداد) ملك الشام المذكور وظفر به ثلاث مرات واسترقما كان قد اغتنصبه على أبيه من البلاد والجهات وحارب كذلك (امصياهو) ملك يهودا وظفر به واثصر عليه وحصره بمدينة القدس ودخلها من خرق اخترق في سورها واستولى على سائر الذهب والفضة وأواني

الحرم المقدس واخذها معه الى سمرية ثم توفي وترك كرسى مملكة بني اسرائيل الى ولده المدعو باسم (يربعم) الثاني (من سنة ٨٢٣ الى سنة ٧٧١ ق م) فاعاد الى المملكة المذكورة حدودها التي كانت لها في سالف الزمان من عند مدينة حص وسفح جبل لبنان الى بحر الصحر وهو وبحيرة لوط عليه السلام واسترد مدينة حص ودمشق الى حوزة يده بالثاني غير ان هذه الفتوحات البهية كانت آخر نجاح تحصل عليه ملوك سمرية فان من خلف يربعم الثاني هذا من ملوك بني اسرائيل كانوا قذرة وعوام مملكتهم في أشد الوال والعداب وجهاز دولتهم لا وقوع في أجدال الدمار والخراب قال في التوراة ما لخصه وقد كان رجال مملكة بني اسرائيل من مدة مديدة وأيام عديدة قد وقعوا في بحر ظلمات اتهمك حرمان الله الذي أنقذهم من ديار مصر وصاروا يخشون عبادة الاصنام التي كانت مملكة عند الامم الاجانب في ذلك العصر ويعملون بعوائد الامم المجرمين والاقوام الجبارين الذين اخذهم الله سبحانه وتعالى بذنوبهم وزرعوا الاشجار الخبيثة على جميع الاراضي المرتفعة ووضعوا الاوتان على سائر الاشجار ذات الاغصان وصاروا يوقدون انواع الطيب على محاربيها ويعبدون كواكب السماء ويعبدون الصنم المدعو باسم (بعل) وقد فون أبناءهم وبناتهم في النيران ويعتقدون اخبار السحرة والكهان وانهم كوابل الجمل والذفصيل على جميع انواع القبائح التي توجب غضب المولى جل جلاله وكان سائر الامم الجاهلية منهمكين عليهم في ذلك العصر من هذا القبيل ولم ينفع فيهم ارسال الرسل المبشرين اليهم حيث لم يصغ لتبصيرهم أحد من بني اسرائيل وظهرت علامات انحطاط دولتهم خصوصاً من بعده وفاة (يربعم) الثاني حيث تقلد بولايته من بعده ولده المدعو باسم (زكريا) فلم يمكث على سرير مملكتهم غير ستة شهور (في سنة ٧٧١ ق م) ثم قتله المدعو باسم (شالوم) وأقام على سرير ملكهم في مكانه مدة شهر واحد ثم اتاه من مدينة طرشة الى سمرية الرجل المدعو باسم (مناعم) فاغار عليه وقتله وصعد على سرير الملك بدله (في سنة ٧٧٠ ق م) وكان ملك العراق المدعو باسم (قول) قد جاءهم وبغارتة عليهم فجاهم فلم يخلص مناعهم المذكور مما كاد أن يصيبه من الخراب التام الابان بذل له مبلغ ألف تالان (من انواع السكة التي كانوا يتعاملون بها في ذلك الزمان) وجاء من بعده ولده المدعو باسم (بقيو) وضبطه بلاء موحدة في أوله فقام مئنة فمها مهلة في بلاء مئنة من فحتمها فواو عليها هز في آخره فلم يمكث على سرير مملكة بني اسرائيل غير من قليل فحوسقتين ثم خرج عليه أحد قوادعسكره المدعو باسم (فاعة) (بلاء موحدة في أوله بليها ألف فقام مئنة فمها مهلة في آخره) واستولى عليه في سمرية فقتله وتغلب على سرير الملك بدله عنه (في سنة ٧٥٢ ق م) وفي أيامه كان قد عاد الى بلاد الاسرائيليين قبيلات قهر ملك الاسوريين وتغلب على بلاد جلعاد وجلبلة وجميع الجهات المملوكة لسيط نفطالى

من تلك البلاد ، واخرهم انقل سكانها من العبرانيين الى بلاد العراق فتم بذلك سقوط قايح من اعلى مبر بر ملكه وصال عليه المدعو باسم (هوشاع) وكان من انبياء بني اسرائيل وهو آخر ملوك سمرية فقطعه واقام على مبر بر الملك في سنه وهو يدفع الجزية الى سلطنة مصر ملك العراق واراد ان يخرج عن هذا العار فاستعان بفرعون مصر المتولى في ذلك العصر على تلك الديار ولما بلغ سلطنة مصر هذا الخبر عاد الى بلاد بني اسرائيل بالكرم فوضع هوشاع في سلاسل من الحديد واخذ بمجالة الامر واستولى على سمرية ونقل سكانها الى بلاد العراق بمدينة هالة والحاوور من بلاد الميديين الكائنة على القرب من النهر المسمى في ذلك الزمان باسم (خوزان) (في سنة ٧٢١ ق م)

وهاجر أناس من أهل بابل و غوطة و أوام و حصب و سيم و فاروانيم و قوطن و ايمينة و عمرية بعد خلوها من العبرانيين و طما و ابعه ذلك قبايل من سلتصر ان يبعث اليهم حبراً من أحبار اليهود المأسورين ليعلمهم و يوردين هذه البلاد ثم تغلبت على عقولهم و أهواهم الاصلية و رواياتهم المالية فلم يتمسكوا بالصالحين اليهودية بل خاطبوا دينهم بعض عقائد اجنبية من أديان الصابئين و كان ذلك هو أصل منشأ طائفة المعتزلة الذين الموسويين المعروفين بالعمرة أو السامريين و هم نسل هؤلاء الاقوام النازلين ببلاد الاسرائيليين باختلاطهم مع من بقي في تلك البلاد من القوم اليهود الاصلين

الفصل الخامس

في تاريخ ملكة يهودا من بعد انقراض ملكة الاسرائيلين اغاية خراب بيت المقدس على يد مجتهد ملك السوريين

مطلب — ذكر لوك دولة يودا بعد انفرادهم بالملك (أعني في المدة من سنة ٧٢١
اخايرة سنة ٥٨٢ ق م)

قال المؤرخ جيلمان المنقول عنه أعلاه ما لم يخص بهناه وفي مدة الخطاط دولة بني اسرائيل
وانتراضها بالكلية في مدينة سمرية كانت دولة يهودا بالقدس قد علا أمرها وارتفع قدرها
بمدة تمك (حرقيا) عليها (من سنة ٧٢٦ الى سنة ٦٩٧ ق م) وضبطه بكمسرح الحاء
المهولة وسكون الراى المحجمة ياماف منشاء فضاء منشاء تحققة بعدها الف في آخره (وكان
من الانتقاء البكر والاولياء النظام فاذلك ابتدى مدة حكمه بجهاد الاوثان فكسر
الاصلنام وقطاع الاشجار الحبيثة وعزق الشعبان المتخذ من النحاس الذى كان يعسده بنو
اسرائيل

اسرائيل في تلك الاعصار وفي ايامه عادك الامة الاسرائيلية الى قوتها الاصلية بواسطة عودها الى عقائدها الاهلية وتمسكها بديانتها المالية ومن ثم نجح حزقيان في جميع مشروعاته وظفر باعدائه من الاقوام الصغيرين الذين كانوا يملكونه مجاورين في سائر غزواته فهزم الفلسطينيين واخرب جميع بلادهم الى حد غزة وكان مع ذلك يدفع الجزية الى ملك الاسوريين مثل آبيه فلما امتنع من ادائها اليه في السنة الرابعة عشرة من مدة حكمه اغار عليه الملك المسمى باسم (سبحاريب) ملك العراق واستولى على حصون مملكة يهودا واضطر حزقيان للتخلص منه بان يذله جميع اموال الحرم المقدس ثم اراد ان يستعين بفرعون مصر عليه فعاد ملك العراق المذكور بالحرب اليه وكان النبي اشعيا قد انبأ بان يفي اسرائيل بكفون مرسبحاريب من غير قتال ولا تخريب فصدق الله جل جلاله قول نبيه وارسل جبريل على جيش الاسوريين وكانوا للقدس محاصرين وذلك ان سبخاريب بعد ان غزا ديار مصر فلم ينجح في غزوته كانت قد دوجه سائر قوته لمحاربة العبرانيين وحصرهم في بيت المقدس وضيق عليهم غاية التضيق فارسل الله سبحانه وتعالى على جنوده رسوله فاهلك منهم ١٨٥٠٠٠ رجل وفزع سبخاريب من هذا الامر الهائل وجزع من ذلك الهول الهائل فرفع عنهم الحصار وبادر الى بلاده بالفرار (في سنة ٧١٣ ق م) وتولى بعده حزقيان ولده المسمى باسم (منشا) (بفتح الميم والنون الموحدة وتشديد الشين المجمة بعدها الف في آخره) فاقام على سرير مملكة يهودا مدة مديدة وسنوات عديدة اعنى خمسا وخمسين سنة (من سنة ٦٩٧ الى سنة ٦٤٢ ق م) وكان من افسق ملوك اليهود فلم يقدر بسيرة آبيه ولم يمتد لطريق التوحيد بل اظهر غاية الكفر والعصيان واشهر بالفسق والطغيان واعاد بدعة الاماكن المرتفعة واقام المحاربين لهم المعروف باسم (بهل) وغرس الغابات العظيمة من الاشجار الذمية وعبدوا كواب السماء وكان ابوه قد احترم الانبياء فانتهك هو حرمتهم ومثل بهم وسفك دماهم وقتلهم واسال اموالهم من الدم في بيت المقدس المعظم ولذلك كان قد جاءه ملك العراق المدعو باسم (اسارادون) فحسم مادة طغيانه وقطع شدة كفره وعصيانه واغار على مملكته واخذها اسير الى مقر دواته ثم هفاه عنه واعادها الى كرسى ولايته حتى تقلد مملكة بلاد الاسورية ملك آخر فارادان يقطع دابر صورة الاستبداد الظاهرية التي كانت قد آلت اليها مملكة يهودا في تلك الحقبة العصرية ويزيلها بالكلية فارسل صهره المدعو باسم (هولوغيرت) قائدا لجنود كثيرة ووضع الحصار على مدينة (بثوليا) من بلاد العبرانيين وكانت قد كادت هذه المدينة ان تسلم مقابلدها اليه واذا بامرأة ارملة تدعى باسم (نوديت) تزينت باجمل الزينة وخزجت عليه واجتمعت به في خيمته وكان قد اتخذ وليمة عظيمة وشر بانخر حتى سكر في ليلته وغلبه النعاس فنام نوما ثقيلًا فقطعت

رأسه وجاءت به الى المدينة ليلًا قتيلا وأصبح جند الاعداء فلم يجدوا قائدهم وقدوا
 رثيمهم فنفروا جمعهم كلهم وفروا هارين وبواسطة مكيدة هذه المرأة الشهيرة
 نجت المدينة المذكورة. وبقيت مملكة يهودا بحالة السلم لغاية مدة انتهاء ملك منشأ حتى خلفه
 ابنه المدعو باسم (امون) (بعد الهزيمة في أوله) من سنة ٦٤٣ الى سنة ٦٤٠ ق م
 فلم يتبع أباه الا في فسقه وعدم تقواه وقتل في السنة الثانية من مدة حكمه وخلفه ابنه
 المدعو باسم (يوشيا) (بضم الياء) المنتاة من تحتها يلهم اواوسا كنة شمشين مججمة مكسورة
 فياه منناة تحتية مشددة بعدها الف في آخره) من سنة ٦٤٠ الى سنة ٦٠٩ ق م
 وكان يوشيا هذا من المهتدين لطريق المولى جل جلاله وذلك أن الحبر
 الاعظم كان في ايامه قد عثر في بعض اماكن الحرم على الواح شريعة موسى فأطلع عليها
 فزق ثيابه جزعا وقطعها قطعاً اسفا وفرعا أكون الامسة كانت في ذلك العصر لم تعمل بشيء
 مطلقا من احكامها وهرع الى الحرم الشريف معحو باجمع اعيان اليهود واوليائهم وسائر
 آحاد الملة الاسرائيلية كبارهم وصغارهم ورجالهم ونسائهم وعقد منهم محفلا كاملا ومواليا
 شاملا وقرأ لهم كتاب الشريعة الموسوية ليهصداعادتهم للعمل باصول الديانة الاصلية
 وجددهم ديني اسرائيل القديم مع المولى الكريم وحلف واستخلف سائر بني اسرائيل
 على ان لا يبيدوا عن هذا الطريق المستقيم ثم حرق الاصنام وقتل العيافين عن آخرهم
 واستأصلهم عن دابرهم واتهلك الاماكن العلية ونظف دين الاسرائيليين من جميع
 الدنسات التي كانت قد دخلت من اديان الامم الاجنبيين قال في التوراة وذلك وعلى وجه
 بحيث لم يل بنى اسرائيل من قبله ملك توجه كمثلته بجميع قلبه وروحه وسائر قوته في
 طريق المولى الجليل (هـ)

ومع ذلك كله فقد كان حال دولة بني اسرائيل الصغيرة بين كل من الدولتين الكبيرتين (وهما
 دولة مصر ودولة العراق الشيرتين) ذوات الفتوحات الكبيرة قد آل لان صار في كل يوم
 يزداد ضيقا ولذلك تحالف يوشيا هذا مع الملك نبخاؤوس مصر وتوجه كل منهما ليجنوده
 لقتال ملك العراق فوقع بين ملكيهودا وبينه بمدينة مجدلة (في سنة ٦٠٩ ق م) تلاقا نهزم
 فيه يوشيا وقتل ورجع خدمه بجيشه الى مدينة اورشليم وتقلد بالملك من بعده بلاعته ولده المسمى
 باسم (يهوياحاز) فعما نبخاؤوس السالف الذكر واخذه اسير الى مصر فكث بها حتى مات
 وكان ملك العراق قد اقام في مكانه على سريره مملكة يهودا (يهوياقيم) (بفتح الياء المنتاة تحتية
 في اوله وضم الهاء بعدها واوسا كنة متبوعة بقاف مشاة يلهم اياه منناة تحتية في آخره) وفي
 ايامه كان النبي ارميا (بفتح الهمزة في اوله بعدها راء هه لة فيم فياه منناة تحتية قالف في آخره)
 قنسر مراثيه المشهورة للقدس الشريف حيث اخبر فيها بقلم تأليف عال منيف بما سبب

بيت المقدس في المستقبل من المصائب الشديدة والنواب العديدة وبكى تلك المصائب بغاية الأسف والتأنيف فلم يقابل يهوياقيم هذه الاخبار النبوية والانداز الا كهية الابان اجرى على النبي المذكور العذاب الاليم ومع ذلك فقد تحقق نبأؤه وتصدق خبره فكان فرعون مصر ينحاور وس قد استولى على جميع البلاد الكائنة على غربي الفرات ووصل الى مدينة قرقيشة وهي مدينة من بلاد الجزيرة كانت موضوعة على شاطئ الفرات ولها تحكم على العبور عليه وهي مدخل بلاد الجزيرة المذكورة (وتسمى الان باسم قير بيزيا) وكان يخنصره قد اثر كه ابوه معه في سرير مملكة بابل وعهد اليه بالملك من بعده فسار يقود جنوده عليه وحاربه وغلبه وبقيت مملكة يهود لا تجد من يدفع عنها فسلمت امرها اليه ودخلت تحت طاعته وجاء يخنصر الى القدس واستولى عليه واستلب سائر خزائن دار الملك وجميع الاواني المقدسة التي كانت بداخل الهيكل واخذ معه الى بابل ذات يهوياقيم اسيرامع عشرة الاف رجل اسرى من بني اسرائيل وكان ذلك هو اول الاستعباد الكبير ومبدأ الرق الشهير الذي مكث فيه بنو اسرائيل سبعين سنة وكان يخنصر قد اطلقه من الاسر فعاد الى بلاده بالنافي واراد ان يستعين بالمصريين على البابليين فعاد الاسوريون الى مملكة يهودا بالثاني وحاربوه فقتلوه واتهم على سرير الملك بدلا عنه ولده المسى باسم (يخنيمو) (بيامشناه فتحية مفتوحة وخاه مججمة مفتوحة ايضا لهم اوفون موحدة ساكنة ثم يدهمنا فتحية مضمومة بعدها وافي آخره) فلم يبق غير ثلاثة شهور وخلفه عنه المسى باسم (صدقيا) واستعان ايضا بفرعون مصر فخرج عن طاعة يخنصر فحضر يخنصر نفسه اليه واستولى على القدس بالعنوة والقهر واستلبه واحرقه واخر به وهذه هي الغزوة الثالثة للاسوريين ببلاد فلسطين في (سنة ٥٨٧ ق م) وفرصه يهاجرا الى البادية فلحقته فرقة من جنود البابليين وقبضوا عليه في سمول نابلس واحضره لخنصر فامر بدمج ابنائه وسمل عينييه واخذه اسيرام ف قيد في سلاسل من الحديد الى بابل العراق وهو آخر ملوك مملكة بني اسرائيل الاولى بالاتفاق وساق اليها قائد عسكري العراقيين المدعو باسم (نبوراذون) سائر الاله الى عبرانيين ولم يبق في بلاد بني اسرائيل غير ثور قليل من فقراء الفلاحين لقصد زراعة الاراضي فقط فولى عليهم يخنصر من طرفه عاملا يسمى باسم (جودولياس) من اعيان بني اسرائيل فلم يمكث في دست ولايته غير سبعة شهور وثار عليه رجل يدعى باسم اسماعيل من نسل ملوك مملكة يهودا فقتله وابطل عمله ومن خاف جبر يخنصر من اليهود فرهار بالي ديار مصر فسار يخنصر ايضا الى تلك الديار ووقع بها الخراب والدمار وشمل جبره من كان فيها من اليهود فاخذهم اسرى الى بلاده وبذلك زالت ايضا مملكة يهودا واندرجت في خبر كان بعد ان مكث مدة ٣٨٩ سنة من الزمان من عهد ملك رحبعم من سليمان

الفصل السادس

في تاريخ ارض فلسطين من بعد تخريب بيت المقدس على يد بختنصر وهي مدة الاسر الاكبر

مطلب - ذكر النبي دانيال وما كان عليه بنو اسرائيل بعدة الاسر الاكبر من الاحوال (من سنة ٥٨٨ الى سنة ٥٣٦ ق م) قال المؤرخ جيلان السالف الذكر والبيمان اعلاه ما تعريبه ادناه ولما تغلب على بلاد فلسطين بختنصر (وذلك التغلب هو المعبر عنه في كتب اليهود بالاسر الاكبر) نشبت الملة لليهودية في سائر الاقاليم التابعة للسلطنة الاسورية في العراق و صارت لا وطن لها ولا هيكل ولا معبد لها ولا محراب حيث آل بيت المقدس يجبر بختنصر الى غاية الخراب ومع ذلك فلم تزل تلك الامة المأسورة لها في الدنيا صورة وجود مذكورة وذلك ان بختنصر كان قد عاملها باصول المروءة الانسانية فتركها تعمل بعوائدها الاهلية و رخص للعبرانيين ان يشتروا املاكاً ارضية وان يكون لهم منهم قضاة خصوصية بل ترفى جماعة من اليهود في دولته الى بعض المناصب العلية منهم النبي دانيال وهو من نسل داود عليه السلام وكان قد فاق في العلوم والحكمة على سائر احبار الجحوس والكهنة الموجودين في المملكة حتى صار عنده ملك بابل في اعلى منزلة التكريم والاحترام واعتمد عليه الاعتماد التام وكان من دلائل حكمته الجيية ومجزاته الغريبة وهو حديث السن قصة براءة امرأة من بني اسرائيل تسمى باسم (سوسان) وهي امرأة يهوياقيم وكانت قد صحبت زوجها في الاسر بمدينة بابل فنجأها رجلان عبرانيان وهي في الحام واراد ان يعلاها الفاحشة فابت ذلك فاتهمها بالزنا فاطهر الله برأتها على يد النبي دانيال عليه السلام وبعد ذلك بقليل كان بختنصر قد رأى في المنام رؤيا مفرعة وهي كأن صغار أسه من ذهب وصدره وذراعه من فضة ويطنه وفخذه من نحاس وساقاه من حديد وقدماه من طفل وقد طرقة حجر فاتفصل من الجبل فلقاه الى الارض وطلب بختنصر من يأول له هذه الرؤيا المزعجة من كنهة مملكته فلم يجد من يفسر له غير النبي دانيال فاحضره عنده فاولاه وقال ان ذلك انما هو مثال سرعة زوال الدول العظيمة القائمة ببلاد آسيا اذهى وان كانت بهجة الرأس لكنهم اواهية الاساس فاعجب الملك هذا التأويل وغمر بالانعام نبي بني اسرائيل وجعله فوق جميع ارباب المناصب العلية من اهل دولته في سائر مملكته

ثم شرع النبي دانيال بعد ذلك في ان يأتى من الاخبار بالغيب بانخص الانذار فمن ذلك ما ذكر في توار يخ اليهود من ان ملك بابل المعنى باسم (بلتازار) من بني بختنصر كان ذات يوم على حسب عادته قد عاكف على تعاطي جميع انواع الفواحش وجلس يشرب الخمر في الاواني المقدسة التي كان قد انتهبها جده بختنصر من هيكل بيت المقدس واذا يمد من نار سطرت

على الحائض وفاغرية وكلمات مجهولة المعنى عجيبية فزع لها الملك وخرج فذكر النبي دانيال واحضره وطلب منه ان يعرفه معنى هذه الكلمات الثلاث وهي (ماني تيسيل فارمن) فقال له ان معناها الحكم بزوال الدولة الكلدانية البابلية وفي الواقع ونفس الامر كان في ذات تلك الليلة قد حضر ملك فارس المشهور باسم (كيرش اوقيروس) ودخل مدينة بابل من مجرى نهر الفرات واستولى عليه او من ذلك الوقت صارت ملكة العراق ودولة الاسوريين ومن جملتها بلاد فلسطين التي هي بلاد العبرانيين تحت يد دولة القوم الفارسيين (في سنة ٥٣٦ ق م) انتهى الى هنا معربا مع بعض تصرف واختصار من كتاب التاريخ القديم للأورخ جيلان واكثر ضبط الاسماء الاعلام من تاريخ ابي الفداء عليه "جانب الزجاجة والرضوان"

تتمه

تتضمن بعض ايضا حات مفيدة وزيادات سديدة فيما يتعلق بتاريخ العبرانيين (معرفة من مختصر تاريخ القوم اليهود للأورخ فرنسيس لونورمان) وهي تشتمل على أربع مسائل

المسألة الاولى

مطلب — ذكر الطريق التي سلكها موسى عند خروجه بين اسرائيل من مصر الى بلاد الشام وما قيل في مقدار عددهم وذكر المن والسوى الذين أنزلهما الله عليهم وغير ذلك من القوائد المتعلقة بتاريخهم — قال المؤرخ فرنسيس لونورمان في مختصر تاريخ القوم اليهود السابق الذكر والبيان وانما عدل موسى عليه السلام في سفر خروجه بين اسرائيل من ديار مصر الى الشام بانسير نحو بحر القلزم ورأس جبل الطور افرض صحيح تام كان قد تفكره وتدير سديد كان من قبل قد دبره والا فقد كان اقصر طريق واقربه للسفر من ديار مصر الى أرض كنعان ان يتوجه بهم الى جهة الشمال ويسير معهم على سواحل البحر الابيض المتوسط ويبلغهم الى غزة مارا بالقاعة المعاة في ذلك العصر من ديار مصر باسم (دينوكور وره) (وهي قلعة العريش) والباعث له على عدوله عن هذه الطريق الاخيرة هو انما كانت على سائر خط ممرها وجميع محطات عبورها مهيمنة بقلاع مشيدة وحصون هائلة سديدة من اعمال الفراعنة السابقين وفيها باطات مستعدة عديدة من الجنود المصريين قد كانت لجماع تعطيل سير العبرانيين وكانت جنود فرعون الذين كانوا هم متبعين يصل عليهم ان يحقوهم في هذه الطريق حيث كان الماصرون متعودين على السير فيها في غزواتهم لبلاد آسية الغربية ولوسلك بنو اسرائيل هذه الطريق لكانوا من غير شك ملقوهم ومزقوا ثيابهم ومحقوهم على انه فضلا عن ذلك قد كان من اعظم سوء التدبير ان

يستجمل موسى بتعريض قومه من بعد خروجهم من ديار مصر على الفور لباشرة الحرب بهم مع
 الاقوام الحريين من الكنعانيين والجال ان القوم العبرانيين كانوا قد انحطت همهم
 وضعفت عزائمهم لطول مكثهم في ربة الامر بديار مصر ولم يكن لهم عادة باستعمال
 الاسلحة ولا بالاجابة للنهوض عافيه المصلحة ولو كان قد انهم معهم القتال لكان ما اسرع
 ما يهرع لاجانة الاقوام الكنعانيين جنود فرعون المصريون اذ كان الاقوام الكنعانيون
 تحت طاعته وكانوا داخلين في ذلك العصر بدائرة سلطنته وفضلا عن ذلك ايضا كان القوم
 العبرانيون قبل ان يملكوا الارض الموعودة ويتكاثروا في صورة امة مستقلة وهيئة ملية
 يامروا ولا يتماستبد محتاجين حاجة مطلقة لان عموما بنوع تجربة لقصد امتحانهم ويعبروا
 يمدرية لاصلاح شأنهم ويكتوامة في الصحرا بحالة الاعتزال عن الاقوام الجاهلية والاعم
 عمدة الاصنام الذين طامموا كواوين اظهرهم فلزم ابعادهم خصوصاً عن فساد المدن مدة من
 الزمن حتى يستعدوا للمأاء عنهم الله من الكرامة وعلاو الشأن ولم يكن ثم سبيل آخر لاصلاح
 حالهم وانجاح استقباليهم وارجاعهم للتمسك بعقيدة آباؤهم اذ كان قد اعترها الفساد
 بطول المكث في الاستبعاد ولقد كان هذا المشروع في الجملة عظيم المولع بحسب القواطع
 فلم يكن ثم وسيلة للحصول عليه غير العناية الالهية المستمرة فلذلك كان الله سبحانه وتعالى
 هو المعين لهم بذاته والمتولى لامرهم بقوته وقد كان عددهم حسب ما ذكر في التوراة ستمائة
 الف من الرجال غير النساء والاطفال فساروا تحت قيادة موسى عليه السلام وكان سيرهم
 بالضرورة سيرا بطيئا فلم يصلوا الى سواحل البحر الاحمر الا بعد ثلاثة ايام في طريق يصعب الآن
 تعينها وتعين المنازل التي نزلوا عليها منها على وجه الضبط والاحكام ولم تكن قافلهم مركبة
 من مجرد العبرانيين دون غيرهم بل ذكر في التوراة انه كان قد صحبهم جموع كثيرة من
 الاقوام الاهليين الاصليين ومقادير كبيرة من المواشي والاعنام وعلى هذه الهيئة الاجتماعية
 ساروا في صحراء لا يكاد يجدها نجوع العرب ماء ولا مراعى من الارض الاشياء قليلة لا قد يوجد
 على مسافات متباعدة بمضاهان بعض ولذلك كان الله سبحانه وتعالى من اول ايام سفرهم
 قد ادخل لهم مجزة لوهي عليه السلام المياه المرة ثم لما وصلوا الى كورة رافيديم المجاورة لجبل
 حريب كان الله قد ارسل لهم مقادير كثيرة من السلوى وهو الطير المعروف بالسماقي فاكوا منه
 حتى شبعوا وضرب موسى بعصاه الصخر بالوادي المعروف الآن بوادي المقطب فانتجعت ماء مشربوا
 منه حتى ارتووا واجرى الله على ينيبيه موسى ايضا هذه المجزة ثانيا مرة لانقاذ قومه من موت
 كاد يلحقهم وهلاك كاد يمحهم وفي هذه المرة ايضا كان قد اخذ في انزل عليهم المن الذي مكثوا
 يتقنون منه مدة الاربعين سنة التي اقاموها في البادية جزاء لهم على كفرهم قال في التوراة
 وقد هلك المن ينزل عليهم في كل صباح في معسكرهم فيلتقط منه كل واحد منهم على وجه السرعة

ما يلزم له في يومه حسب اذا كان متى حيث عليه اشعة الشمس اذ ابته واذ ابني الى قسد
فسد الا في صبيحة امس يوم السبت حيث كانوا يلتقطون منه قوت يومين بدون ان يعثره الفساد
حتى يتيسر لهم العمل بالراحة المعدة فيه لعبادة المولى جل جلاله (٥١)
ولما وصل بنو اسرائيل الى وادي رافيديم اغار عليهم العمالة وهم قوم من اقدم قبائل العرب
الجاهليين ومن اقوامهم شوكة فنصرهم الله عليهم حيث زحفوا عليهم وقتلواهم والتفوا
معهم ونزلوهم تحت قيادة يوشع عليه السلام الذي سيفتح بهم الارض الموعودة لهم
وهي بلاد الشام ومكث بنو اسرائيل في البيداء ثلاثة شهور منذ خرجوا من ديار مصر حتى
وصلوا الى سفح جبل سيناء اوجبل الطور وهناك انزل الله على موسى شريعته وارسل اليه
رسالته واخبره بذلك بواسطة صوت الرعد وضوء البرق وماخيم من السحاب والدخان على
الجبل المذكور فاعلن اول الالامة العبرانية بما يجب على المكلف من الواجبات الاصلية
فهو سبحانه وتعالى وما يجب عليه لجارته ولثافته وذلك هو ما يعرف عند اليهود بالاوامر العشرة
السالفة الذكر وضم لذلك احكاما اخرى تفصيلية تكونت من مجموعها الشريعة الموسوية
ووجد بنو اسرائيل بالعمل بهذه الشريعة الالهية ثم عاد موسى عليه السلام الى جبل الطور
واختفى عن الابصار حيث احاط به السحاب وبقي فيها اربعين يوما لياليها يتلقى الوحي لبيان
ما يفرض اجراءه من كيفية العبادة الظاهرية واما تحان الامة العبرانية بهذه المحنة الاولى
وكان بنو اسرائيل لم يزالوا بعد اقاما جلافا متوحشين واناسا جفاة متلونين فلم يصبروا على
هذه المحنة السهلة اعنى الايمان بالاوامر الالهية العلية التي سيكون عليها مدار كينوتهم
الملية واساس ترتيباتهم الدولية وما كان منهم الا انهم بمدة غياب موسى عليه السلام عنهم
في هذه المدة القصيرة افتتنوا فتنة كبيرة ونسوا عظمة الله سبحانه وتعالى الذي انقذهم من
رقبة الاسر بديار مصر وخافوا ما عاهدوا الله عليه من العمل بشريعته وتعام الاتقياء اليه
وقالوا لهارون اتخذنا آلهة تسبقنا الى حيث نذهب فعمل لهم مجلما من ذهب على مثال الجبل
المدعو باسم (ايبس) المعبود في ديانة المصريين ولما شاهدوا العبرانيون صاحبوا قائلين
ويا بني اسرائيل هذه آلهتكم التي اخرجتكم من مصر ورفع هارون لهذا الصنم الحقير محرابا
وقرب له القرابين وعاد موسى اليهم فغضب عليهم ثم انبتل الى الله سبحانه وتعالى ان يغفر
لهم ويتوب عليهم وغلب عليه الغضب فضرب الارض بالواح الاحجار التي كتب الله فيها
بيده شريعته فانكسرت واتى الصنم في النار وبت بنى لبوى في بنى اسرائيل لزوج من بنى على
الاصرار على الكفر من هؤلاء القوم الكفار ثم نحت احجارا اخرى وكتب فيها الاوامر العشرة
بامر الله الواحد القهار (٥١)

المسألة الثانية

مطلب — شرح قبة العهد والمظلة وأول تأسيس هيكل أو معبد لله تعالى في بني اسرائيل على هيئة منتقلة (معربا كذلك من مختصر تاريخ القوم اليهودي للزورخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان) قال المؤرخ المذكور وبعد ان أعلن موسى عليه السلام لبني اسرائيل بشريعته في جبل الطور شرع في أن يضع لهم كيفية عبادة الله سبحانه الظاهرية وأصول مناسكهم المرئية اذ كان من الزم الالتزام بالمبادىء بهذا الامر المهم لاجل تثبيتهم على عقيدة التوحيد حيث كانوا قوما يحبون الاحتفالات الظاهرية ويميلون اشد الميل لداعي تعلقهم بالموالكب المادية للرجوع الى الوقوع في عبادة الاصنام فآخبر أولادهم هارون ومشاخ قبائل بني اسرائيل بما اوحاه الله اليه من هذا القبيل ثم نشره في سائر الامة واطلعه على صورة هيكل منتقل يجب اتخاذه من الآن فصاعدا لاشهار عبادة الله في جميع الملة ونصب هارون وبنيه الاربعة بوظيفة خدمة لهذه العبادة المرتفعة وخص جميع بني اوى باعاتهم على اداء مقتضى وظيفة مكافأة لهم على ما حصل منهم من بذل الجهد في توثيق ما يجب لله سبحانه من حق التوحيد وطلب موسى عليه السلام من مكارم بني اسرائيل ان يذلوا من اموالهم ما يلزم اعمل ما جرت العادة عندهم بان يعبر عنه بجاهه عن قبة العهد والمظلة وهى عبارة عن خيمة اتخذوها هيكلًا منتقلة الى حيث انتقلوا ومعبدًا متحلا معهم الى اين ارتحلوا ليعبدوا فيه المولى جل وعلا فبادروا باحضار مقدار كثير من المواد والمعادن النفيسة والجواهر الثمينة واقاموه وزخفوها وزفوها وقاموا بالحمايرب وجعوا فيه الاواني المقدسة واشتغل بالعمل فيه عمال كثيرون تحت ادارة رجلين من ارباب الفن والافن والاتقان منهم يدعى احدهما باسم (بنسائيل) من سبط يهودا والثانى (أوبالياهو) من سبط دان واسرعوا في انشائه حتى تم عمل بنائه وامكن تركيبه وايقافه لله سبحانه في السنة الثانية من عهد خروجه من ديار مصر وكانت تلك الخيمة شبيهة بالخيام ذات الروتق والرفاهية التى كان يتخذها ليمتاز بها مشايخ عرب البادية في ذلك العصر غير انها كانت من داخلها مطبقة بخشبية مركبة من الواح من الخشب مكسوة بطنافس ملونة تزداد بها مقانة وهى على شكل مربع مستطيل اطول اضلاعه متجه من المشرق الى المغرب يشتمل في باطنه على المكان المقدس اى بيت الله الاصلى وهو المعبود عنده بالحرب الحقيقى يحيط به من جميع جهاته ساحة متسعة غير مسقوفة يوجد على جانب منها ما يعرف بماعناه (محراب الاضاحى والقرابين) متخذًا من الخشب المطبق به فاقح من نحاس كانوا يذبحون عليه الذبايح فربا لله سبحانه وتعالى وحوض متسع متخذ من المعدن المذكور كان احبار اليهود يذبحون ايليهم وارجلهم فيه قبل

قبل ان يقرئوا من محراب الاضاحى او القرايين وقبل ان يدخلوا المحراب الاصلى والمحراب الاصلى المذكور منقسم من داخله الى مكانين منفردين يستريح من القماش المخيش الفخار احدهما (البيت المقدس) والثاني (البيت الاقدس) اما الاول فلم يكن فيه من قبيل الامتعة المقدسية غير ثلاثة اشياء وهى اولاً ما يدعى عندهم بجامعناه (لوحة فطيرة العرض) وهى من خشب مكسو بالذهب كان يوضع عليها فى كل يوم سبت اثنتا عشرة قطيرة من غير خبيرة يقدمها الاثنا عشر سبطاً من بني اسرائيل لله سبحانه وتعالى على سبيل التقرب والتجليل ثانياً (شمعدان الذهب ذو السبعة افروع) الشهير ثالثاً (المحراب المنقل الصغير) وهو مصطنع من خشب مكسو بصفائح من ذهب كانوا يوقدون فيه انواع الطيب وقد بقيت صورة كل من المحراب الصغير والشمعدان المذكور منقوشة فى جملة النقوش البارزة للصورة على باب التهر المعروف فى مدينة رمثية الكبرى بباب نصر القيصر طية وس اشارة الى أن هذين المئامعين كان القيصر المذكور قد أخذهما فى جملة الاسلاب التى كان قد استلمها من مدينة القدس بعد استيلاء الرومانيين عليها ووجد أيضاً على بعض عمارات مصرية من اعمال الفراعنة السالفين صورة لوحة قربان من الخبز لاهتهم المعبودين والظاهر ان لوحة فطيرة الاسرائيليين كانت قد علمت على مثالها وصنعت على منوالها واما البيت الاقدس فلم يكن مشتملاً على شئ غير ما يسمى بجامعناه السفينة المقدسة واثابوت العهد او صندوق الشهادة وهو الموضوع فيه صحف التوراة المكتوب فيها الاوامر العشرة المنزلة على موسى عليه السلام وذلك اشارة الى ما نال من العهدين الله سبحانه وتعالى وقومه (يعني بني اسرائيل) وهو عبارة عن صندوق مختم من خشب لا يعتريه الفساد مكسو بصفائح من الذهب وقد ورد له ذكر فى التوراة بوصف غير تام ولا متصنع والظاهر ان بني اسرائيل كانوا قد اتخذوا اثابوت عهدهم هذا على مثال ما حصل عليه العثور فى الهياكل المصرية القديمة ودلت عليه نقوشهم البارزة الفخمة مما أطلق عليه لفظ النواويس (جمع ناوروس) وهو عبارة عن مصلى صغير متنقل ومعبود مختصر مرتجل مختم من خشب يشتمل على بيت الصنم يوجد فى كل هيكل من هياكلهم العظيمة وكانت نواويس المصريين هدمه مغلقة الابواب على الدوام والاستمرار وفيها صورة الصنم الذى أعبد لعبادته الهيكل بحيث لا يراه أحد من البشر وكأنته كان فى اعتقادهم محل سكنه وموضع وطنه واما البيت الاقدس من تابوت عهد العبرانيين المذكور هنا فقد كان كذلك ليس لأحد من بني اسرائيل ان يدخله غير موسى عليه السلام والخبير الاعظم (المعبر عنه عند اليهود بالحاخام) ولا يباح لهم الدخول فيه الا فى بعض ايام معينة من السنة ولم يكن فى داخله صورة ولا تمثال من هذا القبيل مطلقاً ليكون شريعة موسى كانت تحرم تصوير الله سبحانه وتعالى بأى صورة محسوسة ولا هيئة مادية ايا كنت اجتمعا بالخطر الوقوع فى عبادة الاصنام وغاية ما هنالك ان موسى عليه السلام كان قد وضع فيه صحف الاوامر العشرة التى كان قد

انزلها الله عليه على سبيل كونه اهي الاله الموثية والعلامة الحسية للعهد الذي انعقد بين بني اسرائيل والحضرة الالهية العلية (٥١)

المسئلة الثالثة

مطلب — الكلام على الجرائع والجوايج العشر والايات العشر التي ذكر في تاريخ بني اسرائيل ان الله سبحانه وتعالى اصابها فرعون وقومه من اهل مصر مجزة موسى عليه السلام (معربا ايضا من مختصر تاريخ القوم اليهود للثور خ فرانسيس لونو رمان قال المؤرخ المذكور اعلاه في هذا المقام ما تعرضه أدناه ومع ان موسى وهارون انما طلبا من فرعون مصر ان يرسل معهما بني اسرائيل الى اليبس ليقربوا الى الله سبحانه وتعالى القريبين في الصحراء فقط كان فرعون المذكور قد امتنع من اجابتهما مع الاحتقار لهما وبدلا عن أن يسمح بادنى حرية لبني اسرائيل كان قد زادهم من الاعمال الشاقة التخميل باثقل حمل ثقيل ولذلك كان الله سبحانه وتعالى قد اصاب تلك البلاد على يد موسى عليه السلام بعدة جوائح او مصائب الهية اشهرت باسمعناه جوائح مصر العشر والايات العشر وورد لها في التوراة على هذا الترتيب المسطر بعد اوضح الذكر وهي

(الاول) ان ماء النيل قد تغير وتآون بلون الدم الاحمر وصار كره الرائحة حتى صار باهجة يضر واضطر اهل مصر لان حفروا آبارا لياخذوا منها الماء للشرب

(الثاني) ان الضفدع قد كثرت بنواحي مصر حتى ترتب على كثرة لاهاليها ما لا يتطاق من الضر (الثالث) ان الناموس قد كثرت حتى عم بالعباب الناس والدواب

(الرابع) انه انتشر في جميع الديار والغيطان انواع هوام اخرى منها بيات وردان المعروفة بالصراصير غير ما ذكر فانتلفت المزارع واضرت بمحصولات الفتون والصنائع

(الخامس) انه حصل موتان نفق بهما كثر المواشي والحيوان بتلك البلدان

(السادس) انه كان يعاوبدان الناس والدواب بشور ومامل شديدة الالتهاب

(السابع) انه قد توارى على الارياض نزول برد كثيف مصحوبا بالبرق والرعد

(الثامن) انه قد انتشر بجميع نواحي مصر جراد كثير اختلف جميع المزارع التي كانت قد سلمت من البرد

(التاسع) انه قد كان خيم على سائر جهات الجو بديار مصر ظلام كثيف نشأ كما يظهر عن رياح عاصفة حملت معها غبارا من الرمل

(العاشر) انه قد حصل على حين فجأة من اهل مصر وباء قتل سائر الاطفال المولودين حديثا في ذلك العصر

قال المؤرخ فرانسيس لونو رمان السالف الذكر واليهان مامعناه وهذه الجوائح المسرودة

اعلاه هي التي قد تعثرى اقليم وادى مصر في كل مدة من الدهر وهي معهودة لهم من سالف العصر وحيث قد هاهنا من الآيات الالهية والمجرات النبوية اغماهم من حيث كنا قادم الخاتمة للعادة المعهودة واجتماعها في مسافة من الزمن غير مديدة ولما رأى ذلك فرعون مصر ندم على ما فعل واشتد به الخوف فالتمس من موسى وهارون أن يطلبوا من الله توقيف تلك المصائب ففعلوا وأجاب الله دعوتهم ما ولازال الخطر عاد الى ما كان عليه من القساوة والشر حتى هلك سائر الاطفال في جميع نواحي مملكته ولحق الموت ذات ولده فاحتلت عرى عرشه واخلى سبيل بني اسرائيل (٥١)

المسئلة الرابعة

مطلب — ذكر تبة مختصرة فيما يتعلق بماله بنى اسرائيل العامة وما اثر عنهم من العلوم العقلية والنقلية - من المعلوم ان هذه الامة قد كانت هي بيت النبوة ومعدن الرسالة من عهد آدم وجمهور الانبياء والرسل منهم ولذا لم يشتهروا الا بالعبادة بعلوم الشرائع وسير الانبياء فكان احبارهم اعلم الناس باخبار الانبياء وعندهم أخذ ذلك علماء الصحابة من المسلمين كعبد الله بن عباس وكتب الاحبار وعبد الله بن منبه ولم يشتهر علماء اليهود بالعلوم العقلية ولكن ربما كان في أيام دولتهم من عتي ببعض علوم فلسفية وقليل ما هم ومع ذلك فقد علم ان لهم حسابا دقيقا في تاريخ شريعتهم ومعاملاتهم لكن لم يعلم هل كان ذلك من نتائج عقول علمائهم أو كان قدرته لهم بعض العلماء من الامم الاجانب ثم لما تفرقوا في البلاد بعد ذهاب دولتهم وتفرق جماعتهم ودخلوا الامم الاغراب تحركت هم قليل منهم لطلب العلوم النظرية واكتساب الفضائل العقلية فقال بعض افراد منهم بعض شئ من فنون الحكمة والقوافي العلوم التاريخية منهم يوسف وابو سيفرس مؤرخ اليهود وهو الملقب عنه غير مرة فيما اسقناه هاهو منه في التاريخ ما ثور قال المعلم بولييت الفرنساوي صاحب كتاب معجم البلدان ومشاهير ابناؤه الزمان ما ملخصه ادناه وهو رجل من قواد عساكر اليهود وولد في سنة ٢٧ لميلاد المسيح عليه السلام بمدينة اورشليم من فرقة اليهود المعروفة باسم القاريين كان قد اشتهر خصوصا بما كتبه من تواريخ قومه الاسرائيليين وذلك انه كان قد تقلد من لدن قومه العبرانيين بولاية اقليم جليلية من بلاد فلسطين حين قاموا على الرومانيين (في سنة ٦٧م) وبعد ان تجلد للعصا في مدينة (بوطابات) مدة مديدة كان قد اذعن للرومانيين بالطاعة فأخذاه القيسر طيطوس الى مدينة رومية الكبرى وهناك اشتغل بتأليف كتاب تاريخه المشهور باسم الانار اليهودية وقد كان كتبه أولا باللغة السوربية ثم باليونانية وهو عبارة عن تاريخ اليهود لغاية استيلاء الرومانيين على القدس وله مؤلفات أخرى في فن التاريخ تملت كلها الى اللغة اللاطينية ثم الى الفرنسية وتوجد متداولة في ايدي الناس بالبلاد الافريقية (انتهى باختصار)

تذييل

يشتمل على جدول زمني يتضمن مقابلة ملوك كل من مملكة بني إسرائيل المتعاصرين وبين تاريخ مبدء ملك كل منهم زيادة الايضاح والتعيين (معربا كذلك من مختصر تاريخ القوم اليهودي للثورخ فرانسيس لوفزمان)

مملكة بني اسرائيل

مملكة يهودا

اسماء الملوك تاريخ مبدء ملكهم ق م

اسماء الملوك تاريخ مبدء ملكهم ق م

٩٧٨ يرهم بن نوبات
٩٥٧ نوزب بن يرهم
٩٥٥ يشو بن احيا
٩٣٢ ايلان بن يشو
٩٣٠ زمرى
٩٣٠ عمري
٩١٩ اخوب بن عمري

٨٩٩ احرز بن اخوب
٨٩٨ يهورام بن اخوب

٨٨٦ ياهو بن عشي

٨٥٨ يهوياحاز بن ياهو
٨٤٢ يواش بن يهوياحاز

٨٢٧ يرهم الثاني بن يواش

فترة بدران ملك من ٧٧٤ الى

٧٧٣ ذكر يابن يرهم الثاني
٧٧٣ شالوم بن يابن
٧٧٢ متاعم الاول ابن جادي
٧٧٢ بقعشو بن متاعم
٧٦١ باقم بن ريماليا
٧٥٩

٧٤٢ متاعم الثاني بن بقعشو

٧٣٣ باقم حصة ثانية

٧٣٠ هوشاع بن ايلان

٧٢١ زوال مملكة بني اسرائيل

٩٧٨ رجعيم بن سليمان
٩٦١ اقبان بن رجعيم
٩٥٨ اسابن اقبان

٧١٦ يهوشافاط بن آسا

٨٩١ يهورام بن يهوشافاط
٨٨٧ احرز ياهو بن يهورام
٨٨٩ عثياهو بنت اخوب
٨٨٩ يواش بن احرز ياهو
٨٣٩ اياصياهو - بن يواش
٨١٠ عز ياهو بن اياصياهو

٧٥٨ يوتيم بن عز ياهو
٧٤٢ احرز بن يوتيم

٧٢٧ حرقيا بن احرز

٦٨٥ متشابن حرقيا

٦٤٢ آمون ابن متشاب

٦٤٠ يوشيا بن آمون

٦١٠ يهوياحاز بن يوشيا

٦١٠ يهوياقيم بن يوشيا

٥٨٨

تتضمن على وجه الاختصار ما تقدم في هذا الباب الثالث من الفوائد والافكار

افكار تقديمية وفوائد عمومية

- ١ - ما مرتبة الامة اليهودية بالنسبة لمن جاورها من الامم السالفين من حيث الحوادث السياسية وما مرتبتها من حيث الدين
- ٢ - ما الفرق بين التاريخ الاثري والبشري وما معنى كل منهما وما المراد بتاريخ العبرانيين وكيف ينقسم وما العهد القديم وما العهد الجديد
- ٣ - ما الذي يقتضيه الترتيب الطبيعي من تعقيب تاريخ وادي النيل بتاريخ العبرانيين وما هبة معرفة تاريخهم بالنسبة الى اممنا مصرين
- ٤ - ما الذي يقتضي ذكره من الكلام على تواريخ العبرانيين من حيث التاريخ العام

مقدمه

- ٥ - ما المراد من لفظ آسية وما اقسامها الاصلية وما المراد بآسية الصغرى والكبرى وآسية الغربية
- ٦ - ما المراد بالشام وارض كنعان وفلسطين عند الامم المتقدمين والمتأخرين وما منظرها وما فيها من الجمال والانهار والبحيرات والمدن الكبار
- ٧ - ما المراد بالعبرانيين واليهود وبني اسرائيل والاعماليين وما النسبة بين هذه الالفاظ وما أصل اسم اليهود

الفصل الاول

- ٨ - ما اصل منشأ الامة العبرانية في الزمن القديم وما قصة ابينا ابراهيم ولوط عليه الصلاة والسلام
- ٩ - ما قصة يعقوب وبنيه وقصة يوسف وما جرى لبني اسرائيل بمصر في سالف العصر
- ١٠ - ما قصة موسى وهارون وما جرى على ايديهما من خروج بني اسرائيل من مصر في ذلك العصر
- ١١ - ما حقيقة شريعة موسى بالنسبة لشرائع الامم المتقدمين في ذلك العصر وما هي الاوامر العشر
- ١٢ - ما المراد من قانون السمة السبعية والمدة الخمسينية وماذا ترتب على اجراء هذين القانونين من تحسين احوال الامة العبرانية وماذا كانت جالة اللبوتين بين اظهروا

- ١٣ - كيف كانت حالة موسى مع بني اسرائيل في وادي التيمه وابن مات وماذا اثر عنه في التوراة من القصيد الذي انشاه حين حضرته الوفاة
- ١٤ - ماهي الترتيبات التي وضعها موسى عليه السلام لبني اسرائيل قبل الوفاة

الفصل الثاني

- ١٥ - بماذا اذكر يوشع عليه السلام وكيف فتح بني اسرائيل الشام وكيف اقتسموها بعد ان قوطنوها
- ١٦ - كيف كانت حقيقة حكومة العبرانيين بالشام في أول أمرهم وما المراد بقدماء بني اسرائيل أو مشايخهم وقضاةهم وأحكامهم
- ١٧ - كم كان عدد قضاة بني اسرائيل ومن كان اشهرهم وابعدهم صيغوا وكبرهم
- ١٨ - باذا اشتهر عثنيال واهوذ والمرأة المشهورة باسم ديبوره وجذعون وايماخ وشيخ وشمشون الجبار وعلى الكاهن وشعويل وما أصل تلك شاول واطالوت على بني اسرائيل

الفصل الثالث

- ١٩ - ما كيفية تمك شاول واطالوت على بني اسرائيل وكيف كان سلوكه من جيل ورجل
- ٢٠ - كيف كان منشأ داود وما قصته مع شاول واطالوت ومع جالوت
- ٢١ - كيف تملك داود على بني اسرائيل من بعد وفاة شاول واطالوت وكيف كانت مدة ملكه عليهم وكيفية سلوكه فيهم
- ٢٢ - ما كيفية حكومة القوم المعروفين بال فلسطينيين واين كانت منازلهم من ارض فلسطين وماذا فعل داود بهم وبغيرهم من اعداء بني اسرائيل الذين كانوا لهم مجاوزين
- ٢٣ - كيف كانت حدود ملك داود عليه السلام وماذا احدث له من اعداء بني اسرائيل من المساعدة والتسهيل
- ٢٤ - ماذا ترتب على قصة داود مع احدى قوادعه كره المدعو يامم (اوريا) وزوجته المسماة باسم (بتسبا) المشهورة من الاحداث التي هي في التواريخ مذكورة
- ٢٥ - ما قصة خروج اشولوم بن سليمان على ابيه وما قصة خروجه وولده الآخر المدعو باسم عاد ونيباش ايضا عليه
- ٢٦ - ما تاريخ وفاة داود عليه السلام وماذا انشأه من ملكه في احوال بني اسرائيل من النتائج والترتبات بعد ان مات
- ٢٧ - هل كان داود ملكا فقط كما قد يقال أم كيف كان الحال

- ٢٨ - كيف كان نملك سليمان على بني اسرائيل من بعد ابيه داود وكيف كان حاله مع الملوك المجاورين له وماذا ابتدى مدة حكمه وما حدود مملكته وكيف كانت حالة بني اسرائيل في ايام دولته
- ٢٩ - من الذي انشأ بيت المقدس وعلى أي رسم كان انشاؤه وبأي وسيلة وكيفية كان تشييده وبنائه
- ٣٠ - ماهي المباني والعمارات التي بناها سليمان عليه السلام غير بيت المقدس السالف عليه الكلام
- ٣١ - كيف كانت درجة ملك سليمان عليه السلام من الهيبة والاعظام وماذا ترتب على امتداد صيته وهيبته من دخول الممالك المجاورة له تحت طاعته
- ٣٢ - ما قصة بلقيس مع سليمان عليه السلام
- ٣٣ - كيف كانت حالة الاممالات التجارية بين بني اسرائيل والممالك الاجنبية في عهد سليمان عليه السلام
- ٣٤ - ماذا قيل في حق سليمان بما يخالف شريعة موسى عليه السلام كما هو في التواريخ مذكور وماذا ترتب على ذلك في بني اسرائيل من الفتن وايقار الصدور
- ٣٥ - ماذا كان يربعم بن نوبات وما قصة مع سليمان عليه السلام
- ٣٦ - ماذا قيل بشأن حكم سليمان في سالف الاوقات وماذا يؤثر عنه من الكتب والمؤلفات
- ٣٧ - ما قصة اعتزال الاسباط العشرة عن سائر اليهود وكيف كان خروجهم عن دولة آل داود
- ٣٨ - ما تفصيل قصة تفرق دولة بني اسرائيل الى دولتين وتفرق مملكتهم الى مملكتين
- ٣٩ - ما المراد بقول المؤرخين من هنا فتنزل مملكة بني اسرائيل في مقابلة مملكة يهوذا وبنيامين
- ٤٠ - ماذا ترتب على تفرق مملكة العبرانيين بالشام من المصائب والالام

الفصل الرابع

- ٤١ - من الذي تولى مملكة بني اسرائيل ويهوذا بعد تفرقهما من الملوك وماذا كانت حالة كل واحد منهم من طريقة السلوك - يربعم بن نوبات - رجبعم بن سليمان آفيا - اسا - نوذب - يعشو - زمرى - عوى
- ٤٢ - ما اصل مدينة سمرية في سالف الجليل وجعلها قاعدة مملكة بني اسرائيل
- ٤٣ - ماذا قيل في حق اخو ملك بني اسرائيل من الذكر الرذيل
- ٤٤ - ماذا قيل في حق يهوذا فاطم ملك يهوذا من الذكر الجميل
- ٤٥ - بماذا يذكر اخو يربعم بن نوبات ملك بني اسرائيل من الذكر الرذيل

- ٤٦ - بماذا يذكر يهوذا بن يهوذا و شافط وكيف كان تأثير زوجته عثليا هو عليه
٤٧ - بماذا ذكر اخزيا هو ملك يهوذا و داود يهوذا ملك بني اسرائيل وماذا فعل ياهو وماذا
ذا نذكر المرأة الطاغية المسماة باسم عثليا هو
٤٨ - كيف تقلد ملكة يهوذا يواشا وكيف نجح من مقتلة بني داود وعاش وكيف كان
سلوكه الى ان مات
٤٩ - كيف كان سلوك امصيا هو بن يواشا - وعزيا هو - ويوش - وآحاز - وزقيا
٥٠ - كيف كان حال ملكة بني اسرائيل في مدة سلوكها ملكة يهوذا المذكورين اعلاه
يهوياحاز - يواشا بن يهوياحاز - برعم الثاني - ذكريا بن برعم الثاني - شالوم
مناهم - يثحيو - فاقح - هوشاع
٥١ - ما اصل منشأ الفرقة المعتزلة من اليهود المسماة بالسامرة والاساميريين

الفصل الخامس

- ٥٢ - ماذا كانت حالة ملكة يهوذا من العظمة وعلاو الشأن اذ كانت ملكة بني اسرائيل
قد اخذت في الانحطاط والخوان
٥٣ - بماذا يذكر حزقيا هو ملك يهوذا من الذي ذكر الجميل وماذا يذكر في ايامه من حادثه
مجزرة النبي اشعيا من انبياء بني اسرائيل
٥٤ - بماذا اشتهر منشأ من الكفر والعصيان وعبادة الاوثان ومن الذي حسم
مادة الاستقلال الظاهرية التي كانت قد آلت اليها حالة الدولة العبرانية في تلك
الحقة الزمنية وما قصة المرأة المشهور باسم (نوديت) الاسرائيلية
٥٥ - بماذا يذكر ارمون ويوشيا والى مآلت حال ملكة بني اسرائيل في عهد هذا الملك
الاخير من الضيق والتأخير يهوياحاز - يهوياقيم - والنبي ارميا
٥٦ - ماذا فعل يحنانيا بالقدس - يحننو - صدقيا - جودلياس - اسماعيل

الفصل السادس

- ٥٧ - ما قصة النبي دانيال وماذا كان عليه بنو اسرائيل بعده الاسرا الاكبر من الاحوال

تمة

المسألة الاولى

- ٥٨ - ما الطريق التي سلكها موسى بن اسرائيل في سفره من مصر الى الشام وماذا
قيل في عددهم وما المان والسلمى اللذين ائتمرا الله عليهم وغير ذلك مما يتعلق بهم
المسألة

المسألة الثانية

٥٩ - ما المراد بقبة العهد والمظلة وما أول هيكل تأسس في بني اسرائيل على هيئة منتقلة
ومناصفة ذلك الهيكل حسب ما جرى عليه من عهد موسى العمل

المسألة الثالثة

٦٠ - ماهي الجرائح والآيات السبع التي ابنتى الله بهاد يار مصر في سالف الايام
وما حيثية كونها معجزة لموسى عليه السلام

المسألة الرابعة

٦١ - كيف كانت حالة بني اسرائيل العقلية وماذا أثر عنهم من العلوم العقلية
والنقلية

تذييل

٦٢ - جدول تعاصر ملوك مملكتي يهودا و بني اسرائيل من القوم العبرانيين وبيان
تاريخ جلوس كل واحد منهم على سرير الملك ببلاد فلسطين



الباب الرابع

في تاريخ الاسوريين والبابليين واهل بلاد العراق وكردستان السالفين

اعني تاريخ دولة النماردة ببلاد الرافق وهي بلاد كلدة وتينوى والسر يانيين وهم النبط او النبطيون وبلاد الجزيرة المسماة عند اليونان في سالف الزمان باسم الميزوبوتامية اى بلاد ما بين النهرين (دجلة والفرات) وهي احد العراقين (العربي والجمي) من تلك الجهات واصل مأخذ هذا الباب من عدة موارد

(اولا) من كتب التواريخ القديمة المدرسية اى التي كان جاريا عليها التعليم بالمدارس الاوروبية وهي القطع الباقية من تاريخ المؤرخ السكنداني اليوناني المشهور باسم (بيرون) في ضمن الجزء الثالث من مجموع القطع التاريخية اليونانية المطبوعة بمعرفة الطابع الفرنسي الشهير باسم (ديدو) وتاريخ المؤرخ هيردوت اليوناني وديودور الصقلي وغيرهما (ثانيا) من تحقيقات علماء الاقترح المتأخرين والسياحين الاوروبيين والعصرين فيما يتعلق بالبحث عن الآثار السريانية القديمة وكيفية قراءة القلم السرياني المسمى ايضا بالخط السنانى اى الذى هو على شكل سنان الرمح او المسامير وهم الرجال المشاهير باسم (بوت) و(دوسولسى) و(اوير) و(ميتوت) من الفرانسييس و(السيار) و(راولسون) و(نوريس) من الانجليز وغيرهم

افكار تقديمه وقوائدهمومه

قد ذكرنا في ضمن المسألة السابعة من تحت الباب الاول المتعلق بتاريخ الاعصار الاولى والازمان الاصلية نقلا عن مختصر التاريخ القديم للوزير الفرنسي المعروف باسم ويكتور دوروى الشهير ما يفيد ان اقدم الدول التي تأسست بعد الطوفان في سالف الازمان قد كان بوادى النيل ووادى دجلة والفرات اعني دولة الفراعنة بالديار المصرية ودولة النماردة ببلاد العراق وبابل وبلاد الاسورية وحيث اسلفنا الكلام في الباب الثاني والثالث على تاريخ قدماء المصريين والعبرانيين الذين كانوا لهم من الامم المجاورين من اوائل امرهم بعد الطوفان فنازلا لغاية استيلاء دولة الفرس عليهم في القرن الرابع قبل ميلاد المسيح عليه السلام وقد مر زمانان تصدعهما ثلاثة في ميدان تلك الازمان لتتبع كذلك تاريخ البابليين والاسوريين المعبر عنهم في كتب المؤرخين المسلمين بالعبرانيين او دولة النماردة ببلاد العراق

والجزيرة والسكلايين ومن انجاز اليم في تلك الاقطار من اوائل تلك الاعداد فذا لا لغاية تغلب دولة الفرس عليهم (في سنة ٥٣٣ ق م)

وقبل الشروع في تاريخ البابليين والاسوريين يلزمنا بحسب ما جرت به عادة المؤرخين كما فعلنا فيما يتعلق بوصف وادي النيل وما يليه من بلاد الشام وفلسطين ان تذكر بعض معلومات جغرافية وقوائد تعريضية فيما يتعلق بما يعبر عنه في اصطلاح العلماء الجغرافيين بمحوض دجلة والفرات او بلاد ما بين النهرين وذلك كما اسلفنا في الابواب السابقة لتتصدتعريف المكان قبل السكان راجعين بالنقل في هذا الباب عن مختصر تاريخ البلاد المشرقية والهند للؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان وقد انتهاه ايضا على مقدمة وعدة فصول فتقول

مقدمة

في بعض معلومات جغرافية وقوائد تعريضية تتعلق بالاقطار الفراتية

مطلب — وصف حوض دجلة والفرات وما شتمل عليه من الممالك والولايات قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في مختصر تاريخ البلاد المشرقية والهند ما نرى به بعد ان سلسلة الصخور العظيمة الحارقة من المغرب الى المشرق كالحصيف الشرقي من السكرة الارضية تمتد من عند البحر المحيط الغربي المسمى بالاقيانوس الاطلنطيقي اعادة الجزر المعروف باسم (هوانجهاي) والبحر الاصفر الذي هو جزء من البحر الصيني وتنقطع اول مرة عند الحدود الفاصلة بين افر بقية وآسية بوادي النيل ثم تستمر الى جهة الشرق حتى تنقطع مرة ثانية عند مركز اتساعها عرضا بواحة ثمانية هي اوسع من الواحة النيلية اي الدبار المصرية غبر انهما ليست باقل منهما من حيث الخصوبة الارضية وذلك المكان هو في الحقيقة حيث تبدل طبيعة ارض الصخور وتتحول من هيئة سهل منخفض الى صورة هضبة مستوية مرتفعة جدا ونهر دجلة والفرات هما اللذان تتكون منهما تلك الواحة حيث كانا يجياهما حولهما محيطان وهذه الواحة الكبيرة هي التي كانت تسمى عند بني سام السالفين باسم النهرين وعند اليونان باسم (الميزوروتامية) ومعناه ايضا ما بين النهرين بمعنى الجزيرة وطلق عليها عند العرب اسم الجزيرة على وجه الاطلاق وهي خلاف جزيرة العرب كما هو معلوم عند اهل اللغة والادب وهي التي تسمى ايضا في قديم الانبار الواردة في التوراة باسم بلاد (سنعار او شنغار) (بالسين والعين المهملتين او بالشين والعين المعجمتين) ومتبع كل من هذين النهرين في مكانين متغايرين احدهما من الانحياز الجبال المسافة في زمان باسم

جبال (نيفانيس) وتسمى الآن باسم جبال (كلشين) ببلاد رومية وهما اول البحر يان في
الجهان هما بالكلية متخالفان ثم شيئا فشيئا يتقاربان حتى يصير امتوازيين وبعد ذلك
في مجرى واحد يجتمعان ومن ذلك المكان يسمى مجموعهما باسم (شط العرب) الآن وهما
في الخليج الفارسي معا بصان

وتنقسم الجزيرة الفراتية المذكورة لادعى اختلاف تركيب طبيعة طبقتها الارضية
العلوية واختلاف منظر سائقيها الزراعية ودرجة خصوبتها التي هي كخصوبة ارض مصر
مشهورة الى قسمين متباينين (احدهما) الجزيرة الشمالية وكانت تشغل اولا على الولاية
المعروفة عند السلف ببلاد (اونروية) وهي البلاد التي كانت قاعدتهم المدينة المشهورة باسم
(ايديس اوانطاكية) المسماة باسم (اورفة) الآن (ونانيا) على الولاية التي كانت تسمى في
سالف الاحقاب العصرية ببلاد الاسورية (نسبة الى اسور بن سام بن نوح عليه السلام وقد
يعرب بلفظ سريان ونسب اليه اللغة السريانية) وفي مكانها ما يدعى الآن ببلاد كركستان
وقد كانت قاعدة تلك البلاد الاصليّة مدينة (نينوى) (وهي مدينة قوم النبي يوتس
عليه السلام) ومن مدائنها الكبيرة واما كنه الشهيرة اربل ولاريس وارتميت وغيرها
ومجموع بلاد اسرونية والاسورية كلها عبارة عن سهل كبير تتركب ارضه من مادة جيرية
لا تصلح للزراعة الا في الاماكن التي يوجد فيها منابع مائية او مجرى ماء غزير وباقى ارضه
المتسعة هي من قبيل الصحارى الاصليّة لم تزل من سالف الاعصار غير مزروعة بخلاف
القسم الثاني وهو الجزيرة الجنوبية التي هي عبارة عما يشمل على بلاد بابل او بلاد البابلية
الاصليّة وهي البلاد المنحصرة فيما بين دجلة والفرات من عند جنوب بلاد الميزوبوتامية او
الجزيرة الحقيقية الى حد ما تنفي النهرين المذكورين وعلى ما يدعى ببلاد كلدة وهي البلاد
التي نلى ما تنفي النهرين الى حد الخليج الفارسي وقد يعبر ببلاد البابلية عن سائر بلاد الجزيرة
الجنوبية اعني عن بلاد بابل وكلدانها وهما المعبر عنهما ايضا الآن ببلاد العراق العزبي في
مقابلة العراق الهيمى او الفارسي الذي هو من ضمن بلاد فارس المسماة الآن ببلاد ايران
ومجموع بلاد بابل وكلدة المذكورين هو ايضا عبارة عن سهل كبير غير انه اسفل عن السهل الاول
يسير وتتركب ارضه من الطينة الحادة المجلوبة من الجهات العلوية مع مياه النهرين المذكورين
حيث كانا من عند ابتداء هذا القسم الثاني متقاربين ليس بينهما من البعد غير مسافة من حلة
واحدة وظهر لعين الرائي منظر تلك البلدان من ذلك المكان في هيئة مرج متسع عظيم لاحتاج
لغير الرى حتى ينزرع وياتى من المحصول بمقدار جسيم وتبلغ الحرارة في فصل الصيف الى
درجة شديدة جدا حتى على ذات المشاركة بذلك الاقليم واما الشتاء فهو فيه معتدل الهواء في
غاية اللذة والهناء ويقض ما دجلة والفرات في اوقات دورية من السنة فسرور الاراضى

المختفصة غير انه لايجلب اليها طينما يرسب عليها كالطين مع ذلك فلوتدبرت طريقة الرى الطبيعية هذه بطريقة هندسية عناعية كما كان ذلك حاصل في سالف الحقب العصرية اصبحت بلاد كلدة الآن هي البستان الجميل في سائر الاقطار الآسية فقد كان الارز والشعير في سالف الازمان يأتيان من المحصول عن الواحد بالمائتين واما الآن فلدا على اهمال اعمال الترع والجسور لا يأتى المحصول الا بنحو العشر من محصول سالف الاعصار وليس في تلك البلاد اشجار غير النخيل وقد يكون منها غابات عظيمة قد تكون مسعة جسيمة جدا (انتهى)
 عبر بامن مختصر تاريخ بلاد المشرق والمند للثورخ فرانسيس لونوزمان

مطلب - تعريف الممراد من بلاد الآسورية في سالف الحقب العصرية قد فهم مما توضح اعلاه أن ما يعبر عنه ببلاد الآسورية في سالف الحقب العصرية هو البلاد المحدودة من جهة الشمال ببلاد رمنية ومن جهة الشرق ببلاد فارس وبلاد المبدية ومن جهة الجنوب بالخليج الفارسي ومن جهة الغرب ببلاد الشام وجزيرة العرب وان تلك البلدان يخترقها طولاً نهران عظيمان وهما (أولاً) الفرات وقد كان موضعا على هذا النهر في سالف الازمان من مشاهير المدن والبلدان كل من مدينة (بئسك) (وهي المعروفة الآن بالدير) وقرية (كونا كسه) ومدينة بابل الشهيرة في تلك الازمان (وثانياً) نهر الدجلة وقد كان عليه مدينة نينوى وكانت أيضاً من أشهر البلدان في سالف الازمان ومعاب النهرين واحد كما سلف بذلك التوضيح والبيان وقد كانت تنقسم بلاد الآسورية هذه الى ثلاثة اقسام اصلية (احدها) بلاد الآسورية الحقيقية قوية الاله بلاد نينوى والبلاد النينوية ومدنه الاصلية نينوى واربيل (الثاني) بلاد الميزوبوتامية بمعنى الجزيرة أو شام ما بين النهرين ومدنه الاصلية مدينة (ايديس) وهي انطاكية المدعاه الآن ادرة وهي المدعاه أيضاً بالرها ومدينة (كاز) وهي المشهورة في الذروة لداعي اقامة ابراهيم عليه السلام فيها باسم (هاران) ولم نزل نعرف بهذا الاسم انما الآن (الثالث) بلاد بابل والبلاد البابلية ومدنه الاصلية بابل وكونا كسه وقد يطلق على مجموع هذين القسمين الاخيرين اسم بلاد كلدة والكلدانيين هذا ما كان يفهم من اطلاق لفظ بلاد الآسورية واقسامها الاصلية عند الامم المتقدمين

مطلب - ذكر الولايات المشمولة في حوض دجلة والفرات ووصف تلك البلدان على حسب ما هي عليه الآن (معرباً من جغرافية المعلم قورنيمير الكبرى السالفة الذكر والبيان - اعلوا ايها الاخوان ان البلدان والاقطار التي كان يعبر عنها باسم الجزيرة والآسورية والبابلية وكلدة في سالف الاعصار هي عبارة الآن عن سائر الولايات والايالات بمعنى الاعمال (جمع عمل بمعنى ولاية) أي البلاد المنسوب عليها

عامل احوال من طرف دولة كبرى وهى دولة بنى عثمان الآن بالنسبة لجميع تلك البلدان التى هى من جملة بلاد آسية الغربية المعدودة من جملة ما يعبر عنه فى هذا الزمان باسم تركية آسية او الولايات العثمانية ببلاد آسية الغربية كما سبق لذلك فى مقدمة الباب الثالث من بعض توضيح وبيان وذلك عبارة عن بلاد ارمنية العثمانية (فى مقابلة ارمنية الروسية اى البلاد السكائية تحت سلطنة قيصر الروسية من ارمنستان) مع بلاد الاكراد او كردستان ثم بلاد الجزيرة وبلاد العراق العربى المعبّر عنه ايضا ببلاد السوادم تلك البلدان وصفتها مع ما فيها من مشاهير المدن والبلدان على حسب ما هى عليه الآن كما وصفها العالم الجغرافى الفرنساوى المشهور باسم تورنير فى كتاب جغرافيته الكبرى هو كما يأتى بعد بالتفصيل والبيان اما ارمنستان العثمانية وكردستان فهما على شرفى بلاد آسية الصغرى يمتدان وكلاهما يتكون من اراض مرتفعة جدا هبى اكثر من سائر الممالك العثمانية ببلاد آسية الغربية يراد فى جهة الجنوب منها اعنى فى البلاد التى تعرف فى سالف الاحقاب العصرية باسم بلاد الاسورية قد يوجد سمول حارة وارض مستوية منخفضة سارة ويوجد بارمنستان الآن من مشاهير المدن والبلدان المدينة المعروفة على لسان الانراك بمدينة (ارظروم) (محرفة عن ارض الروم بقاب الضاد طاء) وهى حاضرة كبرى ذات تجارة كثيرة يبلغ عدد اهلها نحو ٨٠٠٠٠ نفس ويه طمع بها الجود الاسلحة التركية البيضاء ومدينة (كارس) وهى قلعة حصينة معروفة بقاومة عالية حصن شهره حصلت عليها من الجنود الروسية فى سنة ١٨٥٥ الميلادية ومدينة (وان) السكائية على الشاطئ الشرقى من بحيرة وان وهى موضوعة على القرب من مكان المدينة التى كانت تسمى باسم (سياراموسرت) فى سالف الزمان ثم مدينة (دياربكر) المسماة ايضا باسم (آمد) وهى مدينة كائنة على نهر الدجلة يبلغ عدد سكانها ٤٠٠٠٠ نفس وبها معامل شهيرة بانقان صناعة اقشة الحرير وجلود المختبان

ومن مدن بلاد الاكراد او كردستان الشهيرة المدينة المعروفة بالموصل وهى مدينة كبيرة موضوعة ايضا على نهر الدجلة قرب يمان المسكان الذى كانت فيه مدينة نينوى فى قديم الزمان واول من استكشف آثار هذه المدينة العتيقة بالقرية المعروفة هناك باسم قورازاباد فى سنة ١٨٤٣ من الميلاد رجل فرنساوى يسمى باسم (بوت) كان منصوبيا بوظيفة قنصل دولة فرانسة بتلك البلاد ثم استكشف جماعة آخرون سائر اطلال هذه المدينة الشهيرة على هذه اما كن كثيرة خصوصا بالقرية المعروفة باسم (كيدونجك) وعلى الجنوب الشرقى من المدينة المذكورة توجد مدينة اربل وهى من سالف الزمان بهذا الاسم مشهورة ولا سيما بما وقع فيها فى قديم الاغصار للاسكندر على دارامن الظفر والانتصار

واما بلاد الجزيرة ونعمى (ايضا باسم الميز وبو تامة بمعنى ما بين النهرين) لكونها مضمرة في الواقع ونفس الامر فيما بين دجلة والفرات فليست عبارة عن سائر البلاد التي تتكون منها الجزيرة الكائنة بين النهرين للمذكورين ولا تمتد الى حد ملتقاهما بل يطلق لفظ العراق العربي على الجزء الاسفل من تلك البلاد المحصورة بينهما ثم تمتد بعد ملتقاهما على طول مجموعهما المسمى باسم شط العرب لغاية الخليج الفارسي ومجموع هذين القطرين (اعني الجزيرة والعراق العربي) متكون على وجه العموم من اراض خصبة للغاية العليا وانما يوجد فيها بنواحي الفرات بعض سهول جذبة معرضة لدرجة من الحرارة شديدة للنهاية القصوى

ومن مشاهير المدن الموجودة ببلاد الجزيرة بالآآن المدينة المسماة اقبالها او اوروفا وهي التي كانت تعرف باسم (ايديس) في سالف الزمان ويقال ان الذي اختطها هو النمرود ومدينة (هاران) المذكورة في التوراة بهذا الاسم على انها كانت محل اقامة ابراهيم عليه السلام ولم تزل تدعى بهذا الاسم لغاية الآآن ومدينة نهديز المسماة (نيزيديس) في قديم الزمان

واما بلاد العراق العربي المسماة ايضا بالسواد فاشهر مدنها بغداد الكائنة على نهر الدجلة وقد كانت في الاصل الوسطى هي ابيج قاعدة لدولة الخلفاء العباسيين ثم انحطت مرتبتها العظيمة وزالت بهمتها القديمة ومع ذلك فلم يزل بها لغاية الآآن نفوس الف نفوس من السكان وبها اسواق جميلة المنظر جليلة الشأن وعلى القرب منها انار مدينة تسمى (سايوقية) واقطر بفون) الشهيرتين في سالف الزمان وعلى جنوب بغداد المذكورة مدينة الحلة الكائنة على شاطئ الفرات وهي على القرب من اطلال مدينة بابل المشهورة وعلى البعد منها بقليل الى جهة الشمال الغربي على شاطئ النهر المذكورة مدينة (اناه) وهي موضوعة في واحة جميلة كانتهاستان من انعم الجنان وفي الجنوب الشرقي منها على مجموع النهرين المسمى بشط العرب مدينة البصرة المشهورة وهي حاضرة كبيرة ذات تجارة كثيرة يبلغ تعداد اهلهما نحو ستين الف نفس من السكان (اتسمى معربا من جغرافية قورتنسبر السكبرى)

مطلب — تحقيق ما ورد في كتب المؤرخين من ذكر النبط والنبطيين — ذكر العلم بولييت صاحب كتاب معجم مشاهير البلدان وانباء ابناء الزمان ما معناه في هذا الشأن ان النبط والنبطيين (يفتح النون والياء الموحدتين يليهما طاء مهملة في آخره) هم اقوام من العرب الحاليين انزالين كانوا اثاره يقيمون بالشمال الغربي من جزيرة العرب وتارة *

وتارة يذهبون القوافل السيارة في البوادي والعصارات الكائنة فيما بين بلاد الشام ونهر الفرات الى اخر ما ذكر عنهم وقال الجوهري في الصحاح والفيروز بادى في القاموس وعبارتهما متقاربة مانعه والنيط والنيط قوم يتزلون بالبطائح بين العراقيين والجمع انباط (كأقباط) يقال رجل نبطى ونباطى ونباط مثل عني ويماني ويمان وحكي يعقوب نباطى أيضا بضم النون وقد استنبط الرجل وفي كلام ايوب بن الفريه اهل عمان عرب استنبطوا واهل البحر بنيط استعربوا (هـ من الصحاح) وزاد في عبارة القاموس قوله ونباطى مثله الى ان قال وتنبط تشبه بهم وتنبط اليهم (هـ) والذي يفهم من كلام المسعودي في مروج الذهب ان النبط والنيط والنيط اهل نينوى وبابل وسكان بلاد العراق السالفين الذين نحن بصدد تاريخهم في هذا الباب على خلاف في ذلك وخاصة ما يظهر من سائر ما هنالك هو ان لفظ الانباط في كلام العرب عبارة عن بعض سكان بلاد العراق السالفين كما ان لفظ الاقباط عبارة عن قدماء اهل مصر في سالف العصر وقد كانوا مثلهم انا سا اهل زراعة متفنة على اصول محكمة مستحسنة فان من الحقائق المشهورة والمعلومات المقررة

ما نشتر من قديم الازمنة من قولهم الفلاحة النبطية في مقابلة الفلاحة القبطية

مطب — ذكر بعض ملحوظات تتعلق بالمقابلة بين وادي النيل ووادي دجلة والفرات في كل جيل (معيان من كتاب تاريخ بلاد المشرق القديم للؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان) قال المؤرخ المذكور في تاريخه الكبير ما نعر به بعدمسطور وقد فهم مما سلفناه في هذه المقدمة من الفوائد الجغرافية المسطرة اعلاه ما يوجد من وجوه المشابهة في الاصول الطبيعية لحوض دجلة والفرات مع الديار المصرية ولا سيما بين القسم المسمى منه باسم كلدو وهي الجهة الجنوبية ويسان ذلك ان كلاهما ارض متكونة من المواد المجسوبة مع مياه النهر من الاماكن المرتفعة الى الاماكن المنخفضة وان كلاهما الحوضين المذكورين ذو خصوبة لا نظير لها في اقطار الدنيا انما هما الى درجة بحيث يخرج منه من غير مشقة ولا عمل تقرى سا جميع الحواصل اللازمة للاقوات فيما بين البوادي والعصارات وكل من القطرين مستعد بطبيعته لان يكون مكانا لنشأ واثل الجمعيات البشرية وعيدنا لبداية الطرق القديمة ولذلك كانت السهول المروية بالنهرين العظيمين الموجودين ببلاد آسية الغربية هي الامكنة التي تداولتها سائر الامم المتقدمين اقواما بعد آخرين وتزاحت على مملكة بلاد آسية جميع الملل من عهد النمرود في سالف العهود لغاية الخلفاء المسلمين وكانت الديار المصرية والجزيرة الفراتية هما سبقا قطرين

في هذه الدار الدينية حلت بها العمارة البشرية واعتنى مكانين من اقطار السكة الارضية نزلت فيهما الجمعية الانسانية وهما في درجة الاقدمية تقر بيباع على السوية وان كان لبابل على منف مزبدا الاولى فقد كان كل من هاتين المدينتين من سالف الاعصار العاربة ضربتين متمنازعين وكانت دولتاها خصمين متزاحين تغلب احدهما على الآخري وتتغلب على سلطنة بلاد آسية الغربية طور وطورا ومن المعلوم ان كلا من نهري النيل والفرات متواصلان بطرق سهلة المرور ودروب غير وعرة العبور يسهل فيها سفر القوافل السيارة الكثيرة ويتيسر بها سير الجيوش الجواراة الكبيرة ولذلك كان في كل عصر من الاعصار متى تولى دولة مصر رجل فوشهامة او ملك ذو عزم وصرامة نعلقت همته بالاستغوازي على بلاد الجزيرة كأن هناك قانونا لا بد منه وفاموسا لا يحمد عنه يقضى بعدم امكان وجود هاتين الدولتين المتخاصمتين والملكيتين المتشابهتين في الاصول الطبيعية والموارد المالية اللهم الا في بدو واحدة وتحت ساططة متحدة ومن ثم نرى ان فرعونى مصر وطحميس الثالث وسيتوس الاول بمدينة طيبة الصعيد ويوسف صلاح الدين بالقاهرة ومحمد على بالاسكندرية لم يكن لهم اشتغال بال على الدوام والاستمرار في سائر الاعصار الا بتوجيه جيوشهم نحو الفرات والاجتهاد في فتوح تلك الاقطار وكذلك الحال في تلك البلاد متى تمكنت دولة ذات قوة وصول على شواطئ هذا النهر الاخير يبعداد كما كان الحال كذلك لبابل ونيوى في سالف الدهور توجهت اطماعها للتملك على ديار مصر وادخلها في حوزتها برقة الاسر وليس تاريخ بلاد آسية في سالف الايام كما كان كذلك بمدة الاسلام الاعبار عما يكا دان يكون مجرد حركة تداول العداوة والشهنة السياسية المستمرة فيما بين دولتى مصر والجزيرة الفراتية متقطعة تلك الحركة فقط في بعض الاحيان بما كان يطرأ عليها في بعض الازمان من الحوادث الوقتية بتدخل بعض الدول الجهادية من الممالك الغربية الاوروبية في حومة ميدان تلك الوقايح الدهرية كما في عصر فتوح الاسكندر الاكبر وعصر الحروب الصليبية (انتهى من كتاب تاريخ بلاد الشرق القديم للمؤرخ فراسيس لونورمان) وبما قيل ايضا في المقابلة بين الفرات والنيل من الشعر الجميل والقول المنسجم الجزيل قول بعض المصريين واهل الادب المتأخرين وكان قد ابتلى بهجر الاوطان واقام ببلاد العراق مدة من الزمان فقال وتلطف في المقال

يا لله قل للنيل هنى انتى * لم اشف من ماء الفرات غليلا

وسل القواذفانه لى شاهد * ان كان طرفى بالبكاء بجيلا

يا قلب كم خلفت ثم بثينة * واظن صبرك ان يكون جيلا

وحيث فرغنا مما اردنا ابراده هنا في هذا المقدمة من الفوائد الجغرافية المتقدمة فيما يتعلق

بتعريف حوض دجلة والفرات ساغ لنا ان نشرح في ايرادنا تحقيق عند علماء الاثر في
المتأخرين من اخبار تلك الاقطار في قديم الاعصار وذلك في عدة فصول فنقول

الفصل الاول

في تاريخ الجزيرة الفراتية في اعصار الاولى

مطلب — ذكر اول سكان بلاد كلد من الامم الاقدمين في سالف الازمان بعد
الطوفان — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في تاريخ بلاد المشرق القديم السالف
الذكر والبيان اعلاه ماتعريبه ادناه ذكر بنص التوراة ان اول مكان حصل فيه
اجتماع الجعيات البشرية في سالف الاحقاب الدهرية بعد الطوفان هو حوض دجلة
والفرات ونص عبارة سفر الخليفة من الكتاب المقدس المذكور هو كدامعربا كما هو بعد
مسطور ، ولما جاء الامم من جهة المشرق وجدوا لهم رستا قاييلا دشعار فسكنوه وتوطنوه
(اه) وصرحت التوراة ايضا بانهم في تلك البقعة قد كانوا اختطوا اول مدينة كبيرة
حصل انشاؤها على الكرة الارضية في سالف الزمان بعد الطوفان وفي الاقطار
المذكورة قد كان وقوع حادثة تبديل اللسان واللغات وتفرق الامم الى سائر الاماكن
والجهات من الارض المعمورة وقد اسلفنا ذكر هذه القصة فيما تقدم من هذا الكتاب
وذكرنا انهم اتوا جسد في الروايات المتواترة ببلاد البابلية كما توجد في التواريخ العبرانية
وبعد تفرق الامم المتكونة من نسل نوح عليه السلام في سالف الاقطار كانوا قد اجتمعوا اولا
في السهول المتسعة المسماة في تلك الاعصار باسم شععار وكان قد بقي منهم في تلك السهول
شريحة كبيرة متكونة من امم شتى واقوام متنوعة النسب والاصول هذا ما يظهر من حكاية
التوراة كما يشهده ايضا ما النقطة بغاية العناية ورواه عن اهل البلاد البابلية في ايام الدولة
الاسيلوية وحكاية في تاريخه من الروايات المتواترة المؤرخ بيزوز وهو حبر كلداني كان
قد ترجم توارخ بلاد من اللسان العبراني الى اليوناني ونص عبارته هكذا ، وقد كان اولا
بيلدة بابل اوبابيلون جماعة عديدة من الناس يتسبون الى امم شتى كانوا هم الذين نزحوا
ببلاد كلد وعمروها واقاموا بها وتوطنوها (اه) الى هنا معربا من كتاب تاريخ بلاد
المشرق القديم للمؤرخ فرانسيس لونورمان (ر جع للنقل من مختصر تاريخ بلاد المشرق
والهند للمؤرخ الالكاف المذكور والبيان)

وبقدر ما تبين لنا الصعود في غابر الاعصار بدليل ما امكن لنا العثور عليه من العمارات
والاثار نجد ان اسلاف سكان تلك الاقطار كانوا متفرقين الى فرقتين اصليتين وامتيتين

مستقلتين تدعى أحدهما باسم (السومير) وكانت متوطنة منها بالتواحي الجنوبية والثانية باسم (الآكاد) وكانت ساكنة بالتواحي الشمالية أما الآكاد فقد كانوا من ولد كوش بن حام ابن نوح عليه السلام وأما السومير فقد كانوا من فرع النسل الانساني المعبر عنه في اصطلاح الاوروبايين بالتورا في الذي هو اصل انتشار الفلنديين والترك ومن هذا الفرع أيضا قدماء سكان بلاد السوسية (وهي بلاد ايران المعروفة الآن باسم خوزستان) وكذلك اسلاف بلاد الميديه (من تلك البلدان) (وهي المعروفة الآن باسم العراق العجمي واذر بيجان) وقد وقع هذا اللفظ الاخير فيما تقدم بالمقدمة من تعداد الابواب السالفة تفسيرا للفظ الاسورية من قبيل السهو وسبق القلم والصواب هناك لفظ كردستان بدلا عن اذر بيجان ولذلك نيهنا عليه هنامن قبيل تدارك الغلط والنسيان حسب الامكان) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان في مختصر تاريخ بلاد المشرق والهند ان سالف الذكر والبيان وقد كان المركز الاصيل الذي انتشرت منه جميع الامم النورانية الى سائر اقطار الكرة الارضية في سالف الاحقاب العصرية هو شرق بحيرة آرال (وهي بحيرة خوارزم) وقد كان لهؤلاء الامم في الاعصار المتوغلة في القدم نوع من التمدن والتقدم خاص بهم يتميز عما كانوا عليه من العبادة الفليطة للأكواب السماوية والميل الشديد لالتعلق بالامور المادية وعدم الترقية العقلية بالكلية مع بعض تقدمات عظيمة في بعض أمور المعاش المادية حين كان غيرهم من الامم في حالة من التمدن غشيمة وقد كان لدرجة تمدنهم الغربية وحالة تقدمهم الناقصة هذه درجة فوقان عظيمة جدا على قطعة جسيمة من بلاد آسيا في تلك الحقبة الزمنية القديمة ومع كون القوم الاكاديين والسوميريين المذكورين كانوا اكثر الاقوام عددا واكبرهم قوة ومددا ببلاد كلدة والبابلية وكان منهم في تلك البلاد اساس الطوائف الالهية الاصلية فلم يكونوا اهلها وحدهم بل كان يختلط بهم في كل مكان من مساكنهم اخلاط من امم آخرين بدون ان يكون لهم قطر معين مختص بهم فكان يساكنهم في تلك البلاد اقوام كثيرون من ابناء سام ابن نوح عليه السلام بعضهم اقوام رجالون وقبائل بدويون وبعضهم اناس حضريون بالمدن متوطنون ومن الامم المذكورين كان الاقوام المعروفةون بالاسوريين او بالسر يانيين وهم ولد اسورا واشور (بالسين المهملة او بالسين المجهمة) وهما بن سام وكان قد خرج معظمهم من بلاد شنعار ووطنة وابتلك الاقطار في عهد قريب بعد ذلك من تلك الاعصار ومنهم ايضا بنوعا بروتارح ابوابراهيم عليه السلام وهم العبرانيون وقد كانوا متوطنين فيما حوالى مدينة (اور) باسفل حوض الفرات ولم ينتقلوا من تلك الجهات الى بلاد (هاران) التي قد كان فيها اول بعثة ابراهيم الابوقت ميلاد هذا النبي العظيم

مطلب — ذكر اول من انشا التمدن والعمارات على شواطئ نهري دجلة والفرات لاشك في ان اول من انشا هذه العمارة الكبيرة والحضارة الشهيرة التي كانت ببلاد بابل وكلدانها هو مجموع قرأح هؤلاء الامم الشتى المذكورين وان صل تكون التمدن والعمارات التي تحصلت بشواطئ دجلة والفرات وصار لها فيما بعد على تمدن سائر بلاد آسية الداخلية اعظم التأثيرات انما هو نتيجة امتزاج التأسيسات الحاصلة من كل واحدة من جميع هؤلاء الملل المختلفة حين اجتمعوا على ارض متحدة ولا شك في ان كلام من ولد كوش وتوران المذكورين قد كان ظمافي ذلك الزمان اعظم حظ في ذلك التمدن والعمران غير انه يصعب علينا ان نعرف اى الحزبين من الاكاديين والسومريين المذكورين اكان هو الاسبق في هذا الميدان وباهل ترى من كان منهم هو الاقدم في طريق هذا الحادث المشترك الاعظم حيث انشا انما تيمر لنا ان نراه وهو بحالة الكمال على الوجه الاثم وغاية ما يمكن ان يقال في حل هذا المشكل هو ان لنا من المقتضيات ما يحمل على القول بان ما حدث على شواطئ دجلة والفرات في سالف تلك الاوقات من مذهب الدين والتقدم في علم الفلك والنجوم والممارسة في الصنائع والفنون انما كان اصل مودعه من الاقوام الكوشيين ودليل ذلك ما ذكر في الروايات المتواترة بين البابليين من انهم يقولون ان اول مهد لعقائدهم الدينية قد كان على ساحل الخليج الفارسي ويعتقدون ان معبودهم المسمى باسم (اونيس) (بضم الهمزة في اوله مع امالة النون الموحدة على ياء مشاة تفتحة ساكنة يليها سين مهملة في آخره) هو سمك كان قد خرج من البحر ليعلم الناس قوانين الخدمة الدينية

قال المؤرخ المذكور اعلاه ما تعرضه ادناه واما التورانيون فانهم هم الذين جليو الى مدينة بابل او بابليون وبلاد الاسورية بطريقة الكتابة القرية وكيفية الخط العجيبة المسماة بالقلم السناني بمعنى الذي هو على شكل سنان الرمح او السهم لكون كل حرف منها مركبا من عدة اشكال كل واحد منها على صورة سن الرمح او السهم (وهو القلم المر ياتي القديم الذي كان يكتب به اسلاف سكان بلاد العراق في قديم الايام)

مطلب — ذكر نمود وما يحكى عنه في التوراة من الروايات — اعلم انه لا يتبدئ التاريخ الحقيقي في حوض دجلة والفرات كما ان الحال كذلك في الديار المصرية الا من حين تكونت ببلاد كلدنة والبلاد البابلية دولة واحدة وعظيمة متحدة اجتمع تحت لواها سائر القبائل المتفرقة وقد كانت هذه الدولة في الحقيقة ونفس الامر اول دولة منظمة واسبق لمملكة مستقيمة حدثت في اقطار الدنيا في سالف الاعصار العارفة من بعد الطوفان وكانت حرجة الاعلوية فيم الولد كوش بن حام على سائر الامم والاقوام التي كانت تتركب منها ولذلك يعبر عنها اهل التاريخ بالسلطنة الكوشية او الحامية الاولى وتعرض ب نص عبارة

سفر الخليفة من التوراة وولد لكوش نمرود وكان قد اخذ في ان يكون قادرا على الارض وصياد اقوى يا امام المولى جل جلاله ومن ثم سار المثل السائر وهو قوه ولم فلان صياد قوى امام المولى كنمرود وقد كان اصل سلطنته بمدينة بابل وارش وآ كادوشا لانتيلادشنعار ومن تلك الاعصار كان قد خرج الرجل المسمى باسم (آسور أو آشور) (بالسين المهملعة او بالسين المجمة) وهو الذي بنى مدينة نينوى (مدينة قوم النبي يونس عليه السلام) واختط شوارعها واسس مدينتى كالاش وريسان فيما بين نينوى وكالاش التي كانت هو المدينة الكبيرة (انتهى نص عبارة التوراة)

مطلب — اصل منشأ الآسور بين اوالمر يائين قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه مامعناه ومن نص عبارة الكتاب المنزل المروى عنه اعلاه يستنبط عدة وقائع تاريخية ذات اهمية اصلية فيما يتعلق بتاريخ اوائل بلاد الجزيرة العراقية وذلك انه يفهم منها ان الاقوام الساميين الذين هم من ولد آسور كانوا قد ساكنوا فيها الاقوام الكوشيين الذين كانوا ييلاد كدة ولم يخرجوا منها وبهاجروا عنها الى جهة الشمال ولم يوسسوا لهم دولة هناك غير الاولى حيث انشأوا فيها المدن الآسورية المذكورة اعلاه الى عدة تاريخية حقيقية اى لافى المدة التاريخية بمعنى (الزمان السالفة الغير المحققة التاريخ) ومن مساكنتهم بعضهم مع بعض من اول الامر في سالف ذلك العصر في ظروف تلك المدة المديدة والاعصار العديدة يعلم السبب في كون الآسوريين والبابليين وان كانوا في الاصل امةين متغايرتين احدهما من ولد كوش بن حام والثانية من ولد آسور بن سام كانت لغتهما واحدة وكيفية تمدنهما متحدة

الفصل الثاني

في تاريخ الدولة السكدانية الاولى

اغنى طبقة ملوك العراق الاولى بمدة اجتماع الآسوريين والبابليين تحت ولاية النماردة السالفين

مطلب — ذكر اوائل امر لدولة السكدانية والدولة الآسورية ببلاد الجزيرة العراقية — قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه مات نرييه اذناه لانعلم شيئا مطلقا من طريق الموارد الادبية سواء كانت اثرية او بشرية من تاريخ الملوك السالفين الذي خلفوا نمرود على السلطنة ييلاد كدة ولا من تاريخ الاعصار الاولى ببلاد الآسورية غير ان الذي يمكن لنا فقط ان نتلصحه من خلال الروايات المتناقلة طبقة عن طبقة والحكايات المتداولة من التواريخ البابلية التي نقلها الناسا مؤرخ السكدان في اليوناني المشهور باسم (هيرودوت) وان كانت

هي ايضا من قبيل الخرافات أى الاحاديث الغير المحققة المختلفة في درجة الخرافية هوان كلام من بلاد كلدنة وبلاد الاسورية كانا في اول الامر من سالف العصر امثين متغايرتين وملتين منفرتين اما الاسوريون الذين هم من ولد سام بن نوح عليه السلام فقد كانت مساكنهم في السهول الممتدة بجنوب جبال بلاد ارمنستان بين نهري الدجلة والخابور وفي القطر الجبلي الكائن خلف نهر الدجلة لغاية بلاد الميديه (التي هي الآن بلاد العراق العربي واذر بيجان) وفي هذا القطر الاخير كانوا قد اسسوا مدينة بنوى على الشاطئ الايسر من النهر المذكور والنظا هران سيرت منهم في الامور المادية وما كانوا قد بلغوه فيه من الدرجة العلية كان ابطاءهما كان عليه سير التمدن عند الامة الكلدانية وذلك ان الاسوريين والنينويين كانوا متوطنين على ارض او عرمن ارض الكلدانيين والبابليين وكانت درجة انميتهم اقل اضعا فاللادبان فلذلك مكثوا مدة عديدة من الزمان وهم بحال البداوة الاصلية والقساوة الالهية غير انهم كانوا اكثر رجولية واقوى تجلدا على الحرب من جيرانهم الجنوبيين والظا هرا ايضا ان الاسوريين لم يتكثروا من اول الامر في سالف ذلك العصر في هيئة دولة واحدة وسلطنة كبيرة متحدة بل كانوا ولا قبائل متحالفين واتوا ما يجتمعين في صورة محالفة وهي المعبر عنها الآن بلفظ جمهورية تحت ولايتهم شيخ قبائل ورؤساء طوائف كانوا بالاصالة متصفين بالصفة العسكرية واما البابليون الذين هم من ولد كوش بن حام فقد كانوا متوطنين على وجه مطلق في جميع الرسايف الخصبة الكائنة ببلاد كلدنة لغاية الخليج الفارسي وكانت سلطنتهم على تلك النواحي متميزة بدرجة عالية من ممارسة الصنایع واتعنون والتقدم في المعارف والعلوم مختلفا وذلك بما يوجد دائما في الاماكن التي اقام بها ولد كوش بن حام من الاوهام الفاسدة والافهام الكاسدة المتواترة عندهم الناشئة لهم من علم النجوم وهي غاية ما كان لهم من النصيب في تاريخ تقدم الجمعية الانسانية فكان لهم خيرة بغن الفلاحة واستخراج المعادن المعتادة والاهجار النفسية والتجارة في البر والبحر وكان عددا السكان بتلك البلدان قد غدا وازداد مرمعا على ارض خصبة تكثرت فيها المدن والقرى وال عمران واخذت العلوم والفنون في التوسع والانتشار ونشأ فيهم بتلك الاعصار تحت سماء صاحبة جليلة اصل وضع علم الفلك والنجوم وتقرر عندهم على آثار العقائد الاصلية الاولى التي كانت قد زلت بطريق الوحي على نوع البشر في سالف العصر عبادة الشمس وغيرهما من الاجسام السماوية وصارت هذه العبادة هي اساس دين تلك الاقطار

مطلب - ذكر الامة الكلدانية الاسورية قال المؤرخ المروى عنه اعلاه ماتعريه ادناه وقد كان الاسوريون بوقت مهاجرتهم الى جهة الشمال قد جلبوا معهم الى تلك النواحي بعض

شي من تلك الممارسة المتعددة واستمر واتحدت تأثير البابليين دون غيرهم حيث كان البابليون قد سبقه وهم في طريق التمدن وكانهم المعلم لهم في كل ما يتعلق به ولذلك كان لا يرى في سائر السهول المروية بدجلة والفرات من سالف الاعصار اعنى من قبل ان يقع الملوكة الكلدانيون بلاد الاسورية بالقوة القهرية غير مرة واحدة وملة محتانطة وان كانت من حيث الاصل مختلفة وهى الامة الكلدانية الاسورية ثم صارت تلك الملة الكبيرة من ذلك الحين قد تشاهد لنا في بعض الاحيان منقسمة الى دولتين متباينتين وسلطنتين مستقلتين ولم تكن مدينة نينوى التى هى قاعدة الدولة الاسورية ومدينة بابل التى هى قاعدة الدولة البابلية تحت طاعة مملكة واحدة ثم آل امرهما الى ان ظهر عليهما علامات شدة الميل للاتحاد وصار هاتان الفرقتان الاهليتان في اغلب الاحيان مجتمعتين تحت يد ملك واحد ودولة متحدة وغاية ما كان يحصل من الحوادث الاصلية في مدة سلسله ملوك الدولة الكلدانية الاسورية الطويلة وهى عبارة عن حركة تنافس مركز ثقل شوكتهم وتداول ايام دولتهما حيث كانت دولة تلك البلاد تشد اول يدنهم امم الاسوريين للبابليين وبالعكس وكانت تنافس تارة من جهة الجنوب اى من حيث نشأت الى جهة الشمال ومن الشمال الى الجنوب وتسمى سلطنة بلاد الجوزة الفراتية على حسب اختلاف تلك الحركات المتناقضة بالدولة الكلدانية او الدولة الاسورية اى السريانية ولكن كان دينهم واخلاقهم وعوايدهم التى كانوا عليها واللغة التى كانوا يتكلمون بها واحدة وكل من هاتين المملكتين المتداولتين والدولتين المتناقضتين امر واحد المتيبغ في المواد الاصلية

مطلب — ذكر تلك الدولة المبدية على مدينة بابل العراقية (اى من سنة ٢٥٠٠ الى سنة ٢٣٠٠ ق م) قال المؤرخ المروى عنه اعلاه بعد ذلك ما تعريبه ادناه ثم بعد حقة من الدهر لم يتيسر لنا العثور على دليل يدل على تعيينها بالطريقة اليعينية جاءت غارة اجنبية الى بلاد البابلية وقلعت الدولة الكوشية اى الاكادية الاولى التى كانت متسلطة بمدينة بابل قبل ميلاد المسيح نحو ٢٥٠٠ سنة وهم من القوم المعروفين باسم الآر بالولار بين الذين هم من ولد يافث بن نوح عليه السلام وغاية ما يظهر هو ان تلك الحادثة التاريخية كان وقوعها موافقا للوقت الذى وقعت فيه حادثة الهجرة الكبرى اعنى الوقت الذى ترك فيه الاقوام الابريانيون من ولد يافث اوطانهم الاصلية التى كانت لهم بسواطيهم فخرجون وتوجهوا الى جهة الغرب ليأخذوا لهم اوطان اخرى في نواحى بلاد فارس و بلاد الميديه وكان فرع آخر منهم قد نزل ببلاد الهند غير ان دولة بني يافث بمدينة بابل والجزيرة الفراتية ما سبرع مازالت بعد فان دولتهم لم تستقر ببلاد آسية فيما وراء جبال تلك (وهى)

(وهي التي منشأها من عند الحدود الفاصلة بين بلاد العرب والجم وتسمى أيضا عند الساف المتقدمين بحبال زجروس) وأقرضت دولتهم في بلاد كلدان بالكلية وفي بلاد الميديّة مدة بعض قرون من الزمن باقراض القوم الآريين حيث كان قد غلب عليهم بالشافي جنس القوم النورانيين الذين هم اعداؤهم من قديم الزمان

مطلب — ذكر تلك الدولة الايلامية على بلاد البابلية (من سنة ٢٣٠٠ الى سنة

٢٠١٧ ق م) — قال المؤرخ المروى عنه اعلاه ماتعريبه اذناه قال المؤرخ يبروز ان الذي تملك على بلاد بابل من بعد الدولة الميديّة والارثية المذ كورة اعلاه هو دولة جديدة كانت قد جاءت فقلعتها واستولت على ميري الملك يدا هنها وان اصلها من القوم الايلاميين وهم بنو ايلام (ياماله الممزقة على الياه المنشاة النحتية في اوله) اكبر ابنا عاسام ابن نوح عليه السلام وان اول مؤسس لهذه الدولة هو ملك من ارباب الفتوحات والصولة يدعى باسم (شودور ناخوتة) ونص على انها اقامت على ميري ملك بابل من نحو سنة ٢٣٠٠ الى نحو سنة ٢١٠٠ قبل تاريخ الميلاد ووافق ذلك ما ذكر في التوراة من الاخبار بانه في تلك الاحصار كان الملك المدعو باسم (شودور لاجومور) ملك ايلام قد استولى على سائر النواحي والجهات السكائفة في حوض دجلة والفرات وكان من اتباعه الملك المدعو باسم (امرافيل) ملك بلاد شنعار يعني كلدان والملك (اربوش) ملك مدينة (ابلاسار) وقد كانت اعظم المداين الاسورية في تلك الحقبة العصرية والملك (تارجال) قال في التوراة وهو ملك الاقوام الرحالين فاستعصب الملك شودور لاجومور جميع الملوك المذكورين الذين هم من اتباعه وتوجه بهم للفر ب نحو بلاد الغرب فاستولى مؤقتا على جميع بلاد الشام الى تقوم الديار المصرية واتهب مدينتي سدوم وعسرة واخذ لوطا اسيرا حتى جاء ابراهيم فاتصر عليه واستنقذ منه (انتهى ملخص ما ذكر بالتوراة) والظاهر ان الملك شودور لاجومور المذ كور قد كان اشهر ملوك الدولة الايلامية ببلاد البابلية

مطلب — ذكر تلك الدولة الاسكلدانية ببلاد البابلية (من سنة ٢٠١٧ الى سنة ١٥٥٩) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المروى عنه اعلاه بعد ذلك ماتعريبه اذناه وفي سنة ٢٠١٧ قبل تاريخ المسيح عليه السلام كانت قد قامت على ميري الملك بمدينة بابل عائلة ملوكية جديدة من القوم الكلدانيين واهل البلاد الاصليين فحكمت مدة ٤٥٨ سنة ومن اشهر ملوكها الذين حصل العثور لهم على آثار عرانية وقصور ملوكية ملكان كبيران وسلطانان عظيمان يدعى احدهما باسم (اسميداجان) (بكسر الهمزة في اوله) وهو الذي انشأ الهيكل الكبير بمدينة ابلاسار المذ كوره

اعلاه وكان قد جمع تحت سلطنته مملكتي الاسورية والبابلية معا والثاني يدعى باسم (هامورابي) (بفتح الهاء في اوله) وهو الذي حفر الخليج السلطاني الشهير بمدينة بابل وهو اعظم طريق لرى الاراضى وسفر السفن ببلاد الجزيرة السفلى

مطلب — ذكر استيلاء الدولة المصرية على بلاد الجزيرة الفراتية (من سنة ١٥٥٩ الى سنة ١٣١٤ ق م) — قال المؤرخ المروى عنه اعلاه ماتعريبه ادناه كانت دولة بلاد كاداة الاولى هذه قد زالت باستيلاء فراعنة العائلة المالوكية المصرية الثامنة عشرة عليهم فان الملك فرعون طوطميس الثالث كان قد استولى على مدينتي بابل ونيوى وادخل تحت طاعته بلاد الجزيرة والاسورية وكاداة ومكنت سلطنة الفراعنة مسئولية على تلك الاقطار مدة قرنين ونصف من الاعمار والذي ذكره تاريخ المؤرخ يبروز السالف الذكر ان الذى حكم بابل فى تلك المدة هو ملوك دعاهم ملوك العرب وقال انهم كانوا اتباعا لفراعنة طيبة صعيد مصر من ملوك العائلتين الفرعونيتين الثامنة عشرة والثانية عشرة المصرية يتين (اه)

الفصل الثالث

في تاريخ ملوك الدولة الاسورية الاولى او طبقة ملوك العراق الاولى

مطلب — ذكر تأسيس السلطنة الاسورية (من القرن الخامس عشر الى الرابع عشر ق م) قال المؤرخ المروى عنه اعلاه ماتعريبه ادناه ولما اخذت الدولة المصرية فى الانحطاط فى ايام الملوك الكسالى ملوك العائلة الفرعونية المتمعة للشرين فى تلك الاوقات تيسر لسكان شواطئ نهر الدجلة والفرات ان يتخذوا لانفسهم بالثاني دولة اهلية مستقلة وسلطنة هلية بنفسها مستبدة وكان مركز استقرارها فى هذه الدفعة بجهة الشمال ابنى ببلاد الاسورية (قريباً من نحو سنة ١٤٥٠ ق م) بعد ان كانت قاعدة مملكتهم فى الاعمار الاولى بالجهة الجنوبية اعنى فى جهة الخليج الفارسى ومن وقت ان اخذت دولة الفراعنة فى الاضمحلال كانت قد اخذت دولة بلاد العراق فى الاستفعال فاطاعت لسلطنتها سائر بلاد آسية الوسطانية وصار لادينة نينوى من حيثة ندى على مدينتي اور وبابل درجة الاعلوية وصارت فى ذلك العصر هى قاعدة السلطنة العراقية وقد كانت قاعدة مملكتهم فى العصر الاول هى مدينة اور ثم بابل غير ان مبدأ تاريخ هذه الدولة الجديدة هو غير متضح الحال ومن الخطأ البين ما ذكر فى كتب التواريخ اليونانية من الروايات العامة واشتهر جدا عند السالف فيما شاع من القصص الحكوية حتى تداولته يد التعليم فى المدارس الاورورية بناء على روايات حدثت فيما بعد من ذلك العهد بأن اول من اختطه مدينة نينوى هو الملك

المسعودي باسم (نينوس) ثم أعقبته على سرير الملك المرأة المسماة باسم (سيميراميس) ونسبوا اليهم ماسائر الفتوحات التي صدرت فيما بعد من ذلك العهد عن الملوك الاسوريين في تلك الاوقات وكل ذلك من قبيل الخرافات والصحيح انه لم يوجد على ظهر الكرة الارضية في ذلك العصر ملك يدعى باسم نينوس ولا ملكة تسمى باسم سيميراميس بالكتابة وان اول من تملك على مدينة نينوى كان في اول الامر هو بعض امراء صغيرين او ملوك طوائف تابعين لدولة المصريين ثم توسعوا في املاكهم ونفسحوا في اراضيهم واستفعل ملوكهم شيئا فشيئا حتى آل امرهم الى ان تملكوا على مدينة بابل ولم يكن ذلك الا في نحو سنة ١٣١٤ قبل ميلاد المسيح ومع ذلك فقد كانت تلك المدينة العتقة والحاضرة الشهيرة قد بقيت في ذلك العصر وهي بتقليد بالولاية عليهم املك مخصوص تابع للملوك نينوى المذكورة وفي اكثر الاوقات كان يخرج عليهم ولا يذعن بالطاعة اليهم وكان الملوك الاسوريون المذكورون يدفعون خراجا للقراءنة المصريين لغاية نحو سنة ١١٣٠ قبل ميلاد المسيح حتى تقلد بمملكتهم في ذلك الزمان الملك المسمى باسم (اسوردايان) فقطع ذلك الامر وامتنع عن ادائه اذ كرم من علامة التبعية والامر

مطلب - ذكر اول فتوحات الاسوريين لبلاد الامم المجاورين (من القرن الثاني عشر الى الحادي عشر ق م) قال المؤرخ المروى عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه ولم يشرع الاسوريون في طريق فتوح البلاد الخارجية الا في الربع الاخير من القرن الثاني عشر قبل ميلاد المسيح عاياه السلام فاستولوا اولاه على الافايم الجبلية المحيطة ببلادهم الاصلية من جهتي الشمال والشرق وفي نحو سنة ١١٠٠ ق م كان قد ظهر احد ملوكهم المسمى باسم (تيجلاتلصر) الاول ففتح بلاد الجزيرة العربية وبلاد الشام لغاية جبل لبنان غير ان تلك الفتوحات التي كانت قد صارت بيد دولة الاسوريين الى ما كانت قد آلت اليه فيما بعد من هذه الجهة كانت قد خرجت عن يدهم بعد سنوات قلائل في مدة سلطنة ملوكهم المسمى باسم (اسورابامار) اذ كانت قد قامت بينه وبين ملك القوم المعروفين بالهيتيين في تلك الاعصار حرب شديدة كانت القاطبة فيها الملك الهيتيين على الاسوريين فاستردوهم منهم وأخرجوهم عنهم (في نحو سنة ١٠٧٢ ق م)

مطلب - ذكر اول منشأ العائلة الملوكية الاسورية المسماة بالبيليطارية (من سنة ١٠٧٠ الى سنة ٩٣٠ ق م) — قال المؤرخ المذكور ما قهره به بعد مسطور وكانت قد انحطت مرتبة العائلة الملوكية الاسورية الاولى المذكورة بهذه الهزيمة من درجتها ولم تقم من سقطتها وبعد ذلك بقليل قامت عليها اقنية داخلية وعصبة أهلية كان رئيسها رجل يدعى باسم (بيليطارة) وهو رجل كان موظفا بوظيفة نظارة البساتين

السلطانية للملك المذكور أعلاه فقام على ولاه وقتله واستولى على كرسي ملكه بدلا عنه وبذلك صار أول عائلة ملوكية أخرى تدعى بالعائلة الملوكية البيليطارية (في سنة ١٠٧٠ ق م) وأوائل ملوك هذه الدولة الاسورية الجديدة هم الذين فتحوا بلاد الميديّة في أثناء القرن العاشر قبل الميلاد وضموها إلى الدولة الاسورية مدة عدة قرون من الدهر عديدة غير أن مدة حكمهم لا تعرف ولم يوقف من أخبارهم الأعلى شيء قابل جدّا **مطلب —** ذكر الملك اسورنازير پال (من سنة ٩٣٠ إلى سنة ٩٠٥ ق م) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السابق الذكر والبيان أعلاه بعد ذلك نامة ناه ولم تزل مدة حكم ملوك العائلة الاسورية البيليطارية هذه مجهولة الخال حتى ظهر منهم الملك المدعو باسم (اسورنازير پال) وبه اتضح تاريخهم وكانت مدة حكمه حيث مكث على سرير المملكة الاسورية خمسة وعشرين سنة هي أول مؤكدة لحادثة استفعال الصولة الاسورية الشديدة بظهور الدولة البيليطارية الجديدة من حيث تعلق اطماعها بالاستيلاء على سائر بلاد آسية ولاسيما على الاقطار الغربية منها ودليل ذلك ما حصل عليه العثور من آثار الملك المذكور اذ عثر له على حجر وجد عليه قصة سائر غزواته مسطرة مع غاية التفصيل والبيان بالقلم السرياني المحفور في الحجر المذكور يصف فيها نفسه مع غاية البلاغة والتبيان بأنه ملك في غاية الشجاعة والافتراس بالاعداء ويقول انه لم يتأخر أبدا عن كونه سليخ حياكل من تجاصر على الخروج عن طاعته من الملوك التابعين لسلطنته وعثر له على لوح آخر من الحجر وجد منصوبا على مكان مدينة كان قد أخربها بالكلية وأزالها ووقف على أطلالها فسطر عليه مائمه معربا هكذا وان وجهه لينضر على أطلال المدن التي أخربتها وان رضاه قبي لي شفاء خليل غصبي» (انتهى)

وقد علم من نص الآثار المذكورة انه لم تـمض سنة من مدة حكم هذا الملك بدون ان تشهر بغزوة جهادية كبيرة وكان أكثر غزواته في جبال بلاد ارمينية وكوماجينه (وهي جزء من البلاد المتكون منها الآن كل من اياتي ومرعش وحلب من مملكة آل عثمان) وفي بلاد بنطشراو بنطكسان (وهي البلاد المجاورة لبحر الخزر) وقد كان الحاكـم عايم في ذلك الزمان هم القوم المدعوين بالموشيين ثم في بلاد الميديين وفي جزء من بلاد فارس الغربية وكان له غزوات أخرى بشواطئ الفرات حيث كان قد أدخل تحت طاعته سائر البلاد الكائنة على الجانب الايمن منه وهي المعروفة في عصرنا هذا ببلاد العراق العربي وقد كانت في ذلك العصر منقسمة إلى عدة ممالك مزهرة وفيها جملت دول متعددة

وقد علم من الآثار المذكورة أيضا ان الملك آسورنازير پال المذكور كان قد هرب نهر الفرات واستولى على جميع بلاد الشام الشمالية وبلاد الهينيين وسلسلة جبال آمايوس (المداغ)

وحوض الاورنط (نهر العاصي) غير انه لم يتجاسر أن يتقدم في تلك الجهة الى أكثر من تلك الحدود لدا هي ان مملكة كتي يهودا وبني اسرائيل كانت شاق ذلك العصر قويتين جد بحيث لو تعصبت احدهما مع الاخرى لتيسر لهما دفعه وكان كل من الملك يهوشافاط والملك احوب اللذين كانا معاصريه قد تعاهدا على محاربة الآراميين ملوك دمشق الشام وظفر اعليهم بالنصر التام ولم يكن الملك آسورنازير بال المذ كورا علاه قد تعرض لهم كذلك

مطلب — ذكر الملك سلمانصر الرابع (من سنة ٩٠٥ الى سنة ٨٦٥ ق م) وظهر من بعد الملك آسورنازير بال المذ كور ولده المسمى باسم سلمانصر الرابع ففاقت غزوانه على غزوات والده وزاد طريقه على تالده ومن مدة حكم هذا الملك الاخير أخذ تاريخ مملكة آسور في ان يكون له أشد الارتباط وأكده الاتحاد الكبير مع تاريخ الذوات المذ كورين بالتوراة حيث صار من ذلك العهد يوجد في تاريخ دولة الآسوريين أنفسهم تحقيق وأوضح توفيق لما أسبق عليه الكتاب المقدس عن بعض ملوكهم من الحكايات التاريخية والروايات الاثرية

وقد كان أكثر غزوات الملك سلمانصر المذ كور كغزوات أبيه متجهة تارة الى جهة الشمال في بلاد ارمينية وبلاد بنطس وتارة الى جهة الشرق في بلاد الميديين اذ كانت تلك البلاد لدولة الآسوريين على الدوام غير مدعنة بالطاعة والالقياد واخرى الى نواحي الجنوب ببلاد كلدة اذ كانت تلك البلاد أيضا في كل وقت هي منشأ الفتن والفساد وطورا الى جهة الغرب ببلاد الشام وجبال امانوس التي هي جبال المداغ الآن كما سبق بذلك التوضيح والبيان غير انه من تلك الجهة كان قد تعمق الى ما لم يكن قد فعله اسلافه وكان ذلك هو أول الاسباب التي اقتضت ارتباط تاريخ مملكة آسور بالذوات المذ كورين في التوراة وكان هذا الملك أول من تدخل من ملوك الآسوريين في مصالح دولة العبرانيين ببلاد فلسطين فقد دلت الكتابات التي هي عنه مأثورة على انه هزم الملك احوب ملك بني اسرائيل وانه أدخل تحت طاعته الملك ياهوم من ملوك البلاد المذ كورة

مطلب — ذكر الملك ييلونخوس الثالث والمملكة سيميراميس الحقيقية (من سنة ٨٥٧ الى سنة ٨٢٨ ق م) وكان أقهر الملوك الآسوريين الذين خلفوا الملك سلمانصر الرابع المذ كور من ملوك الدولة البابليطارية ببلاد آسور هو الملك المسمى باسم (ييلونخوس) الثالث فقد كان ملكا عسكريا وسلطانا مغازيا قويا زادا ملكا للمملكة الآسورية زيادة بالغة جدا من الجهة الشرقية في ذلك العهد وبلغ بجيشه الى حدود بلاد الهند وكان قد تزوج بالمرأة من بنات ملوك بابل تسمى باسم (سيميراميس) (ولم يكن في التواريخ الحقيقية الآسورية من وجد بهذا الاسم غير هذه الذات الملوحيكية) وقد كانت

هي صاحبة الولاية السلطانية على مدينة بابل بحيث كان دولاب الحركة السياسية يدور بالنيابة عنها في تلك الدائرة البلدية بخلاف سائر بلاد السلطنة الاسورية اذ كان دولاب الحركة الادارية يدور باسم الملك المذكور ولذلك نسب المؤرخ اليوناني المعروف باسم هيرودوت الى تلك الملكة سائر الاعمال العمومية التي تم انشاؤها والعمارات السلطانية التي حصل بناؤها بمدينة بابل وضواحيها في تلك المدة العصرية كالجسور والقناطر والارصفة والخيلان التي عملت على نهر الفرات في تلك الاوقات

مطلب — ذكر الملك سردانا بال (من سنة ٨٠٠ الى سنة ٧٨٩ ق م) قد كان ما حصل للسلطنة الاسورية من الامتداد البليغ في تلك الحقبة العصرية أمرا خارقا للعادة وكان ملوك ينحسروا وان كانوا قد أحاطت يدهم على ممالك كثيرة وأقاليم كبيرة لكنهم لم يصلوا الا ان يجعلا سائر الامم الكثيرين والاقوام العديدين الذين كانوا قد أطاعوهم بالقوة القهرية في هيئة أمة واحدة وملة متحدة ولم يكن في سلطنتهم قوة اتحاد ولداوتهم مركز اشتداد مطلقا وكانت طريقة سياستهم معيبة ورابطة الولايات التابعة لها فيها بين بعضها وبعض وفيها لينها ودين عاصمة المملكة غير وثيقة الى درجة بليغة بحيث كان عند مبدأ كل تقليد ملك من ملوكهم تشتعل نيران الفتنة تارة في مكان وتارة في مكان آخر وكان لا يصعب ان يدرك انه متى قبض على دفعة السفينة رجل غير ذي حكمة حقيقية ورجولة كاملة وتقلد بمملكة الاسوريين ملك غير شهيم أو سلطان غير ذي حركة حربية قوية بحيث يكون دائما على رأس جيوشه في ترحال مستعدا للحرب واقتال فلا بد من ان ما أنشأه اسلافه من ملوك القرن العاشر والحادي عشر قبل الميلاد مع غاية المشقة والاجتهاد يسقط دفعة واحدة وتذهب هذه المملكة العظيمة هباء منثورا بسهولة يتعجب منها كل أحد عجباً كثيراً ولقد حصل ذلك باستيلاء الملك المشهور باسم (سردانا بال) حيث قبض على قضيبة الملك في سنة ٨٠٠ للمسيح وكان زيرنساء وأسير شهوات وخناه فانهمك كالممكن السالفين عليه كل الانحمال على اللهو واللعب واعتكف على أنواع الملاهي والطرب واشتغل بلاذا النساء عن مهام المملكة وصار لا يخرج من داخل قصره أبدا وترك كل عيش فيه شائبة عيش الرجال ولم يحصل منه أدنى الخدمات لمادة الحرب والجهاد ومكث على هذا السلوك القبيح مدة سبع سنين ونحضب الناس عليه لا يزال في كل يوم يزداد حتى جاءه رجل يقال له (أرباس) كان رئيس طائفة الجنود الميدين وكان هو ذاته ميدي الاصل والملة فوجد فرصة للدخول عليه في داخل قصره بمدينة نينوى وشاهده لا بأسا ملابس النساء والمنزل في يده منهمكا على قضاء شهوته يسترخف ستائر حرمه عورة جبينه وبطالته فيده انه يسهل الظفر بمنزل هذا الملك المتفقد الاخلاق حيث كان لا يقدر على الاتيان

بمثل أفعال اسلافه الشجعان وظهر لقاتل إرباس المذكور ان الوقت قد آن لكون الاقاليم التي كانت قد انضمت للسلطنة الاسورية بالقوة القهرية يمكنها أن تخرج عن الطاعة وتنتشر أولوية العصيان وانضم لرجل آخر كلداني الاصل يسمى باسم (فول) ويلقب بلقب (يليزيس) كان قائد الطائفة العسكرية البابلية واسراليه أفكاره ومقاصده فبادر بموافقة وتعاونه على معاضدته ومساعدته واتحد كلاهما مع قواد طوائف الجنود الاجنبية وكل من كان يرغب في الخروج عن طاعة الدولة الاسورية ويستقل بنفسه من ملوك البلاد التابعين للسلطنة النينوية وهزم الجميع على هزل الملك سردانا بال عن كرسي المربعة الملوكية وجنع سائر رؤساء الجنود في آخر السنة جنودهم حوالى مدينة نينوى حتى بلغوا أربعين ألف رجل بملحة فرز وتبديل العساكر الذين كانوا قد أدوا واجب الخدمة العسكرية في العام الماضي حسبما كانت قد جرت عادتهم بذلك ولما اجتمعوا في ذلك المكان جاهروا جميعا بالعصيان

مطلب — ذكر زوال الدولة الاسورية الاولى ونواب مدينة نينوى (في سنة ٧٨٩ ق م) ولما بلغ الملك سردانا بال خبر هذا الخطر الذي لم يكن له على بسال قام في الحال من غفلة شهوته وخرج عن حباله لثاقته وظهر فيه على حين غفلة من الشجاعة والشهامة ما لم يذيعه وسار امام من بقي على طاعته من فرقة الجيوش الاسورية الأصلية وباور بهم عسكر الخوارج وقتلهم قهزهم شرهزيمة واتصر عليهم نصرة تامة عظيمة على ثلاث مرات وتواليات حتى أخذوا في اليأس من الظفر بمقودهم وبيناهم على تلك الحال واذا بالقائد فول السالف الذكر تدارك هذا الامر واستعان في ذلك بمعونة الاوهام الالهية وفساد الافهام العامة فقال لهم انه طالع الكواكب فعلم منها علم اليقين انهم ان صبروا خمسة أيام جاءهم من عند آلهتهم الامداد القوي واتصر وامن غير شك على عدوهم النصر المبين وفي الواقع ونفس الامر كان قد اتفق ان قدم من السفر بعد عدة أيام قليلة جماعة كثيرة من عساكر الاقاليم المجاورة لبحر الخزر كان قد طلبهم الملك لامدادهم فانما زوا الى عسكر الخوارج ولداى انضمامهم اليهم فاز عسكر الخوارج بالنصر وظفروا بعسكر الملك غاية الظفر فانحصرت حينئذ المسلك سردانا بال في داخل مدينة نينوى وهزم على ان يدافع عنها لغاية أن يخرج يتأمنها ومكث الحصار مدة عامين كاملين لداى ان أسوار المدينة كانت حصينة متينة لا تؤثر فيها آلات الحرب واضطر الحال لاجبارها على التسليم بضرورة الوقوع في سوء حالة الجوع فلم يكن سردانا بال يكثر بشئ من ذلك اذ كان بعض الكهنة قد أخبره بان مدينة نينوى لا تؤخذ من يده ما لم يكن النهر عدو له ثم في العام الثالث نزات أمطار غزيرة ازدادت منها مياه الدجلة زيادة كثيرة حتى أغرقت

جزأ جسمها من المدينة وهدمت حائطها عظيم من حصونها المينة يبلغ طوله عشرين شوطاً يونانياً (ومقدار الشوط عند قدماء اليونان ١٨٥ مترافرانسواً) فاستيقن الملك من تحقق خبر الكاهن ويشس من النجاة ولاجل ان لا يقع في يد أعدائه وهو بقاء الحياة أوقد في داخل قصره ناراً عظيمة ألقي فيها كل ما عنده من خزان الذهب والفضة والحلل الملوكة ثم حصر نفسه هو ونسائه ومخاضيه في قاعة كان قد بناها في وسط النار وأقام معهم فيها حتى احترقوا جميعاً وحينئذ فتحت المدينة أبوابها للقوم المحاصرين وسلمت نفسها اليهم فلم ينفعها ذلك التسليم شيئاً لكونه جاء أخيراً بل أسلمها للسلب والنهب وأوقعوها في غابة الكرب وأوقدوا فيها النيران ومحووا أنبيتها بالكلية والجزئية مع عناية حقيقية تدل على شدة الغضب التي كانت قد جمعتها ساورة الملوك الآسوريين الفاتحين السابقين في قلوب الأمم الذين كانوا لهم بقوة السيف مطيعين فان الميديين والبابليين لم يتركوا حجراً على حجر من بناء الحصون والقلاع والقصور والهيكل التي كانت مشيدة فيها ولم يدعوا أثراً مطلقاً من عمارة الدور التي كانت قائمة من تلك الحاضرة الشهيرة التي مكثت مدة قرنين كاملين وهي متغلبة على سائر بلاد آسية الداخلية حتى ان أهل العناية بالبحث عن الآثار القديمة من الأفريق المتأخرين لم تصل أعمال الحفر الحاربة جمع رفاتهم في المكان الذي كانت توجد عليه مدينة نينوى المذكرة لغاية الآن الى العثور على شقة جدار قائم واحد من البناء السابق على حادثة استيلاء كل من القائد ارباس والقائد ياييزيس المذكورين على تلك المدينة وقد كان وقوع هذه الحادثة التاريخية الكبيرة في سنة ٧٨٩ قبل الميلاد

الفصل الرابع

في تاريخ الدولة الآسورية الثانية اودكر الطبقة الثانية من ملوك الجزيرة الفراتية مطلب — ذكر الملك فول (من سنة ٧٨٧ الحسنة ٧٤٧ ق م) وبعد خراب مدينة نينوى كان الميديون قد اكتفوا باسترجاع استقلالهم بانفسهم بالثاني وخروجهم عن طاعة الدولة الآسورية الاولى فعادوا للاقامة في جبالهم كما كانوا ولم يتعلقوا بمصالح بلاد الجزيرة الفراتية بخلاف القائد الكلداني المدعو باسم (فول) أو (بيليزيس) السالف الذكر فانه بعد خراب المدينة المذكورة كان قد استولى على سائر بلاد الآسورية وجعلها تابعة لمدينة بابل مدة حقبة من الدهر وضم اليها أيضاً سائر الاقاليم الغربية من المملكة الآسورية السالفة أعني سائر البلاد الآرامية الكاشنة على جانبي الفرات وغاية ما نعلم من تاريخه هو ما اقتصر في التوراة من قصة الغزوة التي غزاها في سنة ٧٧٠ ق م بمملكة بني اسرائيل لاغير

مطلب — إعادة الدولة الاسورية بالثاني وذكر الملك تجلات فلصر الثاني (من سنة ٧٤٤ الى سنة ٧٢٧ ق م) ولم تدم غلبة الكلدانيين على بلاد الاسوريين الا لغاية وفاة الملك فول السانف المذكور وكانت وفاته في سنة ٧٤٧ قبل الميلاد ولما كان الاسوريون هم اشجع الامم المتوطنين ببلاد الجزيرة الفراتية وأقواهم على الحرب والضرب وكانوا قوما أهل رجولية تامة وقوة عسكرية كاملة لم ير الا ابتذ كرون في القرن الثامن قبل ميلاد المسيح ما كان قد وقع من أسلافهم السابقين في مدة القرنين السابقين من الحروب الكبيرة والوقائع الشهيرة مع ما أعقبها من هزيمة الملك سردانا بال حسبما أسلفناه فلم يرل باقيا في نفوس أهل المدن الاسورية الكثيرة العمران من الشوق الى الاستقلال بالنفس ما حلهم على ان ثاروا ثورة عامة وقاموا قايما تامة بعد خراب مدينة نينوى بأربعين سنة وطردها البابليين من بلاد الاسورية وكان قد بقي من نسل بيت الملك من بني يليمطارة السابقين بعض امراء كانوا قد فازوا بالنجاة من حريقه سردانا بال المذكور أعلاه وكانوا متخفين في بعض أطراف البلاد منهم الامير المسجي باسم (تجلات فلصر) فأحضره الاسوريون وجعلوه رئيس عصبته عند ثورتهم ومكثوا يمحاربون البابليين مدة ثلاث سنين حتى استولى تجلات فلصر على تاج الملك (في سنة ٧٤٤ ق م) واتهم فرصة من حروب داخلية ومنازعات أهلية كانت قد شتتت شمل البلاد البابلية فأدخلها تحت طاعته ووضع عليهم الجزية بعد ان كانت بالامس هي التي تمل على نينوى قوايتها وأعاد الملك تجلات فلصر المذكور السلطنة الاسورية الى حدودها السابقة الاصلية ما عدا بلاد الميديّة وذلك بعد عدة وقائع حربية متعاقبة فاز بالنصر فيها على التوالي ببلاد ارمينية وبلاد الشام وفلسطين وبلاد العرب والبلاد المجاورة لبهر الخزر والاقطار الكائنة في أقصى الشرق فبأين بلاد الميديّة ونارس من احدى الجهات و بلاد الهند من جهة أخرى وهي التي يسمى مجده وعما في اصطلاح علماء الجغرافية الجمارى على مقتضى طريقهم التدريس بالمدارس الاوروية باسم بلاد اريان (وهي التي تعرف الآن ببلاد افغانستان) وحينئذ فقد كان هذا الملك تعمق في الفتوحات من هذه الجهة الاخيرة الى أكثر من سائر اصلافة وبلغ الى حدود بلاد الهند الغربية

مطلب — ذكر الملك مرجون (من سنة ٧٢١ الى سنة ٧٠٤ ق م) قال المؤرخ ابروى عنه أعلاه ما تعرض به أدناه وقد تغلّك من بعد الملك تجلات فلصر ولده المسجي باسم (سلمنصر) فكانت مدة حكمه قصيرة (من سنة ٧٢٧ الى سنة ٧٢٢ ق م) وهو الذي كان قد شرع في حصار مدينة سميرية ومات عندها في اثناء الحصار ولما كان هو آخر نسل بيت السلطنة الاسورية أذ كانوا قد اقرضوا بالسكية ولم يوجد منهم من يلي المرتبة السلطانية اجتمع اعيان الدولة وقلدوا بمنصب الملك رئيس قواد الجنود المدعو باسم مرجون

وقد كان من أعظم الملوك أرباب الفتوحات ببلاد الآسورية وكانت العائلة الملوكية التي كان هو رأسها والدولة السلطانية التي أسسها وإن كانت قد مكثت مدة قصيرة لكنكم اكانت قد ألقت على وجه التاريخ بهجة كبيرة وذلك ان سرجون هذا من أول مبادئ مدة سلطنته كان قد أخذ مدينة سمرية وأخرى بالكلية وحارب الملك سببا كون الحبشي ملك مصر وبلاد الأقبوية فغلبه في واقعة رافيا ببلاد الشام (في سنة ٧٢١ ق م) ثم شن الغارة بالحرب في بلاد ارمينية مدة مديدة فأطاعها الدولته كلها الاشياء قليلا منها ودخل في بلاد الآلبانية (بلاد الارثوط) حتى بلغ الى حدسفع جبال قوقازة وفتح بلاد الفلستينيين (في سنة ٧١٠ ق م) وكذلك جزيرة قبرص (في سنة ٧٠٨ ق م) وقد كانت تلك الجزيرة في ذلك الزمان يحكم فيها عدة ملوك طوائف صغيرين ورؤساء أقوام عديدين أصل أكثرهم من اليونان وفي أواخر مدة حكمه كان قد اختط مدينة (خورازا باد) وشيد قصر اعظمه ساه فيه بابلاهن مدينة نينوى من بعد خرابها قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان والذي دل على ذلك هو ما انضغ من أعمال الحفر والتفحص التي حصل اجراؤها على التماقيب بمعرفة اثنين من أهل بلادنا الفرنسيين وهما المعلم (بوطه) والمعلم (ويكتور بلاس) ومن تلك الاعمال صار الحصول على أغلب النقوش الجليلة الآسورية التي توجد مخفوفة بالتسقيفة مصرية لورة الملوكية (بمدينة بارس) ثم مات الملك سرجون المذكور حيث قتله جماعة من أرباب الفتن من أهل بابل (في سنة ٧٠٤ ق م) وبقتله اشتعلت نيران الفتن الأهلية في تلك الحاضرة المكدانية

مطلب — ذكر الملك سنحاريب (من سنة ٧٠٤ الى سنة ٦٨١ ق م) وكان قد تقلد بالملك من بعد الملك سرجون المذكور ولده المشهور باسم (سنحاريب) فلم يكن دون أبيه في مادة الحرب والجهاد اذ كان قد ابتلى باطفاء نيران الفتن الشديدة القائمة بمدينة بابل واضطروا لان يقاتل الخوارج في واقعتين اذ كانوا قد قاموا عليه في مدة ولايته مرتين (احدهما) تحت رياسة رجل يدعى باسم (ميروداشبالادان) (والثانية) تحت رياسة رجل يدعى باسم (سوزوب) ثم انتهى الحال بان الملك الذي ينوي المذكور اشتد غضبه على مدينة بابل فعاقب أهلها الطغاة وعذب سكانها هؤلاء البقاء بأن أباح فيها السلب والنهب وأسلها للنيران واللهب فاحترقت عن آخرها وصار عابسا قتلها مع كونها قد كانت معتبرة عندهم كعمر محترم وكان ذلك (في سنة ٦٨١ ق م) ولم تنفع هذه الفتن الداخلية الجسمية الملك سنحاريب المذكور من ان يباشر بنفسه في الجهات الخارجية عدة غزوات عظيمة فكان قد ذهب الى بلاد فلسطين (في سنة ٧٠٠ ق م) وأدخل تحت طاعته مدينة صور وغيرها من مدن بلاد الفينيقيين وأغار على ملكة قبيودا وهذا قد روي عن مصر

الفرض الثام ٢٥١ في التاريخ العام

بالديار المصرية ثم وضع الحصار على مدينة اورشليم والقدس الشريف (كما سلف ذكر ذلك
 غير مرة في مواضع من هذا التأليف) غير انه ببركة دعاء ملك بلاد يهودا المسجي باسم (حزقيا)
 وكان رجلا صالحا وملكا قديما نجحا وبرجاء النبي (اشعيا) الذي كان له معاصر امن أنبياء
 بني اسرائيل كانت يد الله سبحانه وتعالى قد وشتت على جنوده الوطء الثقيل فأرسل عليهم
 كما سلف ذكر ذلك في الابواب السالفة طاعونا شديدا أهلك منهم مقدار اهديدا حتى اضطر
 الملك سنحاريب المسمى كورلنأى عن حصار مدينة القدس وقفل عائدا يجنوده الى جهة
 الفرات ولكنه كان أسعد طالعا في غزواته يبلدا المدينة وبلاد السوس (خوارزم آلان)
 لغاية بلاد فارس وأعاد بناء مدينة نينوى بالثاني من بعد ان كانت قد بقيت خرابا من
 عهد هزيمة سردانا بال واتخذها مقرواته وقاعدة بلاد سلطنته وجعلها يبلدا آسية أفخر
 حاضرة وأثمر مدينة عامرة (في سنة ٦٨٤ ق م) وانتقل اليها وأقام فيها مدة ثلاث
 سنوات ثم مات حيث قتله اثنان من أبنائه الكبار لكنهم لم يمتنعوا بشرة جريمتهم بل
 اشتد عليهما الغضب العام وبادر الناس عليهما بالقيام حتى اضطروا الى الفرار يبلدا رمنية
 وكان ذلك (في سنة ٦٨١ ق م)

مطلب - ذكر الملك آساردون (من سنة ٦٨١ الى سنة ٦٦٨ ق م) - قال
 المؤرخ المروى عنه اعلاه بعد ذلك ما ترمي به ادناه وقد كان آسورادون المذكور هو ثالث
 ابناء سنحاريب وكان ابوه قد نصبه بوظيفة الوالى على مدينة بابل فلما تقلد بتاج المملكة
 استمر على الإقامة في المدينة المذكورة ليضبط اهلها وعسكرهم تحت الطاعة السلطانية
 وقع كذلك عصيان اهل المدن الفينيقية مع غاية المساواة والجبر وكانوا قد قاموا على الدولة
 السريانية وادخل تحت الطاعة أيضا مملكة يهودا وأسك مدة من الدهر في مدينة
 بابل الملك منشة مقيد بسلاسل الاسر وغزا غزوة في بلاد فارس واخرى على شواطئ البحر
 الاسود حتى بلغ بلادا عظيم (كولشيدة) (وهي المسماة الآن باسم اميريقي ومنجربلي)
 الكاثنين على غربي جبال قوقازة واستولى على أكثر جزيرة العرب وديار مصر ثم اعتراه
 المرض واحس بالجزء من القيام بواجب الملك فتنازل عن سري المملكة لولده البكرى المدعو
 باسم (آسوربانيبال في سنة ٦٦٨ ق م)

مطلب - ذكر الملك آسوربانيبال (من سنة ٦٦٨ الى سنة ٦٤٧ ق م)
 وكان الملك آسوربانيبال المذكور هو آخر ملوك الاسور بين المجاهدين وهو الذى يعرف
 عند اليونان باسم (سردانا بال) غير انهم كانوا يميزونه مع غاية الحرص والعناية عن الملك
 سردانا بال المتخذ الذى سقطت مدينة نينوى اول مرة في ايامه من سالف الزمان
 وقد كان الملك آسوربانيبال هذا هو الذى استمر أولا مدة ثلاث سنوات بمواليات بالديار المصرية

وهو يقاتل الملك (طهارة) ملك بلاد الاثيوبية (الحبشة) وينازعه على ملكة مصر في ذلك العصر وظفر في تلك الديار بعدة مرات بهيجة من النجاح والانتصار واستولى على مدينة طيبة الصعيد مرتين واسلمها الى السلب والنهب واوقع بها غاية الكرب ثم انتهى امره لان ترك تلك الديار حيث رأى ان التملك عليهم يحتاج لكثير من المشقة والتعب وقد كان من جملة الملوك الذين كانوا يدفعون له الخراج الملك المسعى في تلك الحقب باسم (جيجيس) (بجيم فارسية مثلثة من تحتها ياء شنة تحتية فجيم عربية معدلة عمالة على ياء شنة تحتية أيضا يليها سين مهمل في آخره) وهو ملك بلاد (لبدية) (وهي الجزء الغربي من ولاية الاناضول المتركة الآن من القسم المسعى باسم (سورخان) وغيره من بلاد آسية الصغرى وبهجة هذا الملك الكبيرة امتدت دائرة اعلاوية الدولة الاسورية على جميع بلاد آسية الصغرى المذكورة وكان للملك آسور بانتيال المذكور اخ يدعى باسم (سامولمهوجان) كان عاملا له على ولاية مدينة بابل فقام عليه واراد ان يستقل بنفسه ورفع الوية العصيان واستعان في ذلك بملك بلاد السوس وملك بلاد العرب (في سنة ٦٦٣ ق م) ووقعت بينهما حرب عظيمة دارت الدائرة فيها على جنود اقوام الخوارج فهزمهم ملك نينوى شهزبة وظفر باخيه هذا واستولى عليه ثم اطلق سبيله وعفاه عنه وتوجه هزما للعزاة ببلاد السوس فادخلها تحت الطاعة الذنوبية بعد حرب مكثت مدة ثلاث سنوات (من سنة ٦٦٣ الى سنة ٦٦٠ ق م) واستولى على مدينة سوس قاعدة البلاد المذكورة حيث اخذها بطريق المجهوم عليها واسلمها للسلب والنهب واخذ ملكها اسيرا وشنقه ثم انتقل يجنوده الى بلاد خيرة العرب وجاس خلال ديارها وامر بها من اولها الى آخرها في غزوة مكثت عدة اعوام ظفر فيها بالنصر المستمر على الدوام (من سنة ٦٥٩ الى سنة ٦٥٧) قبل ميلاد المسيح عليه السلام

مطلب - ذكر آخر ما حصل من النجاح في الجهاد على يد بعض ملوك الطبقة الثانية من الملوك الاسوريين بتلك البلاد (من سنة ٦٤٧ الى سنة ٦٢٥ ق م) ولما توفي الملك آسور بانتيال الظافر بالنصر على بلاد السوس كان قد تملك على ملكة نينوى ولد له يدعى باسم (آسور ديبلي) وفي ايام دولة هذا الملك الاسوري الجديد كانت قد ظفرت المملكة الاسورية من النجاح في الجهاد بتلك البلاد ظفرة عسكرية أخرى وذلك ان بلاد الميديين كان فيها بمدة عصر الملك سرجون وولده عدة ملوك طوائف متفرقين ورثا قبائل كثيرة متحالقين بعضهم مع بعض في هيئة الحكومة الجمهورية ولذلك سهل على الملكين الاسوريين المذكورين افتتاح بلادهم وادخالها تحت طاعة السلطنة الاسورية ثم اجتمعوا في هيئة مملكة قوية واحدة وسلطنة ذات شوكة متحدة وقام فيهم الملك المدعو باسم (غرادورت) متقلدا بقلادة سلطنة الميديين (في سنة ٦٥٧ ق م) فاجلى الآسوريين من

الاماكن التي كانوا يراوهم استولوا عليها من بلادهم واقتنح بلاد فارس كلها وسائر البلاد الايرانية الكائنة في ايراه جبال هندكوش ومجاري بلاد افرمان وبذلك صارت المملكة الميديّة سلطنة جهادية متّعة ودولة كبيرة ذات صولة ومنعة فتحطّله انه يقدر على أن يأتي بمثل ما فعله الملك ارباس السالف الذكر ويهدم شوكة المملكة نينوى ويعدم قوة السلطنة الاسورية بالكلية فاغار على بلاد أسور غارة شديدة وقبّله الملك اسور ديلبي هذا بجيوش عديدة ووقعت بينهم واقعة حرب كبيرة عندهم داخل مضائق الجبال السكائنة بتلك البلاد (في سنة ٦٣٥ ق م) نتل فيها فراورث المذكور وهلكت الجيوش الميديّة عن آخرهم وكان هذا النجاح هو آخر ظفرة جهادية وغاية نصره عسكريّة حصلت على يدمالوك الطبقة الثامنة بمدينة نينوى من ملوك السلطنة الاسورية

مطلب — ذكر زوال الدولة الاسورية الثانية وخراب مدينة نينوى الخراب الثاني بالكلية والجزئية وبالطريقة القطعية (من سنة ٦٢٥ الى سنة ٦٠٦ ق م) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان أعلاه ما تعريبه ادناه وقد كانت الدولة الاسورية الثانية في ظرف تلك المدة الماضية مع ذلك قد أخذت في الاضمحلال وتدنّت للزوال وسقطت قوتها العسكرية ونفدت خزائنها المالية مع كون من جاورها من الامم كانوا قد صاروا الى درجة العظمة والاستفحال وفي سنة ٦٢٥ قبل ميلاد المسيح عليه السلام كان قد قام الملك (سياكزار) بكسر السين المهملة وفتح الباء المثناة من تحتها يليها الف فكاف فزاي معجمة فألف فراء مهملة في آخره ملك الميديين وخليفة الملك فراورث المذكور آنفا على ملكتهم وكان قد استولى على سائر بلاد آسية الصغرى (بلاد الاناضول) لغاية النهر المسمى عند السالف باسم (حاليس) ويسمى الآن باسم (قزير برمي) واتهمز فرصة من موت الملك اسور ديلبي وما ترتب عليه من ظهور الفتن والاختلال في بلاد السلطنة الاسورية ونحضر يجنوده امام مدينة نينوى وحصرها وضيق عليها وكان الملك الكداني المسمى باسم (نابو بولصر) (بنون موحدة فوقية فألف قبله موحدة تحتية عريّة معتادة قباه فارسية مثلية من تحتها بعده او او غلام فهاد فراء مهملتان في آخره وهو أبو مختنصر المشهور) قد أثار الفتنة في مدينة بابل وأعلن لنفسه بالسلطنة فيها وتقلد بتاج المملكة عليها وأعاد له هذه المدينة الكبيرة ما كان قد عهد لها في الاعصار السالفة من الاستقلال وأخذت دولة الملك المذكور في الاستفحال وكانت مدينة نينوى ان تسقط بالكلية لولا ما حصل في ذلك العصر من غارة الاقوام الديتيين (قبائل بأجوج وماجوج) على بلاد الميديين ونزولهم على أهالي تلك البلاد كالجراد المنتشر واستعبادهم اياهم مدة ١٩ سنة من الدهر حيث ترتب على تلك الغارة قباه مدينة نينوى واتخاذ الدولة

الاسورية الثانية في ذلك العهد مدة بعض سنوات بعد من الوقوع في هاربة الزوال وكان الملك المسدور باسم (ساروق أو أسوراقوس) قد قبض على قضيب الملك بمدينة نينوى (من سنة ٦٢٥ إلى سنة ٦٠٦ ق م) ولداعى ما حصل من الهدنة لتلك المدينة بغارة الاقوام السبتيين المذكورين كان قد تبسّر له ان مكث على سرير المملكة النينوية نحو تسع عشرة سنة من غيرهم كدرو لا نماز ع تقريراً غير انه انما كان مستولياً على سلطنة ضعيفة وملكة دينية موضوعة متمرقة الشبل لا قوة لها ولا ثبات ولا صولة لها ولا حياة ولم يجتهد هو في إقامة اودها ولا سعى أدنى سعى في اعادة ما كانت عليه من قوة هدها ومرددها بخلاف الملك سيارا كزار ملك الميديين فانه بعد ان بذل مجهوده وبلغ مقصوده من انقاذ مملكته من غارة الاقوام السبتيين والام التورانيين المذكورين كان قد دعا جندوده الى اسوار مدينة نينوى بعد تلك المدة المذكورة ووضع عليهم الحصار الثالث في عازم على ان يستأنف ما كان قد فعله به في أوائل تلك الازمان الملك ارباس أعنى انه أراد ان يخرج ب تلك الحاضرة التي كانت موطن هؤلاء الملوك الجبابرة وكانت قد استعبدت معظم بلاد آسية ووضعت تلك الاقطار في أضيق ربة الذل والصغار ويدمرها الدمار الذي لا تعود للعمار بعده ابدا وساعده على ذلك أيضا غاية الاسعاد الملك نابو بولصر ومن كان تحت طاعته من القوم البابليين يمثل ما كان الملك قول قد أتى به لارباس من المساعدة مع غاية الحمية والمجاهدة وبعد ان قام على حصار هامة مديدة جعل فيها قتلة شديدة واستولى عليها وأخذها فسطت ويثس الملك أسوراقوس من الحاجة ففعل بنفسه كما كان قد فعل سلفه سمر دانا بال في مثل هذه الواقعة وقتل نفسه بيده فغرب القوم العالبون تلك المدينة العنيدة وحرقوا ما كان فيها من القصور والهاكل العديدة وصارت مدينة نينوى هذه العظيمة التي كانت إحدى مفاخر بلاد آسية بعهد الملك سنحاريب عبارة عن نلال متسكومة وأطلال متهدمة في غاية الدمار والتخريب (في سنة ٦٠٦ ق م) ولم تعد للعمار مرة أخرى بعد ذلك أبدا كما أنذر بذلك أنبياء بني اسرائيل

الفصل الخامس

في تاريخ الدولة الاسورية الحادية أو طبقة ملوك العراق الثالثة

مطلب — ذكر الملك نابو شودونوزور او بختنصر المشهور (من سنة ٦٠٧ إلى سنة ٥٥٩ ق م) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المروني عنه أعلاه بعد ذلك ما تعرب به

أدناه وبهذه الحادثة الكبيرة انتقلت وراثته سلطنة نينوى الشهيرة مدة بعض سنوات يسيرة إلى مدينة بابل أو بابلون وبشاهد من حينئذ أنه قد قام في بلاد العراق القديمة دولة كلدانية حديثة تملك على سائر الأقاليم الغربية والجنوبية التي كانت تحت يد الدولة الآشورية الثانية وهي طبقة ملوك العراق الثالثة وكان بطل هذه السلطنة العراقية الجديدة ومنشئ صولتها الشديدة هو الملك المدهو باسم (نابوودونوزور) (وهو المعروف باسم مختصر المشهور) وكان أبوه المدهو باسم (نابو بولصر) قد استقل بالسلطنة في مدينة بابل (في سنة ٦٢٥ ق م) وبنما كان الميديون قد تمكنوا تحت طاعة الأقوام السبيين مدة مؤقتة كان هو بحسن تدبيره وإتقان إدارة أموره قد أرقى بلاد أسفل الفرات من الفلاح والنجاح إلى أعلى الدرجات واستفحل ملكه في تلك الجهات وأعانه على أحسان إدارة مملكته حزم رأى زوجته المشهورة باسم (نيتوكريس) فأنشأ في مدينة بابل بتلك الاوقات كثير من البحارن التحسينية والاعمال التزينة والاشغال النافعة العمومية وفي سنة ٦٠٧ قبل ميلاد المسيح عليه السلام كان الملك نابو بواصر المذكور قد أشرك معه في منصب الملك ولده مختصر المشهور وعهد له على الساطنة بولاية العهد فيما بعد

مطلب — ذكر واقعة حرب قيرقيزية أوقر قميش (في سنة ٦٠٦ ق م) وقد كان مختصر وهو فتى شاب بعد في عين السنة التي كانت مدينة نينوى قد سقطت فيها اقدام على ساق الحرب وسار في عدد عديد من الجيوش فقاتل الملك نبحا ووس ملك مصر بمدينة قيرقيزية أوقر قميش في واقعة حربية قطعية ظفر فيها عليه بغاية النصر والغلبة العسكرية إذ كان الفرعون المذكور قد انتهر الفرصة من انحطاط دولة الآشوريين بمدينة نينوى فاستولى على بلاد الشام وفلسطين ثم تعدى بختنصر نهر الفرات وطرده المصريين من جميع الولايات والأقاليم التي كانوا قد اقتحموها من تلك الجهات وكان قد أراد أن يضع الحصار على مدينة اورشليم ومن ثم يدخل ديار مصر وإذا بجبر وفاة أبيه قد وصل إليه فاضطر لمصرعة العود إلى مدينة بابل على الفور (في سنة ٦٠٤ ق م)

مطلب — ذكر أوائل غزوات بختنصر على اليهود (من سنة ٦٠٣ إلى سنة ٥٩٩ ق م) ثم عاد بختنصر بعد عامين إلى بلاد الشام بالثاني وأغار على الملك يهوياقيم ملك يهودا وقرر رعايه خراجاً يؤديه إليه وأخذ معه إلى بابل من أعيان اليهود عدة رهائن وجملة من الأواني المقدسة الموقوفة على بيت المقدس وبعد ثلاث سنوات عاد ملك اليهود لنكس ما كان قد عهده مع بختنصر من العهد معتداً على امداد فرعون مصر مع كونه لم يرده من الديار المصرية أدنى مدد وكان ملك العبرانيين المذكور قد مات بعد ذلك بقليل قبل أن يلى

راض ولد المدعو باسم (بختينو) ثقل وبال ما نزل على عبيانه (كما أسلفنا ذلك في مكانه من باب تاريخ العبرانيين بتفصيله وبيانهم) ولم يبق بختينو والمذكور على سرير مملكة يهودا غير ثلاثة شهور إذ كان بختنصر قد أرسل عليه جنوده ثم حضر بنفسه إلى بلاد اليهود وبالثاني واضطر ملك اليهود المذكور لأن سلم نفسه وسائر أهل دولته ودائرته ليدعوه وهذا الجبار فلم يكتف بختنصر بأن يأخذ هذا الملك العبراني مع أهل دولته بحالة الاسر بل دخل مدينة اورشليم وانتكح حرمة بيت المقدس الكريم واستلب سائر خزانته المكتونة وخزائن قصر هذا الملك المصونة وأخذ معه في ربة الاسر إلى مدينة بابل من أنجمع أبطال الجنود العبرانية ما يبلغ عشرة آلاف مقاتل وكثير من أرباب الحرف والصناعات الإسرائيلية ولا سيما الحدادين والتفندلية (صناع الاسلحة) وذلك لقصدهم مع بلاد اليهود ومن أن تعود بالثاني إلى الاستعداد للدفع والمنعة ولم يترك في مدينة بيت المقدس غير القليل من أفقر الناس وأخذ معه إلى مدينة بابل الملك بختينو والمذكور مع والدته وسائر نسائه ومخاضيه ووضع في السجن وضيق عليه غاية التضيق ثم أظهر أنه يريد أن يترك الأمة اليهودية خيال استقلالها الأول فنصب على كرسي مملكة اورشليم عم الملك الاسير المدعو باسم (صدقيا) كما هو في موضعه في أسلف من هذا الكتاب مسطور

مطلب — ذكر خراب بيت المقدس على يد بختنصر المشهور (من سنة ٥٩٠ هـ إلى سنة ٥٨٨ ق م) قال المؤرخ المروى عنه أعلاه بعد ذلك ما تفرغ به أدناه وقد كان النبي ارميا من أنبياء بني اسرائيل هو نبى ذلك العصر وقد أنذر الملك العبراني السام الذي ذكر ومن تقدمه من ملوك اليهود بما سيجعل على مملكة فلسطين من التخريب والاسر فلم يكن يصح لانه لا يذره أحدهم منهم وعيت بصيرة صدقيا كغيره من أسلافه من سماع هذه الاخبار النبوية والعمل بتلك النذر والتدبير مع كون النبي ارميا كان لا يفتقر عن الانذار إليه والاشارة عليه بأن الأولى له ان يسلك طريقة سياسية احترازية ويذهب بالطاعة لسلطان الدولة البابلية ومع ذلك فقد خالف مشورته وناقض نصيحته وتخيّل له انه يستدر على الخروج من طاعة ملك العراق ويستقل بنفس دولته فجأه بالبعثان عليه وأمنع من أداء الخراج الذي كان يدفعه اليه واتخذ مع فرعون الديار المصرية وملوك المدن الفينيقية (في سنة ٥٩٠ ق م) قضب بختنصر لذلك أشد الغضب وسار بنفسه مرة أخرى إلى مدينة بيت المقدس ووضع عليها الحصار ثم تركها مدة يسيرة وقوجه لقتال فرعون مصر المشهور باسم (أرييس) إذ كان قد حضر بجنوده إلى بلاد الشام لقصدهم امداد صدقيا عليه وكان ملك مصر المذكور قد عاد إلى تلك الديار وأخذ في الفرار بدون أن يضرب عليه ضربة واحدة فصادت الجيوش المكدانية إلى بلاد المملكة اليهودية واستولوا على مدينتي (لاخيس وأسيش) ووضعوا الحصار

الحصار الثاني على مدينة اورشليم وضيقوا عليها ومكث العبرانيون مدة تسعة عشر شهرا في داخل قاعدة ممالكهم يدفعون هجوم الجيوش البابليين ويقبلون على مقاومة صولتهم ثم اشتدت المجاعة عليهم فغلبت على قوة ثباتهم وأجبرتهم على الاذعان والتسليم وكان الاسوريون قد دخلوا المدينة من خرق في السور وتصادف ان صدقيا المذكور كان قد أراد أن يخرج منه ويفر الى جهة نهر الاردن مع بعض خدمه فلحقه بعض الجنود البابليين في سهل ربحا وقبضوا عليه وأحضروه ليجتصر فقتل ابنائه بين يديه وهو ينظر اليهم وحمل عينيه وحمله مقيدا في سلاسل من الحديد الى مدينة بابل (في سنة ٥٨٨ ق م) و بعد ذلك بشهر كان قد دخل قائد طائفة خفر الملك البابلي المذكور وهو المسمى باسم (ناووزاردان) في مدينة القدس واستولى عليها وشرع في تخريبها ودمرها عن آخرها وأحرق قصر الملك والهكل المكرم ونجح مع الحبر الاعظم ستين نفسان من اعيان بني امريائيل وبعث الى مدينة بابل في ربة الامر كل من بقي في المدينة من غير فرار الى الوادي والقفار من القوم اليهود (وهذا هو المعبر عنه عند اهل التاريخ بخراب بيت المقدس الاكبر على يد بختنصر)

مطلب — ذكر حصار بختنصر لمدينة صور واستيلائه عليها (من سنة ٥٨٨ الى سنة ٥٧٤ ق م) ولم يكن ملك بابل الجبار المذكور قد اكتفى بذلك بل تعلقت أطماعه بفتح بلاد الفينيقيين والاستيلاء عليها اذ كانت كثرة ثروة تلك البلاد قد جذبت فتواه اليها وكان انبياء ذلك العصر لم يزالوا من مدة مديدة يندرون أهالي مدينة صور بما سيلحقها من مصائب الدهور وكانت قد صار لها درجة الاعلوية منذ ستائة سنة على سائر المدن الفينيقية وقد كانت مدينة صور هذه قلعة ذات منعة حصينة فلما وضع بختنصر عليه الحصار ثبت الصوريون امامه وقاموه حتى أقام على حصارها مدة ثلاث عشرة سنة ثم أخذها عنوة أي بطريق الهجوم عليها وقعل بالصوريين كما كان قد فعل بل بالقوم العبرانيين ونقل الى بلاد كلدة أوجه أعيان ذوى البيوتات من أهل تلك البلدة (في سنة ٥٧٤ ق م) واعترف له بالطاعة بالضرورة سائر الترائل والمستعمرات من القبائل الفينيقية التي كانت تملكها مدينة صور بالسواحل الغربية من بلاد افريقية وفي بلاد اسبانيا (جزيرة الاندلس) كنزلة قرطاجة (وهي الآن ولاية تونس) قبل ان تصير ليد الدولة الرومانية وكنزلة قادس وصارت جميع هذه المستعمرات ملحقه بسلطنة بختنصر حيث صار له القلبة على تلك المدينة الاصالية

مطلب — ذكر وقائع بختنصر الحربية ببلاد الجزيرة العربية (من سنة ٥٧٣ الى سنة ٥٧٢ ق م) وقد كان بختنصر المذكور بعد ان استولى على مدينة صور وأدخلها تحت طاعته وقبل أن يرجع الى مدينة بابل التي كانت قاعدة سلطنته شن الغارة

على الاقوام المدعوين عند الامم الاقدمين بالايديين وبنى مؤاب والامونيين اذ كانوا قد فتحوا مع دولة العبرانيين عند قيامهم الاخير عليه فأجبرهم كذلك على الدنول تحت طاعته وألزمهم بالاذعان اليه وغزا غزوة كبيرة في بلاد العرب الجاهليين حتى بلغ الى ملكة سبأ بيلادالين وكانت تلك الحروب التي اندبرها أنبياءك الزمن هي آخر سلسلة الغزوات التي غزاها هذا الملك السكلا في بيلاد آسية آفريقية

مطلب — ذكرنا أثر عن يختص من العمارات والآثار في تلك الاعصار — ولما عاد يختص من تلك الاسفار الحربية الى بلاده الاصلية التفت الى انشاء العمارات والآثار واشتهر بحسن ادارة الامور الداخلية كما اشتهر بالفتوحات الخارجية غاية الاشتهار وكان قد حصل له من تلك الغزوات أموال عظيمة ومقادير جسيمة من اسرار تلك البلاد الاجنبية فاستعملها في بناء عمارات كثيرة وانفقها في انشاء آثار كبيرة تحصفت بها مدينة بابل وتزينت أجمع الزينة حتى صارت تلك المدينة أشهر مدينة في بلاد الدنيا بقاءها في تلك الاعصار قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان قال المؤرخ هيرودوت اليوناني في تاريخه عند الكلام على صفته وقد كان سافرا اليها ونزل بها واطلع عليها في اثناء القرن الخامس قبل ميلاد المسيح عليه السلام هذا نص عبارته « وقد كانت تلك المدينة فائحة جدا الى درجة بحيث لا تدركها مدينة اخرى يمكن مضاهاتها بها وذلك ان مدينة بابل هذ هي موضوعة في وسط سهل متسع وهي على شكل مربع تبلغ مساحة كل ضلع من أضلاعها مائة وعشرين شوطا (والشوط مقياس لليونان يقدر الآن بقدر ١٨٥ مترافرا نساويا) يحيط به خندق عميق هو على الدوام ممتلئ بالماء يليه سور فيه يبلغ مساحة سمكه خمسين ذراعا ملوكة على مائتي ذراع ارتفاعا ويخترقها نهر الفرات من الوسط بحيث يقسمها الى قسمين ويحيطها خطين وهونهر عظيم عميق القعر سريع الجزيان يأتي من بلاد الارمن ويصب في بحر (ابربرة وهو البحر الهندى الذى من ضمنه الخليج الفارسى) ومن داخل السور الكبير سور آخر هو بالنسبة اليه صغير وكلا طرفي السورين يفتح من عند شاطئ النهر زاوية خارجة يمتد منها على الجانبين حائط هشيد من الآجر يحيط بالنهر من الطرفين وفي داخله الديار منها ما هو على ثلاث طبقات ومنها ما هو على أربع في شوارع مستقيمة متقطعة بطرق اخرى منتظمة تنتهى الى النهر المذكور بأبواب صغيرة مفتوحة في السور المبني على طوله كلها متخذة من معدن التوج لكل شارع من الشوارع القاطعة للشوارع الاصلية باب مخصوص والسور البراني هو المدينة حصن حصين على ان السور الجوانى ايضا متين غير انه دونه في الاتساع ومركز كل من الخطتين المذكورتين ظاهر ممتاز (احدهما) بوجود قصر الملك فيه حيث يظهر لنا ظر بما يحيط به من سور عظيم

وحائط قوى متين (والثاني) يتبين لعين الرائي بتشديد هيكلي جسم لمعبودهم المسمى عندهم باسم (بعل) وأبوابه مصطنعة من الخداس الاحمر قال المؤرخ اليوناني المذکور ولم يزل هذا المعبد قائما على جدرانها لغاية الآن (انتهى قص عبارة هيرودوت)

ثم قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذکور أعلاه بعد ذلك ما معناه ان سور مدينة بابل الكبير يشتمل بمقاس العالم الاقتراسوى المشهور باسم (اوبير) على مسافة تبلغ خمسمائة كيلومتر (والكيلومتر عبارة عن ألف متر) مربع يعنى مقداراً من الارض يساوى جميع مساحة مديرية نهر السنين ببلاد فرانساة أى بقدر أضاعاف مسطح مدينة باريس على الحالة التى كانت عليها فى سنة ١٨٥٩ الميلادية خمس عشرة مرة وبقدرها سبع مرات على الحالة التى هى عليها الآن وأما السور الصغير فهو أضيق من الاول يشتمل على مسافة مائتين وثمان وتسعين كيلومتراً مربعاً اعنى على أكثر من مسطح مدينة لوندون بكثير ولا يسوغ ان يقال ان هذين السورين كانا حصنين للمدينة كبيرة حقيقية بل هما عبارة عن معسكر حصين متسع جداً فأن مسافة الارض المشمولة فى داخل السور الثانى فضلاً عن الاول لم تكن كلها معمورة بما سكن السكان الاهلية وقد نص المؤرخ الاطيني المعروف باسم (كتسكورس) فى تاريخه على ان محيط الدائرة السكاكن عليها الديار المعمورة بمدينة بابل المذكورة قد كانت تسعين شوطاً لا غير وياقها كان ارضاً مزروعة على وجه بحيث تكفى الثمرة الحاصلة منها لمؤنة القوم المحصورين فيها وتمنع عنهم ضرورة الوقوع فى غائلة المجاعة لمدة عديدة من الزمن كما ان السور البرائى لبلاغة سمته يمنع هذه القلعة من غائلة الاخذ والاحاطة بها والتضييق عليها وقد كان يختصر شديد قصرها على مقادير بليغة جداً وانشأ وزرع فى داخل سورها على ذات شاطئ الفرات البساتين المعلقة المشهورة كأنها جبال صناعية كبيرة لتنتزه فيها امرأته المسماة باسم (آميئيس) وقد كانت ميسدية الاصل لقصد ان تذكر بها المناظر الخلوية المعهودة لها فى بلادها الاصيلة وهى عبارة عن طبقات مدرجة بعضها فوق بعض من قبيل ما يوجد فى عصرنا هذا بالجزيرة المسماة باسم (ليزولا) يعنى الجزيرة الجميلة فى البحيرة المعروفة بالبحيرة الكبرى (ولاية سردينيا من بلاد ايطاليا) ومن تحتها سفلى عظيم يحملها وقد اصطنع فيه معائر متسعة فتحت كل طبقة منزرعة من السفلى للمذکور وامس فى تلك المدينة ايضا عدة هياكل اهلية عديدة وجملة معابد دينية مشيدة واصلح شأن الهرم القديم الذى كان محل إقامة كاهن معبودهم المذعوب باسم (بعل) السالف الذكر وبنى ما كان يدعى عندهم باسم معناه (برج اللغات) الذى كان يوجد بالذاحية المسماة (بورسيبة) احدى ضواحي مدينة بابل فى تلك الاوقات ولم يقتصر يختص على تخليط مدينة مملوكة هذه كما كان يعبر عنها بذلك حسبما عثر عليه فى آثاره الأثورة وتزيين

سائر المدن الاخرى الداخلة تحت سلطنته بل كان قد انفتحت ايضا الوسائل تخصيب اراضي بلاد البليسة وتوسيع دائرة المعاملات التجارية فاجرى العمارة اللازمة للخارج السلطاني الشهير الذي كان قد انشأه الملك (هامورابي) قبل ذلك العصر بالف وثلاثمائة سنة وكان قد انسد بمرور الدهر وكاد ان يزول منه الاثر فاعاده بختنصر واصلح شأنه حتى عمد اهل التاريخ هذه العمارة كانوا انشأ جديدا وتأسيس حقيق مفيد وحفر بركة عظيمة عند اسفل الناحية المسماة باسم (سيارة) القصد ان تكون حوضا يجتمع فيه المياه اللازمة لرى ارض المزارع بذلك السهل وحدث فرصة بحرية في الخليج الفارسي عند مصب الدجلة والفرات بمدينة (تيريدن) (وهي ثغر بلاد كلدنة على ساحل الخليج الفارسي وقد كانت قاعدة تلك البلاد في ذلك العصر) وبذلك تم تأسيس مادة الصخرة في البحر

مطلب — ذكر ما اعتري بختنصر من داء الجنون وما حصل له من الغرور والفتون وحيث كان الحال كما توضح اعلاه فقد ثبت ان بختنصر قد كان ملكا ككبريا وسلطانا خطيرا غير انه كان قد غلب عليه الكبر فاضاعه واستولى عليه الجبر فانكف احواله واوضاعه فاغتر بنفسه وافتتن وآل به الغرور والفتون حتى اعتراه الجنون كما قد يحصل كثيرا لامثاله من ذوى القرائح الكبيرة اذا اغتر واما حصل لهم من السعادة الكثيرة وتخيل لـ انه آله يستحق العيادة فصنع لنفسه تماثلا من الذهب وامر سائر الناس بانهم يسجدون لتويعبدونه قال في التوراة ولما ابى ثلاثة فتيان من الاميرانيين ان يمشوا هذا الامر كان قد امر بختنصر بالقائم في النار فلم تؤثر قيم وانجاهم الله سبحانه وتعالى منهم ولما شاهد بختنصر هذه الكرامة اذعن لآله بنى اسرائيل غير انه لم يزل الكبر غالبا عليه ولذلك اوقع الله به العذاب المهول واصاب هذا الملك الجليل بارذل جنون رذيل حتى آت به حالة الاختبال الى انه صار يألف الاعتزال عن الناس ويهيم في الادوية كالهمائم ويروم ان يتغذى مثلها من الاعشاب التي تقيت في البوادي حتى صار بدنه بشيع المنظم لداعي اهماله من المتعبد لنظافة والاغتسال والتعرض على الدوام لتغيرات الحوادث الجوية ومكث على تلك الحال مدة سبعة شهور ثم افاق ورجع للاستغال بتدبير امور المملكة بالنافى وبعد ذلك بقليل مات (في سنة ٥٦١ ق م) بعد ان اقام على سرير الملك مدة ثلاثة واربعين سنة وكان كما قيل قد اخبر هو من قبل بزوال السلطنة البابلية

مطلب — ذكر مرعة المخطا ط السلطنة البابلية ومجلة زوال الدولة الكلدانية قال المؤلف فرانيس لو نورمان السالف الذكر والبيان ولم يكن يلزم لمن يتأمل في الاحوال الواقعة في تلك الاعصار ان يكون قد أوتي منحة من النبوة كبسيرة لاجل ان يعرف ان سلطنة بابل هذه التي كانت قد بلغت بتلك الاقطار الى اعلى درجة من الابهة والفجار كانت قد تدائرة

من الزوال والدمار وان ما كانت قد بلغت من اعلى درجة الشوكة في مدة قصيرة لا بد وانه سينقض منه الجدار في مدة أسرع من مدة نشأته بل يكفي لمعرفة ذلك مجرد عقل ذى قريحة ناقبة ونفس باعقاب الامور متبصرة وذلك ان السلطنة المذكورة لم تكن مؤسسة في حد ذاتها على اساسات قوية ولم تستقر على اصول متينة على وجه بحيث تستمر بل كان هذا التمثال العظميم انما هو قائم على قدمين من طفل بمعنى انه سيع العطب كما في تأويل الرؤيا المتأمية التي كان قد رواها بعض ملوك بابل وكان قد أولاهه النبي دانيال بهذا المعنى (حسبما سبق بذلك في موضعه توضيح هذا المجال) ولم يكن في الامة البابلية الشهامة الجهادية والهمة الجندية الكافية لحفظ ما تبصر لها من السلطنة القوية على اقوام عديدين وامم في الجنس متنوعين كما اتفق للاسوريين حيث حفظوا دولتهم وابقوا سلطنتهم مدة عدة قرون من الزمن ولذلك كان مجرد وفاة بختنصر قد انتشر الخبر بمدينة بابل على الفور بان امة جديدة ذات بطش ووطأ شديدة ستسطو على دولتهم وانها قلت دولة الميديين مع ان تلك الامة المستجدة قد كانت لها من التابعين وهم القوم المسجون بفارس كما كانوا يدعونهم في تلك الاعصار وكانوا قد برزوا من خلال جبالهم الوعرة لشن الغارة على سائر الاقطار تحت قيادة ملك ناشئ من اعظم ملوكهم شهامة واعلاهم همة (وهو الملك كيرش ابيروس) وكان مجرد فظهور مبادئ امره في الوفايع الحربية قد انتشر صيته وامتدت شهرته في سائر الانام وعدم من جملة قواد الجيوش العظام وكان انبيا بني اسرائيل قد انبأوا منذ زمن طويل بغاية الجهور والاعلان بأن مدينة بابل العظيمة الشأن ستقع عن قريب في مثل ما وقعت فيه مدينة اورشليم من السوء والخذلان

مطلب — ذكر من خلف بختنصر على كرسى ملكة بابل من الملوك في ذلك العصر (من سنة ٥٦١ الى سنة ٥٥٥ ق م) ولما توفي بختنصر كان قد خلفه على كرسى ملكة بابل ولده المدعو باسم (ابو ليروداش) (بألف مائة اهل ياه مئناة تحتية ساكنة فواو مكسورة فياه مئناة تحتية قلام ساكنتين فيم فياه مئناة ساكنة فراه مهحلة فواو فوال مهولة ألفت فشين مجمعة في آخره) وكان هذا الملك الاخيرة واشهر كما ذكر في التوراة بأنه قد جاء من مكارم الاخلاق الانسانية بشغلة في غاية الحسن وذلك انه بمجرد ان صعد على سرير الملك أمر بالملك (بختنيو) ملك يهودا فأخرج من السجن وكان قد مكث يقامى سلاسل الاسر مدة سبع وثلاثين سنة ورفع مقامه فوق سائر أهل دولته وقامه بمنصب أعلى من مناصب سائر الملوك الذين كانوا مقيدون في سلاسل الاسر بقاعدته ملكته وصار يؤا كاه على خوانه ورتب له ما يلزم لمعاشه على طرف خزينته غير انه في سائر مدة حكمه لم يأت بما يوافق ما وقع منه في أول أمره من هذا الفعل الجليل وقد قتله صهره بندي باسم (نير بجليصور) (بنون

موحدة فوقية إليها بامانة تحية - ساكنة في ارامكسورة في امانانة تحية فيجيم مجحة
ساكنتين فلام بامانة تحية فصادم حلة قوا و قراءهم حلة في آخره) وهوزوج بنت
بختنصر وكان ذلك (في سنة ٥٥٩ ق م) واستولى على سر يملكه بدلا عنه ولكنه
لم يكت عليه غير أربع سنوات فقط وهلك هو كذلك في واقعة حربية وقعت بينه وبين الملك
(كيرش او قهرس) ملك فارس اذ كان قد توجه بجنوده اليه وأراد ان ينازعه مملكة بلاد
الميدية التي كان قد اتزعهما من يد السلطنة العراقية

مطلب — ذكر الملك نابونيد (من سنة ٥٥٥ الى سنة ٥٣٣ ق م) —
وكان الذي خلف الملك نيريجيليصور المذكور على كرسي مملكة بابل طفل له صغير لم يكت على
سر يملك غير بعض شهور وذلك ان رؤساء امانا الدايئة الكلدانية وقد كانوا هم أرباب
الخرفة القسيسية والطائفة الدينية السياسية المتحكمة بدولة بابل العراقية في تلك الحقبة
العصرية لما تلاحظ لهم ما يوجد في أخلاق هذا الطفل من تباشير الرذائل والانطباع على
الجهل والقساوة من صغره قاموا عليه فخلعوه وعزلوه عن سر يملك وتزعموه وولوا واحدا
منهم بدلا عنه يقال له (نابونيد) (في سنة ٥٥٥ ق م) فاستولى على سر يملك
واستقر عليه مدة السبع عشرة سنة الاخيرة من مدة السلطنة البابلية الشهيرة وكانت
أوائل مدة سلطنته آمنة مطمئنة ومبادئ أمره قارة سارة لداعي ان الملك كيرش ملك
فارس كان مشغول انبال بافتتاح ممالك اخرى غير مملكة بابل هذه فلما اخلا بابل ملك الجعم المذكور
من عزوانه وكان قد استولى على سائر بلاد آسية ما عدا مملكة العراق المذكورة توجه اليها
وشت الغارة عليها (في سنة ٥٣٨ ق م) بجنود من القوم الفارسيين والميديين
معاناً بأنه عازم على ان يضم مملكة كلدة الى ممالك سلطنته المتعددة

مطلب — ذكر سقوط الدولة البابلية وزوال السلطنة العراقية بالكليمة (في سنة
٥٣٣ ق م) — وكان الملك نابونيد هذا قد بادربلاقاء الملك كيرش فدارت الدائرة
عليه وانهمز حزيمة تامة حتى اضطر للنجاة بنفسه وفر من امانه متبعو عابعد ديسير من
جنوده وخادمه والتجأ الى قلعة بوسية وحصر نفسه فيها وترك بختنصر حتى وصل
الى بابل ووضع الحصار عليها وكانت تلك المدينة يوجد فيها من الذخائر والمؤونة ما
يكفيهم لمدة عدة سنوات ولم يتيسر لذات القوم المحاصرين لها فلم يكتروا بهم ولم يسالوا
بخطيئهم ولكن كان قد جاء الوقت المحتوم بالنه اذ لا زلية لا انتقام من تلك المدينة
الكلدانية وكان الملك كيرش من عهد قريب قد جفف النهر المسمى باسم (لوجانديس)
بواسطة فتح خجاني فيه وهو أحد القدران الممددة للجدلة فعزم على ان يفعل مثل ذلك
بنهر الفرات ويدخل بجنوده في مدينة بابل من مجرى النهر المذكور فعمل عليه فناطرتهم في

بهمامياهم الى الجيرة الصناعية التي كانت الملكة يتوكلون قد حفرها هناك كما أسلفنا ذلك و بهذه الوسيلة تيسر لجنوده ان يسيروا في مجرى النهر حيث صار الماء لا يبلغ الا الى ما فوق سيقانهم فقط وتوسطوا فيما بين خطتيها وكان يمكن لسكانها ان يأخذوهم ويقبضوا عليهم كما يأخذ الصياد غنيمته في جباله تصيده بأن يغلقوا عليهم أبواب أرضهم المصنعة من النحاس التي سلف ذكرها و يقدفوا عليهم بالآلات الحرب من أعلى أسوار مدينتهم ولكن كان أهل المدينة في اشتغال بالتخاذموسم لهم فدفقوا عنهم وتركوهم حتى تمكنوا من وسط حاضرهم قبل ان يشيع الخبر بهذا الامر في باقي حاراتها العديدة وكان الملك نابونيد قبل ان ينجاز الى قلعة بورسيية قد ترك في مدينة بابل ولده المدعو باسم (بلطازار) اذ كان قد عهد اليه بالملك وأشركه معه في كرسى المملكة العراقية ولا شك في ان ما ذكر في سفر النبي دانيال بالتوادة من الوصف الجيب والذكر الاخذ بجميع القلوب فيما يتعلق بجلوس الفواحش الذي كان يلطازار قد انتمسك فيه واعتكف عليه قد كان في جوف ليلة هذا الموسم اعني في ذات الليلة التي كان كيرش قد هجأ بجنوده الفارسيين والميديين مدينة بابل هذه ودخلها على حين غفلة من أهلها وانفق ان أحد قوادعسكر الجهم المسمى باسم (دارا) المسمى بالمأمور من طرف الملك النارسي بقيادة هذه الغارة الليلية على قاعدة السلطنة البابلية قتل باطازار بيده فكافأه مولاه بان قلده بالولاية على سترابية بابل (اي ولاية الستراب بمعنى الوالي او العامل) وكان الملك نابونيد قد سلم نفسه بصفة الاسير لملك فارس المسمى كور وبذلك زالت دولة العراق بالطريقة القطعية وانحطت بالكلية والجزئية من خريطة الكرة الارضية ولحقها الى هاوية الزوال ذات مدينة بابل هذه بعد قبل من القرون الزمنية

الفصل السادس

في كيفية ما كانت عليه بلاد الاسورية والبابلية من الدرجة القديمة

والحالة العمرانية في مآلف الاحقاب العصرية

مطلب — بيان كيفية المراتب الاساسية والمتاصب السياسية التي كانت عليها الدولة الملوكية الاسورية الكلدانية في مآلف الاحقاب العصرية قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السابق الذكر والبيان اعلاه في هذا الشأن ما تعريه بغاية الضبط والتجري على قدر الامكان كما سطر ادناه وقد كانت الدولة الملوكية الكلدانية الاسورية في تلك الاحقاب العصرية يتحقق فيها نوع ولاية الامر العامة التي حدثت فيما بعد بسائر الدول السلطانية الحاضرة

في بلاد اسيية وسائر الدول المشرقية كدول الخلقاء الاسلامية ودول فارس الكيانية والساسانية وهو عين نوع الحكومة التي عليها ترتيب الدولة العثمانية بالقسطنطينية والدولة الروسية الموجودتين في عصرنا هذا وذلك عبارة عن أقبح مجذلتقدم الحرية البشرية وارذل فقد انكارم الاخلاق التمدنية فكان ترتيب دولتهم من قبيل الحكومة الاطلاق ما يكون من غير ضابط يضبطها ولا قانون يربطها بوجه من الوجوه مطلقا غير ما كان يعترفي به بعض الاحيان من ثوران بعض فتن داخلية مشتتة على سفك الدماء الغزيرة التي كانت تحصل في داخل قصورهم الملوكية

ومع ذلك فلم يكن الملك في بلاد كدولة والاسورية معتبرا في درجة الألوهية كما كان الحال كذلك بالديار المصرية ولم نعرف في ضمن الآثار القديمة التي حصل عليها العثور لغاية الآن من اطلال مدينة نينوى والمدن التي كانت مجاورة لها على اثر ولا عمارة تدل على ان من ملوك العراق السالفين من كان يحترم على انه اله معبود وفي مدة حياته كما وجد ذلك في آثار العمارات الفرعونية بل لا يوجد فيها ادى شائبة ولا اثر مطلقا يدل على تأليه أحد منهم من بعد وفاته وكان الملك يعتبر عندهم دائما كقرى من البشر غير ان ذلك البشر كان بيده مجموع النفوذ الروحاني والبدني معا بمعنى انه كان مسلطا على الارواح والابدان وبعبارة أخرى كان له الولاية المطلقة العليا واليد التصرفية القصوى على سائر الرعايا من حيث السياسة والادب ان وكان هو الحبر الأعظم والسلطان الاطلاق وكانوا يلقبونه بلقب خليفة الالهة على الارض ويرون ولايته صادرة عن اصل آلهى فهي ولاية عامة مطلقة تشمل الارواح والاشباح وقد دلت النقوش والتماثيل التي حصل عليها الثوري في ضمن العمارات والقصور الباقية من آثار مدينتي نينوى وبابل على حقيقة كيفية المعيشة التي كانت عليها طريقة ترتيب الدولة النينوية والبابلية في تلك الاعصار الاولى اذ يوجد على تلك العمارات والتماثيل من النقوش والتماثيل ما يدل تارة على هذا الغرض المذكور وتارة على ضرورة ما كان يحصل من الغزوات والحروب التي كانت تقع من بعض الملوك لقصدا متداد فتوحاتهم حيث كانت لا تزال تتسع بها الممالك العراقية فتقرى صورة ملك الملوك منهم ما جالس في داخل قصره والقصر مع ذلك قلعة حصينة وحوله جرم غفير وقوم كثير من رجال دولته واعلاهم منصباً طائفة طواشيتة ومن ارقى ارباب وظائف ديوان الدائرة الملوكية ناظر سررايته وكبير سفارة الملك ورئيس الحرس السلطاني وكان من وظائف هذا الامر الاخير ايضاً ريادة مشيخة البلديات وادارة اعمال شتى المشنوقين وكان ارباب وظائف السراية الملوكية مع كونهم تحت ادارة اللذان السلطانية بطريق المباشرة اى من غير واسطة وفي خدمته الخاصة هم ايضاً اعيان رجال دولته ورؤساء حكومته وأرباب مشورته ينفع منهم مثل مجلس شورى الوزراء الذي

ينعقد الآن في الممالك العصرية (وهو المعبر عنه بالمجلس المختص في الديار المصرية) عبارة عن مجلس عال ينحدر من اكارا عيان ارباب الدولة لتقصدا ادارة مهام المملكة تحت على رياسة الملك وان كان هو في اغلب الاحيان معتكفا في داخل حريم سرايته منه كما على لذته مشتغلا بقضاء شهوره عن النظر في المصالح العامة

مطلب — بيان كيفية تقليد الولاة على الاقاليم المفتحة من طرف الدولة الكلدانية الاسورية في تلك الاحقاب العصرية — وقد كانت الاقاليم العديدة والولايات المديدة التي كانت قد استتحتها الدولة الاسورية الكلدانية وجعلتها تابعة لولايتها السلطانية على ضربين (احدهما) ما كان يولى عليه عامل من طرف الملك بطريق المباشرة (والثاني) ما كان يلحق بالسلطنة العراقية بمجرد التبعية فقط فاما الضرب الثاني فكان متى فتح الاقليم توضع عليه يد السلطنة الاسورية العظمى ويقر على ما كان عليه في سالف الاعصار من ترتيب كيفية ولايته وقوانينه الاهلية الثابتة فيه بالروايات الاثرية مع بعض تغيير وتبديل قدي يحصل من لدن الحضرة السلطانية الكبرى ويقررت ملكه على ولايته والاصلية غير انه دائر بالاذعان والتبعية لملك الملوك الاعلى على انه سيده ومولاه ويجبر على ان يؤدي اليه في كل سنة من المال اناوة جسيمة ويبعث له حصاة عظيمة من الجنود تنضم للعساكر السلطانية العراقية وقد كان من النادر جدا ان يجرد ملك الاسورية بعض الاقاليم المدعنة بالطاعة اليه على انها بالتبعية له من ولايتها الخصوصية ويبعث عليها عاملا من مدينة نينوى بطريق المباشرة من طرفه ولا يقع ذلك الا اذا تكرر من ذلك الاقليم الخروج عن الطاعة السلطانية والمجاهرة بالعداوة والعصيان للدولة الاسورية الكلدانية

مطلب — بيان كيفية ترتيب الطبقات الاهلية وتركيب الجمعية البشرية ببلاد الاسورية — لم يكن يوجد ببلاد الاسورية في سالف الاعصار لطبقات اهلية متميزة بعضها فوق بعض ولا درجات متباينة بالدقة ولا طائفة سيادية وراثية مستقرة على وجه ثابت بل كان سائر الناس على قدم المساواة بعضهم بعض في هيئة الاجتماع البشرية اعنى تلك المساواة التي كانت تقتضيها وتريدها وترغب فيها وتقرها طبيعة نوع الحكومة الملوكية المطلقة التصرف في سائر الامور داعي انها هي التي يسهل لها ان تنفذ حكمها عليها وتطمئن اليها وهي عبارة عن كون سطح التسوية بين جميع الطوائف الاهلية تضغط عليه وطأة قدم السلطنة ذات الشوكة القوية التي يحصل الحرص عليها من لدن قوة النفوذ السلطانية على سائر رقاب الرعية بحيث لا يكون بينهم تمييز البتة اللهم الا باختلاف الدرجات الناشئة عن الترقية الى بعض المناصب العلية والمرتبات الاولى التي يترقى اليها بعض الرجال بمجرد ارادة ولي الامر كما يريد ويرضاه وامن فوق يده يد عليه للتفتيش عليها وفي اغلب الاحوال

يكون ذلك الترفي لامبياً على بواحي فضل واستحقاق بل لمجرد قضاء شهوة المولى وهو اه لا غير حتى انه لم يوجد في بلاد الاسوريين بتلك الاعصار تمييز ثابت مستمر ولا فرق ظاهر مستقر بين القوم الاسوريين والرعايا المغلوبين من اهل البلاد التي اقتنوها وتغلبوا عليها وفي لكوها فكان الملك في اغلب الاحيان ينصب بارادته بعض الرعايا الاجنيين في اعلى مناصب دولته ولم تكن المناصب العلية التي يناط اليها النظر في اهم المصالح السلطانية العمومية ينصب فيها دائماً بالخصوص من اعيان الاهالي الاسورية الاصلية

مطلب — الكلام على ما كان للاسوريين في الاعصار القديمة من الشرائع والقوانين — لم يذكر في كتب التواريخ المأثورة عن مؤرخي السلف المعتمد عليهم في المدارس الاوربية من القوائد التفصيلية والمعلومات البليانية فيما يتعلق بمادة الشرائع والقوانين الاسورية كما نقلوا انما فيما يتعلق من هذا القبيل عن احوال الديار المصرية وغاية ما تعلم في هذا المقام هو ان كيفية القضاء في المواد الجنائية قد كانت تحصل عندهم بالطريقة القورية اى السريعة بمعنى انهم كانوا يقضون على المتهم بمجرد ثبوت الدعوى عليه في مجلس القضاء بالطريقة الشفاهية وقد كانت شرائعهم في هذه المادة شديدة جداً وعقوباتهم يسهة للغاية وانهم كانوا يستعملون طرق التعذيب لاجل الحصول على اقرار المتهمين بالاجبار وان الحكم بالموت على المذنبين لا يصدر غالباً الا مسبقاً بالتفتن في انواع العذاب وتقلب المصائب على اصناف العقاب مما لا يعرف نظيره في الديار المصرية وقد كان مجرد طاع رأس الاتمى من غير تمثيل به ولا تعذيب بالبلاد الاسورية في تلك الحقبة العصرية مما يعدم من الاحوال البزيرية ويستهبر من انواع القتل المظيفة وهيئات الموت الغير العنيفة وكانوا في أكثر الاحوال نارة يصابون المذنبين وعثلون بهم وتارة يخوزقونهم وطور المسخونهم وهم على قيد الحياة ولا يدفنون رمى الموتى المعاقبين بل يلقونهم في البادية فتأكلهم اتياب السباع المستوحشة وتفترسهم الحيوانات المفترسة وكان من المعتاد لهم كثيراً أن يعاقبوا على الذنوب الصغيرة التي لا تسحق القتل بقطع عضو او عدة اعضاء من البدن وكثيراً ما كانوا كذلك يجازون وفقاً البصر

مطلب — ذكر طبائع الاسوريين — قد كان الاسوريون في سالف الاعصار بالاصالة هم من الرجال الغلاظ الشداد والابطال اولى الحرب والجلاد ولقد صدق بعض الصدق ووافق قوله بعض الحق من غير غنى بقوله انهم كانوا روماني بلاد اسيمة القديمة وقد انضم لنا بدليل ما نشاهد من تصاورهم وقمائلهم المصورة في عماراتهم العظيمة انهم كانوا اناسا قصار القامة غسلاظ الجسم شداد القوة اولى اعصاب تدل على انهم كانوا منطويين على قوة عصبية خارقة للعادة انوفهم صلبة محدودة وعيونهم متسعة وفي تقاطيع وجوههم ما يشتمل

على أظهر العلامات المميزة لغزوات نوع الرتبة الالهية البشرية المعروفة بالسامية هذا فيما يتعلق بصفاتهم الحسية وهياكلهم الجسمية وامان حيث طباعهم انقلية واخلقهم الباطنية فانهم كانوا على حسب ما عهد فيهم من الفضائل والذائل الاخلاقية جامعين لانهم ما يكون عليه اعظم امتة فاتحة للممالك يبلد آسية فقد كانوا رجالا اهل جرأة واقدام على الحرب وقواما جبارين اهل قساوة للغاية بعشقون سفك الدماء ويحبون السلب والنهب اشد الحب وكناؤا يبدلون نفوسهم مع غاية الجاس في الصداقة ملو كهم ممتلئين من الكبر الذي لم يعهده نظير ولا قياس في امة من الامم السالقين وكانوا يزعمون انهم فوق جميع الملل المتقدمين ولهم صبر على الحرمان من الملاذ الدنيوية وفيهم مد للخداع والخيانة واشهد الطابع الفرزية المائلة لحب السلطنة وكانوا قوما اهل نشاط وشهامة ورجالا اهل جلالة ومواظبة ولدا على اجتماع جميع هذه الصفات فيهم كانوا هم احدى الملل التي خلقها الله سبحانه وتعالى بتدابيره الازلية واحدها بتقديره الالهية اقصد ان تستولى على غير هامن الامم الاخرين مدة ما من الاحقاب الدهرية ولاجل ان يجعلها آلة عقاب لمن يستحق منهم سوء العذاب

وقد بلغت درجة خشوتهم وشدة نشاطهم وحركتهم لغاية انهم قاوموا مدة عدة قرون كاملة ما كان حاصلها عليهم من تأثير التمتع والرفاهية التي كانت قد غلبت عليهم من بعدما كان قد تحصل لهم من كثرة الغنى والثروة من سائر اقطار الدنيا باستيلائهم على الممالك الكثيرة والفتوحات الغير المحصورة وتيسر لهم من بعد سقطة الملك سددان ابا انهم في مسافة ثلاثين سنة قاموا من سقطتهم وعادوا الى ما كانوا عليه من شدة وطأتهم وعادوا درجة صولاتهم وشوكتهم واستمر واعلى فتوح البلدان أكثر مما كانوا عليه في سالف الزمان ولم تيسر لغيرهم من الامم الا سبيهم اسمهم اسمهم واعلى حفظ درجة أعلويتهم الجهادية مدة مديدة واعصارا عديدة كما تيسر لهم مع كون الامم الذين كانوا قد أطاعوهم بالقوة القهرية كانوا قوما اولى عصبية شديدة ومقاومة عديدة وكانوا هم ذاتهم محاطين بأعداء من اشد ما يكون

مطلب — ذكر ما كان للاسوريين في تلك الاعصار السابقة من درجة الفلاحة والصناعة الفائقة — قد كانت أرض بلاد الاسورية في سالف الزمان ولم تزل لغاية الآن خصبة خصوبة تامة في أى مكان أمكن جلب الماء اليه وتيسر ريه وكانوا قد علموا فن الفلاحة من جيرانهم البابليين الذين كانوا في أول الامر هم اساتيدهم والقوم الاعلون عليهم ولذلك كان فن الفلاحة قد بلغ عندهم الى أقصى درجة الكمال من أعصار قديمة جدا في سائر بلاد الجزيرة الفراتية سواء كان بلاد كلدان أو بلاد الاسورية وكانت طرقهم الزراعية مؤسسة على أقوى الاصول العلمية اعنى على أساليب علمية وتجارب فعيلة تصعد الى أقصى

الازمان السالفة مع كونها مبنية على قواعد من العلم مستندة للدالة العقلية ولم يكن لحق الاسوريين والبابليين في فن الفلاحة أمة من الامم السالفين ولم يفقههم في كثير من الاعمال الزراعية أحدهم من الامم المتأخرين وكما كانت الزراعة عند هاتين الملتين في أعلى درجة من الكمال فكذلك كانت الصنابع عندهم على تلك الحال فكان يخرج من معامل مدينتي نينوى وبابل في تلك الاعصار القسيرة من الاقمشة المصبوغة بالالوان الزاهية او المطرزة والامثلة النفيسة والمصنوعات المتقنة من مخلوط المعادن الثلاثة التي هي النحاس والقصدير والخنارصيني أو التوتية المعدنية المسمى بمجموع ذلك بالتوج ومواد من المساعات التي عليها نقوش بغاية الدقة والظرافة ومن الاواني المخذمة من الفخار المطلي ما يرغب فيه الراغبون ويجلبه الجالبون الى سائر بلاد الامم المتقدمين وقد كان بلدية بابل تجارة ذات حركة نشيطة في البحر مع بلاد الهند وفي البر مع بلاد فارس والسوس ومدينة نينوى قوافل تسافر الى بلاد الفينيقيين وآسية الصغرى وبلاد الارمن والميديين

مطلب — ذكر القلم السناني والخط السرياني — قد كان الخط الاسوري والسرياني المعبر عنه عند علماء الافرنج المتأخرين بالقلم السناني هو في الاصل من قبيل الخط الهيروجليفي والقلم المصري القديم أعني مركباً من حروف هي تماثيل الاشياء المحموسة وصور المواد المكتوبة ثم بمقتضى الميل الطبيعي حصل في تصوير الاشياء على هذا الوجه تبديل شديد وتحويل آخر جديد واحوجت ضرورة الاختصار الى استبدال تصوير الاشياء المكتوب على صورته الاصلية بتصوير بعض خواص مميزة له عن غيره وهي وان كانت ليست بصورته الحقيقية غير انها تدل على بعض صفات ظاهريه هي أخص خواصه الطبيعية ومن ثم نشأت صورة الكتابة السريانية المعبر عنها بالطريقة الكتابية السنانية وصفتها المميزة لها عن غيرها هي ان جميع الاشكال التي تتركب منها على أي هيئة كانت هي عبارة عن حروف ترجع بالاختيار أو بالجبر الى كونها تنتهي بما هو أشبه بسنان الرمح أو المسبار ولذلك تعبر عنها بالكتابة السنانية ولم تكن هيئة هذه الطريقة في أول الامر الاناشئة عن كيفية رسم الخط وذلك ان الاسوريين والبابليين لم يكونوا يكتبون علامات كتابتهم هذه لا بالقلم الواسطي على كاغد كالعهود عند أهل المشرق لغاية الآن ولا بقلم الرسم على ورق البردى ولا على جلود مدبوغة مجهزة لهذا القصد أو على خرق من القماش ولا بسنن قلم النقش الجاف على ألواح من الخشب أو خوص النخيل أو قشور الاشجار بل كانوا لداعي عدم تبسر هذه الوسائل لهم بالسهولة يرسمون حروفهم مفرغة في ألواح من الطفل الطرى ثم يحرقونها بالنار اذا أرادوا بقاءها وحفظها على ممر الاعصار وكانت آلة كتابتهم قلماً على شكل المثالث يتخذونه من الحديد لهذا العمل حصل العثور على عدة افراد عديدة منه في اطلال مدينة نينوى فكان تصوير شكل

خطهم على تلك الصورة الغريبة أعنى صورة المعمار هذه فاقبح عن تأثير خط هذا القلم في مجسم الطفل وترسم صورة المسافر فيه بواسطة الطرق عليه طرقتين بقلم النقش المذكور ولا شك ان الرسم على الحجر بمثل هذا العمل كان اسهل لهم واسرع من تصوير نقائيل الاشياء المكتوبة بتماها عليه ولذلك عدلوا عن هذه الطريقة الاولى الى تلك الطريقة السهلة قال المؤرخ فرانسيس لوفورمان المروى عنه اعلاه وجميع الصحف التي تبصرنا للحصول عليها من بقايا الكتب السريانية القديمة الحقيقية هي ناتجة عن اعمال الحفر التي حصلت في اوائل هذا القرن الحاضر بمعرفة المعلم (ايار) الفرافساوى الساف الذكر واسلمها من التبخانة العمومية التي كان قد انشأها الملك آسور بانيبال في قاعة من قصره بمدينة نينوى في ذلك العصر ولقد كانت تلك القاعة دار كتب عجيبة وكتبخانه غريبة وهي عبارة عن مجرد الواح مسطحة مربعة من الأنجر كتب على ظهر من وجهها بقلم السنان القديم ونوع الخط السرياني الدقيق المصنوم (المعروف في اصطلاح اهل الخط بقلم الرقعة) صحيفة من الكتابة مرسومة على أصل الطفل وهو بحالة الطراوة بعد وقد وضع بأعلاها رقم يدل على انها صفحة من كتاب يتركب مجموعته من جملة صفحات كلها من هذا القليل ولا شك انها قد كانت في الاصل مرسومة بعضها فوق بعض على هيئة الكتاب موضوعة في خانة من دولا ب الكتبخانه المذكورة

مطلب — ذكر ديانة الاسوريين وعقائدها اهل العراق السالفين — وقد كانت ديانة الاسوريين والبابليين هي اصل منشأ اغلب المذاهب الدينية التي كان عليها سكان بلاد الشام وبلاد آسية الصغرى السالفين وكان دينهم من حيث أصوله الاساسية وقواعده الاصلية العمومية من قبيل دين قدماء المصريين وسائر اديان اهل الجاهلية الصابئين وعبداء الاصنام من الامم السالفين على العموم وذلك انه متى أمعن الناظر فيه نظره وحقق بصره الى ما وراء القشرة الخشنة الغليظة أعنى مادة تعدد الالهة المعبودين لهم التي كانوا يقيمون بها مصون عقائدهم عن اعيان العامة منهم وصعد الى مرتبة من العقائد الدينية الحقيقية أعلى من تلك الاوهام العامة التي هي لتلك العقائد الاصلية وسائل ابتدائية وأوائل توسلية اتضح له في ضمنها ادراك معنى أصلى دقيق من اصل الوحدانية الالهية وانه كان لهم حظ من عقيدة التوحيد الاصلية التي هي من آثار الوحي السابق غير انها كانت قد تشوهت على مرور الازمان بما كان قد تدخل في اذهان هؤلاء الامم من الخيلات الشبهة والاهوام البشعة في ميدان تعدد الالهة المعبودين حيث خلطوا الخلق بالخالق وتصوروا الذات المعبودة في صورة مادة دنيوية آلهية جعلوا الحوادث الطبيعية هي مظاهرها وتوهموا ان الآثار الاعتيادية هي ما نزلها فكافوا يعتقدون انه يوجد له واحد اسمى وذات معبود

أهل هو السبب الاعظام والكل الاقصى تتخفى اليه سائر الاشياء الاخرى وتشتمل فيه اشتمال الكل على الاجزاء ودونه عدة آلهة ثانوية سفلى وجملة ذوات معبودة دنيا صادرة عن الذات الالهية العليا مرتبة في اعتقادهم على درجات متنوعة بحسب اختلاف قدرها واهمية بعضها بالنسبة لبعض وليست في الحقيقة الاعبارة عن صفات الذات الاعلى وهم قد شخصوها وعن مظاهرها الاثرية وهم قد شخصوها وجعلوها ذوات مستقلة وآلهة منفردة عن الذات الاصلية وأصل جميع أديان الامم الجاهليين وعبداء الاصنام الصابئين السالفين واحد وانما كانت تختلف خصوصاً من حيث تنوع هؤلاء الذوات المعبودين الثانويين واختلاف تاهياتهم الذاتية في تخيل هؤلاء الامم السالفين فكان المصريون كما أسلفنا ذكر ذلك في موضعه قد تأثر تخيلهم خصوصاً بالحوادث المتوالية المربطة لهم من حركة الشمس اليومية والسنوية قترأى لهم فيها أعظم مظهر وأظهر أثر للذات الالهية الاصلية وتصوروا ان فيها اغوذح قوانين نظام السكون فيجعلوها أصلاً لتشخصات آلهتهم ومنشأ لتخصيص ذوات معبوداتهم بخلاف أهل العراق السالفين أعنى الكلدانيين والاسوريين المذكورين فانهم لما كانوا قد اتهمكموا بالخصوص على الاشتغال بعلم الفلك كانوا قد تصوروا ان مجموع سائر الكواكب الفلكية ولا سيما الكواكب السيارة منها هي آثار للذات الالهية فاعتبروها هي مآثرها الظاهرية ومتعلقاتها الاثرية وجعلوها في طريقتهم الدينية هي الصور المربطة الصادرة عن ذات معبودهم الاصل المطلق وكانوا يعتقدون اتحادها بالعالم المرنى الذي هو صنعتها وقد كان هذا التصور موافقاً لما كانوا ممكنين عليه من دوام الاشتغال بعلم الفلك والتجسس حيث كان هذان العلمان هما الغالبان على عقول هذه الامة وكانت خرفة القسس الكلدانيين الذين هم أمناء ديانتهم ممكنين بالخصوص على رصد أحوال السماء وما فيها من الكواكب والنجوم ومعرفة حركاتها وكانوا قد تقدموا في هذا العلم فوق سائر العلوم تقدماً كبيراً اجداً وكانوا لهم الفلك هم اول الواضعين واسبق المؤسسين واليهم ينسب اختراع دائرة فلك البروج وتقسيم الدائرة الى ٣٠ درجة والدرجة الى ٦٠ دقيقة وكانهم اول من رصد الكواكب السيارة وحسب حوادث خسوف القمر وقد جرحهم الاشتغال بعلم الفلك الى البحث في العلوم الرياضية ولا سيما علم الاعداد وعنهم أخذ الفيلسوف اليوناني المشهور فيثاغورس جدول الضرب المشهور باسمه في علم الحساب لغاية الآن ولقد كانت ديانة أهل بابل وبنو بابل تشتمل على رذائل شنيعة ومناسك بشيعة وأورم مخالفة لمكارم الاخلاق منفرقة لطباع السليمة جدوا من ثم كان التشنيع الشديد والتعجب بالنفس العالي الذي كان يصدر من أنبياء بني اسرائيل على هذه الديانة الدنيئة التي كانت تقر مثل هذه القبائح الشديدة

مطلب — ذكر فنون الاسوريين وصناعاتهم ومبانيهم وفسادهم وكيف كان فن

العمارة عندهم - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكرو والبيان قدمكت
الناس مدة مديدة واعصار عديدة يعتمدون على مجرد قول أهل التارخ السالفين
كالمؤرخ (اكليزياس) مثلاً فيما ذكره من انه قد كان للاسوريين في سالف الاعصار
فنون وصناعات دانتها وعمارات اتقنت صنعها الى درجة عالية جداً ويعتقدون
بمجرد دعواهم فيما حوروه من يديع وصف العمارات الفاشخة والقصور والهيكل
المشيدة التي كانت في مدينتي نينوى وبابل حتى جاءت سنة ١٨٤٤ الميلادية (سنة
١٢٦٠ هجرية) وفيها عثر بلدينا العالم التحرير والقنصل الشهير باسم (بوتله) وكان قنصل
دولة فرانسيا بالموصل على آثار قصر قديم لبعض الملوك الاسوريين في مكان قرية تحقرة تدعى باسم
(خورازاباد) على القرب من مدينة الموصل المذكورة وكان هو اول من استكشف شيئاً من
تلك الآثار المأثورة ثم حذا حذوه وحقا اثره جماعة كثيرون من اهل العناية بالبحث عن
احوال الامم السالفين فاستكشفوا من هذا القبيل استكشافات كثيرة جداً حتى وقف سائر
الناس الآن على حقيقة فن من العمارات لم يكونوا يعرفوا وجوده ولا قدره الا بمجرد الاعمال على
تلك الاقوال الادبية والشهادات التاريخية المشهورة ولقد علم بدليل هذه الاستكشافات
ان ما كان يوجد ببلاد البابليين من العمارات الدينية كان كله على منوال واحد فانهم كانوا
يبنون هياكلهم على شكل هرم مدرج يتركب من عدة سطوح عديدة مربعة وجملة طبقات
مركبة من قصات بعضها فوق بعض من جميع جهاتها اعني ان كل سطح او طبقة منها هي
أضيق مما دونها على وجه بحيث ان الطبقة السفلى اعني قاعدة الهرم كانت على اوسع مسافة من
الارض والطبقة العليا وهي الرأس هي اضيقها وقد كان بناء برج بابل المشهور على هذا الوجه
من قبل وكذلك كان بناء اقدم الاهرام المصرية كهرم صقارة مثلاً وقد كان انشاء معابدهم
على هذه الهيئة موافقاً لما كان من كوزا في اذهانهم من بناء العمائد الكلدانية خصوصاً
من مبادئ اصلها على القواعد الفلكية وكانهم كانوا يعتقدون انهم بهذه الوسيلة يتقربون
الى الاجسام السماوية التي كانوا يعبدونها فاتخذوا هياكلهم هذه كأنها رصدانات حقيقية
اسكى برصدوا فيها حركاتها الدورية ولذلك تراهم على سطح الطبقة العليا منها يبنون زاوية أو
مضلع صغير وهو عبارة عن حجرة مربعة مزينة بأجمل الزينة يوضع فيها تمثال الاله المعبود
لهم في كل هيكل من هياكلهم وكل سطح او طبقة من الطبقات السكاثر بعضها فوق بعض
مكسو بطلا من الآجر مختلف ابعاداً وألوانه في كل واحدة منها عن غيرها من الطبقات
الآخرى وقد كان من عوايد الاسوريين على وجه العموم ان يعملوا جبيلات مرتفعة عظيمة
اي تلالاً مصطنعة جسمية يجعلونها قواعد مسطحة يبنون عليها هياكلهم وقصورهم ومدائنهم
وديارهم ومنازلهم وكانت مدينة نينوى مبنية على هضبة مصطنعة من هذا القبيل تمتد على

خط مديمن مساحة الارض وكانت اسوارها تحيط على نطاق من الارض يبلغ مقاسه ٣٣٠ شوطا يونانيا ظاهرا مبنى بالأجر وباطنها محشوت براب مجلوب ولذلك تراها مازال عنها الحائط المبنى بالأجر انهما التراب المذكور واختلط بالارض كأن لم يكن لها سور وحيث كانت عماراتهم مبنية على تلك التلال الصناعية كانت بحسب طريقة بنائها هذه تظهر لعين الرائي كأنها في الحقيقة تلال أخرى من اعمال البشر متركبة على التلال الاولى وكانهم كانوا يحتفرون في جوانبها مساكنهم اذ كانوا يضطرون لذلك كما يظهر بضرورة جنس المواد المتيسرة عندهم لعمل الابنية والحاجة كونهم يتخذون لانفسهم بيوتا طرية لتقضيهم الحرق في مثل تلك الاقطار الشديدة الحرارة نعم ان ارض بلاد الاسورية يوجد بها أحجار بكثرة للبناء يمكن البابلين الذين كانوا اللينويين هم الاساتذة المعلمين كانوا لا يجدون في ارض بلادهم مواد للبناء حيث كانت ارضهم كلها سهولا لا تتركب من مجرد طينة طفالية مجلوبة ولذلك اضطروا لتخاذا بنيتهم كلها من الطوب المصطنع اما محروقا بالنار او مجففا بحرارة الشمس لا غير وقد قفأ أثرهم في ذلك تلامذتهم الاسوريون غير انهم بدلا عن كونهم يضربون الطوب بطريقة اساتيدهم البابلين انما كانوا يقتصرون على عمل مذا ميج من الطفل اى على مجرد انقاء المادة الطفالية من بعد سحقها بحصاة في قوالب من الخشب فقط ولم يكن للاسوريين مواد بناء أخرى غير هذه المادة حسبما اتضح من جميع اعمال الحفر التي حصلت في آثار العمارات الاسورية القديمة للغاية الآن اذ لم يوجد فيها البناء بالحجر اللهم الا في صورة تطبيق من الظاهر لبعض المحيطان تراه مرصوصا على طبقات او صفوف في بعضها فوق بعض وفيها نقوش خفيفة تمتد على طول جوانب القيعان وتلك القيعان في غاية من الزينة الزاهرة الزاهية والنقوش الباهرة الباهية يكسو محيطانها من الظاهر طبقة من الحجر المنحوت مبنية على الوجوه الخارجية من السطوح المذكورة ولما كان الاسوريون لا يتخذون ابنتهم الامن المادامج الطفالية لزمهم ان يجعلوا محيطانهم محكمة جدا وكانوا لا يبنون الاحجار ضيقة وحيدة طانا غير مرتفعة لان القبوة المصنوعة من المادامج الطفالية المذكورة لا يمكن ان تكون الاعلى ابعاد غير عظيمة وكانوا لا يجعلون عماراتهم الابدور واحد ويربون سطح سقفها بطبقة جسيمة من الطين لاجل ان لا تتخرقها الامطار ولا يتغذى الشقوق الناشئة عن اشعة الشمس

مطلب — ذكر ما كان قد اشتهر عند الاسوريين في تلك العصور من صناعة التصوير — قد كان فن التصوير ببلاد الاسورية في سالف العصور من اعظم الفنون التي كان يشتغل بها الامم الاقدمون ومنهم تعلم اليونان مبادئ تصويراتهم اذ كانت هذه الصناعة قد انتقلت اليهم بواسطة سكان بلاد آسية الصغرى وهم كانوا قد اخذوها عنهم وتعلموها منهم وذلك انه يامعان النظر في أعمال التصوير المصنوعة بتم ارباب الفن اللينويين واليونانيين في الالهصار

الاختصار الاولى يرى ان بينهما مدرجة تراتبية عجيبة ومناسبة غريبة جدا وقد كانت صناعة التصوير عند الاءوريين كما هو شأن جميع الفنون الابتدائية والصناعات الاولى وكما كان الحال كذلك عند قدماء المصريين عبارة عن تقليد غير تام للصور الطبيعية وصناعة غشيمة في رسم التماثيل التصويرية تسكادان تكون اعلا بمثابة اوهي اساليب اتفاقية مصطلح عليها عندهم واكثرها من قبيل ما يستغل به الصبيان في سائر البلدان في سبيل اشتهالهم بقن الرسم والتصوير فترى سائر رسم الوجوه في النماذج والبارزة عندهم مثلاً مأخوذاً بجانب ولورتب عليه اختلال تركيب مجموع الصورة بقوامها لداعي كون تمثيل المستويات على الجذب اسهل من تمثيلها بالواجه غير ان فن التصوير عند الاسوريين كان مبنياً على اصول مغايرة لاصول فن التصوير عند المصريين ولم يكن على الصنعة الاسورية تلك العناية الاحتفالية والضخامة الازرية التي كانت تشاهد على التماثيل المصرية وذلك ان الاسوريين كانوا بدلاء عن كونهم يصورون الاشياء بصورها العمومية وينظرون لمجرد القوانين الجسدية من الصور الطبيعية فقط فختصرون صور المستويات والخطوط بواسطة ايجاز الصورة المراد تمثيلها والاقتصار فيها على اجزائها الاصلية واصافها الطبيعية المميزة لها ولا يتجشون ما يستحق العناية به مبنياً على اصول الدقة والحدق كانوا يتلقون بتصوير دقائق الاحوال مع غاية العناية والتدقيق فلا ينسون نظير الثياب ولا يملون رسم ضفيرة من شعر الرأس أو اللحية او عصب ذراع او فخذ وما أشبه ذلك واشد اعتنائهم بمثل هذه الدقائق كانت صناعة التصوير الاسورية كالمصرية تبعدهن تمثيل الحقيقة الطبيعية لكن كل منهما من طريق مخالف للثاني مخالفة العنصر للعضد وكانت عنايتهم في التصوير بالاحوال الطبيعية تبلغ من درجة الاهمية البليغة الى ما يضر بمجموع الرسم على العموم وكانت كيفية رسمهم لاهصاب أعضاء الجسم لداعي المبالغة في اظهارها تصير هائلة جداً وتصير النسبة بين اجزاء البدن غير مضبوطة ومن هذه الخبيثة بقى فن التصوير ببلاد العراق القديمة دون فن التصوير في ديار مصر بكثير ولم يكن فيه ما كان في فن التصوير المصري من الروح الخيلى ودرجة التصوير العقلى وعظمة السكون والجلالة الدينية الموجودة في التماثيل المصرية لكنه في مقابلة ذلك يشتمل على حركة ونشاط وفورع من الروحانية والحياة لم تكن تعرف عند ارباب الفن المصريين (انتهى من تاريخ الامم المشرقية والهند للؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان)

مسائل

تتضمن على وجه الاختصار ما تقدم في هذا الباب الرابع من الفوائد والافكار

افكار تقديميه وفوائد عموميه

- ١ - ما المقتضى لترتيب تاريخ الاسوريين والبابليين بعد قدماء المصريين والعبرانيين بالنسبة اليانامعاصر المصريين

مقدمة

- ٢ - ماصفة حوض دجلة والفرات وما اشتمل عليه من الممالك والولايات
- ٣ - كيف تنقسم الجزيرة الفراتية بالنسبة لطبيعة طبقتها الارضية وما طبيعة أرض كل قسم منها
- ٤ - ما المراد من التعبير ببلاد الاسورية وكيف كانت تنقسم في سالف الحقب العصرية
- ٥ - ماهي الولايات المشعولة في حوض دجلة والفرات وما صفة تلك البلدان على حسب ماهي عليه الآن
- ٦ - ما مكان مدينة (نينوى) القديمة ومن هو أول من استكشف آثار هذه المدينة العظيمة
- ٧ - أين توجد اطلال مدينة بابل المشهورة
- ٨ - ما المراد من النبط أو النبطيين في مقابلة القبط أو القبطيين
- ٩ - ما أوجه المقابلة بين وادي النيل ووادي دجلة والفرات وما الموجب لتعلق اطماع الدول بالجمع بينهما والاستيلاء عليهما في كل عصر وجيل
- ١٠ - ماذا قيل من الاشعار العربية الشهيرة في المقابلة بين نهرى النيل والفرات

الفصل الاول

- ١١ - من كان سكان بلاد كلداء من الامم الاقدمين في سالف الازمان بعد الطوفان وماذا يذكر عن السومير والاكاد - وهل كانوا وحدهم سكان تلك البلاد
- ١٢ - من كان اول من أنشأ المدن والعمارات على شواطئ نهري الدجلة والفرات
- ١٣ - ما النمرود وماذا يحكى عنه في التوراة من الروايات
- ١٣ - ما أسور وماذا يؤثر عنه من الآثار والعمارات
- ١٥ - ما أصل منشأ الأسور بين أو والسريانيين وما نسبتهم للبابليين

الفصل الثاني

- ١٦ - ماذا ثبت من تاريخ أوائل أمر الدولة الكلدانية والدولة الاسورية حين سكنتا بمجمعتين ببلاد الجزيرة العراقية وماذا كانت مساهمتهما من تلك الاقطار وما تحقق عنهما من الانحمار
- ١٧ - ما حال الامة الكلدانية الاسورية في تلك الاعصار الاولى
- ١٨ - ما قصة تملك الدولة الميديّة على مدينة بابل العراقية ومادة تملكهم على تلك البلاد قبل الميلاد
- ١٩ - ما قصة تملك الدولة الايلامية على بلاد البابلية ومادة تملكهم على تلك البلاد قبل الميلاد
- ٢٠ - من الذي أعقب الدولة الايلامية على بلاد البابلية وفي أي سنة كان ذلك قبل الميلاد وما أشهر ملوك هذه الدولة الذين عثر لهم على آثار بتلك البلاد
- ٢١ - ما قصة استيلاء الدولة المصرية على بلاد الجزيرة العراقية ومادة ذلك الاستيلاء وبماذا يستأنس لذلك من كتب المؤرخين المتقدمين

الفصل الثالث

- ٢٢ - كيف كان تأسيس السلطنة الاسورية بملك البلاد (من القرن الخامس عشر إلى الرابع عشر قبل الميلاد) وما حاله تاريخ تلك المدة من حيث الصحة والاعتماد

- ٢٣ - ما أوائل فتوحات الاسوريين لبلاد الامم المجاورين ومن هم أول الملوك الاسوريين
الفاحين
- ٢٤ - ما أول منشأ العائلة الملكية الاسورية المعروفة بالبليطارية وما تاريخ حدوثها
- قبل المدة الميلادية وماذا ثبت من تاريخ بليطارية ومن خلفه من ملوك تلك العائلة
الملوكية
- ٢٥ - ماذا ثبت من تاريخ الملك آسورنازيربال وما عثر له عليه من الآثار الدالة على
ما كان قيمه من غرائب الخصال وعجائب الافعال
- ٢٦ - ماذا ثبت عن الملك سلمانصر الرابع وما تحقق له من الغزوات والوقايح
- ٢٧ - ماذا ثبت من أخبار الملك بيلوخوس الثالث والملكة سيمراميس الحقيقية وهل في
- التواريخ الاسورية الصحيحة امرأة تدعى بهذا الاسم غير هذه الذات الملوكية
- ٢٨ - ماذا يذكر عن الملك سردانا بال من رذائل الخصال وماذا تضرب به الامثال وماذا
ترتب على فحش سلوكه من العن والاختلال وخراب مدينة نينوى الخراب الاول بعد
القتال
- ٢٩ - ما قصة زوال الدولة الاسورية الاولى وخراب مدينة نينوى الاول وما تاريخ هذه
الحادثة الكبرى

الفصل الرابع

- ٣٠ - ماذا كان من حال القوم الميديين بعد خراب مدينة نينوى الاول وماذا يذكر عن
الملك فول بعد ذلك بمدينة بابل
- ٣١ - كيف كانت مدة مكث الدولة البابلية وماذا فعل الاسوريون بعد ذلك من المسالك
حتى عادت السلطنة الاسورية الى مدينة نينوى بالثاني وماذا يذكر عن الملك
(تجلات قلصر) الثاني
- ٣٢ - ماذا يذكر عن الملك (سلمانصر)
- ٣٣ - ماذا يذكر عن الملك (سرجون)
- ٣٤ - ماذا يذكر عن الملك (سنخاريب)
- ٣٥ - ماذا يذكر عن الملك (آسارادون)
- ٣٦ - ماذا يذكر عن الملك (آسود بانتيال)

٣٧ - ما أثر ما حصل من النجاح في الجهاد على يد بعض الملوك الاسوريين من الطبقة الثانية بتلك البلاد

٣٨ - كيف كان زوال الدولة الآشورية الثانية وخراب مدينة نينوى الخراب الثاني بالكلية والجزئية وما قصة غارة الاقوام السيتيين على بلاد الميديين وماذا اترقب على تلك الحادثة الدهرية

٣٩ - من هو آخر ملوك الدولة الاسورية الثانية بمدينة نينوى وكيف كانت حالته بالنسبة لصاحب الدولة الميديّة

الفصل الخامس

٤٠ - ما ذا يدكر من غرائب الامور عن الملك بختنصر المشهور

٤١ - ما قصة واقعة قرقيش الشهيرة وما الذي اوجب سرعة هود بختنصر الى مدينة بابل عقب هذه الواقعة الشهيرة

٤٢ - ما قصة أوائل غزوات بختنصر ببلاد اليهود بناء على ما كان قد حصل من طرف ملكهم من نقض العهود

٤٣ - ما قصة خراب بيت المقدس على يد بختنصر وماذا فعل بالملك صدقيان من أفعال الجبر والتهور

٤٤ - ما قصة وقايح بختنصر الحربية ببلاد الجزيرة العربية

٤٥ - ما قصة ما يؤثر عن بختنصر من العمارات والآثار وما قصة مدينة بابل حسب ما نص عليه المؤرخ هيرودوت اليوناني في تلك الاعصار

٤٦ - ما ملحوظات المؤرخ فرانسيس لونورمان فيما يتعلق بقياس مدينة بابل في تلك الازمان ببعض المحدثين الموجود الان

٤٧ - ما تعريف البساتين المعلقة المشهورة في قديم الزمان وماذا يمكن تشبيهها بما يوجد من هذا القبيل الان

٤٨ - ماذا كانت آثار بختنصر فيما يتعلق بالمواد الزراعية والتجارية والاسفار البحرية

٤٩ - ما قصة ما اعتبر بختنصر من الجنون وما حصل له في آخر عمره من الغرور والقنوت

- ٥٠ - ما أسباب سرعة انقضاء السلطنة البابلية وبجملته زوال الدولة الكلدانية بالنسبة للسلطنة الآشورية وما تأويل الرؤيا المنسوبة التي كان رآها بعض ملوك الدولة العراقية فيما يتعلق بهذه القضية
- ٥١ - ما تاريخ خلفاء بختنصر على ملكة بابل من الملوك في ذلك العصر
- ٥٢ - بماذا اشتهر وبختنصر المدعو باسم (ابو بلير وداش) من مكارم الافعال الانسانية وهل استمر على حسن تلك السيرة الملوكية
- ٥٣ - ما قصة صهر بختنصر المدعو باسم (نير بجليصور) وكيف كانت عاقبة امره في تلك العصور
- ٥٤ - من ذا الذي خلف الملك (نير بجليصور) وما قصة بامتلاء الملك (نانو يد) على سرير السلطنة البابلية وكيف كانت حالة أيام هذا الملك الاخير
- ٥٥ - ما قصة سقوط الدولة البابلية وزوال السلطنة العراقية بالكلية

الفصل السادس

- ٥٦ - كيف كان ترتيب الدولة الآشورية الكلدانية في سالف الاحقاب الزمنية وما نوع تلك الولاية العمومية وكيف كانت تعتبر عندهم المراتبة الملوكية بالنسبة لساير المراتب الدولية
- ٥٧ - ما كيفية تقليد الولاة على الاقاليم الاجنبية المفتوحة من طرف الدولة الكلدانية الآشورية في تلك الاحداث العصرية
- ٥٨ - كيف كانت طريقة ترتيب الطبقات الالهية وترتيب الجمعية البشرية ببلاد الآشورية في تلك الاحقاب الدهرية
- ٥٩ - ما ذا يدكر عما كان للاشوريين في الاعصار القديمة من الشرائع والقوانين بانقياس على شرائع المصريين
- ٦٠ - كيف كانت طباع الاشوريين الاخلاقية وهيئاتهم الجمعية
- ٦١ - ما ذا يدكر عن الاشوريين في تلك الاعصار السابقة من درجة الفلاحة والصناعة الفاعلة
- ٦٢ - ما تعريف القلم السناني والخط الميرياني القديم
- ٦٣ - ا. ا. عتبة ديانة الاموريين و. ا. هبة عقائد اهل العراق السالفين وماذا كانوا قد برعوا فيه من انواع العلوم والفنون

٦٤ - ما حالة صناعاتهم ومبانيهم وعماراتهم وكيف كانت قبلت درجة فن العمارة عندهم

٦٥ - ما حقيقة ما كان قد اشتبه به من الاسو ريين في تلك العصور من صناعة التمثيل والتصوير



الباب الخامس

في تاريخ الفرس والميديين وسكان بلاد العراق الجعفي واذر بيجان السالفين

(واصل مأخذ هذا الباب من تأليفات العلماء الاور وباوين المتأخرين وتحقيقات المؤرخين المحققين العصريين ولا سيما من تأليف المؤلف (بريجان) فيما يتعلق باصول الامم المتكونة من بني يافث السالفين وتأليف العالم (بيشيت) فيما يتعلق باصول الامم الهنديين والاور وباوين والاآريين الاولين وكتاب المعلم (شيبيل) فيما يتعلق باصول ديانة الجنس البشري الهندي الايراني وتأليفات العالم البروسياني المشهور باسم (كوهن) وغير ذلك)

افكار تقديمية وفوايد عمومية

قد علمنا ما تقدم في الابواب السابقة ان الديار المصرية هي قطب رحى الدنيا القديمة والحديثة في الاعمار السالفة والخالفة كما سيأتي ايضاحه ايضا في الابواب اللاحقة وقهنا ما سلف ذكره لغاية الآن ان كل امة نبعت بصولتها بين الامم المتقدمة وكل امة برعت بشؤونها بين الملل السالفة في ذلك الزمان لا بد وان تتعلق بالاسنيلاء عليها اطماعها وتشوق لاستصفاها لنفسها واستتباعها لداعي ما منحها الله سبحانه وتعالى دون سائر الاقطار الدنيوية من المزايا الطبيعية وحس الاحوال الموقعية كالخود آء البديعة الجبال الغزيرة المال والحسناء ذات الحسب والنسب الكثيرة التثب يتزاحم عليها الراغبون ويتنافس في مهرها الخاطبون ولذلك يجب علينا معاشرنا ثما المصريين وطلبة العلم العصريين في درس التاريخ العام والبحث عن اخبر سائر الامم والاقوام ان لا نقطع النظر عن هذه البقعة الكريمة والجنة الارضية العظيمة ونزد سائر تواريخ الامم المتنوعة اليها ونبحث في جميع اخبارهم واحوالهم لامن حيث كونهم لنا هم الغرض الاصل والباعث الاولى بل بطريق التبعية والتمسك عليها واذ اسر حقا وور حقا في بعض ميا دى اخبار هؤلاء الامم والاقوام في كل مكان وفي كل زمان ينبغي لنا ان نرجع دائما الى هذه الاوطان التي حبا من الايمان ونقول لها بالقلب واللسان قول العاشق والوهان (شعر)

اورى بسعدى والرباب وزينب * وكل يديع الحسن والقصدانثو

وان من اشهر الامم السالفين واكبر الملل الاغراب المتقدمين الذين امتدت يدهم

واستعدت عددهم وعددهم للاستيلاء على الدار المصرية في سالف الاحقاب العصرية اعنى جمدة النواريج القديمة التي نحن بصدد البحث عنها والاقتباس منها بعد غارة المملوك الراعة المعروفين بالهيكوسيين وغارة ملوك الانيويين ومزاحمتهم عليها كما علمتهم تفاصيل ذلك فيما سلف من ملوك الاسوريين هم ملوك فارس والميديين أى سكان بلاد العراق الجعوى واذريجيان السالفين وكانت مساكنهم فيما وراء البحر المسمى عند السلف باسم بحر (البريترة) وهو المعروف الآن بالخليج الفارسي الخارج من الاوقيانوس الهندى او بحر الهند ويتصل بخليج عمان وذلك القطر هو ما يعرف في هذا الزمان ببلاد الجعم او دولة (ايران) والغرض لنا من هذا الباب ان نبحث عما ثبت عند المحققين من علماء التاريخ الاروباويين المتأخرين من أخبار هذه الامة الشهيرة والملة ذات الشوكة الكبيرة من سالف الاحقاب لغاية ان امتدت سلطنتهم وشملت غاوتهم ديارنا هذه المصرية واستحقوها بالتبعية ونتابع تاريخها بعد ذلك لغاية ما يعرف في اصطلاح أهل التاريخ بالحروب الميديّة يعنون بذلك الوقاييع الحربية التي وقعت بين الامة الفارسية واليونان المعبر عنهم عند العرب بالروم كما هو معلوم وذلك في نحو القرن الخامس قبل ميلاد المسيح عليه السلام كما فعلنا بالامم المذكورين في سالف الابواب من هذا الكتاب

وقبل الشروع في ايراد هذه الحقيقات التاريخية والنتائج الاستكشافية العلمية يلزم أن تقدم امام هذا الباب مقدمة تشمل على معلومات جغرافية وفوائد وصفية تتعاقب بالاقطار الارضية التي كان فيها مساكن هذه الامة الميديّة وتلك الملة الفارسية التي تزدان نشئنا بالوقوف على حقيقة تاريخها في سالف الاحقاب ضرورة معرفة وصف المكان قبل السكان على حسب الاسلوب الذي سلكناه في هذا التأليف لغاية الآن

مقدمة

في بعض قوائد جغرافية ومعلومات وصفية تتعلق ببلاد فارس والميديّة

جرت عادة المؤرخين الاروباويين ان يذكروا تاريخ بلاد فارس والميديين او ماضى في باب واحد وان كانوا أمتين متغايرتين وملتين مختلفتين كما جرت عادتهم أيضاً بأن يذكروا في باب واحد كذلك تاريخ الاسوريين والبابليين لارتباط أخبار بعضهم ببعض ولكون مساكنهم متقاربة والافبلاد الميديّة (ويقال لها أيضاً بلاد ماضى) هي خلاف بلاد فارس وان كانت اماكنهم متصابقة من أقطار الارض وحدود كل منهما كالسطر بعد

مطلب — حدود بلاد الميديّة — أما بلاد الميديّة فهي محدودة من جهة الشمال ببحر الخزر وبلاد أرمينية ومن جهة الغرب ببلاد الآسورية الأصلية ومن جهة الجنوب ببلاد فارس ومن جهة الشرق بالبلاد المسماة ببلاد الفرية (بالأشياء المثلثة بعد الراء المهملة) وهي القطر الكائن بشرق العراق العجمي وغربي خراسان الآن وجبال الخزر تستر سائر سطح الجهة الشمالية منها وفي تلك الجهة أيضا ما يوجد بتلك البلاد من الأنهار وذلك غديران يسمى أحدهما باسم (قورش أو قور) والثاني بنهر (آراس) وقد كانت مدنها الأصلية في سالف الزمان كل من مدينة (ايكباتان) (قال صاحب معجم مشاهير الرجال والبلدان) ولعلها الآن المدينة المعروفة بمحاند) ثم مدينة (راچيس) (وهي المدينة المعروفة باسم الري الآن)

مطلب — حدود بلاد فارس — وأما بلاد فارس أو فارسستان فقد كانت في سالف الزمان عبارة عن الأرض المشمولة فيما بين بلاد الميديّة المذكورة أعلاه والخليج الفارسي من جهتي الشمال والجنوب وبين بلاد الكرمان (بكسر الغاء الموحدة وسكون الراء المهملة) وبلاد البابلية من جهتي الشرق والغرب وفيها من جهتي الشمال والغرب جبال لا يمكن منها الدخول إليها الا بغاية المشقة والتعب وكانت مدنها الأصلية في سالف الزمان كل من مدينة (برسوليس) (وهي المعروفة الآن باسم (ابشهيل منار) ثم مدينة (بازارجاد) (بالباء الفارسية في أوله وهي المعروفة الآن باسم (بازا) أو (قازا) (بالباء الفارسية أو بالفاء الموحدة الفوقية في أوله)

وقد كانت سلطنة فارس المشهورة في عصر (دارا) الأول تشمل على عشرين مسترابية أي عمالة بمعنى أقاليم أو ولاية ينصب عليها عامل من طرف دولة فارس المذكورة منها ما هو ببلاد أفريقية كالديار المصرية وما يابها من بلاد (قوريس) أو بلاد (ليديا) (وهي بلاد بركة) من الاقطار المغربية ومنها ما هو ببلاد آسيا بما قيمها ببلاد الميديّة لغاية بلاد الهند ولا جمل قصور مجموّع ببلاد فارس وما دى الأصلية قبل السروع فيما يتعلق بهما من الاخبار التاريخية رأينا ان نعرب هنا ما تسطر في كتاب جغرافية المعلم (قورتنبير) الكبرى الفرنسية فيما يتعلق بهذه الاقطار الفارسية وذلك كالسطر بعد

مطلب — اوصاف مملكة فارس الطبيعية وذكر بعض احوالها المحلية — قال المعلم (قورتنبير) المذكور في كتاب جغرافيته الكبرى المشهور ان دولة فارس المسماة عند اهل المشرق ببلولة (ايران) تمتد الآن في شرقي دولة بني عثمان على الاقطار السكائنة فيما بين بحر الخزر من جهة الشمال والخليج الفارسي من جهة الجنوب وتتصل من جهة الشرق ببلاد (بلوچستان) و (افغانستان) ومن جهة الشمال الشرقي ببلاد (تركستان) المسماة ايضا ببلاد (القرالمستقلة) ومن جهة الشمال الغربي ببلاد ماوراء جبال قوقازة ومساحة طولها

٣٠٠٠ كيلومتر من الشمال الغربي الى الجنوب ب الشرق على متوسط عرض يبلغ ١١٠٠ كيلومتر ومساحة سطحها مليون واحد كيلومتر مربع وتعد اهلها الآن عشرة ملايين نفسا ومتوسط اقطارها على درجة ٣٥ من العرض وتمتد من جهة الجنوب الى حد الرأس المعنى باسم (رأس ياسك) السكان على بحر عمان ويسمى مدخل الخليج الفارسي من بحر الهند باسم بونغاز (هرمز) ويشتل البونغاز المذكور على جزيرتين تدعى احدهما باسم جزيرة (هرمز) والثانية باسم جزيرة (كيشم) وفي داخل الخليج الفارسي عدة جزائر عديدة وهذا البونغاز شهير باستخراج اللؤلؤ

وأجل اقطار بلاد فارس المذكورة هو الجبل الجنوبية منها غير ان هواءها حار وكثيرا ما تعتبرها الرياح الخطرة المعروفة بالسحوم وأما في جهة الشرق وللشمال الشرقي فان درجة الهواء لطيفة موافقة للصحة وفي جهة الشمال منها اعنى على سواحل بحر الخزر تحدد اقطارا خصبة بخلاف جهة الشرق حيث تجد فيها الصحراء الكبيرة المسماة باسم (سالة) أى الملح ويخرج ببلاد فارس هذه ثمرات طبيعية نفيسة وفواكدا أرضية جميلة فهى الموطن الاصلى لشجرة التين والمان والتوت واللوز والخوخ والشمش والسبرقوق والعنب ويصطنع بها الخمر الجيد ويخرج بعدة اقطار منها كذلك من القمح والارز والقطن وقصب السكر ما هو سبب ثروتها ويزرع بهما من البساتين التى هى منتزهات أهل فارس ما يزدان بها لا يحصى من أنواع الازهار الجميلة وفى هذه الاقطار الخيل الفارسية المشهورة الجميلة والجمال الجيدة النافعة للاسفار وهى نفيسة ايضا من حيث مالها من دقيق الاوبار التى تستخدمها الاشنة المتفتنة وفى الاقطار الشرقية منها صنف من المعز يكاد أن يضاهى فى الاشتها معز بلاد (التبت) من حيث دقة الشعر وقد يوجد فى عدة أقاليم منها الاسد والنمر وغير ذلك من السباع الضارية وأعظم المواد المعدنية التى توجد بها الملح حيث يوجد فى كل مكان منها والنفط وهم يستعملونه للتنوير بدلا عن الزيت ومنها النحاس والياقوت والفيروزج واللازورد والون الازرق الجليل

وقد قسم بلاد فارس بحسب احوالها الطبيعية الى ثلاثة اقطار اصالية (الاول) وهو اعظمها يشتل على وسط تلك المملكة وعلى جهة الشرق منها ومنه يتركب الجزء الغربى من ارض مستوية مرتفعة متسعة تعرف باسم اعناه هضبة فارس وهذه الهضبة يحدها من جهة الشمال جبال خراسان وجبال البرج ومن جهة الغرب جبال (الوند) وعلى هذه الجبال هو رأس (ديماوند) السكان فى جبال البرج المذكورة ومقدار ارتفاعه ٦٤٠٠ متر (الثانى) من اقطار بلاد فارس الطبيعية هو منحدر بحر الخزر وهو فى جهة الشمال منها (الثالث) فى جهة الجنوب منه ارض يشتل على المنحدر المائل نحو الخليج الفارسي وبونغاز (هرمز)

وبهرمان

وسائر الأنهار الموجودة بهضبة فارس المذكورة لا مصاب لها بل تضيع إما في مال الصحارى أو في البحيرات والبرك الموجودة فيها بدون أن يرى لها مصارف معلومة وأعظمها النهر المسمى باسم (زايانده رود) وهو يصب في الصحراء الكبيرة المسماة باسم (سالة) المذكورة أعلاه النهر المسمى باسم (بند مبر) وهو يصب في بحيرة (بختاجان) وفي جهة الشمال الغربي من ثم هضبة فارس هذه بحيرة عظيمة تعرف ببخيرة (أرميه) (بضم الهمزة وسكون الراء المهملة) ومساحة طولها ١٣٠ كيلومترا وماؤها كبحيرة لوط وبحيرة (ألوان) الملح المياه التي تعرف بغربي بلاد آسما فلا يعيش فيها سمك ولا حيوان مطلقا ومن أنهار هذه الاقطار أيضا نهر (قرل أوزان) ونهر (آراس) وهو نهر سريع الجريان جدا يتكون منه بعض الحدود والفصل بين أرض فارس وبلاد ماوراء جبال قوقازة (وهو الذي كان يسمى عند الأمم المتقدمين كنهر (بند مبر) السالف المذكور باسم (آراس) ثم نهر (تدران) وأسفل مجراه بلاد (زركستان) (أو بلاد التتر المستقلة) وفي المنحدر الجنوبي من تلك الاقطار نهر الكرخ يلتقي مع النهر المسمى بشط العرب ثم نهر (قارون) يصب في خليج فارس مع اختلاط بعض مياهه بها هذا النهر الأخير

مطلب — ذكر تقاسيم مملكة فارس السياسية في هذه الاحقاب العصرية — قال العالم الجغرافى المروى عنه أهلاء مامعناه ان مملكة فارس تنقسم من حيث خططها السياسية الى أحد عشر أقليماً وأحكامدارية اثنان منها في جهة الشمال على طول بحر الخزر وهما (مازندران) و (كيلان) أما الاول فقاعدته مدينة (إلفروخ) يبلغ عدد أهلها ١٠٠٠٠٠ نفس وهي حاضرة شهيرة بكثرة المتاجر والصناعات والمدارس ويليهامدينة (سارى) وعدد أهلها ٣٠٠٠٠ نفس وأما الثانى فقاعدته مدينة (رشت) ومبلغ أهلها ٨٠٠٠٠ نفس غير ان موقعها في مكان مضر بالصحة

وفي وسط مملكة فارس أو إيران الاقليم المعروف بالعراق الجهمى أى الفارسى وهو يشتمل من جهة الغرب منعا على اقطار هضبة ثم يمتد من جهة الشرق الى صحارى جديدة وقاعدته مدينة (طهران) التى هى قاعدة سائر مملكة فارس وهى على القرب من جبال البرج وعدد أهلها في الشتاء ١٣٠٠٠٠ نفس وفي الصيف ٤٠٠٠٠ نفس فقط ومن أظهر ما فيها من الابنية الكبيرة والعمارات الشهيرة قصر الملك وهو عمارة متسعة جدا متخذة بكثير من الزاوى والزينة وعلى شرق تلك المدينة مدينة (ديماند) السكائنة على القرب من الرأس المسمى باسمها من جهة الجنوب ويجاورها باطلال مدينة الرى التى يقال انها هى مدينة (راچيس) القديمة وهى مكان ولادة الخليفة هارون الرشيد المشهور وفي جنوب العراق

الجمعي المذكور مدينة (أصفهان) وقد كانت هي قاعدة المملكة الفارسية قبل مدينة (طهران) ثم انحطت عن عالي درجتها السابقة إذ كان عدد أهلها في سالف الزمان نحو مليون كامل من السكان ثم صارت لا يوجد بها إلا نحو ١٠٠٠٠٠ نفس الآن ومن أظهر العمارات الظاهرة بتلك الحاضرة عدة قصور وقنطرة (زايانده رود) والسوق المعروفة بسوق عباس والمسجد السلطاني الموجود فيها والسهل المحيط بها ذو خصوبة غزيرة جداً يخرج منه خصوصاً من القنارون والبلخ أصناف شهيرة وفيما بين أصفهان وطهران مدينة (هاشان) وهي مدينة جميلة جداً والمدينة المسماة بآبام (قم) وهي عند أهل فارس كعبة محترمة يكثر حجهم إليها وبقعة مباركة يترددون إلى زيارة إليها وعلى شمال طهران مدينة (فروين) يبلغ عدد أهلها ٦٠٠٠٠ نفس وقد كانت في سالف الأزمنة مقر السلطنة وهي شهيرة بما يصطحبها من السيوف العجمية والمصنوعات النحاسية وفي غربي العراق الجمعي مدينة (همدان) أو (همدان) (بالذات المعجمة أو بالبدال المهملة) وهي من أجل مدائن بلاد فارس موضوعة على الغرب من أطلال المدينة الشهيرة عند السلف بآبام (ايكباتان) وفي الجنوب الشرقي من العراق الجمعي المذكور مدينة (يزد) وهي حاضرة كبيرة لا بأس بها وأكثر سكانها من المجوس وهم عبدة النار المدينون بديانة (زردشت) (وسياق بيان تاريخ مذهبهم في هذا الباب إن شاء الله تعالى)

ومن الأقاليم السياسية بغربي المملكة الفارسية ثلاثة أقاليم تمتد على حدود الدولة العثمانية وهي (أذربيجان) و(كردستان) و(خوزستان) أما الأولى فهو عبارة عن أراض جبلية فقراء فقراء باردة الهواء تكثر بها الزلازل الأرضية الشديدة وتظهر فيها الآلة-لابات البركانية (أي الزارية) العديدة (والبركانية نسبة للبركان بمعنى الجبل الذي قد تنفخ فيه فوهات من الزيران) وقاعدة هذا الإقليم مدينته (تبريز) وهي حاضرة جميلة ذات تجارة كبيرة على الشمال الشرقي من بحيرة (ارميه) يبلغ عدد أهلها ١٦٠٠٠٠ نفس وعلى الشمال الغربي من البحيرة المذكورة المدينة المشهورة بعض الشهرة باسم (خوي) (على صيغة التصغير)

وأما إقليم كردستان الفارسي فهو كذلك عبارة عن أراض جبلية أكثر سكانها قبائل من الأكراد الرحالين التزايلن والأقوام الغير المتوطنين ومن مدنه أيضاً مدينة (سهنه) ومدينة (كرمانشاه) وهي مدينة رديئة الابنية غير أنها كثيرة التجارة يبلغ عدد أهلها ٤٠٠٠ نفس وأما إقليم خوزستان فهو كائن من جهة الجنوب على ساحل الخليج الفارسي ويشتمل من جهة الشمال على الخط المسماة باسم (لورستان) وقاعدته مدينة (شستر) على الغرب من أطلال المدينة القديمة المشهورة باسم (سسوس) ومن مدنه الشهيرة مدينة نسحة

(دبغول)

ومن اجل اقاليم مملكة فارس ايضا الاقليم الجليل والواى الجليل المسمى باسم (فارستان) وهو بلاد فارس الاصليه وارض دولة العجم القديمة الحقيقية وقاعدته مدينة (شيراز) موضوعه في اجل المواضع واجل المواقع بوادى فى الحقيقة جنة يعمر بها فصول الربيع على مر ايام السنة ويخرج بها اجود اصناف الخمر الذى يتأقن ببلاد آسيا والبرقوق اللذيذ وغيره من أنواع الفواكه الشهيرة وهذا الواى معدود من جملة الجنان الارضية عند اهل البلاد الشرقية غير انه يكثر به الزلازل التى قد يترتب عليها خراب بعض الاماكن والمنازل ويسمى اهل فارس مدينة شيراز هذه بدار العلم وبها كانت اقامة الشاعر بن الفارسيين الشهيرين باسم الخافظ والسعدى وفى الشمال الغربى من هذا الاقليم ايضا الواى المسمى باسم (شهاب ديوان) وهو واحد الجنان الاربع المشهورة بتلك البلدان وعلى الشمال الشرقى من شيراز آثار مدينة (برسپوليس) التى كانت قاعدة مملكة فارس فى سالف الازمان وأعظم المين الكائنة بهذا الاقليم هى الفرضة المسماة باسم (أوشهر أو بندر اوشهر) على ساحل الخليج الفارسى وهى عرضة لدرجة من الحرارة خانقة وامامها فى الخليج المذكور جزيرة (كرك) التى توات عليها ايد القلمنكيين ثم الفرائسيين ثم الانجليز

وأقصى الاقاليم الفارسية الى جهة الجنوب أقليم (لارستان) وقاعدته مدينة (لار) التى كانت فى سالف الزمان مدينة عظيمة ثم انحطت عن على درجتها القديمة الآن وفى الجنوب الشرقى من المملكة المذكورة أقليمان أحدهما بحرى وهو المسمى باسم (موغستان) والثانى أدنى منه وهو أقليم (كرمان) اما الاول فهو من جهة على ساحل بونغاز (هرمز) وبحر عمان وبه ميناء معروف باسم (بندر عباس أو جومرون) كانت فى سالف الزمان موضع تجارة عظيمة وفرضة بحرية جسيمة وايسر تابعة لمملكة فارس بل هى مملوكة لآمام مسقط من ملوك العرب ويوجد امام هذه الفرضة جزيرة (هرمز) فى البونغاز المسمى باسمها وهى عبارة عن صخرة قفرة لا تنبت شيا غير ان فيها مدينة من هرة كانت فى الاعصار المتوسطة لغاية القرن السابع عشر من الميلاد من أعظم البقاع تجارة ببلاد آسيا وعلى القرب من هذه الجزيرة من جهة الغرب منها جزيرة (كيشم) وهى أوسع منها وأرضها خصبة جدا وكلاهما تابعة لآمامة مسقط لالمملكة فارس

وأما الثانى وهو أقليم (كرمان) فهو مشهور بما يصنع فيه من الانسجة الجليلة المتخذة من أوبار الابل وشعور المعز ويخرج منه من العقاقير الطبية والمواد المعدنية والخمور الجيدة وقاعدته مدينة (كرمان) وتسمى أيضا (سرجان)

وفى شرقى مملكة فارس ايضا الاقليم الكبير المسمى باسم (خراسان) وهى بقعة خصبة جدا

في الجهة الشمالية ومتكونة من محاري جديدة في الجهة الجنوبية وهي مشهورة بما تليق منها من نوع البياض المسني بالعلل وبالفير وزج والخيول الجيدة والبسط المتقنة وقاعدته مدينة (المشهد) مشهدة الحسين بن علي رضي الله تعالى عنه وقد كانت أكثر عظمة في المدة السالفة مما هي عليه في هذه الاعصار الخالفة بكثير وبها مسجد شهير واثركبير يقال انه مؤسس على مشهد الامام الحسين ولذلك يكثر عليه تردد الزائرين ومحط رحال المسافرين وبجوار المدينة المذكورة آثار مدينة (طوس) المشهورة وقد كانت في الاعصار السالفة حاضرة كبيرة ومنها الشاعر الفارسي الشهير بالفردوسي ومن المدن العظيمة باقليم خراسان أيضا (يسابور) وبجوارها معادن الغير زج وفي نواحي بحر الخزر من مدن مملكة فارس الشهيرة مدينة (أستراباد) عدد سكانها ٤٠٠٠٠ نفس وبها يسمى الخليج المعروف بهذا الاسم ثم مدينة (دامغان) الكائنة على جنوب المدينة المذكورة وهي الآن مدينة حقيرة مع كونها قد كانت في الاعصار الغابرة مدينة مزهرة جدا تسمى باسم (هيكاتونفيل) قال الماعلم (فورتنبير) المنقول عنه اهلاء بعد ذلك ما معناه وهي ثم حكومة بلاد فارس من قديم الزمان ولم تزل لغاية الآن هي من قبيل الحكم الملكي المطلق غير ان عدة قبائل منهم لا يزالون يعيشون بحالة من الاستقلال تكاد ان تكون تامه ويلقب السلطان عندهم بلقب (الشاه) ودينهم الآن دين الاسلام من شيعة على رضي الله عنه وهم يعبرون عن انفسهم بالتاجية ويسعون اهل مذهبهم من حيث الديانة بالعدلية واخصامهم من اهل السنة هم الذين يدعونهم بالشيعة وأهل فارس هم امه مذبقة ومؤدية يوجد فيها جملة فضائل ظاهرة جميلة واخلاق غنية مقبولة (٥)

مطلب — ذكر جغرافية أرض فارس التاريخية ومقابلتها بما استجد من الاسماء الحادثة في هذه الاحقاب العصرية - قل العالم الجغرافي المحكي عنه اهلاء في هذا المقام ما معناه ان دولة عارس او ايران وهي المعبر عنها عند العرب بدولة الجهم التي وصفناها في المطلب السابق البيان هي الآن في مكان ما كان يدعى في سالف الزمان بهذه الاسماء القديمة وهي كالسطر أدناه

- (اولا) القطر المسمى باسم (مادی) او (الميدية) في جهة الشمال الغربي
- (ثانيا) بلاد (هركانيا) في جهة الشمال
- (ثالثا) بلاد (السوسية) أو (السوس) في جهة الغرب
- (رابعا) اقليم (فارستان) أو بلاد فارس الاصلية في جهة الجنوب
- (خامسا) بلاد (كرمانيا) أو (الكرمان) في جهة الجنوب الشرقي
- (سادسا) بلاد (القرثية) في جهة الشمال الشرقي

أما بلاد (مادى) أو (الميدية) المذكورة أعلاه فقد كانت قاعدتها في سالف الزمان المدينة الشهيرة باسم (ايكباتان) (ويقال إنها هي همدان الآن) وقد كان من جهة أقاليمها ما يسمى بأقليم (لابروباين) (كصيفة اثني) وكان فيه القلعة المعصاة باسم (برواسيه) ومن مدنها الكبيرة الكائنة في جهة الشمال الشرقي منها مدينة (راجيس) وهي مدينة عتيقة جدرا على القرب من جبال الخزر لها ذكر في التوراة وقد كان اسمها عند المقدونيين من اليونان (اوروبس) وفي عهد الملوكة الفرثيين (ارساو با) ثم سميت في مدة القرون الوسطى في عهد دولة العرب المسلمين باسم (الري) وبقي عليها هذا الاسم الأخير لغاية الآن ثم مدينة (طابه) على القرب من بحر الخزر وكانت قاعدة الأقليم المدعى في ذلك العصر باسم (طابور) وعلى القرب من ذلك المكان كانت مساكن القوم الأقدمين المعروفين باسم (المارديين الشماليين) وأما بلاد (هركانيا) فقد كانت تمتد على الهواحل الجنوبية الشرقية من بحر الخزر ولذلك كان يدعى ذلك البحر أيضا باسم بحر (هركانيا) وكانت قاعدة تلك البلاد تسمى باسم (زودراكارت) أو (كارت) أو (هركانيا) وموقعها في ناحية الجنوب بالأقليم الذي كان يدعى حينئذ باسم (الاستاين) (كصيفة اثني) وقد كان أعظم أقاليم تلك البلاد في ذلك الزمان وكانت هذه المدينة هي قاعدة سلطنة القوم المعروفين بالفرثيين وأما بلاد (السوسية) أو (السوس) فهي المعروفة الآن بأقليم (خوزستان) وقد كان من أهلها في سالف تلك الأزمان فضلا عن السوسيين الأصليين أقوام آخرون يدعون باسم (الكوسيين) و (الوكسين) و (المارديين الجنوبيين) وكانت المدينة الشهيرة عند السلف باسم (سوس) هي قاعدة تلك البلاد وموقعها في جهة الشمال منها وقد كان ملوك فارس يتخذونها محل إقامة لهم في بعض الأحيان ومن مدنها الأصلية أيضا مدينة (سيلوقية) في جهة الشمال الغربي منها ومدينة (عراقه) على نهر الدجلة والظاهر أن أصل منشأ التسمية بلفظ العراق عنها

وأما بلاد فارس فهي التي كانت تدعى في التوراة باسم (فارس) أو (ابلام) وهي الآن عبارة عن إقليم (فارستان) مع جنوب العراق الجهمي وقد كانت السلطنة القديمة التي كان يطلق عليها هذا الاسم عند الأمم المتقدمين قد امتدت امتدادا عظيما واتسعت اتساعا جسيما بكثرة الأقطار التي كان قد افتتحها الملك (قورش أو قيرور) وعدة من خلفه على سريره ملكة فارس وكانت تشمل فضلا عن بلاد فارس الأصلية بالمعنى المراد هنا على بلاد (مادى) أو (الميدية) و بلاد (السوسية) و (الابالية) و (الاسورية) و بلاد (ارمنية) و (آسية الصغرى) (وهي بلاد الأناضول الآن) وعدة أقطار أخرى من بلاد آسية الغربية وقد كانت تنقسم بلاد فارس الأصلية عند الأمم المتقدمين إلى قسمين أصليين (أحدهما) فارس الحقيقية الأصلية

في الجهة الجنوبية و (الثاني) ما كان يدعى باسم (فارتاسين) في الجهة الشمالية أما القسم الأول فقد كانت قاعدته المدينة المشهورة باسم (برسبوليس) على نهر (آراس) وكان بها قصر ملوكي فاخر أحرقه الاسكندر وكان به مدينة كبيرة أخرى تسمى باسم (بازارجاده) على نهر (الخور) وبها قبر الملك (قورش) السالف الذكرو قد كان في القسم الثاني المدينة المسماة باسم (اسباندان) وهي المعروفة باسم اصفهان الآن في الجهة الغربية منه والمدينة المسماة باسم (ايكباتان المجوس) في الجهة الشمالية الشرقية وانما تنسب للمجوس لكون الملك (دارا) كان قد بناها لهم بالخصوص

وأما بلاد (كرمانيا) وهي المعروفة بالكرمان الآن فقد كان من ضمنها جزيرة (اوراكتنه) وهي المسماة الآن باسم (كيشم) وجزيرة (اورجان) وهي المسماة الآن باسم (هرمز) وهي أصغر من الجزيرة الأولى غير أنها صارت أشهر منها في القرون الوسطى لداعي ما حصل فيها من واقعة انجلاء القوم المسلمين المسلمين باسم (الهرمزيين) حين هربوا من التتار والمغول إليها وقد كانت مدينة (كرمانه) وهي المعروفة بمدينة (كرمان) الآن هي قاعدتها غير أن الظاهر أن مدينة (كرمانه) المذكورة قد كانت موضوعة على المكان الكائن عليه مدينة (جوسرون) الآن

وأما بلاد (الفرثيين) فقد كان موقعها على شرق بلاد (هركانيا) وقد كانت في الأصل جزءاً منها وأصل القوم المعروفين بالفرثيين من الأقوام السيتيين (أقوام يأجوج ومأجوج) ظهوروا في القرن الثالث قبل ميلاد المسيح وأحدث رئيسهم المسمى باسم (أرباس) سلطنة عظيمة ودولة ذات شوكة جسيمة جدا امتدت حدودها إلى غاية شواطئ الفرات من جهة الغرب والمحيط الفارسي من جهة الجنوب حتى خشيت منها دولة الرومانيين على نفسها حقيقة من الزمن وانتهت في القرن الثالث ميلاد المسيح عليه السلام

وقد كانت بلاد الفرثيين تشمل من جهة الشمال الشرقي على الأقليم المسمى باسم (مرجيان) ومن جهة الشمال على الأقليم المسمى باسم (قوميذين) ومن جهة الجنوب على الأقليم المسمى باسم (طابيين) وكانت المدينة المشهورة باسم (هيكاتونفيل) الكائنة بأقليم (قوميذين) المذكور هي قاعدة دولة الفرثيين ودار إقامة الملوك الأرباسيين المذكورين وأما مدينة الاسكندرية التي كانت توجد بأقليم (مرجيان) فقد كان الاسكندر هو الذي اختطها وبنائها ثم جاء الملك (أنطيوخوس سوتر) فآخذ بنائها وزيدها ولذلك سميت فيما بعد باسم (أنطاكية) على نهر (مرجوس) وهو المعروف الآن باسم (مرجاب) (بفتح الميم وسكون الراء المهملة في أوله) قال العالم الجغرافي المروى عنه أعلاه في تاريخ دولة فارس على وجه الاجمال كما هي طريقة العلماء الجغرافيين ما تعرض به أدناه وكانت بلاد فارس قد مكنت بحالة

الاجل وعدم الذكر من سالف الدهر حتى جاء عصر الملك (قورش) فأحدث فيها سلطنة متسعة البلاد ودولة ذات منعة وجهاد في القرن السادس قبل الميلاد وجاء الاسكندر (الرومي أو المقدوني أو اليوناني) بعد قرنين فازالها وبوفاته اقتسمها خلفاؤه إلى آخر ما أبداه (هذا ما اردنا نقله هنا من جغرافية قورتنبير الكبرى لفصحتعرف هذه البلدان التي يزيد الوقوف على حقيقة تاريخها على وجه التفصيل والبيان وذلك هو ما يأتي بعد) معربا من كتاب تاريخ الامم المشرقية والهند للأورخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر) مختصرا ذلك في ثلاثة فصول وهي هذه نذكرها نقول

الفصل الاول

في بيان اصل الذرية الابراية ومنشأ الامة الفارسية

مطلب - ذكر الآريين الاولين الذين هم اصل القوم الفارسيين - قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان اعلاه ما معناه ان اقدم الآثار التاريخية التي تتعلق بذرية بني يافث أو الطائفة البشرية المعبر عنها في اصطلاح علماء الافرنج المتأخرين بالمرتبة الهندية الاوربية لا تصعد الى اكثر من نحو ثلاثة آلاف سنة قبل ميلاد المسيح عليه السلام وقد كانت تلك الطائفة في تلك الازمان مقتصرة كلها بالمواطن الكائنة على القرب من المهد الاول الذي كان قد نشأ فيه نوع الانسان قبل الطوفان اعني على شواطئ نهر (جيحون) ببلاد (البيكترية) (وهي ما يدعى الان بخانية بلخ من بلاد (تركستان) او بلاد ااتتر المستقلة) قال المؤرخ الفرانساوي المذكور ولقد صدق من حقق النظر ودقق الفكر فذهب الى ان هذه البلاد هي اقدم المساكن وأول المواطن التي اقام بها قوم ما يعلم من التواريخ البشرية اصل تلك الذرية الياثية التي نحن منها معاشر الاورباويين وكنها كانت لهم كغلاية نحل خرج منها على التوالي قبائل شتى وعدة اقوام متفرقين اتخذوا لهم مواطن أخرى من اقطار الارض والذي يظهر من احوالهم التاريخية انهم حين كانوا مجتمعين في قطر واحد على هيئة اجتماعية واحدة كان لجميع الفروع المنفرعة عن اصل يافث بن نوح عليه السلام صورة وجود ذاتي مخصوص وكانوا يتكلمون بلغات متباينة بعضها عن بعض غير انها ترجع كلها الى لغة أصلية مشتركة بينهم صار كل فرع من فروعها المذكورة فيما بعد تفرق هؤلاء القبائل من بني يافث الى تلك الاماكن المختلفة من الارض اصل اللغة أو لفرقة من اللغات البشرية وقد كانت سائر هذه الذرية تسمى نفسها باسم (الآرياء أو الآرية) أو (الآريين)

(بمعنى المحترمين)

مطلب — ذكر اخلاق القوم الآريين الاقدمين حسبما تحقق عند علماء الافرنج المتأخرين - لما يبق لنا من آثار هذه الاعصار الاولى للاقوام اليافقية الاصلية مانف به على حقيقة اخبارهم التاريخية غير مانق من بعض كلماتهم القوية تثبت اهل النظر في مضاهاة اللغات البشرية ببعض الكلمات التي كانوا يتكلمون بها في تلك الاعصار العظيمة واستنبطوا منها أكثر ما كانوا عليه قبل تفرقهم من الاحوال الدنيوية والهيئة الاجتماعية الانسانية والقاعدة الاصلية التي توصلوا بها للوقوف على هذه الحقيقة التاريخية هي ما أتبعه اليه بعض علماء الافرنج المتأخرين من ان جميع الكلمات الدالة على مدلول واحد في اللغة الهندية الدينية المسماة باسم (السنسكريت) واللغة الايرانية القديمة المعروفة باسم (الزند) وفي اللغات التي يتكلم بها أهل أوروبا في هذا العصر الأخير هي على حال بحيث لم تتغير صيغتها ولا معناها غير تغيير يسير وبذلك استدلوا على ان الآريين الذين هم اصل القوم اليافقيين هم اصل اهل الهند وفارس وسائر الامم الاورپويين المتأخرين واستنبطوا من ذلك ما كان عليه تلك القبائل الآرية الاصلية في تلك الاعصار الاولى من الدرجة البدنية والهيئة المعاشية الدنيوية حين كانوا مجتمعين بعضهم مع بعض على تلك الارض التي كانت تسمى في تلك الاحقاب الدهرية باسم (البكترية) اعني قبل ان يتفرقوا في ذلك العهد الى الاقطار الشتى التي توطنوا بها فيما بعد وتوضح ذلك انهم وجدوا مثلاً ان طائفة الالفاظ القوية التي تتعلق بالمعيشة الرعائية كاللغة الدال على معنى الدابة أو الماشية أو البهيمة مثلاً كلها تقريباً متحدة اللفظ والمعنى في جميع طوائف اللغات الهندية والاوربية وبذلك حق لهم ان يستنجوا ان هذه الطريقة المعاشية (اعني رعاية المواشي) قد كانت هي الحرفة الاصلية التي كان يتخذها وسيلة لمعاشهم بنو يافث السالفون حين كانوا متوطنين بالاقطار الكثيفة على شواطئ نهر جيحون ومن ثم علم ان أكثر أنواع الدواب المتزلية والحيوانات الالهية كانت معلومة لهم وانهم كانوا يكتنون نوع البقر والخيل والغنم والمز والخنزير والاوز وغير ذلك من الحيوانات والطيور الانسية

وبواسطة مضاهاة الكلمات القوية بعضها مع بعض استدلوا على ان هؤلاء الاقوام قد كانوا في سالف تلك الايام يعرفون تعليق الخيل والبقر تحت ناف المخرات ولا يعرفون فن الفروسية وانما كان لليونان به بعض معلومة في أيام جاهليتهم الاولى المعماة بالاعصار الاميروسية (أي التي ذكرها الشاعر اليوناني المشهور باسم (اميروس) في قصائده الشعرية) وقد كان القبائل اليافقيون السالفون قد عرفوا أيضاً صناعة بعض معادن وابتدؤوا في زراعة الارض ولم يكونوا يسكنون تحت الخيام كالعرب ولا فوق العريانات كالاقوام السيتين بل سكنوا بينون لهم

مساكن يارون اليها ويوتا ثابتة يقيمون فيها وكانوا يجمعون بعضها البعض في بعض بقاع من الارض بحيث يتكون منها ما يمكن ان يطلق عليه لفظ القرى أو الكفور بل ربما كان منها ما يصح ان يطلق عليه ما هو من قبيل المدينة أو الحاضرة أو البندراك الكبير

مطلب — ذكر ما كانت عليه العائلة والملة عند الاقوام الآريين السالفين وبنى يافث المتقدمين — وما تحققت أيضا عند علماء الافرنج المتأخرين بواسطة مضاهاة الكلمات اللغوية من احوال الاقوام الآريين السالفين وبنى يافث المتقدمين ان العائلة تظهر لنا هذه الاقوام الآريين المذكورين ببلاد (البكترية) في سالف تلك الاحقاب العصرية مادة محترمة وعقدة وثيقة قوية مكرمة بنيت عليها أساس ترتيب الهيئة الاجتماعية والزواج عقد مقدس معتبرا وعمل اختار امشترأ تسبقه خطبة ويشار اليه بانضمام اليدين من العروسين ومتى دخلت الزوجة في بيت الزوج صارت من حسن المعاملة وجعل المعاشرة والمواصلة حرما محترما ودستورا مكرما كما يليق بمقام من به بقاء النسل نعم ان المرأة كانت عندهم تحت طاعة الرجل غير ان تلك الاعلوة كانت ملطفة بما كان يحصل بين الزوجين من التعاشق الحاصل من الطرفين وبما كان ممكن في اخلاقهم وهو ايدهم من احترام الزوجة لزوجها واتخاذ الزوج لها حوايذ عنه وحجى بحميه ووقاية له ودونه وبالتوسع في دائرة العائلة حدثت عندهم العشيرة وقد كانت في اوائل اسر الاقوام اليافثيين عبارة عن مجموع عدة عائلات مرتبطة بعضها مع بعض بروابط القرابة النسبية كما صارت كذلك فيما بعد ببلاد ايران والهند وجزيرتي (ارلندة) و (ايكوسيا) ببلاد النجلترة وعند سائر الامم الاسلاوية ببلاد اور وية وكان لها رئيس هو شيخ العشيرة او ولي امرها او كبير القوم أو أبو العائلة ومع ذلك فلم يكن يسوغ له ان يتصرف في سائر أمورها وحده بمجرد رايه بل كان له مجلس شورى يتركب من بعض رجال كلهم من مشايخ القوم وآباء العائلات الذين يجمعهم أصل واحد فيستشيرهم ويرجع لقولهم ومن اجتماع عدة عشائر تتألف القبيلة ومن عدة قبائل تتركب الامة ولا امة رئيس أعلى له الولاية العامة القصوى على سائر رؤساء العشائر والقبائل وهو الملك وكان يعبر عنه عندهم بمعامناه (القائد والمرشد)

وهو كان من وظائف الملك عند الامم المتناسلين من بنى يافث السالفين انه هو الذي يفقد الصلح ويأذن بالحرب ويقود الجند وكان قد ابتدأ عندهم فن القتال العام بالتقاء الصفين ومقابلة الجيشين واخذوا يبنون حول القرى والبنادر بعض اسوار تحصينية بطريق العمارة الخالوية وكان من وظائف ملكهم ايضا ان يقضى بينهم ومن اغرب اخلاقهم وخصالهم واعجب عوايدهم وخلالهم انهم كانوا في حالة الشك يرجعون لما كانوا يعبرون عنه (بقضاء الله) وكان ذلك عندهم أولا عبارة عن الامتحان بالنار وهو الاكثر استعمالا

لديهم ثم عدوا فيما بعد الى الامتحان بالماء

مطلب - ذكر كيف كانت ديانة الامم الاربيين السالفين وعبادة الملل الياقثيين المتقسمين - قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه قد علم لنا من ترجمة الكتب الدينية الاربعة المشتملة على الادعية والصلوات التعبدية الهندية القديمة المعروفة باسم (الويدا) وهي الكتب التي بقيت الى هذا العهد في بلاد الهند بطريق الرواية والتوارث جيلا عن جيل من آثارها بائل الذين كانوا قد افتتحوها تلك البلاد قبل ان ديانة الامم الاربيين السالفين وعبادة الملل الياقثيين المنقذمين وان كانت الكتب الدينية المذكورة لم تغدنا منها غير ضرورة مقتطفة من اصولها الاصلية وهيئة فرعية من هئاتها الاولى لكنها قريبة جدا منها وهي اصل سائر الخرافات التي تحكمت فيما بعد على عقول جميع الامم الهنديين والارباب الويين وخصوصا عند اليونانيين قد كانت كلها مبنية على عقيدة الوحدةانية الالهية فقد كان اسلاف الامم الهنديين والاربيين يعتقدون ان كل شيء صادر عن الذات الالهية العليا والحضرة المستحقة للوجود بالحقيقة القصوى وهي ذات الله سبحانه وتعالى ويرون ان تلك الذات كما هو عين العبارة المنصوصة في صلب الكتب الويدية المذكورة هي ، الذات الحي والروح الالهى الباقي السارى في العالم ، وما ذكر في احدها الكتب الدينية الماثورة وهو الكتاب المسمى باسم (لوريچ ويدا) وهو عبارة عن مدائح الهية وادعية توسلية على الهيئة الشعرية في حد ذات العلية) ما هو قريب مما ورد في نصوص التوراة من العبارات المتعلقة بما يستحقه المولى الاعلى جل جلاله من الصفات ونص عبارته (معربة) هكذا ان الاله الذي ندعوه ، هو وحده مالك الملك وهو مل السموات والارض وهو المحيي والمقوى لكل شيء وكل ما عداه من الالهة يتمسون بركته وليس الموت والحياة المخدلة لابعاده وارادته وان الجبال المغسورة بالشج والبهار مع ما يعتريها من الموج والاقطار السماوية المتسعة لشهد بقدرته وهو الذي بنى على امكن اساس كلام من السماء والارض والفراغ والفلك ونثر النور في الجوى وان السماء والارض لتعشران من هيئته بحضرته وهو الاله الاعلى فوق كل آله ، (انتهى نص عبارته) قال المؤرخ المذكور ولم يتفق ان احدا من ارباب الاديان من الامم السالفين في قديم الزمان تكلم في المواد الدينية باهلى من هذا اللسان غير العبرانيين وامرئ ان ادراك الذات الالهية بهذه الصفة العالية بالنسبة للعقائد الدينية التي كانت تعلم في اشهر المعابد والهيكل ببلاد آساياعند الامم المتناسلين من ابناء سام او حام لها وناظر دليل على ما بنى يافت من درجة الاعلوية العقلية وشدة الميول للتصورات الروحانية العلية غير ان معنى الوحدةانية الالهية الذي كان قد بقي في عقول الناس من آثار العقائد البشرية الاصلية وبقي الوحي الذي نزل على ارباب النبوة المتقنين قد كان

اعتراه الفساد عند بني يافث الاولين كما حصل مثل ذلك عند سائر الامم الساقين ما عدا
العبرانيين حيث اختصهم الله سبحانه وتعالى بمنايته وامدهم باعائه اذ جعلهم مستودع
حقيقته وموضع اماته فقيمت حتى وصلت النينا بخلاف غيرهم من الملل والاقوام الاخرين
كبنى يافث هؤلاء المذكورين حيث كانت قد قدمت عقائدهم الوحيية الاصلية بما سلكوه
من طرق الضلال وتوهموه بمجرد الخيال من تشخيص الصفات والنعوت الالهية وتأليه
الانوار الصادرة عن الذات المؤثرة واعتقدوا ذلك كله آلهة اخرى متنوعة المراتب
والاحوال صادرة عن الذات العليا فخلطوا له الخالق بالعالم المخلوق وحلوا واحده الى
عدة افراد اشركوهم معه في مرتبة الالهية وبذلك بدلوا اصل الادراك للذات المعبودة
الصادرة عن الوحي الاول اشنع التبديل وحولوه ابداع الخويل وانمى ذلك الاصل بالكلية
والجزئية في صور العبادة الالهية الظاهرية حتى جرد ذلك الى ان سقطوا في هاوية الاثرالك
وتعددا لآلهة المعبودين ووقعوا من عبادة الاسنام في اقبح دين وقد كانت المظاهر
الطبيعية والاثار الظاهرية التي ترى للاقوام الآريين الاولين انما اثر قوة الذات
المعبودة الاصلية ومظهر القدرة الالهية الاولى فعبدوا فيها صفاتها وخصوصها وجعلوها
ذوات آلهية اجزى وصارت اصلا لخرافاتهم الالهية ومنشأ لاهوامهم الملية هي محض
الحوادث الجوية التي تتولد منها خصوبة الكائنات الطبيعية كتأثير الشمس على الحياة
النباتية وكارياح الجارية والابجرة الرطبة والسهب والصواعق والامطار وغير ذلك من
الاثار الالهية النورية

مطلب - ذكر مهاجرة القبائل اليافثية الى الاقطار المغربية وكيفية رحلتهم الى
الاراضي الادربية - لم تكن مهاجرة القبائل اليافثيين السالفين الذين تكونت منهم
اهالي بلاد اوروبه الان وكيفية رحلتهم من الاقطار الاسية في سالف الزمان قد حصلت
دفعه واحدة ولم يخرجوا كلهم خرجة متحدة بل لزم بالضرورة ان يكون ذلك قد حصل شيئا
فشيئا وجزءا جزئا بالطريقة التدريجية حجابا لضعفه ضرورة ازدياد عدد النفوس
وتكاثر مقادير الاهالي الآريين المشرقيين لانهم لم ادعى كونهم بحسب طبيعة تلك الاقطار
كانوا وعين من جهة الشرق بوانع عظيمة وقواطع جبسة من الجبال الصعبة الانطع
والارتمال فاضطرر والان بدفعوا غيرهم من القبائل اليافثيين الآخريين الى جهة المغرب
حيث كان هؤلاء الاقوام الاخيريون يجدون امامهم في تلك الاقطار مسافات متسعة وفراغات
من الارض مطلقة من غير مانع يمنعه ولا قاطع يقطعهم عن ان يتخذوا لانفسهم فيها
مواطن مستجدة واما كن اخرى مستعدة غير ان الظاهر ان هذه المهاجرة وان كانت في اول
الامر تدريجية كان قد طار أعياها حين من الدهر لزم ان تكون فيه قد تزاوجت على حين

جفاة و تراكت دفعة واحدة على حين غفلة لسبب من الاسباب اقوى دفعها ما ذكر اعلاه
 هوليس لنا معلوم غير ما يظهر من انه في ذلك الحين كان كل من بقي ببلاد آسيا من اصول القبائل
 الياقسية الاولى التي انتشت من الملل الاوروبية والامم الاقربجية الموجودة الآن كانوا
 قد هاجروا مرة واحدة وخرجوا خرجة مخددة من تلك الاقطار المشرقية الى هذه النواحي
 المغربية ليبحثوا فيها عما فيه اصلاح شؤونهم من ترقية الاحوال والحصول على السعادة والمال
 وتركوا ههناك اخوانهم الاربيين المشرقيين يتملكون وحدهم ويتمتعون دون غيرهم
 بذلك القطر المصب الذي كان اول مهملنا سلطهم وكان وقوع هذه الحركة الادمية الكبيرة
 واطدادها المجرية الاخيرة قبل ميلاد المسيح عليه السلام بثلاثة آلاف سنة من الاعوام
 وفي المدة التي تلي تلك الواقعة التاريخية على الفور كان قد حصل انشاء اقدم القطع المؤلفة من
 مجموع الكتب الدينية الاربعة المعروفة باسم (الويدا) السالفة الذكر وبالتأمل فيها
 والاطلاع عليها يظهر منها ان القبائل الياقسيين المشرقيين كانوا ايضا في تلك الاعصار
 التالية على حالة من الهيمنة الاجتماعية البشرية كالحالة التي كانوا عليها في الاعصار السالفة سواء
 سواء غير انهم لما كانت اعداد الالهالي قيم لا تزال تزداد بغاية السرعة لزم ان ترتب على ذلك
 عندهم ان العمارات والمدن كثرت والبنادر والواضر عظمت وكبرت ومنطقة الزراعة
 اتسعت وتقدمت واخذت تغلب على ما كانوا عليه اولا من حالة المعيشة الرعائية والحياة
 الخلوبية وشرعت جمعيتهم البشرية وكيفية شركتهم الانسانية في ان تنظم بالهيئة
 التدريجية اعني انما قد اخذت في ان تكون منقسمة الى درجات اى طوائف اهلوية ومراتب
 ملية بدون ان تتصور بهيئة الخرق الحقيقية والفرق القانونية اى المراتب الالهية التي
 تكون بحيث لا يسوغ لاحد من ارباب اى فرقة منهم ان يتعداها الى ما عداها وغاية
 ما هناك انها كانت على وجه بحيث ان الحرف والصنایع قد كانت عندهم في تلك الارمان على
 وجه العموم وراثية بمعنى ان الولد في اغلب الاحيان كان ينتحل صنعة ابيه ويتبعه في
 وسيلة معاشه ويقتفيه لا غير وقد كانت هذه الطوائف الالهية عبارة عن طائفة امناء
 الديانة او مشايخ الدين وطائفة العسكروالمجاهدين وطائفة ارباب الزراعة او العالحين
 وقد كانت تنقسم هذه الطائفة الانسية عندهم في بعض الاحيان الى فصيلتين متميزتين
 وطائفتين اخريين وهما فرقة رعاية المواشي وفرقة الحراثين الحقيقيين ثم يمكن حوادث
 الفتوحات المتوالية من الاقوام الياقسيين انغالبين وبتأثير قوة طائفة امناء الديانة المعروفين
 بالبراهمانيين في بلاد الهند قد آل امر الفرق الثلاث المترتبة من اسلاف الاقوام الاربيين
 المتقدمين لان صارت خرقا اهلوية حقيقية وفرقا قانونية ملية وصارت هي الطبقات الالهية
 العليا فيما بعد وصار الالهالي المغلوبون من نسل جام الذين كانوا قد سبقوهم الى تلك البلاد

في سالف الأيام منحصرين في الطبقة السفلى وأرباب هذه الدرجة الدنيا محقرين وهم يدعون
أرباب هذه الطبقة الالهية الدينية باسم (السودرا) أو السودرين
مطلب - ذكر زردشت ومذهب ديانتته وشرح حاله وولته - قال المؤرخ المحكي
عنه اعلاه بعد ذلك ما تعرضه أدناه - وفي ذلك العصر يلزم أن نضع تاريخ حادثة المذهب
الديني الذي تدبره الايرانيون في ذلك العهد ونسب الفخر فيه للرجل المشهور باسم (زردشت)
(بفتح الزاي المججمة وسكون الراء المهملة يليها دال مهملة مضمومة ثم شين مججمة سا كنة
بعدها تاء مثناة فوقية سا كنة أيضا وضبطه أبو القدا في تاريخه بلفظ (زادشت) بزاي منقوطة
مفتوحة وراء مهملة مفتوحة بعدها ألف قدال مضمومة مهملة وشين منقوطة سا كنة وتاء
مثناة من فوقها وهو المحرف عند اليونان بلفظ (زر واستر) (بضم الزاي المججمة وسكون الراء
المهملة يليها واو مفتوحة فالن فسین مهملة سا كنة فتاء مثناة فوقية مكسورة فراء مهملة
سا كنة في آخره) واصل معناه (اشراق الذهب) وقد اجمع سائر من كتب في التواريخ
القديمة على ان (زادشت) هذا قد كان موجودا في اعصار عتيقة جدا والذي استقر عليه
الا تراه اهل العلم من الافرنج المتأخرين هو انه ولولم يتحقق تاريخ مضبوط لوقت وجود هذا
الرجل المؤسس لدين الاوام الفارسيين في سالف الزمان ولم يزل يصعب تعيين العصر الذي
حدث فيه هذا المذهب الديني الشهير لداعي عدم الوقوف لغاية الآن على مواد صحيحة ينبغي
عليها ما يدل على ذلك من البرهان الا ان الاقرب للصحيح انه قد كان في نحو القرن الخامس او
السادس والعاشرين قبل ميلاد المسيح ولا علم لنا بشئ ثابت صحيح فيه اية ملق بحياة (زادشت)
المذكور غير انه قد كان هو المنشئ للمذهب الديني الذي هو باسمه افاية الآن مشهور
وتبينت أصوله في ضمن كتب تعرف باسم (زندوستا) (بزاي مججمة مفتوحة فنون موحدة
فوقية سا كنة يليها دال مهملة مفتوحة فواو مهملة فسین مهملة سا كنة فتاء مثناة فوقية
مفتوحة بعدها ألف في آخره بل لا تعرف له على وجه الضبط وطمنا معينا ونهاية ما هنالك ان
المكان الذي كان فيه قد شرأصول مذهبهم وظفر بنجاح ما وعظمه من قواعد دينه هذا هو
الذي تعين فقط وهو بلاد (البكترية) (بلخ) وان ذلك كان في عهد الملك (جوستاسب) بن
(لوهراسب) بن (كيخمرو) بن (كيكاؤوس) بن (كيقباد) الذي هو مؤسس العائلة
الملوكية المعروفة بالكيانية التي كانت هي المتولية على كرسي مملكة بلاد (البكترية) في
تلك الحقبة العصرية ولا نعرف حقيقة هذا الصانع الابصناعته ولم تقف على هذا الرجل
المشرع الا بشرعيته وذلك انما هي الحقيقة هي شريعة عظيمة الشأن واحكام عالية المقام
يستحق اعلى درجة من الاستحسان وانديانة (زادشت) هذه لهي اقوى اجتهاد
يتصور من تصاعد العقل البشري نحو عالم الروحانيات وحقائق ما وراء الطبيعيات

وامكن عماد يمكن ان تؤسس عليه اصول ديانة ناشئة عن مجرد العقل البشري اعني بدون مساعدة الوحي الالهى و بعض الاستحسان العقلى الطبيعى وبالنسبة لسايرا الاديان التي كان يتدين بها سائر الملل بلاد آسيا في سالف الازمان وغيرهم من جميع الامم المتقدمين ما عدا ديانة العبرانيين الصادرة عن الكلمة الالهية هي اشرف ديانة واقفاها وانحف شريعة واعلاها واقرب طريقة تشرعية للحقيقة الدينية الحقيقية وهي نتيجة اشرف الطبائع المحبولة في نفوس بني يافث الذين هم ارباب العقول الفلسفية الحقيقية واصحاب النفوس العالية الالوية التي تألف الميل لله - فائد المادية وتأتى دون سائر بني نوح ما ينبنى عليها بالضرورة من الديانات المبنية على تعدد الالهة المعبودة التي كانت قد سرت تدريجيا في عقائد الآرين السالفين ومحت آثار الشريعة الموحدة السالفة في الاعصار الاولى ولذلك ترى (زرادشت) قد جاء في اصول ديانته بمثل ما جاء به أنبياء بني اسرائيل واحبار دين النصرانية السالفون من شدة الغضب على عبادة الاصنام واتى في هذا المقام من الاحكام بما يقتضى تسمية الذوات التي كانت الاقوام اليافثيون يعبدونها وهم على انهم آلهة لهم بناء على اصول الديانة الويدية القديمة بالارواح الخبيثة وانه جعل الالهة الذين كانوا لهم في سالف الزمن معبودين بمقتضى ذلك الدين بالنسبة لدينه من قبيل الشياطين وبالجملة فان (زرادشت) يميل في مذهبه دينه الى حقيقة الوجدانية المحضة ويصعد باجتهاد عقله الى اعلى هذه العقيدة الصادقة الازلية ويرى في الواج تلك الحقيقة الثابتة المخدرة غير انه لما كان قد وكل نفسه لمجرد قوة عقله الطبيعية وانحرم من عنابة الوحي الالهية زالت قدمه عن هذه المسألة المفضلة وسقطت هممه لدى تلك القضية المشككة التي هي مسألة اصل الشرف كانت هي العقبة الموهلة التي انكسرت دونها سفينته علمه والصخرة الغائلة التي عجزت عندها قريحة فهمه وحيث لم يتيسر له ان يرقاها ولم يمكنه ان يخلص منها ويتعداها اضطر لان سقط الى اسفل هذه الثنية وهبط الى ارض عقيدة دينية اعني عقيدة التثنية (أى اعتقاد الآلهتين و بناء اصول دينه على اصلين) وهما الخير والشر أو النور والظلمة المدعو (أولهما) باسم (اورموزد) و (الثاني) باسم (اهريمان) وسمي أتى لذلك في المطالب الآتى بعد هذا زيادة ايضا وبيان

مطلب — ذكر ما المراد من (اورموزد) و (اهريمان) وما حقيقة ما انبنى عليه منهما دين (زرادشت) في سالف الزمان - وقد كان (اورموزد) في اعتقاده (زرادشت) ومن تبسع مذهبه لغاية الآن عبارة عن الخير فيقول بانه هو الذى خلق الخلق وانه كما هو نص الكتب الماثورة عنه المذكورة آنفا هو الروح العاقل والحكيم ويعبر عنه كذلك بروح القدس واصل الخير وبعده رعبه بالنور والشمس والنار ويدعوها بصفة ولده وانه خالق

لكل شئ ويصفه بأنه قائم بذاته غير مخلوق أزلي باق لأول له يعهد ولا آخر له ينقذ ويعتقد انه يوجد بازاله هذا الآله الجيد واصل الخير المستعد له آخره وله على الدوام والاستمرار خصم وضد وان الآله الخيرة مع في نزاع مستحرة تصدان يتسلطن هاليه ويعلمونه وانه اصل يساويه في القدرة ويضاهيه في الطبيعة والحقيقة وانه كما هو نص عبارة الكتب المذكورة اعلاما ايضا هو الروح الخبيث او اصل الشر ويدعو وباسم (اهريمان) ويقول انه هو الذي خلق الشر المعنوي والحسي وانه هو الذي خالق الموت غير ان غريزة (زرادشت) العقلية لم تأذن له ان يجزم بأعنة قاد كون الشر يقتضي ان يكون باقيا محمدا الى ما لا يزال فقال بان (اهريمان) وان كان ازل ليا لا اول له يعهد اسكه لا بد من انه يأتي عليه يوم في آخر الزمان يقلب فيه الآله الخير ويعلم عليه ويسخيل آله الشر المذكور الى حاله عدم وينقذ وتعود الحقيقة الى ما كانت عليه في اول الامر من النقاوة والصفو ويذهب (اهريمان) الى حيث لا يرجع بالثاني الى عالم الاكوان ويسمى مذهب (زرادشت) هذا بالديانة المزدية

مطلب - ذكر تفرق الآريين المشرقيين الى فرقتين وتوجههم الى ناحيتين متعارضتين - ولما كان بالضرورة مثل هذا التبديل الديني الكلي والحادث الكبير الاصل الذي حدث في تلك الايام على يد (زرادشت) الساف الذكروا البيان لا يمكن ان يتقرر في الازمان بدون معارضة شديدة ومقاومة عنيدة تحصل من سكان تلك البلدان فالظاهر ان الاقوام الارانيين الذين هم اسلاف القبائل الساكين ببلاد الفارسيين والميديين (بلاد الآرية) قد صوبوا في اسرع حين الى التدين بأصول دين المزدية وهو مذهب (زرادشت) المذكور وذلك ان صاحب هذا المذهب الجديد المسطور كان قد خرج منهم وظهر من بينهم وذلك باعث قوى يحملهم على ان ينضموا اليه ويعتمدوا عليه وافترق منهم اعداؤه وهم القبائل الذين توجهوا منهم الى نواحي الهند واقتحوها في ذلك العهد وبقي في اذهان أمناء ديانتهم قوة العبادة الوهمية وغلبة الديانة الصنمية المتوجهة نحو تأليه الحوادث الطبيعية والاعتقاد في اعولوية المخلوقات الكونية ولا شك في ان حادثة تبديل ديانة الاقوام الاربيين المنسوبة الى (زرادشت) المذكور واصل منشأ الوعظ به في تلك العصور قد كانت قبل حركة المهاجرة الكبيرة التي تفرق بها مجموع الآريين المشرقيين الى فرعين وتوجههم الى ناحيتين متعارضتين احدهما الى جهة الشرق والثاني الى جهة الغرب بعد ان كانوا غاية ذلك العصر مجتمعين بعضهم مع بعض على تلك الارض ولا شك في ان اصل هذا الافتراق الذي حصل بين هؤلاء الاتساق الآرية لا يقتضي له غير المنازعات الدينية والظاهر ان القبائل الذين اظهروا العداء لمذهب (زرادشت) كانوا هم الذين تمت عليهم الغلبة في تلك المنازعات التي وقعت بينهم فيما يتعلق بمسائل العقائد الدينية وكيفية الاعمال التعبدية فاضطروا

للمهاجرة بالسكينة من ارض (البكترية) التي كانت هي اصل مسقط رأسهم واول
 مهذب لانياء جفسمهم وصارت تلك الارض وطنا خاصا لآخصاءهم وارتحلوا زمرا منها
 وانثقلوا بجوعا منها الى ما وراء سلاسل جبال (هند كوش) من الجهة الاخرى
 ولم يزالوا يتقدمون من هناك دائما الى نحو المشرق والجنوب وتوطنوا على التدرج بالاقطار
 التي كانت تعرف عند اليونان في تلك الاعصار باسم (البارو بانديوس) و(الدرنجيان)
 و(الاراكوزيا) وتدخلوا في الجزء الشمالي من وادي جيحون ومكثوا في تلك الاقطار مدة
 الف سنة يتنازعون مع الاقوام البليدين الاصليين الذين هم من نسل حام ومن ثم تعددت
 يدهم وامتدت سلطنتهم على سائر البلاد الكائنة بحوضي جيحون ونهر السنج
 واما الابرايون التابعون لمذهب (زرادشت) فكانوا قدبة وامتوطنين ببلاد (البكترية)
 (وهي خانية بلخ) وبلاد (السوجديان) (وهي ما يدعى الآن بخانية بخارى وخوقند من
 بلاد تركستان) وبلاد (مرجيانه) (وهي البلاد الكائنة على شواطئ النهر المعروف
 الآن بنهر مرجاب) واستقر بعضهم في تلك الاقطار وهاجروا آخرون منهم بضرورة كثرة عدد
 النفوس فيهم الى جهة الجنوب الغربي وعبروا ببلاد (هركانيا) وتغلبوا على بلاد (مادي)
 او (الميدية) و(الدوسيه) وبلاد فارس الاصلية وطردها منها بالسهولة سكانها الاصليين
 الذين هم من الاقوام الكوشيين المذكورين في الروايات القديمة المتداولة عند الفرس بانهم
 كانوا رجالا سود البشرة اولى شعور قصيرة تشبه اصواف الغنم

الفصل الثاني

في تاريخ الماديين والميديين وذكر المدة الميديية

مطلب — ذكر الماديين الاربيين والتورانيين — اما في بلاد فارس الاصلية وفي
 بلاد القرمان التي كانت ملحقة بها من وقت استيطان القبائل الياقثية فيها فان الاربيين
 لم يجدوا من طرف سكانها الاصليين معارضة شديدة ولا مقاومة قوية عنيدة ولذلك مكثوا
 بتلك البلاد وتوطنوا فيها وصاروا هم المالكين لها بدون منازع قوى ينازعهم عليها
 بخلاف بلاد الميديية حيث كان الاقوام الاربيون قد سبقهم اليها القبائل التورانيون الذين هم
 اعداؤهم الشديدون واخصاءهم الالذون وكان هؤلاء القبائل التورانيون الذي كانوا
 متوطنين في اول الامر ببلاد الميديية يوجد منهم فيها اقوام عديدون ورجال اولو عصبية كثيرون

ولذلك لم يتيسر للقوم الايرانيين ان يخرجوه من ديارهم بل اضطروا الان يسكنوهم فيها وبقوا فوقهم هم الاعلون ويحكموا عليهم بصفة اقوام الفاتحين

مطلب — ذكرنا اذاعة القومين ومقاومة الخصمين المذكورين — وقد كان التورانيون الذين هم سكان بلاد (مادى) الاصليون في اول الامر قد امتثلوا الشدة الوطأة الناشئة بادئ بدء عن قوة عليه الاقوام الاربيين ثم رفعوا رءسهم في اقرب مدة واشتبكوا بالحرب والقتال مع اقوام الايرانيين الذين ارادوا ان تكون لهم الدولة عليهم ولم يزل النزاع بين القومين يتردد مرة بعد مرة ويتجددين الخصمين المذكورين كرة بعد كرة على ذلك القطر حيث كانت القوة متساوية من الطرفين والشجاعة متعادلة من الجانبين حتى مكث النزاع بينهما مدة اكثر من عشرة قرون والحرب بينهما سجل تارة ينتصر هؤلاء واخرى يظفر الآخرون وليس لهذه الوقائع الحربية تاريخ ثابت وثيق يستدبه ولا ذكر يحقق يعتمد عليه غير ان ذكرنا لم نزل نحفظه مع غاية الوضوح والدراية الجيدة فيما بقي لغاية هذه الايام الحاضرة من الروايات المتداولة بين العواميلا دافارس ولم يزل مذكورا في ضمن الحكايات الخرافية والافعال الخيالية المأثورة عن الشعراء الفارسيين فلم يرالوا يتحدثون بان مدة الحروب المذكورة كانت قد طال جدا وعالت اشتدادا وبعدا ثم آلت في اخر الامر لان غالب ايران على توران وصار هو الاعلى عليه غير انه لم يصل لغاية ان يهدمه بالكيّة ويقنيه وقد كان ذلك في الحقيقة هو ما وقع في آخر الحروب الاهلية والمنازعات النسلية التي وقعت في تلك الاعصار العابرة بين التورانيين والايرانيين ببلاد الميديّة اعني ان الايرانيين لم يبلغوا العلم من اعدام صورة الوجود المادية وهيئة الكينونة الاهلية التي كانت متكونة من الاهالي التورانيين الذين كانوا قد سبقوهم بالتوطن في تلك الاقطار من ممالك الاعصار وانما تغلبوا عليهم بالقوة القهرية وتحكموا فيهم بالحالة السبادية وصارت لهم الدولة عليهم وصاروا هم بالتبعية اليهم

مطلب — ذكر دين المجوسية وبيان كونه هو غير دين المزدية — ومع ما كن قد استقر الحال عليهم من توطن هاتين الملتين المتغايرتين في الاصل والنسب ببلاد الميديّة وهما الايرانيون والتورانيون ومن بعد ما وقع بينهم من المقاومات الاهلية والمخاصمات الدينية في ظرف تلك المدة المديدة من القرون الزمنية قد كان من المستحيل ان مذهب (زاردشت) المحلوب الى تلك البلاد مع القبائل الايرانية يبقى فيها على حال النفاذ الاصلية بدون ان يعتريه بعض تغيير وتبديل وفي الواقع ونفس الامر كان قد حصل في مذهب الديانة المزدية الذي هو دين فارسي الاصلية بعض تحويل في ذلك العصر وآل الى ما صار يعرف بدين المجوسية وهو مذهب الديانة الذي حدث بتخاضع الملتين المذكورتين وتفاقم هذين القومين

المضامين ببلاد الميديّة وسكان مذهب دين الميديين مخالفاً بالكلية لمذهب الاقوام
الفارسيين وانما عرف بدين المجوسية نسبة الى طبقة امناء الدين السيادية التي كانت تقوم
بخدمته وكانوا يدعون بالمجوس وحينئذ قد بين المجوسية هو خلاف دين المزدية وقد جرت
عادة الناس ان يطلقوا اسم دين المجوس على مذهب (زرادشت) المسمى بدين المزدية
والحال ان هذا خطأ كان اول من وقع فيه مؤرخو اليونان في سالف الازمان وكان اولهم
المؤرخ اليوناني المعروف باسم (هيرودوت) وذلك انه قد كان انما سافر في بلاد الميديّة لافي بلاد
فارص الاصلية فخلط بين المزدية بدين المجوسية ولا شك في ان ذلك خطأ صريح والصحيح
كل علم لنا من المعلومات التي تحصلنا عليها في هذا الشأن وان كانت قليلة الوضوح والبيان
هو ان دين المجوسية عبارة عن مذهب اعتزال ناشئ عن اصل دين (زرادشت) مبني على عقيدة
الثنية الالهية كدين المزدية غير ان الفرق بينهما ان المجوس يعتقدون مساواة الاصليين
(اهريمان) و(اورموزد) اللذين هما الله الثمر والله الخير عندهم ويتعبدون لعدد كثير
من الالهة المتعددين والاصنام المعبودين حيث سرّ لهم ذلك من ديانة الامم المجاورين
ولاسيما من الاسوريين وهذا امر يناقض بالكلية لاصل ثرية (زرادشت) الاصلية

مطلب — ذكر استيلاء الدولة الاسورية على بلاد الميديّة — وقد كانت بلاد
الميديّة من اول الاقطار التي تعدت اليها يدا ملوك الاسور يميز من دولة بني بيليطارة فكثت
في ايديهم مذعة لوطاً وظاهروا وتعددهم مع غلبة الامتثال والاذعان مدة ثلاثة قرون
من الزمان وكانت طريقة سياسة الاسوريين في تلك البلدان ان يعتمدوا على القوم
التورانيين لكونهم ارفعهم اقرب للصناعة والامثال من الاقوام الاربيين لما كان في طباع
الاربين المذكورين من حب الحرية والاستقلال وعدم سهولة الاذعان لاحكام الدولة
الاجنبية ولا كونهم كانوا كثير ايماناً بظاهر رن عليهم بالعصيان ولداً على كونهم كانوا على
الدوام والاستمرار مستعدين عليهم للقيام والثوران ثم لما تشاقت وطأة الدولة النينوية
مع مرور الزمن على سائر الالهة الى الميديين من كلا الجنسين المذكورين سواء
كان اصلهم من التورانيين أو الاربانيين حصل ارتداد فعل الجنس الايراني الاصل الذي
كان هو المقاوم لجور الدولة الاجنبية ولداً على توجيه الحرب على الدوام من طرف الملوك
الاسوريين الى الطبقة الاربية ببلاد الميديّة فقررت اعلاويتها وثبتت أفضليتها
واعترجت بالطائفة التورانية وانضم كل من هاتير الطائفتين الالهيتين المذكورتين كلناهما
الى الاخرى وان كانتا من مذقرون عديدة متعديتين عداوة شديدة واجتماعاً لقصده
التخلص من ظلم هذه الدولة الغريبة ولما جاء وقت توجيه اول ضربة قوية على الشوكة النينوية
التي كانت متسلطة على بلاد الميديّة في تلك الحقبة العصرية كان القوم الآريون هم اول

ذكر الدولة الميديّة

مطلب — ذكر ارباس والدولة الجمهورية الميديّة (من سنة ٧٨٨ لغاية سنة ٧١٠ ق م) قال المؤرخ فرانيس لو فورمان السابق الذكر والبيان أعلاه بعد ذلك ما معناه قدّة مصناف في الباب المعقود للبحث عن تاريخ الاسور بين والبايليين السابق قصة العصيان الذي حصل بحجوع تدير كل من قائد العسكر المسمى باسم (ارباس) الميدي الاصل والقائد الكلداني المسمى باسم (فول) أو (بيليزيس) في سنة ٧٨٨ قبل ميلاد المسيح عليه السلام ومانرتب على ذلك من خروج الجنود الملكية على الدولة الاسورية واسميتهم على مدينة نينوى وقتل الملك سردانا بال الى آخر ما ذكر في موضعه هناك فلاحاجة لتكراره هنا بالثاني وتام مانرتب على هذه الفتنة الجندية بالنسبة لبلاد الميديّة هو ما انقذت له هذه الترجمة بالخصوص وهو المسمى برعنه في كتب الكوارخ الاسلامية بتاريخ ملحوك دولة فارس الاولى وما تحقق منه عند علماء الافرنج المتأخرين هو ما نذكره بعد فنقول

قال المؤرخ المذكور انه من بعد تمام هذه الفتنة الاسورية واستقرار (ارباس) في بلاده الاصلية لم يكن هو فيهم املاكا حقيقيا ولا سيما بالمعنى الذي يطلق عليه هذا اللفظ عند الامم الاسمين بل كان قائدا عسكريا ورئسا جهاديا واحدا للامة مرتبة ترتيبا سياسيا اساسيا على هيئة ما يعرف الآن عند الامم المتأخرين بالحكومة الجمهورية وبقي الحال كذلك حتى لحقته الوفاة فاستمر الميديون على تلك الهيئة الجمهورية من بعد وفاته غير انهم لم يوجد فيهم من بعده رجل وجيه ذو نفوذ وشوكة يجتهدون اليه ورئيس يديه ذوا اعتبار ووصولة يجمعون عليه ليمسك في يده عروة امورهم العمومية وبحفظ في يده ولايتهم المركزية فتفرق شملهم وتفرق حالهم بالكلية والجزئية وبالجملة فقد كان التفرق الذي هو من هذا القبيل مدة سدار عديد من القرون جبالا عن جبل هو الحال الاصلى المتسلطن في سائر القبائل الايرانية على العموم حين كانت عندهم طريقة تمييز القبائل لداعي موافقتها لما كان متحكما في طباعهم من حب المباشرة الحربية مع الاشتغال بالفلاحة ورعاية المواشى دون سائر الصناعات والفنون قد بقيت لديهم على حاله نقاوتها الاصلية وكانت عندهم هي القاعدة

الاسامية التي يقبى عليها تركيب هيئتهم الاجتماعية البشرية
 واذا كانت هذه الحالة انتفرقة توافد حب الاستقلالية المحلية وتناسب الحرية الشخصية
 الالهية وتليق بحال أمة لا بأس عليها ولا خطر يصل اليها من الغارات الاجنبية كالامة
 الفارسية الاصلية فقد كانت مضرة قامة كالامة الميديه اذ كانت على خطر شديد من جهة
 الدولة الاسورية وذلك انه على أبواب الميديين كانت السلطنة الاسورية قد قامت من
 سططتها في اسرع مدة زمنية واعادت قوتهم العسكرية الى اقوى مما كانت عليه في اى حقبة عهده
 وكانت قد دخلت في طريق الفتوحات والتغلب على سائر الاقطار والولايات وتوجهت
 معامها خصوصا الى استرداد سائر البلدان التي كانت تحت طاعتها في سالف الزمان واشتد
 تتبعها على الوجه الاخص لاعداء سائر الدول التي كانت قد تعصبت عليها وخرجت عن
 القابذ الطاعة اليها وترتب على تحزبها عليها خراب مدينة نينوى بالكلية وكانت بلاد
 الميديه بعد ان كان قد اخرجها (ارباس) من رق عبودية الملوك الاسوريين قد كادت ان تقع
 في حباله أسر الدولة العراقية بالشان لولا ان شدة الخطر المتوجه اليها من تلك الجهة وضرة
 الاجتماع للدفاع العامة عن الاوطان قد اجأت الاقوام الميديين على ان تركوا الحالة
 الاستقلالية التي كانوا عليها في كل خطوة ارضية من بلادهم واجتمعوا في هيئة دولة واحدة
 قوية واتخذوا هيئة الحكومة الملوكية وتوضيح ذلك هو ما يأتي في المطالب المسطورة بعد
ملطب — ذكر (ديجوسيس) ومشا ترتيب الملك بيلاد الميديه (من سنة ٧١٠ لفايه
سنة ٦٥٧ ق م) قال المؤرخ المنقول عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه قال المؤرخ
 اليوناني المشهور باسم (هيرودوت) مانص عبارته هكذا قد كان يوجد في بلاد الميديين
 رجل حكيم يسمى باسم (ديجوسيس) وكان قد تعلقت اطماعه بان يكون ملكا عليهم فسلك
 مسلك العدل وحسن السيرة للحصول على اغراضه وذلك انه قد كان من اخلاق الاقوام الميديين
 انهم كانوا متفرقين الى اخطاط متميزة كل قبيلة منهم في خطوة ارضية مختصة بها لا يتعدى
 عليهم اقيم اغيرها وكان (ديجوسيس) هذا منذ زمن طويل قد صار رجلا معتبرا في قومه
 مشتمرا في خطه ولكونه يعد ان المظلومين يبعضون انظلمة ويحبون من يعضى بينهم بالعدالة
 والحكمة كان يبذل كل طاقته في ان يتمضى بالحق بين اهل عشيرته بخلاف سائر القبائل
 ببلاد ما دى كلها حيث كانت اصول العدل فيها منكورة وسائر القوانين والشرائع محترقة ولما
 شاهد اهل خطه حسن سيرته ولوه عليهم قاضيا فسلك في جميع أعماله مسلك العدل والاستقامة
 ولم يخرف عن طريق الحق في جميع أحكامه حتى استوجب ذلك غاية الثناء عليه من اهل
 قبيلته وسمع به غيرهم من سكان الخطاط الاخرى وكنوا الى ذلك الوقت يقضى عليهم
 ظلاما وجورا وحيث ثبتت لديهم من غير شك ولا التباس ان (ديجوسيس) دون غيره هو

القاضي الكامل والحاكم العادل الذي يقضي بالحقوق للناس صاروا يتجهون الى محكمته ولا يرضون بالبحكمته ولم يزل يزداد في كل يوم عددا المتقاضين لديه ويشهد نظام المحاكم اليه لتيقنهم من عدالة احكامه ولما شاهدان جميع الناس قد ارتكبوا عليه وانه قد صار وحده هو الحامل لثقل اعباء جميع القضاة ولا احكام امتنع من الجلوس بمجلس القضاء وأبى ان يصعد على كرسي المحكمة بعد ان كان هو وحده من يتقاه نفسه يصعد عليه وينظر في كل امر يعرض اليه ويقضي فيه وصرح بنزاهة عن وظيفة القضاة بالناس متعللا بان ذلك واجب اعمال مصالحه المخصوصة حيث صار يقضي ايامه كلها في قضاء المصالح العمومية فنرتب على امتناعه هذا ان عادت البرقات وانقطعت الطرقات وفشا الظلم والجور في سائر الطبقات الالهية واختل نظام الجدية بالسكية في سائر اقطار جميع بلاد الميديا اكثر مما كانت عليه في أى مدة كانت من الاعصار الخالية ولذلك اجتمع سائر الالهات المديين في مجلس جمعية عمومية وتشاوروا فيما بينهم قصد ان يرسلواهم على صورة مستحسنة في شأن حالتهم المراهنة وقام احد قضاة الحكيم (ديجوسيس) في المجلس وقالوا امامه حيث كانت هذه الحالة التي نحن عليها بهذه البلاد لا يمكن معان نعيش فيها فقد وجب علينا ان نختار اماما لكنا نضبط امورنا ويقضي بيننا على اصول جيدة وقوانين متقنة حتى يتيسر لمان نزرع اراضيها مع الامان بدون ان نخشى من احد يخر حناتها بالظلم والجور والقوة القهرية فانظر هذا القول على عقول سائر القوم المديين واتفقوا جميعا على ان يتخذواهم ملوكا واخذوا على الفور في ان يتخفوه وحيث اجتمعت سائر الالهات بالمدح والثناء على الحكيم (ديجوسيس) المذكور واتفقوا على ان يكونوا له وحده بالنيام بولاية الامر العمومية توجهوا اليه وبايعوه وباجعاهم عليه قلده بالملك وولوه فاسمهم بان يشيدوا له قصرا يلحق بمقرته ويرتبطوا له حرسا يقومون بحفظ ذاته وحضرته فامتلوا ذلك الامر وبنوا له في المكان الذي اشار لهم اليه عمارة متسعة حصينة ودار ملكة جميلة متينة واباحوا له ان يتخذه من شاء من جميع افراد الامة الميديا ليكونوا لنفسه طائفة حرس ملوكية ويجردان صعد على سرب الملك اجبر الرعية على ان يبنوا له مدينة واسمهم بان يبنوها بانواع الزينة ويحصنها بالقلاع والحصون المكيئة ولم يلبثت تغيرها من الاماكن التي كان يلزم ان تكون حصينة بتلك البلدان فامتلوا امره وأذعنوا اليه كل الاذعان وشيدوا له مدينة حصينة وقلعة كبيرة جدا وهي المسماة في ذلك الزمان باسم (ايكباتان) وهي مكانها الآن مدينة (همدان) (هـ) ما نقله المؤرخ فرانسيس لونورمان عن (هروودوت) مؤرخ اليونان

مطلب — ذكر الملك (فراودورت) وما شأني عصره من السلطنة الميديا الكبيرة

(من سنة ٦٥٧ الى سنة ٦٣٥ ق م) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان اعلاه بعد ذلك ما عناه وانظرا هرا من مدة ولاية الملك (ديجويس) هذا قد كانت مدة سلمية استعملها هذا الملك بالخصوص في تزقيب احوار الملحة الميديفة الداخلية لتكون مستعدة لما كان قد كتب لها من القادير الازلية وتوصلت اليه فيما بعد بذلك العهد من المراتب العلية وذلك انه من بعده كان قد قتل بالملك في ذلك الوقت ولده المدعو بلسم (فراورث) وكان ملكا كعجا للجهاد و ساططانا مغرما بفتح الممالك والبلاد ولا تعلم شيئا مهيجهما من اخبار اوائل مدة حكمه غير ما يظهر لنا من انه كان قد اشد غلها بطرد الاسوريين من سائر الاماكر التي كانوا الميرزاوا عليها مستولين من بلاد الميديفة وذلك انتا نرى هذا الملك من اوائل مدة الفتوحات التي كان قد تحصل عليها من البلاد الاجنبية مستوليا على سائر بلاد (مادي) من غير منازع ينازعه ولا معارض يعارضه في ذلك مع ان من المحقق كون جزء منها قد كان في مدة عهد الملك (ديجويس) السالف الذي ذكر في يد بعض الامم الاجنبية ولم يبتدئ الملك (فراورث) في مغازيه الكثيرة الا في سنة ٦٥٠ ق م) وكانت قد توجهت هجمته الجهادية أولا الى جهة المشرق وكان مبدأ امره ان اطاع لدولته بادئ بدء سائر بلاد فارس الاصلية وكانت في ذلك العصر قد اخذت في ان تتكون في هيئة مملكة ممتدة بعد ان كانت قد مكثت مدة مديدة وهي ممتدة الى عدة قبائل متعددة لارابطة لها ولا عقدة تحالفية وثيقة تضبطها وكان أول تصور هرا في صورة المملكة المتحدة في الوقت الذي كانت بلاد مادي قد خرجت فيه بواسطة هميان (ارباس) السالف الذي ذكره من طاعة السلطنة الاسورية التي كانت قائمة بمدينة (نينوى) في ذلك العصر وكان ملك فارس المسمى عند اليونان باسم (آشمينوس) هو آخر ملك استقل بمملكة فارس الاصلية ثم حاربه فانتصر عليه وغلبه الملك (فراورث) ملك مادي المذكور فاعترف له بالتبعية وصارت مملكة فارس الاصلية تابعة للدولة الميديفة والملك (آشمينوس) هذا هو اصل العائلة النوكية الفارسية التي منها الملك (كيرش اوقيروس) وسائر ملوك فارس المسمين عند اليونان بالآشمينوسية (وهذه مؤرخي العرب وفارس بالكيانية) ولم يقتصر ملك مادي المذكور في تلك الجهة من الفتوحات والاستيلاء على الممالك والولايات على ما ذكر اعلاه فقط بل كان في مسافة بعض سنوات قلائل قد اطاع لدولته سائر الامم المتوطنين في ما وراء جبال (هندكوش) ومحصارى بلاد الفرمان اذ كان اصل اكثرهم من الابرائيين وقد مر ح الطبيب المؤرخ اليوناني المشهور باسم (اكتازياس) في كتاب تاريخ فارس والهند الذي كان قد ألفه وبقى بعضه مسطورا في ذيل تاريخ (هيرودوت) بان القرنين وهم قوم اصلهم من الاقوام البيتيين او التورانيين كان الملك (فراورث) قد

أدخلهم تحت طاعته ومن استدام مدة حكم هذا الملك نرى ايضا بلاد (البكترية) وما القوقاز من ولاية (مركانيا) وولايي (المرحيات) و(السوجدان) كلها منضمة لدولته وكذلك في جهة الغرب من بلاد ماى كانت الامه الارمنية التي هو من جملته الام الآرية وكانت متحالفة من عهد (ارباس) مع الامة الميديه لزم الضرورة ان تكون مدعنة بالتحية لسلطنة الملك (فراوررت) المذكور وعلى حسب الظن اقوى وصادق الحدس العقلي انه كان في نظير تلك التبعية قد انقذ بعض اراضهم من يد الدولة الاسورية اذ كان بعضهم تحت ايديهم وكانت قد وصل اليهم يد تعذيبهم

وحيث كان الملك (فراوررت) قد استولى على جميع هولا الامم وبذلك جعل المملكة الميديه سلطنة جهادية متسعة ودولته عسكرية ذات منه قوية ظن انه يمكنه ان يفعل بمدينة نينوى كما فعل بهما من قبله (ارباس) أعنى انه اراد ان يخربها ثانية وكانت قد قامت من سقطتها ورجعت لسالف بجنتها وعظمتها بعناية الملك (سهاريب) وشرع في ان يطبع لدولته بلاد الاسورية لكن خاب له في ذلك اذ توجه مع نخبة جنوده اليها فلم يظفر بها وهلك هو وهم جميعا في (سنة ٦٣٥ ق م)

مطلب — ذكر الملك (سيا كزار) (من سنة ٦٣٥ الى سنة ٥٩٥ ق م) وتقلد جمعا من الميديين من بعد الملك (فراوررت) المذكور ولده المسمى باسم (سيا كزار) فكان اكثر جبالا لمهاد وأقوى شغنا بالحرب والجلاد من والده المحكي عنه أهلاه وذلك انه اعتبر بسوء عاقبة أبيه فكان أول عنايته منذ صعد على سري ملكه ان أحدث في الامة الميديه ترتيبات عسكرية جديدة وكان القوم الفرثيون بوفاء أبيه قد خرجوا عن طاعته فتوجه اليهم وحاربهم واطاعهم بالثاني لدولته ثم التفت لتنفيذ مقاصد والده فيما يتعلق باخرا ب مدينة نينوى بالثاني وتذكر في ذلك الامر وتفكر وتأمل وتبصر فأداه حسن التدبير الى ان مثل هذا المشروع المهم لا يتم الحصول عليه الا بواسطة عقد محالفة مع اهل الجنوب من حوض دجلة والفرات كما فعل مثل ذلك (ارباس) في سالف الاوقات ولال ان لا يقدم وحده على مثل هذا الامر العظيم عقدعه مع الملك الكلداني المعروف باسم (نابوناهر) على انهما يشتركان معا في تسلمان المملكة الاسورية وتوثقت هريرة هذا العهد بما حصل بينهما على الفور من المبادرة بقدر زواج بنت الملك (سيا كزار) المذكور على ولد الملك (نابوناهر) وهو (مختنصر) المشهور وقد كان شايخا حديث السن بعد وبوفاء الملك (آسورد بيلي) ملك نينوى في سنة ٦٢٥ قبل الميلاد (كما سلفنا ذكر ذلك في موضعه) بدت لهذين الملكين المتحالفين والسلاطين المتصاهرين فرصة ان ينفذا أغراضهما وعرما على ان يبلغا مقاصدهما فاخارفت الجيوش الميديه والكلدانية دفعة واحدة على بلاد الدولة الاسورية

فتوجه الميديون اليها من جهة الشمال والكلدانيون من جهة الجنوب والتقى الجمعان والتهم الصفان من الجنود الميديّة والعساكر الاسورية وكان قد غلب الميديون على الاسوريين في ملحمة عظيمة وواقعة حرب منتظمة جسيمة وأخذ الملك (سياكرار) في أن يعقد على مدينة (نينوى) دائرة الحصار وتقدم الملك (نابونولسر) ودنا من أن يحضر لامداده بسائر اجناده على انخذ هذه المدينة واذا ملك الميديين قد نزل عليه على حين غفلة منه جيش عديد من الاقوام السيتيين وشنوا الغارة على سائر بلاد الميديين

مطلب — ذكر غارة الاقوام السيتيين على بلاد الميديين — وقد كانت غارة الاقوام السيتيين عبارة عن مهاجرة صلت من امة متوحشة سارت بالصدفة وذلك انه كانت قد قامت حرب بين قوم آخرين كانوا لهم مجاورين يقال لهم (القرميين) كانوا في ذلك العصر متوطنين بالهاري الجبلية الكائنة في شمال بحر الخزر وجبال قوقازة فلما تمت غلبة السيتيين على هؤلاء القوم القرميين اندفعوا وراءهم ولم يزالوا هم متتبعين حتى ضلوا في مضائق جبال قوقازة ولم يزالوا ية قدمون فيها الى جهة الامام ويميمون في ذلك الصحارى بدون أن يعرفوا الى أي جهة هم متوجهون حتى نزلوا كالسيل على بلاد الميديين فقام الملك (سياكرار) المذكور وأراد ان يوقف غارتهم ويمنع سورتهم عن بلاده ولا قاهم يحمده فلهزمه وغلبوه واضطروا لانصرحت طاعة هؤلاء القوم المتوحشين ومثل السيتيون مدة ثمانى عشر سنة يحزرون دائر بلاد آسية الدالية حتى انهم بلغوا الغاية حدود الديار المصرية وكان الميديون هم أكثر سائر الامم الآسيين اصابة بغارة هؤلاء القوم الغيرين حيث كانوا في قوتهم واثباتهم ونمكتهم فيها على وجه بحيث كان يظهر عليهم انهم لا يريدون ان يخرجوا منها أبدا ولم يتوصل الميديون لتخاطبة منهم بالاعمال الحيلة والخيانة عليهم وذلك ان الملك (سياكرار) وأصحابه مرطافة اسياد الميديين الكبار دعوا ملك السيتيين وأعيان رؤسائهم الاصليين الى وليمة كبيرة واسكروهم بكثرة شراب الخمر ثم ذبحوهم عن آخرهم وهم سكارى وقامت جميع الاهلين الميديين على سائر الاقوام السيتيين فقتلوهم عن آخرهم وقطعوا ديارهم جميعا حيث صاروا الارئيس لهم ولا رابطة عامة

تجميعهم

مطلب — ذكر ما حصل بعد ذلك للملك (سياكرار) من الظفر الجديد — ويجرد ما انتقد هذا الملك من غارة هؤلاء الاقوام المتوحشين كان قد جدد العهد مع الملك (نابونولسر) والتفت لتنفيزها كان قد عقد هزيمته عليه وتجنب اليه من الغرم على خراب مدينة (نينوى) بالثاني فتوجه كل من هذين الملكين المتحالفين يحمدهما اليها وعقد الحصار عليها وظفرا بهتمام الظفر واتهم اهلها كل النهر وفي (سنة ٦٠٦ ق م) كانت هذه

المدينة الجبوتية الفاخرة والحاضرة العظيمة المتكبرة التي كان قد أعادها الملك
(سبحاريب) بالثاني من بعد خرابها الاول الى درجة عظمتها الاولى قد سقطت في قبضة
هذين الملكين الجبارين فأخر باها في هذه المرة خرابها لم تعد للعمارة من بعده ابد او اقسما بينهما
بلاد الاسورية فاخذ الميديون جهة الشمال واستولى البابليون على جهة الجنوب منها
ثم بعد ذلك بثلاث سنوات أعني في (سنة ٦٠٣ ق م) كانت قد قامت حرب أخرى
بين (سياكرار) وملك القوم المسمين باسم (الابديين) وهو المدعو باسم (أليات)
وكان هذا الملك الأخير قد استولى منذ بعض سنوات قليلة على إقليم (أفريجيا) وهو على
وجه التقريب عبارة عما يسمى الآن بلواء قونية وآق سراي وآق شهر بيلال القرمان ولوائ
كوتانية وقرا-صار من بلاد الاناطول المعروفة (ببلاد آسيا الصغرى) وكذلك على إقليم
(قبادوسيا) وهو جزء من ولايتي سيوة والقومان الآن قال المؤرخ اليوناني المشهور
باسم (هيرودوتس أو هيرودوت) في تاريخه ما نصه (معربا) هكذا
مكث الميديون والليديون تحاربون مدة خمسة سنوات والحرب بينهما سجال تارة يظفر
هؤلاء وأخرى ينتصر الآخرون حتى جاءت السنة السادسة فحمل بينهما ما هو أشبه بواقعة
حرب ليلية وبيان ذلك ان القومين المذكورين بعد ان مكثتا تلك المدة على الدوام والاستمرار في
قتال تعادل فيه الحظ من الطرفين فاقدا لتلاقي ملحمة كبيرة ومقتلة خطيرة واذابا لهار قد
صار لاي على حين غفلة منهما بانكساف قرص الشمس وهما في حوزة الميدان يتحاربان ويتضرعان
وكن الحكيم (طاليس) الملمي على احد فلاسة اليونان السبعة المشهورين قد اذعن من قبل بهذه
الحادثة الجذوبة واخبر بوقوعها الامة اليونانية وعين ذات اليوم والسنة التي تقع فيها
ولما تراه للعيوش المديدة والليدية ان النهار قد انقلب ليلا أحجموا عن القتال وبادروا
للصلح . . . وتوسط بينهما في ذلك ملك كابل وبلاد (سيليسية) (وهي المعبر عنها الآن
بولايتي سيليفكة وادنة) ولما كانوا يظنون ان عروة اليهود لا تتأكد الا برابطة قوية
كرابطة مصاهرة ويهود ذلك ألزم هذا الملكان الملك (اليات) بان يزوج ابنته المسماة
باسم (اريانيس) بابن الملك (سياكرار) المذكور المدعو باسم (استياج) (اه
نص كلام هيرودوت) ثم قال المؤرخ فرانسيس لوفورمان انقل عنه اعلاه بعد ذلك
ما معناه وتعين مجرى النهر المسمى باسم (هانيس) (وهو المعروف الآن باسم (قز يل رمدوق)
وهو القاسم لارض اقليم (قبادوسيا) المذكور الى قسمين متساويين هو الحد الفاصل بين
قحوم السلطنتين المذكورتين

مطلب — ذكر الملك (استياج) والملك (كيش أو قيروس) المشهور وقصة
ز والسلطنة الميديين في سالف العصور (من سنة ٥٩٥ الي سنة ٥٦٠ ق م)

قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المذكور أعلاه بعد ذلك ما معناه وكان الملك (استياج) ابن (سيار) المذكور قد خلف أباه على سر بر سطة الميديين في سنة ٥٩٥ ق م وكان له كاتلما وسلطانا جاثرا غاشما لا تحقره ولا يجد قال المؤرخ الفرانساوي المعروف باسم (روبيو) ما نصه (عربا) بعد

وكان قد رآه في المنام أنه يعزله عن سر بر سلكته ابن بنته المسماة باسم (مندانة) وكان قد زوجها ابولدمن ذرية العائنه الملوكة الفرنسية القديمة يقال له (قيبريس أو قصبين) فأراد أن يقتل الطفل الذي ولد لهما عند ولادته وهو (كيرش أو قيروس) وأمر بهذه المأمرية رجلا من كيراضا بطعنه فقال له (هر باجوس) وهذه القصة مبنية على ما كاه أهل فارس أنفسهم في حكاياتهم الإلهية ورواياتهم المليية حيث أرادوا أن يغربوا في قصة تاريخ مده طفولية الملك (كيرش) هذا بكرا والغربية ووقائع عجيبة إذ كان هو الذي وسع سلطنتهم ورفع صواتهم وبواسطته استولوا على سائر بلاد آسيا فذكر وأما معناه أن (هر باجوس) المذكور أعلاه لما أسره الملك (استياج) بأن يأخذ حفيده هذا ويقتله كان قد هزته أرجحية الرأفة إليه وأخذته شدة الرحمة والحنية عليه فتعلقت ارادته بأن انجيه من القتل الذي أمر به الملك وألقاه عند راع من رعاة الفلاة وأودعه إياه ثم عثر عليه الملك الميدي الذي هو جده لأمه وعرفه بتقاطيع وجهه وأسرة محياه فاستحياه وأبقاه مؤولا ورواه بأنها قد تصدقت بما كان (كيرش) قد أجراه بوقت طفوليته وقد رآه وهو يلعب مع الاطفال يجرى صورته رسوم المملكة عليهم ويلقى الاوامر العلية بنخوة الملك اليهم فاخذته الى قصر مملكته ووضه الى أهل دواته وانتقم من ضابط العسكر الذي كان قد أمره بقتله على وجه شنيع وطريق شنيع بأن اطعمه لحم ذات ولده في هيئة لحم جدي مشوي فحقد ذلك (هر باجوس) على (استياج) وحل (كيرش أو قيروس) على الخروج عن طاعة جده وعلى أن ينقذاته فارس الأصلية من رق السلطنة الميديية ووعده بأن يساعده على ذلك بكل قوته وبمضده بذاته متى شرع في تلك المسالك قال المؤرخ (روبيو) المروى عنه أعلاه بعد ذلك أيضا ما معناه وكان (كيرش) المذكور قد أعمل الحيلة وتوصل لأن آثاره في الفتنة والعصيان عند أبناء اوطانه الأصليين اعنى الاقوام الفارسيين وكانوا أقواما جبليين وانا ساديين أشد قوة وأقوى على الحرب والقتال من الاقوام الميديين وكان الملك (استياج) قد أساء التدبير اذ قلده (هر باجوس) هذا براسة جنده المتوجه لقطع دابر هذه الفتنة وقع ذلك العصيان حيث خان الملك لداعى ما كان قد أسره في باطنه من الحقده عليه بما أجراه في حق من الظلم يلجعه ولده وأطعمه لفلزة كبده وترك راية الظفر وضربة العلية والنصر رئيس جنده القوم الفارسيين على الميديين فقام الملك (استياج) بنفسه

على أمر جنوده وأراد أن يدفع الجنود الفارسية عن كرسى ملكته فلم يفلح واجتهد كل الاجتهاد في اطفاء نيران هذا الصياع فلم يفلح بل انهزم اثم هزيمة واقبحها وقتل اكثر عسكره في حومة الميدان ووقع هو ذاته اسيرا في يد أعدائه وكان قد مكث على سرير السلطنة الميدية خمساً وثلاثين سنة وهو آخر ملوك دولة الميديين التي كانت قد ظهرت في الاقطار الآسية ذات شوكة كبيرة مدققة من الزمن يسيرة (اه كلام المؤرخ (رويو) المنقول عنه اعلاه

الفصل الثالث

في تاريخ السلطنة الفارسية الاصلية

مطلب — ذكر فتوحات الملك (كيرش) (من سنة ٥٥٩ الى سنة ٥٤٥ ق م) — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان المروى عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه وكانت نتيجة هزيمة الملك (استياج) المذكور واقتتاح بلاد الميدية ان صار بيد الملك (كيرش) الولاية الساطانية على سائر البلاد التي كانت تابعة للسلطنة الميدية وصار له اليد العليا خصوصاً على جميع الامم الآريين والملل الايرانيين المتوطنين فيما وراء جبال (هندكوش) وصار يبلاد القرمات فيادر لوضع اليد بالفضل عليها وأجرى رسوم السلطنة بالعمل فيها وقد كان ذلك أمراً سهلاً عليه اذ كان سائر هؤلاء الملل أخوات ملته فكانوا يميلون بالطبع اليه ويعطفون بالجلبلة اليه ويؤثرون بالضرورة ان يكونوا تحت أعلىوية امة ايرانية الاصل المحض كالامة الفارسية على أمة مختلطة النسب والحسب يتداخلها أصول أمم غرب كالامة الميدية

ولما كانت بلاد البكتريّة معرضة لكثرة غارات هؤلاء الامم الاغراب وتعمد اسرقت ولما هولا القبايل المتوحشة عليها بالقتل والسلب والانتهاك كان أول ما تعلقت به همة الملك (كيرش) ان ابتداء قصد الحصول على الامن فيما بان حارب القوم التورانيين المسمين باسم (الساسيين) وهم قوم من الاقوام التورانيين كانوا متوطنين حوالى سنايسع نهر سيحون المسمى ايضاً باسم (سيرداريا) فغلبهم وانتصر عليهم وأسر ملكهم المسمى باسم (أمورجيس) وجعل بلادهم ستراية من اعمال سلطنته أي ولاية جعل عليها والياً من ولايات فارس الملقين بلقب الستراية أي العامل على إقليم من أقاليم الدولة الفارسية وحيث توطدت بذلك سلطنته وعمدت البلاد لدولته من الجهة الشمالية الجنوبية شرع

بفتح البلاد المجاورة لجبال قوقازة وكانت قد بقيت مستقلة لم تدخل تحت طاعة الدولة الميديّة وبعد أن أقام على قتالها عدة سنوات عديدة وقام فيهما عدة حروب شديدة وهلك فيها أناس كثير ون كان قد أدخل تحت طاعته وألحق بأعمال سلطنته كلاماً من إقليميّ (البانيسيا) و (ايسيريا) (ومجموعهما هو ما يسمى بـ (الآن باسم (داغستان وبلاد الجرج) وأما الأقاليم المدعوون باسم (الكولشيديين) سكان إقليم (كولشيدية) (وهو ما يسمى بـ (الآن بـ (بوليتيا) (يرسيا ومنغريليا) فقد كانوا امتثلوا لقوته ودخلوا صلحاً تحت طاعته وكذلك الأقاليم الذين كانوا يسكنون الجبال الوعرة الكثيرة على الساحل الجنوبي الشرقي من بحر الخزر وهم (المارديون) و (المكرونون) و (الكاليبيون) وألقوم المشهورون باسم (الطبرانيين) وهم قوم كانوا مشهورين عند الأمم السالفة من أقدم العصور السابقة بعمل المصنوعات المعدنية وباختراع حديد الصلب كلهم كانوا قد اطاعوا مولته ودخلوا تحت أسر دولته وبذلك صار الملك (كيرش) الفارسي المذكور مستولياً على سائر الأقطار الكثيرة بآسيا الصغرى (بلاد الاناضول) إلى حد نهر (قريل روموق)

مطلب — ذكر الملك (كريزوس) ملك بلاد ليديا — قال المؤرخ فرانسيس لوتورن المقول عنه أعلاه بعد ذلك ما معناه وقد كان معاصر الملك (كيرش اوقيروس) المذكور أنغام ملك يقال له (كريزوس) ملك بلاد ليديا وهي الجزء الغربي من بلاد آسيا الصغرى أو الأناطول ويبرع عنها الآن باسم سوريا وكان من بعض بلدان أخرى وكانت قاعدة مملكته في ذلك الزمان تدعى بمدينة (سردوس) وكان ذلك الملك هو أقوى الملوك في بلاد آسيا الصغرى وكان قد اجتهد في أن يحدث له في ذلك الأماكن من الدنيا القديمة دولة عظيمة وسلطنة متسعة جسيمة يضاهي بها السلطنة الفارسية وكان قد أجبر المداين اليونانية التي كانت كاثنة على السواحل البحرية من تلك الجهة الآسية على أن تذهبن بالطاعة إليه وبلغ لفاية أن جمعه تحت قبضة مملكته سائر البلاد الكاثنة فيه وأورامير (قريل روموق) وكان قد اغتر بما حصل له من النجاح فأراد أن يبدأ بالحرب والكفاح الملك (كيرش ملك فارس) المذكور إذ كان يخشى مولته على بلاده وأراد أن ينتقم عليه ويأخذ منه بشار الملك (استياج) الذي هو صهره ويحكى أنه قد كان استشار كاهنة مدينة (ديلفوس) (ويقال لها أيضاً ديلفي) وهي مدينة ثمينة كانت بأقليم (فوكيدة) من بلاد اليونان القديمة كان بها هيكل وكاهنة تجتنب بالمغيبات لعبودهم المدعو باسم (ابوالون) (بتخمين اللام) وفي مكانها الآن مدينة (كستري) (بفتح الكاف في أوله وتاء مثناة فوقية يليها راء مهملة مكسورة ثم ياء ساكنة في آخره) وسألها كيف تكون عاقبة هذه الحروب فأجابته بقولها أنك إذا

جزت نهر (قريل يرموق) اخربت مملكة عظيمة فساقر مطعنا لقولها جازما بأنه سيزيل مملكة فارس فكان الحال بالعكس وكانت المملكة التي زالت هي مملكته والسلطنة التي تخربت هي سلطنته في ذلك العهد وبيان ذلك هو كما يأتي بعد

مطلب — ذكر هزيمة الملك (كريزوس) وزوال الدولة لليديين على يد (كيرش أوقيروس) من (سنة ٥٤٥ الى سنة ٥٤٤ ق م) بخاز (كريزوس) بجيوشه النهر المذكور ودخل بهم اقليم (قبادوسية) واستولى عليه بغاية السهولة لداعى انه لم يجد من يصد عنه غير سكان تلك البلاد ثم التقى مع جيوش فارس تحت قيادة الملك (كيرش) بنفسه ووقت بينهما قتلة شديدة هلك فيهما نفوس عديدة من الطرفين غير انه لم يظهر فيها النصر لاي الجانبين حتى جاء الليل فاتسبى بذلك القتال ولم يرد (كريزوس) ان يعود عليه بالحرب في القدر لداعى انه كان قد قبل له ان جنوده هم دون جنود خصمه في العدد فعاد الى مدينة (سردوس) التي هي قاعدة مملكته وبعث يطلب المدد من ديار مصر وبابل و (لقد مونييا) بلاد اليونان بناء على ما كان منعقد ايده وبينهم من العهود وهزم على ان يعود بالحرب في فصل الربيع الآتي قال المؤرخ (روبيو) وكان الملك (كيرش أو قيروس) قد تبصر في نتيجة تلك الاستعدادات الطويلة وبلغه الخبر بان الملك (كريزوس) اعتمد على طول مدة فصل الشتاء ففرق شمل جنوده واذن لهم بالعودة الى بلادهم فبادر ملك فارس بالسراى مدينة (سردوس) قبل ان يتيسر لملك اليديين ان يجمع جنوده ويستعد للملاقاة ومع كون الملك (كريزوس) كان قد جاءه ملك فارس على حين غفلة منه وبخاء بالقتال من حيث لم يكن له ذلك على بال سأل قتاله مع من يتيسر له جده من رجاله وكان اليديون قد فحقوا في مدة عهده فتوحات كثيرة واستولوا تحت قيادته على بلاد متسعة كبيرة فاغتروا بامتداد صيبتهم وشهرتهم بالحرب والظاهر انهم كانوا قد تغالوا في قيمة متمم من حيث الجسلاد والضرب وكانوا قد اطمانوا لانفسهم واعتمدوا على شجاعتهم وكان لهم خصوصاهرة كبيرة وحذاقة شهيرة بركوب الخيل فالتقى الصفان والتحم الجيشان في سهل منزع عظيم مكشوف امام مدينة (سردوس) عند ملتقى نهري (هيلوس) و (هرموس) وهو النهر المعروف الآن بنهر (شرابات والقادوس) على القرب من مدينة (ازمير) قال المؤرخ (هيرودوت) اليوناني المحكي عنه اعداء في هذا الموضع من تاريخه ما نصه (معر با) اذناه

وكان الملك (كيرش) قد جمع الجلال الحاملة لاذخيرة جنوده ووضعها في مقدمة جيوشه المشاة بإشارة بعض قواد عسكره فلما نظرت اليها خيول عسكر اليديين فرغت من منظرها واهلعت من راحتها لعدم اعتيادها عليها ففرت منها وفرت عنها قبل ان تحمل عليها فزل فرسانها عن ظهورها وتركوها واجتهدوا في ان يحاربوا على الارض بدونها فلم يصادفوا القرص

ولم يكن عنهم اجتهداهم ذلك شيئا اذ كان أقوى مددهم قد فقد واشد مددهم قد فقد فقت عليهم من جنود فارس الغلبة والنصر وتفرق شملهم وتفرق جمعهم وانهم مواثرهم بعة وانهم المملك (كر يروس) في مدينة (سردوس) اشد الحصر (انتهى نص كلام هيرودوت) منقولاً من تاريخ (رويو) ثم قال المؤرخ فرانيس لو نورمان المتكبر والذي ذكر والبيان اعلاه بعد ذلك ما معناه ومع ذلك فقد كان ملك الليديين المذكور لم يقطع العثم من النظر اذ كان الاقوام اليونانيون قد دخلوا تحت طاعته من همد قريب وكانوا له مصادقين وكان قد ارسل مراسيله بالذي يستعملون حضور الامدادات اليه من همد هؤلاء الامم والمال المتخالفين معه فلم يندكلك ذلك ثمرة ولم يعده عليه نعم عائدة معتبرة بل كان الملك (كبرش) بعد اربعة عشر يوما من تاريخ الحصار قد هجم بجنوده على تلك المدينة التي كانت في ذلك العصر قلعة مؤسسة على صخرة ذات منعة مشتهرة فدفعهم القوم المحصورون في اول الامر وكان بعض جنود الفرس قد لحظ بالامس طريقا يوصل الى مكان من سور القلعة يمكن منه التسليق عليها وكانت القلعة حينئذ عاطلة من الحرس لا اعتقادهم عدم امكان الصعود على الصخرة التي كانت هذه القلعة موضوعة فوقها فارشداخوانه اليها وصعد عليها وتبعه كثير من اصحابه وبذلك سقطت مدينة (سردوس) المذكورة هي وذات ملكها واسائر بلاد المملكة الليدية في قبضة يد الملك (كبرش) (في سنة ٥٤٤ ق م)

مطلب — فتح المراتن الاغريقية بمعنى اليونانية المسماة بيلاد (يونيا) اي البلاد اليونانية الاصل التي كانت على سواحل بلاد آسيا الصغرى وذ كراستيلاده دولة فارس على سائر الامم والاقوام السكانيين بيلاد آسيا العليا (من سنة ٥٤٤ الى سنة ٥٣٩ ق م) قال المؤرخ المذكور آنفا ولم يتأخر (كبرش) ان شن الغارة على سائر المدن الاغريقية بمعنى اليونانية المسماة بيلاد (يونيا) اي البلاد اليونانية الاصل التي كانت قائمة على سواحل بلاد آسيا الصغرى (وهي سواحل الوبه سيوى وصوراخان وعادين الآن) وحيث لم يردلهم امداد من اخوانهم اليونانيين المتوطنين بنواحي اوروبه كان الملك (كبرش) قد استولى عليهم واهدت يده اليهم وامتنع اهل مدينة (نيوس) (وهي المدينة المسماة باسم (سيدشيدجك) الآن واهل مدينة (فوكيا) (وهي المدينة المسماة بهذا الاسم على القرب من ازمير لغاية الآن) من الاذعان لطاعته فهاجروا من اوطانهم الاصلية وانتقلوا الى الجهات الادروية وانضم الفوكيون الى اخوانهم اليونانيين الذين كانوا قد تزلوا هاجروا من قبل الى الجهات الغربية اعني القبائل اليونانية الذين كانوا قد تزلوا بجهة (مرسيليا) (من سواحل فرانسة) ثم فتح اقليجي (كاريا وليسيا) (لوانى) منتصرون وتلكه الآن) مع ما كان قد حصل من اهلها من المقاومة الشديدة والمصادمة

العنيدة وقد كان الذي تم له فتح سائر البلدان التي كانت قتر كبر منها رأس آسيا الصغرى في ذلك الزمان هو القائد (هرياجوس) المذكور آنفاً وكان (كيرش) نفسه مستغلاً في أثناء تلك المدة بالاستيلاء على جميع الأمم والأقوام المتوطنين ببلاد آسيا العليا وسائر الأقاليم السكانسة فيما بين بلاد الهند وفارس أعني سائر الأقطار التي كانت تعرف عند الجغرافيين السالفين باسم عام وهو (بلاد الأريان أو الأريا) بمعنى بلاد الآريين وهي ما يعرف الآن بسجستان وخراسان وما يليهما من البلدان لغاية بلاد (الهند) وفتح بلاد (چيدرور يا) وهي ما يعرف الآن بولاية (مهران) وسائر الأقطار التي تليها لغاية بلاد الأقوم المسمين باسم (الجنديريين) المصابقة لآعلى مجرى نهر جيحون

مطلب - ذكر كرز وال الدولة الآسورية على يد (كيرش) ملك فارس المذكور في (سنة ٥٣٨ ق م) قال المؤرخ للروى عنه أعلاه بعد ذلك ما معناه وقد كان الملك (كيرش) لم يزل ينتقل من فتح إلى فتح ويرتقل من بلد إلى بلد فاتراً بالنصر والنجاح حتى تعلقت اطماعه بالاستيلاء على جميع بلاد آسيا بتمامها والاحاطة بالآخذ بزمائها وكان قد استولى على معظمها ولم يبق عليه للحصول على هذا الغرض على وجه لم يتيسر لآى ملك كان من ملوك ذلك الزمان لغاية ذلك الاوان غير ان يضرب مملكة الكلدانيين التي كان قد أسسها في ذلك العصر بمدينة بابل الملك الشهران (نابوبلصر وبختنصر) على أنار المملكة الآسورية القديمة وكانت هذه المملكة قد أخذت في الاضعف والالسقوط لسوء الحال وابتدأت في الزوال ولم يتأخر الملك (كيرش) ان فعل ذلك وتوصل على بلوغ أماله فيما هنالك (كما قصصنا قصة ذلك في الباب السالف فلاحاجة لتكراره هنا) ولما استولى الملك (كيرش) على مدينة بابل (في سنة ٥٣٨ ق م) صلب سائر سكان الأقطار السكانسة فيما بين نهر السند إلى بحر الارخبيل او بحر جزائر الزوم ومن عند ضغارى بلاد العرب إلى حد نهر سيحون امارعايا السلطنة واما ملوك امدهنين بالاتبعية لدولته ولم يخرج هن ذلك بحسب الظن الا بعض أناس قليلين من سكان الجبال المتوحشين او بعض قبائل بدويين من الأقوام الرحالين التزاليين كان هذا البطل الفارسي يأنف من ان يكدر عليهم في عزتهم معيشتهم وتأبى نفسه العالية منازلهم ومقاتلتهم وكان متى استولى على امة او ملأ من هؤلاء الأمم والملل العديدة او اطاع لدولته مملكة او دولة من تلك الممالك والدول الكثيرة لم يبدل أقسامها السياسية ولا خططها الارضية ولم يغير شيئاً من الشرائع والقوانين الجارية عندها بل كان يقيها على حالها ولم يكن مطمح نظره توجهها الا نحو انشاء دولة جهادية وساطنة عسكرية قبل كل شئ على سائر هذه الأقطار الآسية

مطلب - ذكر خاتمة الملك (كيرش) (من سنة ٥٣٦ إلى سنة ٥٢٩

(ق م) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان وقد كان الملك (كيرش) قد أقام على كرسي سلطنة فارس من بعد استيلائه على مدينة بابل مدة ثمانى سنوات وهو بحال السلم الكامل وفى تلك المدة كان قد أطلق سبيل القوم العبرانيين الذين كانوا بمدينة بابل مأسورين واذن لهم ببناء هيكل أورشليم بالثانى كما قصصنا ذلك تفصيلا في تاريخ القوم اليهود (وتقدم ذكره ايضا في الباب الثالث من هذا التأليف نقلا عن كتاب التاريخ القديم للمؤرخ جيلمان)

وهكذا الملك (كيرش) على تلك الهدنة لغاية (سنة ٥٢٩ ق م) ثم فى تلك السنة اما لقضاء ما كان قائما بنفسه الى فتح البلاد من الشهوة التى لا تشبع والحاجة التى لا تقنع او قصدا ان يقمع غارات بعض القبائل الذين كانوا له مجاورين وكانوا له بالاذى يتعرضون كان قد شرع فى شن الغارة بحرب جديدة على القوم المسمين فى ذلك العصر باسم (الماساجيتيين) (بأجوج و أجوج) وهم قوم من الانسال التورانية او التركية كانوا متوطنين بالحضارى الكائنة على شمال نهر سيحون واتهم الملك (كيرش) الفرصة لشن الغارة عليهم من حيث كونهم كانت تملكهم امرأة يقال لها (توميريس) فجمع جيوشا جديدة وسافر بهم اليها واتشأه قناطر على نهر سيحون ومر بهم عليها ولما بلغ المملكة (توميريس) المذكورة خبر سير تلك الجيوش الفارسية اليها بعث اليه رسولا يعرض عليه ان يلتقى الجيشان ويلتحم الصفان فى ميدان حرب مغلقا بأى مكان اراده فلم يقبل وبدا هن ان يرضى بالقتال على هذا الوجه المادق والطريق المستقيم الا ان عمدها على طريقة مكر وخديعة بمشورة الملك (كريزوس) ملك الليديين وكان معه فى هذه الغزوة الشنيعة وذلك انه اشار عليه بان يترك معسكره معطلا هن الدفع والاحتراس ويملا بالذخائر من سائر الانواع والاجناس بحيث يسهل على الجنود (الماساجيتيين) ان يلجوه وسلبوا ما فيه وينتهبوه ومتى دخلوه واستغلوا بتعاطى ما فيه نزل هو عليهم على حين غفلة منهم يحمل جنوده وفرق شملهم ومزق جمعهم وظفر بهم كل الظفر واتهم عليهم كل النصر وكان قد خبا فى ناحية من التواحيى جبل جيوشه العديدة فتمت عليهم هذه المكيدة قال المؤرخ (هيرودوت) اليونانى فى تاريخه ، وكان الملك (كيرش) قد تبعاه عن نهر سيحون بمرحلة يوم وترك اقيم جنوده هناك وعاد مع اجودههم الى ذلك النهر بالثانى فأتى القوم (الماساجيتيون) وهجموا على معسكره بثلاث جنودههم وقتلوا سائر الحرس وظفروا منهم بمقصودهم واشتغلوا بالسلب والنهب والسكر والاكل والشرب واذا بالجيوش الفارسية كانت قد اقبلت اليهم ونزلت عليهم فقتلوا منهم رجالا كثيرا واخذوا اكثرهم مأسورين كان من جلتهم قائد عسكرهم المسمى باسم (اسبارجانيثيس) وهو ابن الملكة (توميريس) التى هى ملكتهم فارسلت

الملئكة المذكورة اهله رسولا الى الملك (كيرش) تقول له ما معناه يا ايها الملك السفاح الذي لا يشبع من سفك الدماء لا تقهر بما حصل لك من هذا النجاح فانك لم تحصل عليه الا بواسطة عصاة العنبر وهذا الشراب الذي يزيل العقل وانتي لنا صحتك بنصيحة جيدة فاصبر ما أقول لك رد على ولدي واخرج سالما من بلدي ولو أنك أتلفت معظم جنودي والا فاني أقسم بالشمس التي هي الاله الاعظم والسيد المالك الاكرم للقوم (الماساجيتيين) انتي لاشبعنك بالدماء ولو بلغت ما بلغت من الظمأ فلم يعبأ الملك (كيرش) بقولها هذا المسطور اهله واما ولدها فانه لما أخاف من سكره الخمس من المالك ان يفك قيوده ويجرد اناته من سلاسل الحديد قتل نفسه بيده ولما بلغ ذلك أمه اجتهدت في ان تجعل سائر من كان عندها من الرجال وعقدت الحرب والقتال مع ملك فارس المذکور فتم النصر للقوم (الماساجيتيين) على العساكر الفارسيين وهلك اكثرهم في ذلك المكان وفي هذه الواقعة الحربية مات الملك (كيرش) نفسه بعد ان كان قد أقام على سرير المملكة الفارسية مدة تسع وعشرين سنة كاملة وأمرت الملكة (توميريس) بالبحث عن جثته في جيلة الموتى فدفنت عليها ومثلت بها وغسست رأسه في قربة مملوءة من دم الاتريين المقتولين وهي تقول اني وان كنت لم أزل على قيد الحياة ظافرة بالنصر لكنك قد قتلتني بقتل ولدي فلا تشبعنك من دم البشر كما وعدتلك (ه) ما نقل من تاريخ (هيرودوت) اليوناني قال المؤرخ فرانسيس لونورمان الفرائساوي وهكذا كانت خاتمة هذا الملك الفاتح الكبير غير ان السلطنة العظيمة التي كان قد أسسها كانت قد بقيت من بعده مدة حقبة من الدهور كما هو بعدمسطور

مطلب — ذكر الملك (قمبيز او قمبيز) فاتح الديار المصرية وذكر فتحه بدار مصر بغارة الجنود الفارسية (من سنة ٥٢٩ الى سنة ٥٢٥ ق م) ولما مات الملك (كيرش) كان قد خلف ولدين اكبرهما يدعى باسم (قمبيز او قمبيز) وكان قد تقلد من بعده بتاج المملكة الفارسية والا صغرى يدعى باسم (سمرديس) كان قد تقلد بالعمل على ولايتي البكتريه والبرثية من اعمال السلطنة الفارسية بشرط ان لا يدفع لادعيه نراجا غير انه يعترف له بالاهلية السياسية لا غير ويجرد ان جلس الملك (قمبيز) على سرير المملكة الفارسية وجبرا كان قد ترتب من المصائب وسوء العواقب على الغزوة الماساجيتية كان قد تعلق برغبته وتوجهت همته لان يشهر نفسه هو كذلك بفتح البلاد ويذكر بالغزو والجهاد وأول ما توجه نظره الى فتح الديار المصرية حيث كانت لداعي ما شملت عليه من أنواع الغنى والثروة دائما تجذب اطماع الملوك الآسيين اليها وكانت تلك الدمار في ذلك العهد خصه صاقدأ وحت حقد القوم الفارسيين عليها اذ كانت

قد تعاهدت مع الملك (كربزوس) ملك الليديين عليهم وكان قد وفد على دولة ملك فارس في ذلك العهد وجعل يوناني يقال له (فانيس) (بأمانة النون الموحدة افوقية على ياه مثناة من تحت بعدها سين هـ مله في آخره) كان قائد الجنود اليونانيين المقيمين بالاجرة في خدمة فرعون مصر المدعو باسم (امازيس) وكان قد فر من الملك المذكور والتجأ الى ملك فارس المدعو باسم (قمبيزس) هذا فاطله على حقيقة أحوال تلك البلاد ودله على طرق الوصول بالسهولة اليها فكان ذلك موجبا لتحام التصميم على فتحها والتوجه اليها وبشارة الرجل اليوناني المذكور كان الملك (قمبيزس) قد عقد معاهدة مع مشايخ قبائل العرب الذين كانت لهم اليد على الطرق الموصله من البراء وادي النيل وكان الملك (امازيس) ملك مصر قد مات وخلفه على سرير المملكة الفرعونية ولده المسمى باسم (ابسانتيكوس) الثالث فقابل به بالجيش انصريه عند فرع النيل المسمى بفرع (بيلوز) (وهي ما يسمى بناحية (تينه او القره) الآن) وكان في جملة الجيوش الفرعونية اوجاق جنود اليونانيين والكاريين المستخدمين عند الدولة المصرية بالجلمكية فارادوا ان ينتقموا من الرجل اليوناني الخائن هذا على اولاده وكان قد سافر الى بلاد فارس وتركهم بمصر فاحضر وهم الى المعسكر وذبحوهم بين الصفيين وابوهم ينظر اليهم ويتفجع تفجع الوالد عليهم ثم اتقى الصغان والتحم العسكران وكان الملك (قمبيزس) قد وضع في مقدمة جيوشه جملة من القباط والبايات وغيرهم من أنواع الحيوانات المحترمة عند المصريين فلم يتحاضروا ان يضر بوابسهاهم على العدو خوفا من ان تصيب تلك الحيوانات وانهمزوا الى وراءه بمجرد أول صدمة حصلت عليهم وثبت مع غاية القوة الجهادية امام الجنود الفارسيين العساكر اليونانيون والكاريون المؤجرون في خدمة الدولة المصرية حيث لم تمنعهم مثل هذه التدقيقات الاعتقادية واشتد القتال بينهم مدة مديدة وقتل من الطرفين عدة عديدة ثم انتهت الى الحال بان غت غلبة الفارسيين عليهم لداعي كثرتهم بالنسبة اليهم ولما فاز الملك (قمبيزس) بالنصر على جيوش مصر ارسل اليهم رسولا من قومه بمدينته (منف او منفيس) وكانوا قد رجعوا من زمين اليها يطلب منهم ان يعقدوا معه هدنة بشرط يتفقون عليها فصعد النهر على سفينة من سفن جزيرة (ميدايين او ميديلي) اليونانية ومجبردان وصل الى مدينة مصر القديمة وراه أهلها على البعد خرجوا من قلعتهم زمرا زمرا وقبضوا على السفينة فكسروها قطعا قطعا وقطعوا ركابها اربا اربا وأخذوا لحسهم الى القلعة علامته على النصر فغضب الفارسيون من هذا الفعل الذي هو من قبيل الخيانة الالهية للحقوق الملكية وجاؤا الى القلعة المصرية واحاطوا بام واحد من ردها وضيقوا عليها بالضيوق القهراستولوا عليها واخذوها وتناولوا الملك (ابسانتيكوس) الثالث فرعون مصر وجماحة كثيرين

من أعيان المصريين المأسورين وكان اول الملك (قمبيزس) ملك فارس قد أتى ملك مصر نفسه ولم يقتله ثم بعد مدة من الزمن امر بقتله فقتل بنامه على دعوى انه عقد عصبة وأقام قننة على القوم الفارسيين

مطلب — ذكر كيف كان سلوك الملك (قمبيزس) بديار مصر لما استولى عليها في ذلك العصر — ولما تمكن الملك (قمبيزس) من ديار مصر وتسلطن عليها ذهب الى مدينه (سيدس) (صالحج الآن) حيث كان قبر الملك (امازيس) فنبش قبره واخر جرمته واجرى عليها انتقاما قبيحا اذ كان يزعم انه كان قد سبه وأذاه في مدة حياته فامر بموميته (يعنى بجثته المصبرة بالموميا) فضربت بالمناخل حتى تمزقت وتقطعت قطعاً وتفرقت وتمثل بها غاية التمثيل والتشويه ثم ألقاها في نار فاحترقت وكان في ذلك أساءة للعقائد الدينية من وجهين (أولاً) للعقائد الدينية الفارسية حيث كانت أمة فارس تعتقد ان النار هي أكرم صورة لاله الخير المسمى عنهم باسم (ورموزد) و يرون ان من قبيح أفع الكفر تدنسها وتنجسها بالقاء الرمة فيها و (ثانياً) للعقائد الدينية المصرية اذ كان من عقائد أهل مصر الاصلية وشعارهم الدينية الاهلية أن يحفظوا جثث موتاهم بعناية الدقة ومع ذلك فقد كان (قمبيزس) المذكور قد سلك في أوائل أيام افتتاحه لاديار المصرية طريقة سياسية تأنيسية ومسلوك معاشرته تأليفية تجنح لمراعاة جانب الخواطر المالية والعواطف الاخلاق الاهلية وسعى في أن يجذب قلوب المصريين بواسطة تقليد من بقي من اعيانهم بعلامات تمييزاً كثر لهم منها وعلى الخصوص باظهار العناية الظاهرة بجواد عبادتهم حتى انه كان قد اتخذ لنفسه القابا سلطانية مصرية محضنة واراد ان يوهب الناس انه من نسل العائلات الملوكية الفرعونية القديمة واخذ في انه يتعلم قواعد الديانة البلدية

مطلب — ذكر غزوة الملك (قمبيزس) في بلاد الايتيوبية (الحبشة) (في سنة ٥٢٥ ق م) قال المؤرخ فرانسيس لوريمان المروى عنه اعلاه بهذا ذلك ما معناه وكانت ديار مصر قد تمهدت للقوم الفارسيين وتوطدت واستقرت على حالة السلم وتمكنت ولم يرقها كما في عهد افتتاح الايتوبيين لها واستيلائهم عليها في العصر السالف ان قام بالاقاليم البصرية المسماة بالدلتة منها بعض عصب اهلية ولا حصل بها حروب خزية لقصد اخراج القوم الفاتحين لها منها بل كان فتح الديار المصرية بالجيوش الفارسية قد أفرح سائر الامم والممل المحاورين لها بها الليبيون (اي البرقيون وهم اهل جبال برقة اى الجبال الغربية من الديار المصرية) واذعنوا بالطاعة من غير قتال اليهم والتزموا الملك (قمبيزس) بمخراج بدعة موته اليه وبشره الهدايا واقتفى اثرهم في ذلك القوم اليونانيون القوريثيون (وهم سكان المدينة

المسماة الآن باسم قورين أو جرمة ببلاد المغرب) وصفاله الحال قارادان بوجه الحرب في آن واحد الى ثلاث أمم متنوعة وهم القرطاجيون (سكان مدينة قرطاجنة) وهى تونس الآن) والامونيون (وهم سكان واحات آمون الكائنة بالجبال الغربية من الديار المصرية) والايثيوبيون (وهم الحبشة) وكان اسطولهم مركبا من أناس بحارة من الفنيقيين وهم الصوريون (أى سكان سواحل الشام البحرىون) فامتنعوا من موافقته على التوجه للهجوم على القرطاجيين لكونهم فى الأصل من اخوانهم الذين هاجروا من السواحل الشامية وصاروا بتلك السواحل المغربية نازلين ولذلك توجه (قمبيزئش) بجنوده الى بلاد الايتيوبية بجراه لا يتصورها العقل غير ملتفت بالكلية لما يلزم مؤنة جيوشه من الذخائر الضرورية ولما يلزم لنفسه من وسائل الاحتراس والامنية ولما وصل الى مدينة (طيبة) الصعيدية وجه فرقة من جنوده الفارسية تبلغ نحو خمسين الف عسكرى لمحاربة الامونيين واخراب ما كان لهم فى تلك الناحية من هيكل الصنم المعبود للاقوام الليبيين باسم (آمون) وهو المسمى عند اليونانيين باسم (جوبيتير) وكان له فيه كهنة مشهورون بالانخبار بالمغيبات فى تلك الاحصار فاسر عسكره باحراق ذلك الهيكل وما فيه من الكهنة اللذكوريين واستمر على السير الى جنوده الى جهة بلاد الايتيوبية واراد ان يختصر الطريق فانحرف عن شواطئ النيل من عند أول اعوجاجه الكبيرة وتوغل بعماسا كره الكثيرة فى الصحراء (المعروفة الآن بصحراء كرومكو) فلما صاروا فى وسط سهل متدنة من الرمال لا أنجبار فيه ولا علف للذواب ولا ماء للشرب ولا شئ مما مطلقا يأتى كل صاروا الى مجاعة شديدة حتى أكل بعضهم بعضا واضطر (قمبيزئش) لان رجوع على أثره مع قل عسكره ابعدان ترك فى تلك الصحراء اكثرهم واهلك فيها معظمهم وامامن كان قد توجه منهم الى واحات (آمون) فلم يعرف لهم خبر ولم يوقف لهم على أثر وبقي حالهم مجحولا للقاية الآن والظاهر انهم لم يتيسر لهم ان يصلوا الى محل مأمو ريتهم وانهم علكوا كذلك فى طريق سيرتهم بتلك الصحارى الجبلية حيث لم يرجع منهم رجل واحد الى الديار المصرية وقد روى بعض الكهنة الامونيين ان فرقة الجيوش الفارسيين الذين كانوا قد توجهوا الى تلك الناحية لما وصلوا الى نحو نصف الطريق من تلك الصحارى الليبية كانت قد قامت عليهم من جهة الجنوب ريح عاصفة شديدة قد فتحت تحت جبال من الرمال حتى هلكوا جميعا بهذه الافة السماوية

مطلب - ذكر ما اعترى الملك (قمبيزئش) من الجنون والاغترار بدهاء الكبر فى ديار مصر (من سنة ٥٢٥ الى سنة ٥٢٢ ق م) - ولما كان (قمبيزئش) بمكان عال من الكبر والاغترار يلوغ الا مال جاءته هذه المصائب فخطت

من كبره وجرحت جرحاً شديداً من غروره وجبره حتى اختل لذلك عقله واعتراه داء الجنون وعاش بعد ذلك مدة خمسة عشر شهراً لا يصدر عنه الا افعال جنونية شديدة واعمال قاسية عنيدة من أشد افعال اختلال العقل والفتون وذلك انه لما جمع من غروته هذه الحثائية الى المدينة (حنف او منفيس) كان قد وجد الاهالى المصريين مشتغلين باشهار موسم معبود لهم وهو البجل المشهور باسم (ايبس) وكان قد مات لهم عيل قديم وارادوا ان يستبدلوه ببجل آخر جديد وكان من عادتهم انهم يشهرون تلك الحادثة بافراح اهلية عظيمة وخلاعات عاقبة جسيمة فخيّل له ان اهل مصر انما كان انفساطهم هذا في ذلك العصر تشمئزاً حاصل لهم من النواشب وان تلال الامر قد عالجته كبر ولالة الامور اعيان الطوائف الالهية بمدينة (منفير) ومع ما حصل منهم من توضيح الحال وبيان الاسباب المقتضية للاعلان بهذه المواسم الملية أمر يقتلهم فقتلوا بله انهم كذبوا عليه وغشوه ثم طالب القسس والكهنة المصريين وأمر بضربهم بقضبان الحديد فضر بواو أمر يقتل كل من وجد من الاهاليين المصريين مستغلاً باشهار شيء من شعائر هذا الموسم الديني ورغب في ان يرى بنفسه ذات البجل المعبود لهم باسم (ايبس) فاقب به اليه فقال حين رآه ما معناه ان هذا لعمرى لهو المعبود الذي يليق بعقول المصريين وطعنه بسيفه في فخذه ثم زاحك منه على رؤس المصريين مظالم شديدة وتوات غايهم منه معاشم عديدة فانكر حق الملكية في سائر الاماكن من الديار المصرية بالكلية وابطل سائر الشعائر الدينية أو عطلها واختل أمر الاختقالان الجنازية واصدر الأمر بمنعها بالكلية مع كونها قد كانت من أشد ما تعلق به عناية الطوائف الالهية وأكدم ما تشوق اليه قوة القائد الدينية المصرية ولم يكن القوم الفارسيون أنفسهم باكثر مراعاة ولا وقاية من شرافمال هذا الرجل المجنون المعر بدعى الاهالي المصريين حيث أمر أحد خواصه المسمى باسم (ابريكاراب) بقتل أخيه المدهوب باسم (سمرديس) السائب الذي ذكر قتله في المر وأعقب ذلك أيعتاققتل أصغر أخواته اذ كان قد عرض عليها ان يتزوج بها على خلاف العوائد الجارية ببلاد فارس في ذلك العصر فامتنعت الى غير ذلك من القبائح الشنيعة والقساوان البشعة التي ثبتت عنه ورويت

مطلب — ذكر تعدى (جوماتيس) المجوسى على سرير المملكة الفارسية ووفاة (قمبيزش) بالديار المصرية (في سنة ٥٢٢ ق م) — وبينما كان الملك (قمبيزش) ملك فارس منهمكاً بالديار المصرية على هذه الافعال الجنونية والاعمال العربية كانت قد قامت فتنة عظيمة ومحنة جسيمة بالديار الفارسية وترتب عليها ان صارت مقاليد السلطنة بيد القوم الميديين مدة حقبة يسيرة من الاحقاب الزمنية وكان رأس

تلك العصبية هم طائفة المجوس وعادت غرنتها عليهم اذ كان الملك (كيرش) لقصده ان يجذب قلوب الامة الميذية ويستميلهم اليه قد اعطى للطائفة المجوسية بجاهاً عريضاً وتأثيراً كبيراً وقد كان قصده المجوس بقيام هذه الفتنة فضلاء من الامة الفارسية على ولاية الامر العمومية ان يجعلوا الامة الميذية درجة الاعلوية على الامة الفارسية ويجعلوا دين المجوسية الذي هو مذهبهم والاعلى على مذهب الديانة الزرادشتية المختصة التي هي ديانة القوم الفارسيين اذ كان كل من المذهبين المذكورين على الدوام متعادين وكان كل من القوم متخاصمين فقام رجلان اخوان من المجوس وتكفلا للقوم بتنفيذ هذه المقاصد وكان أحدهما منصوباً من لدن (قمبيز) بمنصب نظارة الامة لملك السلطانية ببلاد الميذية فقام بتدبير هذا الامر وذلك انه كان قد علم بان الملك (قمبيز) قد قتل اخاه (سمرديس) وكان قد أسر هذا الخبر وكان اكثر الناس يعتقدون انه لم يزل على قيد الحياة وكان للمجوس المسمى كور اخي يدعى باسم (جوماتيس) كان بينه وبين (سمرديس) مشادة ذاتية شديدة فقام المجوسي المذكور ونصب اخاه (جوماتيس) هذا على سرير مملكة فارس على انه هو (سمرديس) وبعث رسلاً في سائر الاقاليم والولايات الفارسية وعلى الخصوص في الديار المصرية يعرفون العسكر بعدم الاطاعة الى (قمبيز) وانهم لا يعترفون من الآن فصاعداً بالسلطنة (سمرديس) ابن (كيرش) او قيرس) فلما بلغ (قمبيز) خبر هذه الفتنة عزم على ان يسافر من بني على طاعته من الجنود الى بلاد فارس ونجح هزلسفر الى قاعدة مملكته وهم بان يركب حصاه على وجه عنيف كما يفعل الجنون فخرج نفسه جرحاً شديداً بذات سن سيفه ومع وجود هذا الجرح امر بان يحمل على نعش فتمجهز له وسار عليه مسافة من الطريق ثم غلب عليه تعب السفر فتقرح الجرح وهضل الداء واستولت عليه الفئرية فهلك به في قرية حقيرة بالشام

مطلب — ذكرتم ذلك المجوسي (جوماتيس) باسم (سمرديس) واسمئلاه (دارا) اوداريوس) على سرير الملك الفارسي (من سنة ٥٢٢ الى سنة ٥٢١ ق م) — ولما مات (قمبيز) ظن (جوماتيس) المجوسي المذكور انه قد ثبتت أقدامه على سرير مملكة فارس بالوجه القطعي فأقام على سرير الملك الفارسي مدة بعض شهور ويحكم البلاد ويولي امر هؤلاء العباد باسم (سمرديس) بدون منقوص يكره عليه ولا منازع ينازعه في ذلك وكان قومه المجوسيون لم يزالوا يفعلون على اعدائهم الفارسيين الزرادشتيين من افعال التعدييات الغلية الناشئة عن التعصب الديني الجهلي والتعزبات الملية ماساقت سيرته وشاعت قباحتها بين الناس حيث كانوا قد عذبوا أمناء الديانة الزرادشتية وأخربوا معابدهم وأتلفوا احوالهم بالكلية فاراد (جوماتيس) المذكور ان يستميل

قلوب الرعية اليه و يعادل سويرة قومه المجوسيين المذكورين بانعطاف الناس عليه فامر بأن كل من كان له ثلاثة أطفال من الرعية يعفى من كل خراج وخدمة عسكرية ومع ذلك فقد كان السر الذي هو فيه مستتر لكي لا تعرف حقيقة حاله قد انكشف وظهر وذلك ان رجلا فارسيا يدعى باسم (اوتانيس) كان واليا له على افليم (القبابوسية) الجنوبية وكان له بنت كانت في جملة نساء المجوسى (جوماتيس) المزور باسم (سمرديس) هذا فنفطن لتزويره وتيقن من حقيقة حاله وتعيينه واسر بذلك الى بعض اعيان قومه الفارسيين فاجتمعوا على الفور وتذاكروا فيما بينهم وتدبروا في وسائل عزل هذا الرجل المتعدى على كرسي ملكتهم بطريق النش والتزوير وكان المتواطئون على هذا الامر سبعة نفر كان من جلتهم رجل يدعى باسم (دارا اودار بوس) فاشار عليهم بانه يلزم ان يتوجهوا الى الحمال ليجمعوها الى الملك المجوسى في قصره ويقتلوه فوافقه جميعهم على ذلك ولم يتأخر وان ذهبوا اليه في الحال وهبوا عليه في قصره من غير نواز ولا اعمال وقتلوه هو وكل من صادفوه معه في القصر الموكى من المجوس وبلغ هذا الخبر الى مدينة (ابكبثان) (همدان) فقام اهلها الفارسيون وفي ايديهم السلاح وقتلوا كل من لاقوه في طريقهم من القوم المجوسيين تشفيا لغيل صدورهم من جراءة تعديهم عليهم واستلاب قضيب الملك بطريق الغش من ايديهم وحصل مثل ذلك في أغلب المدن بلاد فارس كلها بل اتخذوا مثل ذلك اليوم من كل سنة عيدا اهليا ونورا زاميا يشهرون فيه هذه المقتلة الداخلية ولم يزل هذا العيد شهرا عندهم افاية القرن الثالث لذلك العصر حتى ذكره المؤرخ (هيرودوت) اليونانى في تاريخه المروى عنه غير مرة اعلاه وسماه بما معناه (موسم مقتلة المجوس)

ولما تمت هذه الفتنة على الوجه المذكور آتفقا اجتماع السبعة نفر المتعصبون وتشاوروا بينهم في كيفية هيئة الحكومة التى تليق بحال بلاد فارس اذ كان فرع بيت الملك المستقيم من آل (كيرش) قد انقرض فيها وبعدها اكرة طويلة ومجادة لجاذفة فيما يترتب من الفوائد والمضار على كل واحدة من انواع الحكومات الثلاثة التى هي الحكومة الملكية او السلطانية والحكومة السيادية والاعيانية والحكومة الاهلية او الجمهورية استقر رأيهم على ان النوع الاول هو اجددها واحسنها وانه هو اليةهايا والبلادهم واثبتها واجمعوا رأيهم ايضا على طريقة مخصوصة ينتخبون بها الملك الجديد وهى انهم اتفقوا على ان يتوجه كل واحد من السبعة الاعيان المذكورين من صباح يوم التذ وهم راكبون على صهوة افراسهم امام المدينة واول من يدم على الشمس وهى طالعة بأول صهيل حصانه صار هو الملك المتقلد بتاج المملكة دون غيره منهم وكان الذى فاز بقصة السبق فى حومة هذا

الميدان بواسطة حيلة وخديعة حصلت من سائس ركابه هو المدعو منهم باسم (دارا اودار يوس) بن (جوستاب او هيستاب) ولذلك صار هو السلطان في (سنة ٥٢١ ق م) وهو رجل من نسل الملك (اشيمونوس) من خامس جيل ينتهي اليه بواسطة اخ نان لوالد الملك (كيرش اوقيروس) كان يسمى باسم (ار يارامنيش) وكان والد (دارا اودار يوس) المدعو باسم (جوستاب او هيستاب) المذكور والي الملك جوماتيس المجوسي على ولاية فارستان الاصلية وبقي على هذه الوظيفة بعد تقليد ولده بتاج المملكة الفارسية (ولعل الملك (اشيمونوس) هذا الذي جعله اليونان مؤسس العائلة المالكية الفارسية المسماة عندهم باسم الدولة (الاشيمونوسية) وهي غير العائلة المسماة عند فارس والعرب باسم الدولة (الكيانية) هو عين الملك المعروف في كتب مؤرخي فارس والعرب الملك كورين بلقب (كيقباز) حيث جعلوه هو أول الدولة (الكيانية المذكورة)

مطلب — ذكر ما حصل من الفتن والعصيان في سلطنة فارس بتلك الازمان (من سنة ٥٢١ الى سنة ٥١٤ ق م) — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان اعلاه بعد ذلك ما معناه ولما جلس (دارا) على سرير مملكة فارس قام عليه عدة ثورات شديدة وسلسلة فتن هائلة عنيدة كن مبدأ جديته منها من عهد سلطنة (جوماتيس) المجوسي المتشبه بذات (سمرديس) السالف المذكور وحدث بعضها مجرود صعود (دارا) نفسه على كرسي المملكة الفارسية في ذلك العصر فكث مدة ست سنوات وهو على قدم الحرب والقتال حتى اطفأ نيران ذلك الاخلال واستأصل تلك الفتن كلها وتوصل لأن اقره بالاملكة سائر العباد في سائر سنة تلك البلاد التي كانت تابعة للدولة الفارسية بتمامها ولم تكن تلك الحركات عبارة عن مجرد ثورات اهلية ناشئة عن بعض أهواء وقتية او بعض مظالم محلية اودسائس طمعية صادرة عن بعض أعيان من كبار الطوائف الالهية بل كان اكثرها ناشئاً في الاقطار الارضية التي كانت توجد فيها مخاصمات قومية توجب نفور اهليها عن الدخول تحت طاعة الدولة الفارسية وتمييزهم عنها بالكلية لاداعي تذكري ما سبق اهم عنهما من احوال الاستقلالية والاستبداد بالنفس

الملية

وبالجمله فقد كانت أغلب نواحي السلطنة الفارسية على التعاقب اودفعة واحدة ميدانا لتلك الفتن الداخلية والثورات الالهية فكان الخروج عن الطاعة السلطانية قد حصل أولاً في بلاد الموسية بل في بلاد الولاية الفارسية الاصلية نفسها ولكن الظاهر ان أشد الامم الخشاعين عن طاعة السلطنة الفارسية مقاومة وعناداً في تلك الحقبة العصرية كانوا القوم الميديون لاداعي ايفار صدورهم بما وقع عليهم من قرب عهد من ازاله ما كان

لهم من الدولة القوية ودرجة الاعلوية ولا سيما بحادثة مقتل خرقة المجوس الذين هم طائفة
 آمناء ياتهم الاهلية والارمنيون لداعي ما كان قد قام بقلوبهم من الحقد والضغينة من حيث
 كون الدولة الفارسية قد عاملتهم بصقة الرعية والقوم المغلوبين مع كونهم كانوا يرون انهم
 انما هم بالنسبة اليها خصوصاً من الاقوام المتحالين فقط والبالديون لداعي ان الفارسيين كانوا
 قد فقدوا حريتهم وأزادوا دولتهم واستولوا عليهم من عهد قريش قال المؤرخ فرانسيس
 لونورمان المروى عنه اعلاه نقلاً عن كتاب المؤرخ (رويو) الفرنسي بمد ذلك ما معناه
 ولم يحك المؤرخ (هيردوت) اليوناني في هذا الموضع من تاريخه ما يتعلق بهذه الحوادث
 التقلبية غير مقداري سير من الاخبار التاريخية وان كانت قد شغلت أوائل مدته حكم
 الملك (دارا) من تلك الاحقاب الهندية وكان الذي تعرض لذكره منها هو أهمها في الجملة
 ثم حصل الثور في هذه الحقبة العصرية على الاثر القديم المشهور بأثر جبل (بيستون)
 وجاء هذا التاريخ المسطور قصصاً ناقصة تامة لهذه الوقائع الدولية الفارسية (قال المؤرخ
 فرانسيس لونورمان) المذكور في تاريخ بلاد المشرق القديمة الكبير بعد ان قص ما حكاه المؤرخ
 (هيردوت) في تاريخه ما هم هذا رواه المؤرخ (هيردوت) في تاريخه ولقد أكد كل
 ما قاله في هذا الشأن وتم بعض ما قص منه مع غاية الايضاح والبيان ما عثر عليه في هذه
 الايام الاخيرة من الاثر المكتوب ذي الاحمية الكبيرة حيث جاءه فحق أعظم التحقيق
 وصدق كل التصديق على الحقيقة التي ذكرها هذا المؤرخ اليوناني الشهير بأبي التاريخ
 وذلك هو ما وجد مسطوراً على جبل (بيستون) وهو حفرة توجد على نحو من شمال
 مدينة (كرمانشاه) على يسار الذهاب من مدينة بغداد الى همدان الآن أعلى في إقليم
 كردستان الفارسي اى الارض التي كانت تعرف في قديم الزمان باسم (الميدية) وحفرة
 (بيستون) هذه هي ما كان يدعى عند علماء الجغرافية السابقين المتداوله كتبهم في مدارس
 الاوروپا وبين باسم جبل (راجستان) وهي حفرة ترتفع ارتفاعاً شاملاً بقدر ٤٥٦ متراً
 وجد على جانبيها رسم صورة منقوشة بالنش البارز المجسم والنحت المعظم ودونها اثر قديم
 مسطوره مستطيل العبارة الى غاية بليغة بحيث ان السياح المشهور باسم (كبيرويرير) قال
 في رحلته انه يلزم لتدبره لا أقل من مدة شهرين وذلك هو صورة ملك جالس على هيئة
 الهدهد والسكون في مجاز احتفال يقدم اليه فيه صورة أعداء أسورين وهو يدوس
 تحت أقدامه رمة رجل مغلوب وهذا الملك هو (دارا أوداريوس) والرجل الذي
 يدوسه تحت أقدامه هو الجوسي (جوماتيس) وهو لاء المأسورون هم رؤساء اقوام كانوا
 قد انتزوا فرصة من تعدى الجوسي المذكور على كرسي السلطنة الفارسية فأثاروا الفتن
 الداخلية وخرجوا عن الطاعة السلطانية في سائر الاقاليم الفارسية والذي استكشف

هذا الاثر العظيم وعرف ذلك الكتاب المسطور البكرى وترجمه ونشره في عالم المنشورات العلمية هو (الجنرال راو لنسون) الانجليزى المشهور وهو محرر النقش والتعبير بثلاث لغات وما وهى اللغات الرسمية واللغات الدولية التى كانت مستعملة فى ديوان كتابات الدولة الفارسية الكيانية فى تلك الحقبة العصرية أعنى اللغة الفارسية والميدية والاسورية اقتصر فيها قصة استيلاء الملك (دارا) المذكور على سرير المملكة الفارسية وحوادث مدة سلطنته لغاية سنة ٥٩٤ قبل ميلاد المسيح عليه السلام وهى أنفس أثر يؤثر ويستند اليه واصدق تاريخ مسطر يذهب كروبو يعتمد عليه فى حقيقة تاريخ ذلك العصر ولذلك رجعنا اليه واعتمدنا عليه فى كثير من مواضع هذا التأليف لمدعى كونه خدوصا قد ترجمه الى اللغات الاوروبية أولا بجانب (الجنرال راو لنسون) الانجليزى المذكور ثم بجانب (الموسيو أوبيير) السباح الفرنساوى المشهور وبذلك صار هذا الاثر المأثور الآن سهل التناول والاطلاع عليه من كل أحد (انتهى ما اردنا نقله عن كتاب تاريخ المشرق الكبير للأورخ فرانسيس لونورمان ورجعنا النقل من تاريخه الصغير)

قال المؤرخ المذكور نقلنا عن تاريخ (رويو) المروى عنه اعلاه بعد ذلك ما معناه وهذا الاثر الذى هو اطول اثر قديم عثر عليه فى الدنيا بنسبها ما كان قد نقش فى الحجر باصر الملك (دارا) على جانب جبل ببلاد الميدية محرر بثلاث لغات اصلية كانت هى اللغات الثلاثة الرسمية المستعملة بديوان كتابات الدولة (الاشيمونوسية أو الكيانية) وكانت كلها تكتب بالحروف المعروفة بالسنانية وهى الفارسية والميدية والاسورية وهى عبارة عن قصة جميع الحوادث والقرارات التى فعلها هذا الملك من اول قتل (جوماتيس) المجوسى المتشبه بذات (سرديس) الى ان ثبتت اقدامه على سرير المملكة الفارسية وتم له الاعتراف بالسلطنة فى جميع الانظار التى كانت تابعة لهذه الدولة المتسعة الآسية وباعلى كتابة الاثر المذكور رسم صورة مجسمة هائلة بقلم النقش البارز فى ذات الصخر المسطور تصورها فيها ذات صورة (دارا) على هيئة الدائس تحت اقدامه رمة (جوماتيس) المجوسى وامامه صورة عدة من رؤساء الفتن التى كانت قد قامت على دولته فاطاعهم لهولته بوقت جلوسه على سريره ملكته وفى رقابهم أغلال الحديد وبيان ذلك كما هو ملخص نص الاثر اوردناه عنه اعلاه هو كما سطر ادناه .

وهو ان بلاد السوسية كانت قد قامت أولا وانارت فيها الفتنة وخرجت عن طاعته وثارَت معها ايضا مدينة بابل تحت رياسة رجل زعم انه ابن الملك (نابونيد) الذى هو آخر ملوكها فتوجه اليهم (دارا) بجنوده وقتلهم أشد القتال وحاربهم اجد الحرب والقتال وبعد ان انتصر عليهم نهزم تيز عظيمتين (اسداهما) على شواطئ نهر الدجلة (والثانية) على

شواطئ الفرات كان زعيم القوم البابليين قد انخرم والتجأ الى داخل مدينة بابل ومكث فيها مدة مديدة محصورا يذب عن نفسه

وحكى قصة توران هذه الفتنة بمدينة بابل المؤرخ (هبرودوت) اليوناني في آخر المقالة الثالثة من تاريخه المشهور فقال ان هذا الحصار كان قد مكث مدة عشرين شهرا ولم ينته الا بواسطة خيائنه وخديعة حصلت على يد رجل فارسي يقال له (زوير) (بالزاي المجمدة في اوله يليها واو فياه) موحدة فارسية مكسورة بعدها ياء مشناة تحتية ساكنة فراءه محلن في آخره) كان للملك (دارا) من الخدمة الصادقين والاولياء الذين هم لمصلحة اسبابهم المالكين لارواحهم من الباطنين وكان من هؤلاء الرجال الذين يقوم بهم الحمية الملكية اى التعصب لبعض الدول السلطانية او الحمية الوطنية فحملهم على ان يظهروا بسفوسهم افعالا عجيبة واعمالا غريبة وكثيرا ما يوجدهم امثال هؤلاء الرجال في التواريخ البشرية فقطع انفه واذا نه وذهب على هذه الهيئة المشوهة الى القوم البابليين لقصد ان يوجههم الى الملك (دارا) هو الذى فعل به تلك الفعلة القاسية وانه انما زايهم لينتقم انفسه من سوء معاملته هذه الظاهرة فقتلهم هذه الحيلة وصرفوه واعمدوا عليهم ووافقوه فسلم مدينة بابل للملك فارس بواسطة هذه المسكيدة وبينا كانت الجيوش الفارسية محاصرة لتلك المدينة السكادانية كانت قد قامت فتنة اخرى متممة شديدة في الاقاليم الشمالية وذلك ان كلا من الامم الميديين والاسوريين والارمن كانوا قد اتحدوا بعضهم مع بعض وتعصبوا على القوم الفارسيين لاداعي ما هو قائم بقلوبهم من الحقد التام والقتل العام عليهم وانقلب ايضا اليهم اهالى ولاية (المرجيان) وغيرها من الولايات الشمالية الشرقية فاعانوهم على ذلك حتى قامت فتنة ثانية ببلاد السوسية مع كونها قريبة من مركز السلطنة الفارسية ولكنها كانت وقتية حصل تسكينها في برهة يسيرة من الزمن بخلاف الفتنة العظيمة التي كانت قد قامت ببلاد المدينة اذا كان رئيس هذه العصبة الاهلية كما هو من ماسلف ذكره من تلك الكتابة الاثرية قد ادعى انه ابن (سياكرار) قال المؤرخ فرانسيس لونورمان السالف الذكر والبيان يدعى من غير شك انه زعم كونه حفيد الملك (استياج) اخر ملوك بلاد المدينة وانه كان قد منع عن حق استيلاء الملك عليها لاداعي سبق تقليد الملك (كيرش) بتاج المملكة اليها ولذلك وجه الملك (دارا) نحو بلاد الارمن والميدية معارفا بشديدة مكثت مدة مديدة مع غاية الهمة والشهامة العنيدة واقامت مادامت مدة حصار مدينة بابل واضطر الملك (دارا) ايضا لارسال احد قواده كره لاستئصال الفتنة لقائمة بولاية (المرجيان) حتى قامت عليه فتنة اهلية اخرى ايضا في ذات اقليم (فارستان) من رجل منازع له في سرير الملك ثاب باسم (سمرديس) السالف الذكر والبيان ثم أعقب ذلك في متن الاثر المذكور أعلاه

ذكر عدة فتن أخرى عديدة وقبائل أهلية جديدة (أولا) بولايه (أرا كوزيا) ثم مدينة بايل مرة ثانية إذ كان قد قام بهامدع آخر يزعم أنه ابن الملك (نابوتيد) ثم يلا (السوسية) وبلاد القوم الساسيين يعني القبائل (الستيين) الذين كانوا داخلين في ضمن السلطنة الفارسية غير أن تفاصيل جميع هذه الفتن الأخيرة لم تزل مجهولة الحال ولكن كلها حصل إطلاقاً وها بعناية الملك (دارا) بالقطع والامتهال (انتهى ما نقل عن تاريخ المؤرخ (رويو) المنقول عنه أعلاه)

مطلب — ترتيب السترايات بالسلطنة الفارسية — قال المؤرخ فوانيس لوفورمان السالف الذكر والبيان أعلاه بعد ذلك ما معناه وقد كان (دارا) بعد أن أدخل تحت طاعته السلطانية سائر الأقاليم التي كان قد طاعها الملك (كبرش) من قبلة للدولة الفارسية قد أجرى تقسيمات سياسية جديدة وعمل ترتيباً إدارياً جديداً في الخطط الأرضية والإقطاع المذهنة له ولتة بصفة الرعية المقصود توثيق جباية الخراجات السلطانية على وجه الانتظام وتقوية سريان نفوذ ولاية الأمر العمومية المركزية في سائر أجزاع جسم السلطنة الفارسية اعني في جميع الولايات والأقاليم التي كانت لها بالنبعية ولأجل التسوية بين أهمية المراتب العسكرية الكبيرة فقلد بتلك المناصب الجهادية العالية قواداً تلقوا بالقب (السترات) وسيت الولاية المنوطة لعهدهم باسم (السترات) وهي عبارة عن وظيفة عسكرية ومملكية معا يعني أنه أناط إليهم قيادة العسكر الموضوع في كل ولاية المقصود حفظها مع وظيفة جباية الخراج السلطاني المضروب عليها فقسم سائر البلاد التابعة إلى السلطنة الفارسية في تلك الحقبة الزمنية إلى تسع عشرة ستراية وقد كان الغرض الأصلي المقصود لأملاك (دارا) من أحداث هذا الترتيب الجديد هو أن يغير ما كان قد سلكه أسلافه من قبله في تقسيم ولايات السلطنة الفارسية على مقتضى الطريقة الطبيعية وهما (كبرش وقمبيز) حيث كانا كاهناً افنخا ملكاً أجنبية تركاهما على كيفية تقسيمه الأصلية أي أنهم أجلا كل ملكة كانت مستقلة مجرد ستراية ملحقة ببلاد الدولة الفارسية فقط فلما جاء (دارا) وزع سائر بلاد السلطنة الفارسية توزيعاً جديداً وقسمها تقسيمات سياسية جديدة اعني على حسب اقتضاء الأحوال السياسية والطرق الإختراعية أي على وجه بحيث يصعب على الأمم والممل الداخلية تحت طاعة الدولة الفارسية أن يثيروا الفتن الأهلية ويخرجوا عن طاعة الدولة السلطانية الأصلية إذ كان الملك (دارا) قد ظهر له بالتجربة في مبادئ مدة حكمه بكثر الفتن التي قامت عليه ما يوجد من الخطر في طريقة التقسيم القديمة ولذلك عدل عنها إلى هذه الطريقة الجديدة

وهذه هي قائمة السترايات الفارسية اعني الأقاليم والولايات التي كانت تابعة للدولة الفارسية

الفارسية وكان قد وضع عليها (ستراب) بمعنى العامل أو الوالي من طرف السلطنة الأصلية حسبما كان قدرتها (دارا) كما سطرها المؤرخ (هيرودوت) اليوناني في تاريخه ولم تكن ولاية (فارستان) الحقيقية مندرجة فيها إلا ما كانت عليه من الأحوال السياسية المختصة بها ولم تكن تدفع خراج الخزينة السلطانية كسائر الولايات الفارسية الشاهانية وذلك كالمصر وديعد

(أولا) الأقوام اليونانيون المتوطنون ببلاد آسيا الصغرى (وهي بلاد الأناضول الآن) وهسم اليونانيون والمانيون والاليوليون مع إقليم (كاريا) (وهي لواء منتش) وإقليم (إسبا) (لواء تسكة) وولاية (بنفيليا) (وهي الجزء الغربي من ولاية (إيثشيل) مع الجزء الجنوبي من ولاية الأناطول الآن)

(ثانيا) سترابية (اليديا) (وهي الجزء الغربي من ولاية الأناضول اعني صوراخان وما يليها من تلك البلدان) وولاية (الميزيا) (وهي لواء قره سي وغيره من البلاد المجاورة لبلاد آسيا الصغرى) مع سائر القبائل المتوطنة بالجهال الكائنة فيما بين هاتين الولايتين (ثالثا) سترابية سواحل بوغاز (هيلسبون) (وهو بوغاز الدردانيل أو بوغاز (شنق قلعه) الآن) مع ولايات (أفرنجيا) (وهي قريش ما يعرف الآن بالولاية قونية وآق سراي وآق شهير ببلاد القرمات ولوائى كوتاهية وقره حصار ببلاد الأناضول) و (بثنيا) (وهي الجزء لشمالى الغربى من ولاية الأناضول) و (بفلاجونيا) (وهي ما يعرف الآن بلوائى قسطنطين وكينجمازى) و (القابادوسيا) (وهي الآن جزء من لوائى سيوة و بلاد القرمات)

(رابعا) سترابية (سيليسيا) (وهي ولاية (سلفتش وادنه) الآن) (خامسا) سترابية بلاد (فنيقيا) والشام وفلسطين وجزيرة قبرس (سادسا) سترابية مصر وبلاد (ليبيا) (وهي الجبال الغربية من الديار المصرية) و بلاد (القيرونية) (وهي بلاد برقة الآن)

(سابعا) سترابية بلاد (الساتاجيتيين) و (الجنديرين) و (الداديسين) و (الاباريثيين) وكل هؤلاء هم اقوام من الامم الاقدمين كانوا متوطنين في الجبال الكائنة في اهل نهر السند (ثامنا) سترابية بلاد السوسية (وهي خوارزم الآن)

(تاسعا) سترابية بلاد بابل والاسورية (بلاد العراق العربى القديمة)

(عاشرا) سترابية بلاد الميديه (وهي بلاد اذربيجان والعراق الجهمى الآن)

(حادى عشر) سترابية بلاد (هركانيا) مع ما فيها من الاقوام الشتى وهم (الكاسبيون) و (البنجيمانيون) و (الداريتيون)

(ثاني عشر) ستراية بلاد البكترية (وهي الآن ثانية بلخ بلاد تركستان المستقلة)

(ثالث عشر) ستراية بلاد الارمن مع بعض الاخطاط المجاورة لها

(رابع عشر) ستراية بلاد الاقوام المسمى باسم (الساغرتيين) و (الساغرتيين)

و (الطامانيين) و (الميزيين) و (الاولبيين) والظاهر ان جميع هؤلاء الاقوام كانوا هم

اهل بلاد القرم و بلاد (السوجديان) الاقدمين وسكان الجزائر الكائنة في مدخل

الخليج الفارسي في تلك الازمان

(خامس عشر) ستراية بلاد (الساسيين) وهم قوم من الاقوام السيتيين كانوا متوطنين

حوالي منابع نهر سيحون

(سادس عشر) ستراية بلاد (البرثية) و (الخوارزمية) و (السوجديان) و بلاد

الآرية

(سابع عشر) ستراية بلاد (الباريكانيين) و (الايثوبيين) يعني الحبشة والكوشيين

المتوطنين ببلاد (جندوزيا) (وهي المسماة قديما لدمهران الآن)

(ثامن عشر) ستراية بلاد (ايميريا) و (البانيا) وهي البلاد الكائنة فيما بين نهر

(آراس) وسلسلة جبال قوقازة

(تاسع عشر) ستراية بلاد بيجر (بنطش) وهي قطر من بلاد (آسيا الصغرى) مع

ما كان متوطنا فيه من الاقوام الصغرى والامم السكثريين وهم الاقوام المسمى باسم

(الموشيين) و (الطبرانيين) و (المكرونيين) و (الموزيناكيين)

هذه هي قائمة ببيان السترايات الفارسية حسب ما ورد في المورخ (هيرودوت) اليوناني في

تاريخه وكما كان قدرتهم الملك (دارا) وما عظم الملك المذكور الى ما كانته البلاد الكائنة

على الشاطئ الايمن من نهر السند جعلها ستراية معتمدة لعشرين وحينئذ فقد كان عدد

السترايات اى الاقاليم التابعة لسلطنة الفارسية في عهد (دارا) عبارة عن عشرين

ستراية فقط وكان المورخ (هيرودوت) المروى عنه اعلاه قد جمع سائر مبالغ

الخارج المتحصلة من الاقاليم الفارسية المذكورة وحول النقود الفارسية الى النقود

اليونانية فبلغت قيمة الواردات للدولة الفارسية من العشرين ستراية المسروقة اعلاه في

كل سنة مبلغ ١٤٥٦٠ تالانا بسكة مدينة (اتينة) وذلك يساوي بالوزن مبلغ ٨٢

مليوناً و ٧٩٩٨٦٦ فرنكا بالسكة الفرانساوية واذا نظرنا لما كانت عليه قوة

الفضة في ذلك الزمان بالنسبة لما هي عليه الآن صح لنا ان نقول ان مبلغ ايراد الدولة الفارسية

المرقوم اعلاه بضاهاى قيمة حقيقية تبلغ ٨٦٢ مليوناً و ٣٨٢٩٢٨ فرنكا

مطلب — ذكر بيان طريقة ولاية الاقاليم بالسترايات — قد كان سائر

العمال الملقين بلقب الستراب للدولة الفارسية في درجة متماوية بعضهم بغض وكانت درجة نفوذهم فيما يتعلق بالمواد العسكرية والمالية مقددة غير ان طريقة الادارة الداخلية التي كانت تجري في كل سترابية من تلك السترايات هي التي كانت مختلفة ولم تكن على وتيرة واحدة بل كانت السترايات الفارسية كما كان الحال كذلك في السلطنة الاسورية على ضربين (الاول) الاقاليم التي كانت يوضع عايمها ولاية أو عمال بطريق مباشرة من طرف السلطنة الفارسية المركزية اعني ان ادارة امورها كانت جارية على مقتضى القوانين السلطانية الاصلية و(الثاني) الاقاليم التي كانت ملحقة بها مجرد علاقة التبعية اى على وجه كونها تابعة للسلطنة الاصلية بمعنى انها كانت باقية على حالة الاستقلالية الداخلية بحيث تجري ادارة امورها بمقتضى قوانينها الخصوصية ويوضع عايمها ولاية أو عمال من اعيان طوائفها الاهلية فاما الضرب الاول فقد كان من جلته ما كان الباعث على التشديد عليه وتضييق حبل ارتباطه بقوة النفوذ المركزية وخشية ان يحصل فيه الثورات الاهلية والقيادات المالية المتكررة على الدولة السلطانية الاصلية مثل ولاية اليلدية والبابلية والميدية ومنه ما كان الباعث على التشديد عليه وجعله تحت مباشرة ادارة السلطنة العليا لداعي انهم من حيث كونها جهات ثغرية بحرية هي ذات اهمية قصوى مثل الديار المصرية وولاية السيليسية ومنهما ما كان الباعث على التشديد عليه وجعله تحت مباشرة الاوامر والنواهي السلطانية كونه قد كان قبل ذلك تحت طاعة الدولة الميدية مثل ولاية البكترية وما يليها من الولايات المجاورة لها فقد كانت طريقة سياسة السلطنة الفارسية من حيث ادارة الاقاليم التي هي من هذا الضرب جارية على مقتضى العوائد القديمة فلم يكن الستراب المتولى عايمها، قلدا فقط بقيادة الجند والموضوعين فيها للحفاظ عليها وحماية الخراج المضروب عليها بل كان منوطا اليه ايضا ادارة سائر امورها وجميع تفاصيل تدبيرها بان يقلد من طرفه سائر العمال والولاة الا لازم مباشرة سائر المصالح فيها وكان من اهم ما يوكل اليه واعظم ما يوصى عليه بأن ياتفت بالخصوص اليه ويعتني به هو العناية بالنامة في كل سترابية بمصلحة الفلاحة اذ كانت زراعة الارض من اهم ما تهتم به الامة الفارسية هذا فيما يتعلق بالسترايات الكاثنة تحت مباشرة الدولة السلطانية وأما في البلاد التي كانت تابعة للسلطنة الفارسية بمجرد علاقة التبعية فقط فقد كانت وظيفة الستراب مقتصرة في مجرد قيادة الجنود والموضوعين في القلاع والحصون والمواضع العسكرية ذات الاهمية منها للحفاظ عليها وحماية الخراج المضروب عليها وبغية الى الحراثة السلطانية لا غير ولا يتعلق له بشئ من امور الادارة الداخلية غير انه كان له حق

الحسبة والتفتيش والملاحظة بوجه عام على ولادة الامور الاهلية المنصوصين في مناصبهم الاصلية كما كانوا قبل فتح بلادهم لطاعة السلطنة الفارسية وقد كان منصب الستراب في تلك البلاد تلك الاحقاب الزمنية أشبه شيء بمنصب عمال الدولة الانجليزية الموضوعين في هذه الحقبة العصرية عند بعض ملوك الهند البليدين المسلمين باسم (راجا) بمعنى الملك البلدي المتقلد بمنصب الملك الاملى في بعض الممالك الهندية التابعة للملكة البريطانية مجرد علاقة التبعية فقط وقد كان من جملة السترابيات الفارسية سترابيتان مقيماتان على وجه بحيث كانتا متصورتين في هيئة عمالكتين كشيئتين، وولائتين تكادان ان تكونا اقرب بيما مستقلتين اذ كان الرئيس عليهما يتولاهما بطريق الثوارث وان كان يلقب كغيره من ولادة الاقاليم الفارسية بلقب الستراب غير انه لم يكن يوضع عنده عامل ينصب بطريق المباشرة من طرف الدولة السلطانية وهما السترابية الثالثة عشرة والتاسعة عشرة اعني ولاية ارمينية وولاية بنغاش فاما بلاد ارمينية فانها ادعى ما كان حاصل من الصداقة للسلطنة الفارسية من طرف ملك ارمينية المدعو باسم (تيجران) الاول ومن خلفه على سربر ملكة ارمستان كانت قد اعطيت لها هذه المزية السياسية على خلاف المعتاد في سائر الاقاليم التابعة للدولة الفارسية وأما بلاد (بنغاش) فانها وان كانت لم يسبق لها كبلاد ارمينية انها كانت ملكة مستقلة قديمة بل كانت مسكونة بمجموع اعم متفرقين واقوام بعضهم عن بعض مستقلين لغاية ان افتحها الملك (كيرش) وضعا للملكة الفارسية وكانت في ذلك الوقت قد اجتمعت وانضمت ووضع عليها ملك من فروع العائلة المالوكية الفارسية المسماة باسم (الاشيمونوسية او الكيانية) كان يدعى لبيت الملك الذي منه (دارا) بدرجة نسبة قريبة جدا فلذلك اعطيت لها أيضا هذه المزية السياسية

وفيما عدا هاتين السترابيتين المذكورتين آنفا كانت حادثة ترتيب السترابيات التي كان قد احدثها (دارا) بناء على ما كان يمارى من قبله عبارة عن كونه قد جمع كل هذه ولايات كانت محكومة أولا بعدد ولادة امور اهلية ورؤساء محلية كان اغايم يلقب أولا بلقب الملوكة وجعلها كلها سترابية واحدة اعني عمالة او خطة سياسية تابعة للدولة الفارسية وذلك لقصده ان يستوثق ولا يخشى من كبر الستراب المنسوب من طرفه عليها يتيسر له بالسهولة ان ينهز الفرصة اذا كان مستوليا على دولة واحدة من ميل تلك الملة للخر وج عن طاعة الدولة الاجنبية فيخدم معها ويحصل مصلحته ومصحتها ويخرج بذلك عن الطاعة السلطانية وبغور بالاستقلالية وكان من جملة ترتيب السترابيات بالدولة الفارسية ايضا ان الملوك التابعين للدولة السلطانية مجرد علاقة التبعية فقط لم يستمر والى عهد (دارا) على ما كان لهم في عهد اسلافه (كيرش وقهبيزش) من التصرف التام وولادة الامور العام

على محالهم بل كان دائما موضع عندهم عامل فارسي يصعب عليهم من طرف الدولة السلطانية المركزية ليكون نائبها عنها ويكون له اليد الطولى عليهم وكان له المرتبة العليا فوقهم بحسب ترتيب درجات أرباب المناصب السياسية والمراتب السلطانية الفارسية ولما كان ملك فارس في تلك الاحقاب الدهرية يوجد تحت طاعته السلطانية عدة أمراء مستولين على امارات ارضية ووجهة ملوك طوائف كثيرين كانوا له بالتبعية كان الملك الديكاني يلقب في ذلك العصر بملك الملوك أو بالملك الاعظم والا كبر

مطلب ب بيان ما ترتب على ترتيب السترايات من المترتبات — قال المؤرخ فرانسيس نو نورمان السالف الذم كرم والبيان أعلاه بعد ذلك ما مضى هكذا كانت طريقة الخطط الارضية والتقاسيم السياسية والمالية حسبما كان قدرتها (دارا) في بلاد السلطنة الفارسية وقد حصل فيه بعض تغيير وتبدل وجرى عليه بعض اصلاح وتكامل في كثير من التفاصيل غير انه بقي على حاله الاصلى واستمر على حسب الترتيب الاولى فيما يتعلق بالخطط الارضية الاصلية والاصول السياسية الاساسية لغاية ان جاء الاسكندر للاكبر وافتتح الممالك الآسية

كان من مقتضى هذا الترتيب ان الملك هو الذي ينصب السترايين ويعزلهم واول مخالفة للاوامر السلطانية كانت تعد من قبل العصيان والنبى على السلطان والخروج عن طاعة ولي الامر الفارسي فيرتب عليهم في أغلب الاحيان قتل المرتكب لذلك الذنب وأدنى حمة تكفي لضياح أى ستراي كان من ولاية الاقاليم الفارسية وذلك انه قد كان يرسل اليه مجرد السبي عند السلطان الاعظم رسول مخصوص ومعهم سند توكيل عام وترخيص تام من طرف السلطان للدرس بان يفتلوا الشخص العاصي فينفذوا الامر السلطاني على الفور من غير تأخير ولا توان وقد كانت دولة فارس لاجل سرعة المواصلات بين الاقاليم التابعة اليها قد رتبته عادة على خيول موزعة على محطات بين كل واحدة والثانية من حلة يوم كانوا يحملون اوامر الملك الى السترايين وراسلاتهم الى الدولة العليا وهذا هو ما يعرف بالبريد وهو من اختراعات (دارا) وقد كانت هذه الطريقة مما يسهل سر يان نفوذ الدولة المركزية في سائر اجزائها لفرعية ومع ما كان حاصله من ملوك فارس من الاحتراسات الشديدة والاحترازاات الكيدة اقصد مراقة احوال ولاية الاقاليم الملقين بالسترايين وامساكهم في قيود الطاعة والامثال على الدوام والاستمرار لم يتيسر لهم تدارك ما كان يكثر وقوعه منهم في تلك الاعصار من الفتن الاهلية المتكررة والحروب الداخلية المتكاثرة التي كانت قد مضت شمل السلطنة الفارسية في آخر ايامها المتأخرة وذلك ان السترايين كان قد نيط ليدهم من ولاية الامر نفوذ كبير فكان الوالد منهم ما أسر عما يقرع ورادياتها ويتأبط شراوكيرا

شخصيا ويرى لنفسه زيادة درجة من الأهمية الذاتية لسعة ما يراعى تحت طاعته من البلاد الموكولة لولايته حتى انتهى أمرهم لأن صاروا يعتبرون أنفسهم في مرتبة ملوك مستقلين وولاءاً أمور حقيقية وصارت البلاد الموكولة لعهدتهم لا عبارة عن ولايات منوطة لأمانتهم وهم فقط بمنزلة العمال عليها الدولة سلطانة عليها بل صارت لهم كأنها أملاك خصوصية يستغلونها لأنفسهم وحقا لك أرضية يتمتعون بالمنفعة ذواتهم الشخصية ولذلك تضاعفت قوة الدولة المركزية واضمحلت وتلاشت شوكة السلطنة الفارسية الأصلية واستردت وجاءت سرعة زوالها في أيام الاسكندر الأكبر فدلّت على ضعف عروة الرابطة السياسية الجانعة بين اجزائها العضوية

مطلب — ذكر شئ الفاروق من الملك (دارا) بميثاقه الفارسيين على الأمم المعروفين بالسيثيين (في سنة ٥٠٨ ق م) — وبعد أن أتم الملك (دارا) إطفاء سائر الفتن الأهلية والقيادات المليّة التي كانت قد قامت على دولته ورتب جميع بلاد سلطنته ترتيباً سياسياً جديداً رأى له من عزم الأمور السياسية وحزم الآراء الاحتراسية لأجل حفظ حالة السلم الداخلية أن يوجه همه رعاياه الجهادية وشهامتهم الحربية نحو غزوات خارجية وقد كان كبيره أيضاً يدعوه لأن يدخل في طريق الفتوحات ويشهر نفسه كملك لاهل الجهاد والغزوات وذلك أن سلفه الملك (كورش) كان قد افتتح جميع ممالك آسيا و(قبيز) ذهب يجهز جيشه إلى بلاد أفريقية فعزم هو أيضاً على أن يستولى على بلاد أوروبا ولأجل الحصول على هذا الغرض احتج بعلمته وهما أنه أراد أن يمنع من الآن فصاعداً ما كان يقع دائماً على بلاده من غارات الأقوام السيثيين وأن يقطع درجة الاعلاوية التي كانت قد تقررت لهؤلاء القبائل المتوحشين على جميع بلاد آسيا في سالف الأعصار مدة ثمان عشرة سنة من قبل عهد الملك (سياكزار) ففهم على أن يجهز تجهيزاً عظيماً ويذهب بنفسه على رأس غزوة جسيمة لشن الغارة على الأمم السيثيين

ولفظ (السيثيين) هذا هو لفظ عام وكلمة غير معينة المعنى والمرام يعبر بها عن السلاف ولا سيما عند اليونان في تلك الأيام عن جميع القبائل التي كانت تعيش بالحالة البدوية والهيئة الانحطاعية أعني القبائل الرحالين النزالين والأقوام الغير المتوطنين في أماكن ثابتة ولا في مدائن وقرى مستقرة كقبائل العرب المنحجّة من كل من كنانة وبنو قحطان في الصحارى المتسعة والبدو الكبار السكّانة على شمال البحر الأسود وجبال قوقازة وبحر الخزر وبحيرة (آرال) ويتجهون إلى ما هو أبعد من ذلك إلى جهة الشرق من أي جنس كان من الاجناس البشرية وكان هذا اللفظ يطلق عند اليونان وسائر الأمم المتقدمة في تلك الأزمان على قبائل شتى ويطبق على اقوام من أكثر ما يمكن تنوعاً وتفرقاً

من حيث الاصل والجفسية فاما السيتيون الآسيون الذين كانوا قد انتشروا كالجراد المنتشر ببلاد آسييا في عهد الملك (سياركرار) ووصلوا غاية بلاد فلسطين فقد كانوا يبقين سن التورانيين ولا شك في انهم هم اسلاف الاقوام المعروفين في الاعمار الوسطى باسم التتروا والمغول اعني الاقوام المفسدين والامم المؤذين الذين كانوا قد اخربوا البلاد ودوخوا العبادت تحت قيادة (خنكيزخان ونيجورلنك) المشهورين وهؤلاء الاقوام السيتيون السابقون هم الذين كان الملك (كيرش) قد توجه لشن الغارة عليهم فيما وراء نهر سيحون فلحقته من سيوفهم المنون ومات هناك كما تقدم ذكر ذلك واما السيتيون الاوروبيون فهم من جنس الذرية اليافقية المعبر عنها بالطبقة الهندية الاوروبية والظاهر انهم هم اصل الفرع الجرمانى بالخصوص من فروع هذه الطبقة البشرية فانهم هم اول من عرفهم اليونان فعبّر واعنهم في الاصل على وجه التخصيص بهذا اللفظ اليونانى القديم وهو لفظ (السيتيين)

ولاشك في ان ما ذكره المؤرخ (هيرودوت) اليونانى في تاريخه من الوصف الغريب والشرح الطويل العجيب لاختلاق السيتيين وعوائدهم واحوال بلادهم واما كتبهم ليس المراد منه غير الاقوام السيتيين الاوروبيين المذكورين وهم السيتيون الحقيقيون اعني القبائل الآرية الاصل الذين كانوا مقيمين بالبوادي والصحارى التى هى صحارى بلاد الروسيا الآن وكان اكثرهم اسكنا فيما بين النهر الذى كان يعرف عند القدماء باسم (لوروستين) وهو ما يدعى الآن باسم نهر (ننير) والنهر الذى كان يعرف عند السلاف باسم (لوانايس) وهو المسمى الآن باسم نهر (الدون) ببلاد اوروپة وقد كانوا في اعلى او ج من الشوكة واغوى درجة من الصولة حين شن الغارة عليهم (دارا) الفارصى ووصف احوالهم المؤرخ (هيرودوت) اليونانى ثم انحطت درجتهم واضمحل حالهم بعد ذلك في اقرب رحا جرت قبائلهم تدريجا الى جهة الشرق وآل أمر الامم السيتيين المذكورين في عهد الملك (ميتريدات) ملك (بنتش) المشهور لان صاروا لاعداد لهم ولا اعتدائهم بطريق الجند في جملة الامم الذين كان لهم حظ من العجل في الحرب والجرارية بسواحل بحر (بنتوكسان) (البحر الاسود) في تلك الاعصار وكانت ذرارهم قد انقرضت من تلك الاقطار وصارت البلاد التى كانت مساكنهم بعضها اقفار وبعضها حل فيه بدلا عنهم الاقوام (المرماتيون)

ولما أراد (دارا) ان يشن الغارة على الاقوام السيتيين من جهة شمال بحر (بنتوكسان) اجتاز يحنوده الى اقليم (طراقة) (وهو الجزء الشمالى الشرقى) من الولاية المسمى باسم (الروملى الآن) وذلك انه وضع قناطر على بوزاخ (البوسفور) (وهو المعروف ببوغاز)

القسطنطينية أو بونغازا سلام بول الآن) ورسبهم عليها وأنشأ قنطرة أخرى أيضا على نهر (طونة) واجتاز بهم كذلك عليها وأقام القوم اليونانيين الذين كانوا في ضمن جيوشه حرسا عليها وأخذ يتبع الاقوام السيتيين في تلك النواحي فلم يثبتوا امامه بل صاروا كلما دنا منهم يتباعدون وهكذا صاروا على الدوام والاستمرار ينتقلون ويرتحلون قدامه في سهول متسعة لا آخر لها حتى كادت ان تنفذ ذخائر جنوده ونفذتهم مجاعة شديدة واضطر للرجوع بجيوشه الى ورايا الشان لاجل ان لا يقع في مثل ما وقع فيه قبله (قمبيزس) من المصائب بديار مصر بل بادر بالفرار اذ كان السيتيون قد عادوا عليه بالكره لما تراءى لهم ضعفه وارادوا البطش به واهلاك جنوده بالكلية حتى ان الجيوش الفارسيين لقصد سرعة قهقهرتهم كانوا قد تركزوا في الطرقات ولم يحملوهم معهم وابتدؤا عملية عودتهم من الليل لاجل ان يمتزوا فرصة بعض ساعات يستترون فيها عن اعين العدو حيث كان قد كاد ان يلحقهم ويبطش بهم وصاروا يهربون من ملاقاته بقدر ما كانوا في اول الامر يرغبون فيها ولربما كان فرارهم هذا لا ينفعهم في شيء لولم يكن القوم اليونانيون الذين كانوا وضوهم على حراسة قنطرة نهر (طونة) قد صدقوا في حفظها واتقوا بذلك هؤلاء العساكر الفارسيين المساكين الذين كانوا قد كادوا ان يكونوا من الهالكين شهداء جراءة ملكهم وقضاء لاوطار اطماعه هذه

مطلب — ذكر ما حصل بعد من فتوحات (دارا) باقليم (طراقة) و بلاد الهند (في سنة ٥٠٦ ق م) وما لحق (دارا) من الخجل بتلك النوايب والفضب مما أصابه من تلك المصائب في غزوة السيتيين اخترق بجنوده اقليم (طراقة) واجتاز بهم بونغازا (البوسفور) وانتقل الى سواحل آسيا من عند مدينة (سستوس) (سبنين) مهملتين في أوله وهي المعجاة الآن باسم (باوا الى قلعة سي) وترك بجته أور و به جيشا يبلغ ثمانين الف مقاتل تحت قيادة (ميجابيس) بن (زوبير) احد السبعة نفر الذين كانوا قد تعصبوا معه على عزل (جوماتيس) المجوسي وقتله كما سبق ذكر ذلك في محله هنا كان من القائد (ميجابيس) المذكور الان انه نأى عن التوجه بجنوده للعرب على الاقوام السيتيين والثفت لمحاربة اهل اقليم (طراقة) فادخله تحت طاعة للدولة الفارسية بالكلية في اقل من سنة ثم شن الغارة بعد ذلك على مملكة (مقدونيا) وهي الجزء الغربي من ولاية (الروني الآن) وطلب من ملكها المتولي عليها في ذلك الزمان وهو المسمى باسم (امانتاس) الطين والماء عبارة عن طلب الاذعان والامثال لطاعته فلم يتاخر الملك المذكور ان اجابه لما طلب واذعن له بالطاعة من غير توقف كما رغبت فوضع القائد الفارسي المذكور اليد على مدينة (ديراشوق) المعجاة ايضا باسم (هوقلة) ولم تزل تعرف

هذا الاسم الاخير لغاية الآن وعلى مدينة (بيزانسة) وهي المعجمة بالقسطنطينية والاسمات
 العلية واسلامبول الآن) وهما مفتاح بؤغاز (البوسفور) من نواحي اقليم (طراقة)
 ووضع اليديا على كل من جزيرة (امبروس) (بالسين المعجمة في آخره) وهي المعجمة
 الآن باسم (امبرو) (من غير سين معجمة في آخره) وجزيرة (كينوس) وهي المعجمة
 الآن باسم (استاليمين) من جزائر بحر الارخبيل (بحر جزائر الروم)
 وفي تلك السنة بعينها كانت قد توجهت غزوة فارسية ايضا لفتح بلاد الهند فخرج جيش من
 الجنود السلطانية من اقليم (الجنديرية) التابع للسلطنة الفارسية فاطاع سائر الامم
 والاقوام القاطنين في الجهات التي يخترقها على نهر (السند) قبل ان يدخل بلاد (بنجاب)
 من سلسلة جبال الشج الهندية المعجمة بجبال (هيمالية) وانضموا بطريق التبعية الستراية
 السابعة مع بقائهم تحت ولاية ملوكهم الاصليين وولاية امورهم الاهليين كما كانوا قبل
 فتح بلادهم للدولة الفارسية ومن هناك بأمر (دارا) انشئت عمارة بحرية واسطول مركب
 من سفن فارسية على نهر السند من اخشاب بلاد (كشمير) وجعل القائد عليها امير البحر
 اليوناني الماهر الشهير باسم (سيلاكس دوكار يانده) وكان قد اشتهر في ذلك العصر بعاثائه من
 كثرة السفر في البحر فتزل بالسفن الفارسية على نهر السند لغاية مصبه من بحر الهندي وافرغها
 الى جهة المغرب حتى وصل بعد مدة ثلاثين شهرا الى نهاية البحر الاحمر اعني الى الميناء التي كان
 فرعون مصر المشهور باسم (نيخاووس) قد وجه منها السفن الفينيقية لقصدها السفر في البحر
 حول بلاد افريقية وكانت نتيجة سفر القائد (سيلاكس دوكار يانده) اليوناني المذكور
 بالاسطول الفارسي على الوجه المسطور ان امتدت يد سلطنة (دارا) على سائر البلاد
 السكائية فيما بين الشاطئ الايمن من نهر السند وجبال (بكتيان) ومن هناك كوز الستراية
 الفارسية المتجهة للعشرين ولم تجاوز الامة الفارسية الى الشاطئ الايسر من النهر المذكور
 ولم تدخل خصوصا في البلاد المعبر عنها الآن باسم (بنجاب) بمعنى الخمسة الانهار من تلك
 الاقطار حيث كانت يسكنها في تلك الاعصار اقوام اولو احرب وجهاد وأمم ارباب شجاعة
 وجلاد كان الاسكندر الاكبر هو اول من فاز بفجر ادخالهم تحت طاعته وحاز ذكر
 اسمهم في دائرة سلطنته

ولم يكتف (دارا) بالاقصاء على جميع هذه التوسعات الملكية والتمسكات الارضية من
 الاقطار بل كان لما وصل الى حدود الممالك الادروية القائمة في تلك النواحي بتلك الاعصار
 تعلقت مطامعه ايضا بأن يفتح اقطار اخرى من تلك الجهات اوسع وابرج من اقليم (طراقة)
 و (مقدونيا) واراد ان يطبع لدولته ذات ملكة اليونان الاصلية السكائية على السواحل
 البحرية من تلك البلدان فتعلل اشن الغارة عليها بعله خروج عن الطاعة السلطانية الفارسية

حصل من بعض الطغاة اليونانيين المتملكين على بلاد (اليونية) (أى المدن اليونانية الكائنة على السواحل الآسية) وكان قد خشي على نفسه من (غضب دارا) فغصى عليه ونخرج عن طاعته وكان الاثينيون أى أهل مدينة (اثينة) قاعدة مملكة اليونان الأصلية قد ساعدوه عليه مدة حقبة من الزمن وان كان أمدا هم له ضعيفا خالبا عن القوة والحزم ومن ثم صارت مملكة اليونان دون غيرهما من سائر البلدان عند الملك الفارسي هي مرمى اشتغال البال ومحط رحال الحرب والقتال وترتب على ذلك انه تورط في تلك المنازعة الطويلة والحرب العوان الثقيلة التي اشتهرت بين فارس واليونان في ذلك الزمان بقوة الجيوش من الطرفين وبمباغت عليهما من البواعث السياسية من الجانبين حتى استمرت على الدوام تقريبا مائة قرن ونصف من الدهر وترتب عليها في ذلك العصر خراب مملكة فارس وزوالها بالكلية وتحويل احوال بلاد آسيا الغربية بتأثير قوة الفنون والصنایع المتدنية الاثينية وقوة اللغة اليونانية وهذه المدة هي المشهورة على اسان أهل التواريخ اليونانية والاور وية بهد الحروب الميديدية بمعنى الفارسية وهي عبارة عن الحروب التي حصلت بين ملوك فارس واليونان في القرن الخامس قبل ميلاد المسيح عليه السلام وكان ميذاها في عهد (دارا) بن جومستاب هذا وهو (دارا الاول) ولذلك لزمنا ان نقف هنا من تاريخ دولة فارس على هذا العهد وبقيته تأتى في ضمن باب تاريخ اليونان الآتى بعد لان تاريخ بلاد المشرق من أوائل عهد الحروب الميديدية في الحقيقة وعلى وجه الاصل انقطاع ولا يكون من الآن فصاعدا الا عبارة عن حوادث قد ذكر بطريق التبعية لتاريخ اليونان حيث يكون تاريخ اليونان من الآن هو تاريخ الهند والعمران (انتهى الى هنا ما عربا من تاريخ بلاد المشرق والهند للمؤرخ فرانديس لونورمان)

تذييل

يتضمن بعض قوائد تفصيلية ومساائل تكميلية مما يتعلق باحوال الدولة الفارسية

(معر بما من تاريخ المعلم (فرانديس لونورمان) الكبير)

المسألة الاولى — ماذا يؤثر عن (دارا) ومن سبقه من ملوك دولة فارس السالفين من الابنية والعمارات الماثورة عنهم في تلك الاوقات — قال المعلم فرانديس لونورمان في تاريخه الكبير المتقدم الذكر والبيان في هذا الشأن اعلاما تعريبيه ادناه قد كان من عيوب ترتيب الدولة الفارسية مع ما كانت عليه من عدم البلوغ لدرجة السكمال

بعد في عهد كل من الملك (كيرش) والملك (قبيز) انهم لم يكن لهم اقامة سلطنة ثابتة ولا كرسي ملكية معين يقيم فيه ارباب الدولة المركزية بل كان هذان الملكان الاولان يعيشان عيشة تكاد ان تكون انتجاعية بمعنى رحالة تراه في حالته على الدوام اتية منتحبة فكانا تارة يقيمون في ناحية وتارة في اخرى من نواحي سلطنتهما المتسعة اما الملك (كيرش) فكان قد ثبت في المدينة التي كانت تدعى في ذلك العصر باسم (ايكباتان) (وهي همدان الآن) وكانت اقامته في القصر الملوكي الذي كان قد شيده لنفسه الملك (ديجوسيس) كما تقدم ذكر ذلك في موضعه من هذا الكتاب واما الملك (قبيز) فلم يكن قد خرج من ديار مصر منذ افتتحها حتى مات وكانت حادثة تعدى (سمرديس) (المجوسى) على سرير الملك الفارسي قد دلت على ما كان يوجد في تلك الحالة من الخطر من وجهين (احدهما) في طول اقامة الملك في احدى نهايات حدود مملكته و (الثاني) في جعل مركز السلطنة الفارسية ببلاد الميديين مع كونهم لم يزالوا يحملون باسئداد ما كانوا يزعمونه من انه قد كان اهم الدولة العظمى واليد العليا على القوم الفارسيين وان القوم الفارسيين انما اغتصبوها منهم واستولوا عليها بدلا عنهم ولذلك لما جاء الملك (دارا) واراد ان يرتب احوال الدولة الفارسية على وجه بحيث يعطى للصولة الملوكية زيادة قوة احس بشدة ضرورة ان يجعل لمملكته قاعدة ثابتة مستقرة وبعض اسلطنته نقطة مركزية مستقرة فانخب لقضاء هذا القصد مدينة (سوس) وهي المسماة الآن باسم (شوستير) لكونها قد كانت معتمدة من جهة على ولاية فارستان الاصلية التي كان فيها مركز قوة السلطنة الفارسية الحقيقية ومن جهة اخرى كانت قريبة من مدينة بابل ومن بلاد الميديه وموضوعة على ابعاد متساوية من نهاية حدود بلاد سلطنته المتسعة من المشرق الى المغرب وشيد فيها قصر املوكيا عظيم ما فخر اصاره بذلك محل سكنته سائر الملوك الكبار حين اذا كانوا يسافرون على رأس جيوشهم في الغزوات البعيدة وكان (دارا) قد اسس ايضا في وسط ولاية فارستان الاصلية المدينة المسماة في ذلك العصر باسم (پرسبوليس) او (فارسفرا) وهي المسماة الآن باسم (اينشيلينار) (بمعنى الاربعين عمودا) لقصد ان تكون مقبرة لمدافن ارباب عائلته الملوكية وبني فيها ايضا قصر املوكيا متسعا

اما قصر (سوس) فكان قد حفر عليه منذ بعض سنوات القائد الانجليزي المسمى باسم (الجنرال ويليام) المشهور بالدفع عن مدينه (كارمر) (السكاتية ببلاد الارمن على حدود الدولة العثمانية من جهة دولة ايران الآن) والسائح الانجليزي المشهور باسم (نوفوس) فلم يجد منه غير اطلال واهية وآثار بالية غير انهم لم تزل تدل على ما كان لفن العمارة الفارسية من الصفات الاصلية المميزة لها عن غيرها من انواع العمارات التي كانت الادم السالفين واما قصر (پرسبوليس) وهي التي كانت تسمى عند الفارسيين المتأخرين باسم (اسفخار)

فان اكثر بنيانه هو لغاية الان قائم على جدراننه وكل من اطلع عليه من السباحين منذ قرون عديدة عجب له واستغربه غرابية شديدة وهو موصوف في كتب التواريخ المطولة بما لا يسع هذا الدرس المختصر ان يحيط به من البيانات المفصلة

المسألة الثانية — كيف كان فن التمثيل والتصوير والعمارة عند الامم الفارسيين في سالف العصور — قال المؤرخ قرانيس لوفورمان في تاريخه الكبير ما تعريه كما هو بعد مذكور

قد كان فن التمثيل والتصوير الفارسي حسبما يظهر لنا من التأمل في العمارات المذكورة والنظر في تلك الآثار التي هي عندهم مأثورة متولدة بطريق المباشرة عن فن التصوير الاسوري القديم وانه منسوخ على صورته وان الفرع ليس دون الاصل بل ربما كان تفرعه اعلى واسلم وضرب قلم النقش فيه اطلق واتقن واعلم وتناسب الاجزاء العضوية من البنية البشرية اضبط واكثر مراعاة واحوط ولكن الامر الذي يظهر ان الفارسيين كانوا فيه بالحقيقة مخترعين وفي الواقع ونفس الامر مبتدعين في تلك الازمان هو فن العمارة والبنين نعم لاشك في انهم كانوا قد استعاروا ايضا كثيرا من غموضات فن العمارة والبنين الذي كان متبعاً في مدينة (نينوى) عند الاسوريين مثل طريقة السطوح المدرجة والنقوش المفروغة في داخل الحجرات على صورة سلاسل غير منقطعة من الاشكال والهيئات ورسم الابواب المصورة على جوانبها صورة أئوار ذات اجنحة وغير ذلك من الكيفيات فكل ذلك لابد من ان قد كان مأخوذاً عن الاسوريين غير ان اقوم الفارسيين كما كانوا يقتدون بغيرهم كانوا كذلك يفتخرون ويخترعون ويختلفون في فن العمارة ويتدهون قائمهم قد غيروا فن العمارة عندهم تغييرا كلياً وذلك انهم لم يبنوا ابنتهم من الاجر ولا من المدامج المصطنعة من الطين التي كما كان ذلك شأن البناء عند بني بابل ونيوى بل كانوا يتخذون مواد ابنتهم كلها سواء الحيطان والاعمدة من الرمر الجميل المسخر من جبال فارس الاصلية دون غيره من سائر المواد والمهمات الحمازية وكانوا يفتخرونه مع غاية الضبط والدقة ويصقلونه صقلاً عجيبياً وأما القوف والحجرات فكانوا يفتخرونها من الخشب ويطلونها بانواع الالوان ويكون بعضها بافتاح المعادن ومع ذلك فاعجب شيء ان فردت به طريقة العمار الفارسية واختصت به دون غيرها من طرق العمارات التي كانت مستعملة عند الامم المتقدمة هو كيفية وضع الاعمدة وذلك ان الاعمدة توجد بكثرة بليغة جداً في بناء قصر مدينة (سوس) وقصر مدينة (برسبوليس) وكلها على وتيرة واحدة وهيئة متحدة وحيث كانت اعمدهم لا تحمل الاثقال خفيفاً جداً لانهم كانوا لا يبنون ابنتهم على طبقات متعددة وكانت ابنتهم الصلوية هيخذت اثماً من الخشب كان العمود عندهم يرتفع الى درجة عظيمة وخفة بليغة

جدا كأنه جُدع شجرة ارتفع في الجولأ أخذ حظه من الهواء والشمس ولم يتفق لأفة من الامم
 المالفين انهارت في اينتها اعدة الى هذا الحد من الارتفاع وشيدت مع هذه الدرجة
 لبليغة من الظرافة والابتداع فان الاعداء التي حمل العثور عليها في قصر مدينة (برسبوليس)
 يبلغ ارتفاعها نصف قطر فاعدتها ثلاث مرات ويظهر عليها انها مصطنعة من الحجر
 على منوال اعمدة قد كانت متخذة من الخشب الخفيف وتتميز تلك الاعمدة خضوصاهن
 طريقة المساند التي كان يستعملها المصريون واليونان والاسوريون بما كانت عليه كيفية
 صناعة رؤسها من الترتيب العجيب والتنظيم الغريب وذلك انهم كانوا يصنعون رؤس
 اعمدهم مسطيلة جدا على وجه بحيث تنسج كالمار ترفع على عدة طبقات من قباب توضع
 بعضها فوق بعض متعكسة حتى تنتهي بصورة مقدم ثور يرتكز عليها خشاب الخرجة
 البارزة من البناء وبالجملة فان فن العمارة الفارسية هو نتيج وحده وفن فريد لا يوجد
 ما يضاهيه ولا يهدم ما يحكيه في فنون الفهارات القديمة من حيث كونه قد جمع بين
 الظرافة والعظمة

المسألة الثالثة — باي لغة كان تحرير الدفاتر الديوانية والاوامر السلطانية والوثائق
 العمومية بديوان الدولة الفارسية في عهد (دارا) وما هو الخط الفارسي القديم — قال
 المؤرخ المروى اعلاه انه لما كان الملك (دارا) قد استولى على بلاد متنوعة وامم مختلفة اللغات
 والاجناس جدا اضطر في ترتيب دولته لان يتبع الطريقة القديمة التي كانت مستعملة من قبله
 عند الملوك النينويين وفي تحرير الدفاتر الديوانية والوثائق العمومية بعدة السن مختلفة
 واتخذ لعدة لغات متنوعة بصفة اللغات الرسمية بمعنى الديوانية فكانت الاوامر الملوكية
 والوثائق العمومية الصادرة من لدن الدولة الفارسية في تلك الاحقاب العصرية تفسر
 في البلاد الكائنة على سواحل آسيا الصغرى باللغة اليونانية وفي بلاد القبادوسية
 و (سيليسيا) و (سورية) و (فلسطين) باللغة الارمنية وفي ديار مصر باللغة المصرية وتكتب
 بقلم الكتابة الهيروغليفية كما كان الحال كذلك في عهد الدولة الفرعونية الاصلية سواء
 بسواء واما في بلاد آسيا الوسطانية فقد عثر على الآثار الماثورة عن ملوك الدولة السكيانية
 من عهد (كيرش) لغاية عهد (دارا الثاني) الملقب بلقب (نوتوس) مسطرة بثلاث لغات كلها
 مرسومة بنوع الخط الساني وهي اللغة الفارسية الاصلية واللغة التوراتية الميديية واللغة
 الاسورية وقد اسلفنا الكلام فيما تقدم على كيفية الخط الساني الذي كان يكتب به كل
 من هاتين اللغتين الاخيرتين فلا حاجة لتكراره هنا واما اللغة الفارسية الاصلية فانها كانت
 مبنية لهما بالكتابة ولم يكن لها مشاركة مع الخط الاسوري القديم الذي كان مستعملا في مدينتي
 نينوى و بابل الامن حيث انهما رسم سائر الاجزاء التي تتركب منها الحروف على هيئة سنان

الدرس الثام ٣٤٢ في التاريخ العام

الرمع او الخمبار فقط وقد كان اول من وقف على قراءته واثبت قيمة بعض العلامات الدالة على حروفه هو العالم الالماني المشهور باسم (جروانغند) الذي هو من مدينة (هانوره) ببلاد المانيا ثم اقتفى اثره مع النجاح في ذلك كل من العالم الفرانساوى المعروف باسم (سمنارتان) والعالم الدانيمارقي المعروف باسم (باسك) والذي تم الوقوف على حقيقة الخط الفارسي القديم المذكور وجعل هذه المادة من قبيل الاستكشافات العلمية التي ما ر الحاصل عايتها بالطريقة القطعية هو ما حصل في هذا الشأن في سنة ١٨٣٦ الميلادية من الاشغال البحثية بالمجادل من العالمين الفرانساوىين المعروفين باسم (أوجين بورنوف) و (الموسيو لاسان) وجاء كل من (الدكتور هانكس) و (السير هنرى راولنسون) الانجليز بين فاشتغلا ايضا بالبحث عن طريقة كتابة الخط الفارسي القديم ثم جاء العالم الفرانساوى الشهير باسم (الموسيو اوبير) فوضح ما كان قد بقي غامضا للغاية الآن من مسائل هذا الشأن والظاهر ان اول منشأ هذا الخط قد كان ببلاد (البكتريه) وانه قد كان في اول الامر من كبار مقاطع حربية ولكن ما عثر عليه من الآثار المكتوبة في عهد الدولة السكيانية لم يكن بهذه الصفة بل هو من كتب مجرد حروف هجائية تبلغ ستة وثلاثين حرفا وكيفية رسمها كرسوم صورة الحروف الهيوري بجليقية المصرية والسناثية الاسورية القديمة توجد في كتب التواريخ المطولة (انتهى من كتاب تاريخ بلاد المشرق الكبير للثورخ فرانسيس لورنومان)



الدرس التام ٣٤٣ في التاريخ العام
مسائل

تتضمن على وجه الاختصار ما تقدم في هذا الباب الخامس من الفوائد والافكار

١ — ما اصل ما خلده هذا الباب

افكار تقديميه وفوائد عمومية

٢ — كيف يقتضى ان يستبرأ البحث عن نواحيج سائر الامم المتقدمين بالنسبة الى تاريخ مصر عندنا معاشر المصريين

مقدمة

- ٣ — ما حدود بلاد الميديّة
٤ — ما حدود بلاد فارس والى كم سترابية كانت تنقسم في عهد (دارا) الاول
٥ — ما اوصاف مملكة فارس الطبيعية وما بعض احوالها المحلية
٦ — ما اقسام مملكة فارس السياسية وما بعض احوالها في هذه الاحقاب العصرية
٧ — ما جغرافية ارض فارس التاريخية ومقاباتها بما استجد من الاسماء والحداثة في هذه الاحقاب العصرية

الفصل الاول

- ٨ — ما ذا يذكر عن الآريين الاولين الذين هم اصل القوم الفارسيين
٩ — ما ذا يذكر من اخلاق القوم الآريين الاقدمين حسب ما تحقق عند علماء الاقرب فيج المتأخرين
١٠ — كيف كانت حالة العائلة والملة عند القوم الآريين السالفين وبني يافث المتقدمين
١١ — كيف كانت ديانة الامم الآريين السالفين وعبادة الملل الياقثيين المتقدمين
١٢ — ما قصة مهاجرة القبائل الياقثية الى الاقطار المغربية وكيفية رحلتهم الى الاراضى الاوروبية وماذا يفهم من احوالهم حسب ما علم من الكتب الويدية
١٣ — ما ذا ثبت من تاريخ (زردشت) ومذهب ديانتته وشرح حاله وملته
١٤ — ما المراد من (اورموزد) و (اهريمان) وما حقيقة ما انبث عليه منهما دين (زردشت) في سالف الزمان

١٥ — ماذا يذكر عن حادثة تفرق الآريين المشرقيين إلى فرقتين وتوجههم إلى ناحيتين متعارضتين

الفصل الثاني

١٦ — ماذا يذكر عن الميديين الآريين والثورانيين وكيف كانت منازعة القومين ومقاومة الخصمين المذكورين

١٧ — ما حقيقة دين المجوسية وهل هو غير دين الزردية أم كيف الجبال

١٨ — ما قصة استيلاء الدولة الآسورية على بلاد الميديه

ذكر الدولة الميديه

١٩ — ماذا يذكر عن (أرباس) والدولة الجهورية الميديه وكيف كانت حالتها الأولية

٢٠ — ماذا يذكر عن الحكيم (ديجوسيس) وكيف كان منشأ أثره، الملك لاد الميديه

٢١ — ماذا يذكر عن الملك (فرارووت) وما حدث في عهده من السلطنة الميديه الكبيرة

٢٢ — ماذا يذكر عن الملك (سيكزار) من الاخبار وما توجه اليه عزمه من خراب مدينة (نينوى) في تلك الأعصار

٢٣ — ما قصة غارة الأفوام السيتيين على بلاد الميديين

٢٤ — ماذا حصل بعد ذلك للملك (سيكزار) من الحوادث والاخبار

٢٥ — ماذا يذكر عن الملك (استياج) وكيف كان منشأ الملك (كبرش أوقيروس) المذكور وما قصة ماترب عليه من زوال دولة الميديين في تلك الأعصار

الفصل الثالث

٢٦ — ماذا يذكر من اخبار فتوحات الملك (كبرش) لبلاد وقصة تدوينه للعباد

٢٧ — ما قصة الملك (كريزوس) ملك ليديا وماذا يحكى عنه من قضية استشارته لكاهنة (ديلفوس)

٢٨ — كيف كانت هزيمة الملك (كريزوس) وزوال دولة الليديين على يد الملك (كبرش أوقيروس)

٢٩ — ما قصة فتح مدائن يونيا واستيلاء دولة فارس على سائر الامم والاقوام المتوطنين ببلاد آسيا العليا

٣٠ — ما قصة زوال دولة آسور على يد الملك (كبرش) المذكور

- ٣١ - كيف كانت خاتمة الملك (كبرش أو قيروس) وما قصة مكيدته ووفاته في واقعة حربية مع الملكة (توميريس)
- ٣٢ - ماذا يدكر عن الملك (قمبيز أو قمبزش) فاتح الديار المصرية وما قصة فتح هذه الديار المصرية بالجنود الفارسية ودكر (فائيس) احد قواد الفرقة العسكرية اليونانية المؤجرة للدولة المصرية
- ٣٣ - كيف كان سلوك الملك (قمبزش) بديار مصر لما استولى عليها في ذلك العصر
- ٣٤ - ما قصة غزوة الملك (قمبزش) بلاد الايتيوية وفي واقعة (آمون) بالصحارى الليبية
- ٣٥ - ما قصة ما عثرى الملك (قمبزش) من الجنون في ديار مصر بلداً في العصر
- ٣٦ - ما قصة الفتن الاهلية والحن الداخلية التي حصلت بالدولة الفارسية من طائفة المجوسية بمدة غياب الملك (قمبزش) في ديار مصر وكيف كان تعدى (جوماتيس) المجوسى على سرب الملك الفارسي وكيف كانت وفاة (قمبزش) في ذلك العصر
- ٣٧ - ماذا يدكر عن مدة استيلاء (جوماتيس) باسم (سمرديس) وكيف كان استيلاء (دارا اودرايوس) على سرب ملكة فارس
- ٣٨ - ما قصة ما حصل من الفتن والعصيان في سلطنة فارس بتلك الازمان حسبما نصها المؤرخ اليوناني (هيرودوت) وما حقيقة الاثر القديم المعروف باثر جيل (يهستون)
- ٣٩ - كيف كان ترتيب الاسترايبات بالدولة الفارسية حسبما كان قدرتها (دارا) ونص عليها المؤرخ (هيرودوت) وماذا دكر فيما يتعلق بتقدير مبلغ الخراج الواردها للدولة الفارسية في تلك الحقبة العصرية
- ٤٠ - كيف كانت طريقة ولاية الاقاليم الفارسية بالاسترايبات والى كم ضرب كانت تنقسم الولايات الفارسية في تلك الاوقات
- ٤١ - ماذا ترتب على ترتيب الاسترايبات من النتائج والمترتبات
- ٤٢ - ما معنى البر يدوم كان اول من ابتدعه في الدولة الفارسية
- ٤٣ - ما قصة غارة الجنود الفارسيين على الامم والاقوام المعروفين عند اليونان باسم (السيثيين) وماذا كان المراد بهذا اللفظ عند الامم المتقدمين وذكر

الدور الثام ٣٤٦ في التاريخ للعام
(السيئين الاورو بين والاسيين)

- ٤٤ — ماقصة ما حصل فيما بعد من فتوحات (دارا) باقليم (طراقة) وبلاد الهند
وذ كرامير البحر الديونا في المشهور في تلك المدة باسم (سيلاكس دو كار يانده)
٤٥ — ما المراد بما اشتهر في عرف اهل التاريخ بعهد الحروب الميديه ولما ذاقفنا هاتمان
تاريخ دولة فارس على هذه المدة التاريخية

تذييل

- ٤٦ — المسألة الاولى — ماذا يؤثر عن الملك (دارا) ومن سبقه من ملوك دولة
فارس السالطين من الابنية والعمارات الماثورة عنهم في تلك الاوقات
٤٧ — المسألة الثانية — كيف كان فن التمثيل والتصوير والعمارة عند الامم
افارسيين في سالف العصور
٤٨ — المسألة الثالثة — بأى لغة كان تحرير الدفاتر الديوانية والاوامر السلطانية
والوثائق العمومية بديوان الدولة الفارسية في عهد الملك (دارا) الاول
وما هو الخط الفارسي القديم



الباب السادس

في تاريخ الفنيقيين او المصوريين وقدماسواحل الشام السالفين

واصل ما أخذ هذا الباب الاصلية من امرين
(الاول) التأليفات العمومية والتحققات التاريخية العلمية التي كتبها بعض علماء الافرنج
المتأخرين فيما يتعلق بمجموع احوال الكنعانيين وسكان بلاد الفنيقية المتقدمين
(الثاني) الرسائل الخاصة وصية التي انقلها بعض علماء الافرنج المذكورين فيما يتعلق بكشف
احوال بعض الآثار القديمة التي حصل العثور عليها في هذه الاعصار المراهنة من آثار هؤلاء
الامم السالفين

مقدمة

في بيان اصل الفنيقيين وتاريخ المدائن التي كانوا فيها متوطنين
(معر: بان مختصر تاريخ الامم الشرقية والهند للأورخ فرانسيس لونورمان)

مطلب — بيان اصل الفنيقيين — قال المؤرخ فرانسيس لونورمان
في مختصر تاريخ الامم الشرقية والهند ما تعريبه بعد — ان اصل الفنيقيين كما هو نص
العبارة الواردة في الباب العاشر من سفر الخلق من التوراة وكما كانوا هم انفسهم يقولون به
في سالف الاوقات وكانت ذرارهم قد حكموه لاحد احبار النصارى المشهور باسم
(سنتوغوستان) حينما نص عليه في الكتب المأثورة عنه هم من نسل (كنعان) الذي هو
من نسل حام بن نوح عليه السلام كما روى في نصوص التوراة غير ان بني كنعان لم يقتصروا
في الفنيقيين فقط بل كانوا اقرب وعامة فرعين كان منهم هؤلاء الفنيقيون وكان هذا الفرع قد
تكون من اول الامر في صورة وجودية منفردة عن سائر الفروع الكنعانيين وكان هو
أشهرهم واكبرهم وآخرهم انقرضوا واقدروهم

مطلب — ذكر اصل الكنعانيين وكيفية مهاجرتهم من الاوطان التي كانوا فيها
في اول الامر متوطنين — وقد كانت مدائن الكنعانيين من اول الامر على سواحل
الخليج الفارسي في اقليم بلاد العرب المعروف الآن باسم (القطيف أو البحرين) وفي جزائر
البحرين وقد كانت اثنتان متمما تسمى احدهما في ذلك العصر باسم (صور) والثانية باسم
(ارواد) ولما انتقل الكنعانيون من تلك الاماكن فيما بعد كانوا قد اخذوا هذين المقتلين ومعهم
بعض اماكن من بلاد فلسطين حين انتقلوا اليها وتوطنوا فيها وعلى نحو ٣٥٠٠ سنة تقريبا
قبل الميلاد كانوا قد اضطروا للخروج من مساكنهم الاولى هذه اما لانهما زلزلا ارضية

وقعت فيها فخرجتهم منها كما ذكر بعض الروايات واما كما ذكر رواية اخرى لدا هي اجبارهم على الخروج منها عقب واقعة حربية وقعت عليهم من بعض ملوك بابل وكانوا قد اتصروا عليهم فيها فاضطروا للمهاجرة من اوطانهم الاصلية وهاجروا كلهم منها واخترقوا بلاد العرب في سالف الازمان سائرين في الطريق الاصلية التي لم تزل القوافل تسير فيها من تلك الاقطار لغاية الآن حيث كانت هي التي توجد فيها أبار الماء العذب الذي يلزم لسقي المسافرين ودوابهم وصاروا يرتحلون من واحة الى أخرى من تلك الصحارى حتى وصلوا الى بلاد فلسطين على القرب من بحيرة (طبرية) وقد كان ذلك هو آخر مدى هجرتهم ولما استقروا ببلاد الشام تغلبوا على تلك البلاد وضموا اليه وعليه واقترقوا هذه الى اربعة فروع (احدهما) تكون من عدة اقوام مختلفة وقبائل متنوعة منهم واقاموا ببلاد فلسطين و(الثاني) توطن على السواحل الشامية فيما بين جبل لبنان والبحر المتوسط الابيض (بحر سفيدي) و(الثالث) تعمق الى جهة الشمال واستقر بوادي (الاورونت) و(دونهن العاضى) وهذا الفرع عبارة عن اكثر القبيلة المعروفة باسم (الهيثيين) (بالتاء المشددة الفوقية او التاء المثلثة) وقد كانت هذه القبيلة في ذلك العصر هي اقوى سائر القبائل السكنايين شوكه واشدهم صولة و (الرابع) كان قد اغار على الديار المصرية مسترشدا بجماعة من القوم الهيثيين المذكورين فاستولوا عليها معهم مدة حقبة من الدهر وتأسس منهم فيها السلالة الملكية المعروفة بالملوك الرعاة (او الملوك الحاملة)

وقد كان استيطان السكنايين ببلاد فلسطين من قبل نزول ابراهيم عليه السلام فيها اذ كان قد وجدهم مستولين على سائر تلك القطر فعاش بين اظهريهم فيها مدة حقبة من الدهر

مطلب — ما المراد من لفظ الفنيقية وتعريف ما كان يوجد فيها من المدن الاصلية — اما لفظ (فنيقية) فهو كلمة يونانية تكتب وينطق بها في الاصل بلفظ (فنيسيا) (بالسين المائلة بدل القاف المشددة) وقد جرت عادة المعربين في هذا العصر ان يقبلوا السين قافا ولذلك صارت (فنيقية) ولم يعلم اصل اشتقاقها وأخذها لغاية الان غير ان المعلوم ان لفظ (الفنيقيين) لا يوافق على سائر الاقوام السكنايين الذين توطنوا في نواحي الشام الجنوبية كلهم بل على السكنايين البحريين اى المتوطنين على سواحل البحر فقط وهم الذين قد كان لهم صولة وجوده منغزلة من غيرهم من سائر الاقوام السكنايين بالكلية وحينئذ فالمراد من لفظ (الفنيقية) في اصطلاح اهل التاريخ او الجغرافية المدرسية هو هذا القطر الضيق جدا المنحصر فيما بين الجبل والبحر ممتدا شمالا من اول جزيرة (ارواد) لغاية مدينة (هكّة) جنوبا وهو يشمل على الاراضى التي كانت يهيم بها في تلك الاعصار باراضى تلك القوم (الاروايين) و(السييريين) و(الصيداويين)

وهذا القطر هو الذي نرى يدان نشغل بتأريخه في هذا الباب غير أننا قبل أن نقص مختصر الحوادث القديمة التي وقعت فيمرأينا من النافع أن نذكر هنا على سبيل التقديم بعض ما يتعلق به من المسائل الجغرافية وتعداد مدائن القديمة الأصلية وتبتدى من جهة الشمال فنقول أن أول ما يسد ولناظر من تلك الجهة هو الجزيرة التي كانت تدعى في سالف الأزمان باسم (أرادوس) ولم تزل تعرف لغاية الآن باسم (أرواد) وهو ذلك الاسم بعينه مع بعض تحريف اعتراه وهي موضوعة على القرب من الساحل تحت عين درجة الطول التي توجد عليها مدينة (شيتي أولانكا)، التي هي إحدى مدنى جزيرة (قبرص) وهي جزيرة ضيقة جدا فلذلك كانت أرضها مستغرقة بموضع مدينة كانت توجد فيها تسمى مدينة (أرادوس وأرواد) وقد كانت هي قاعدة مملكة الأرواديين السابقين وكانت هذه المملكة عبارة عن المدينة المذكورة مع مدينتين أخريين كانتين على الساحل القريب منها كانتا بالتبعية إليها وهما (أولا) مدينة (أنتارادوس) (وهي المعروفة باسم (طرطوش) الآن) وفي السهل الذي توجد فيه هذه المدينة الأخيرة يظهر أنه قد كان وضع مقبرة أموات تلك المدينة الكائنة بالجزيرة المذكورة (ثانيا) مدينة (ماراتوس) وهي المعروفة الآن باسم (عريض) وفيها يشاهد أعظم آثار من العمارة الفنية التي بقيت لغاية عصرنا هذا وقد كانت مملكة الأرواد يبر هذه أعنى مدينة (أرواد) والمدينتين التابعتين لها على السواحل القريبة منها بعد أن انضمت إلى مملكة الهيدايير لم يزل لها ملك مخصوص ملحق بطريق التبعية للملك الأكبر الذي كان له درجة الاعلوية على سائر بلاد الفنيقية

ثم إلى جهة الجنوب وعلى القرب من مصب النهر الذي كان يسمى في ذلك العصر باسم (أيلوتيروس) وهو المعروف الآن بالنهر الكبير كانت توجد المدينة المسماة باسم (سيميرا) (وهي المسماة الآن باسم (سمرة) وقد كانت هي قاعدة مملكة السيميريين وهي وإن كانت قد دخلت في ضمن المحالفة الفنيقية قد كان لها كما كان لمدينة (أرواد) المذكورة قبائلا ملكا مخصوصا وفي عهد المملكة اليونانية والسلطنة الرومانية كانت هذه المدينة العتيقة قد فقدت درجة عظمتها الأولية وانتقلت حالة أهميتها الأصلية إلى مدينة أخرى كانت تدعى باسم (أورتوريا) ثم فيما يلي ذلك إلى جهة الجنوب أيضا يوجد المكان الذي كان قد أسس فيه كل من أهالي (أرواد) و (صيدا) و (صور) ثلاث عمارات متجاورة ومعمودة في ذلك العصر باسم (تريبوليس) (ومعناها المدن الثلاثة) وهي المحرفة الآن باسم (طرابلس) وبعد ذلك ندخل في أرض الامة القديمة التي هي من ضمن الأقاليم الفنيقيين وهي التي كانت تعرف في قديم الأعمار بالصيدا وبينهم كما هو عين نص التوراة (إنشاء كنعان البكر يون) وقد كانت أرض الفنيقية في أول الأمر محدودة بنهاية أرض المملكة الهيدايوية المذكورة

وأول مدينة يبدو ولناظر منها لهذه الجهة هي المدينة التي كانت تسمى في ذلك العصر باسم (بوتر يس) وهي التي تعرف الآن باسم (بثرون) ثم مدينة (الجيل) وهي التي كانت تسمى عند اليونان باسم (يلوس) وتعرف الآن باسم (جبيل) (بصيغة التصغير) وقد كانت تابعة لمدينة (بوتريس) المذكورة قبلها وكانت مدينة (الجيل) هذه مدينة مقدسة وحرما مكرما ومحترما يصعد اليه اقصى اذكار العقائد الحرافية التي كانت هي دين الاقوام الفنيقيين في تلك الاعصار وكان لهم فيها موسم سنوي يشهرون فيه اسرار مشهورة عندهم تعظيما لعبودهم المسمى باسم (آدونيس) ثم يلي ذلك فننازلا الى جهة الجنوب أيضا المدينة التي كانت تسمى - منذ ذلك باسم (بيريت) وهي المعروفة الآن باسم (بهرت) وقد كانت في ذلك العصر كرسى مملكة ولم تزل في كل عصر من الاعصار فرصة بحر يه عظيمة وميناء تجارية جسيمة ثم قلما المدينة التي كانت تسمى في ذلك العصر باسم (صيدون) وهي التي تعرف الآن باسم (صيدا) وقد كانت كذلك في سالف الأزمان مدينة عظيمة وكرمى بمملكة جسيمة ولكنها قد آلت الآن الى حالة - غير مجدا ولم يبق من الآثار الدالة على عظمتها القديمة غير بقايا مقبرة منسعة جسيمة توجد هناك واصل لفظ (صيدا) مشتق من الصيد وذلك يدل على ان هذه الصناعة هي أول صناعة اتخذها أول سكان تلك الاوطان بمجرد ان توطنوا على ساحل البحر وفيه ثم نواعى فن الملاحة بمعنى السفر في البحر الملح وقد كانت هذه المدينة هي أقدم مدن الفنيقيين وكانوا يلقبون بها بلقب (أم سائر المدن الفينيقية الاخرى) ما عدا مدينة (الجيل) فانهار بما لم تكن من جملة مدن الفنيقيين الاصليين بل كانت من مدن السيفيين (بالنون الموحدة الفوقية في وسطه وهم قوم اخرون من الكنعانيين) وعلى جنوب (صيدا) توجد المدينة التي كانت تدعى باسم (سار يبطا) وهي التي تعرف الآن باسم (سرفند) وقد كانت في سالف الدهر مدينة ذات ثروة كبيرة ودرجة من العظمة والاهمية لا بأس بها ولا سيما في الاعصار الغابرة جدا ثم صارت في القرن الثاني عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام تابعة من حيث السيادة لمدينة (صور) ثم مدينة (صور) هذه وقد كانت هذه المدينة الاخيرة مدة حقبة مديدة من مدة تاريخ الفنيقيين حاضرة للدرجة الاعلوية القصوى على سائر مدن الفنيقيين التي كانت اول المدينة (صيدا) من قبلها ومدلول لفظ (صور) في اللغة الكنعانية (مخفرة) ولم تزل تعرف بهذا الاسم عند العرب لغاية الآن وهي تنقسم عند علماء الجغرافة الى اليونان والرومانيين الى مدينتين (احدهما) كائنة على جزيرة من المخفر صغيرة قريبة جدا من الارض القارة و (الثانية) على الساحل وقد كانت هذه المدينة الثانية موضوعة في الماسكان الذي يعرف الآن باسم (رأس العين) وكانت تدعى في ذلك الزمان بالمخفوص باسم (بالا تيرؤس) ومعناها مدينة (صور) القديمة

وفي ضواحي (صور) يلزم ان يكون منتهى الخلو: الجنوبية للمملكة الصيداوية القديمة حسبما يفهم من الباب العاشر من سفر الخليفة من التوراة في تلك الاوقات ثم امتدت حدود تلك المملكة بهـ ذلك الى جهة الجنوب وذلك انه بوقت ان كان بنو اسرائيل قد اغاروا على الاقوام الكنعانيين المتوطنين ببلاد فلسطين وفخروا بلادهم واستولوا عليها واغاروا ايضا القوم المعروفون باسم (الفلسطينيين) على سائر السواحل الجنوبية من ذلك القطر كانت المدن البحرية من ولاية (جاليلة) التي هي إحدى الولايات الاربعه التي كانت تتركب منها بلاد (فلسطين) في ذلك العصر قد تعصبت للدفاع عن نفسها من غارة هؤلاء القوم الاجبيين وبلغت أمنيتهما من حفظ جنسيتهما الملية الكنعانية غير انهما لم يمكنها ان تسقى على هذه الحالة وتجدد هاولم يتيسر لهما ان تبقى على حفظ نفسها من غاراتهم بمفردها فاضطرت بالطبيعة لأن تلجأ الى الصيداويين وتبذل نفوسهم اذ كان يمكنهم ان يحموها من غارات القوم المذكورين وبذلك عارت تلك المدن الثغرية من ضمن المحالفة الفنية وقد كان اسم ذلك المدن البحرية الى جهة الجنوب واقصاها واعظمها ثروة واشغاهها هي المدينة التي كانت تدعى في ذلك العصر باسم (اكو) وتدعى عند اليونان في بعض الاحيان باسم (بطولوميس أو البطليموسية) ثم غلب عليها في الاعصار المتوسطة اسمها الاصلي مع بعض تحريف فيه باسم (عكا) هذا ما اردنا ايراد هنا باختصار من جغرافية هذه الانظار وقد ساغ لنا الآن ان نتكلم بوجه الاختصار ايضا على الحوادث التاريخية التي وقعت بتلك البلاد في سالف الاعصار وهو اصل موضوع هذا الباب وذلك في ثلاثة فصول فنقول

الفصل الاول

في تاريخ عصر الصيداويين اعني وقت ان كانت مدينة (صيدا) هي مقر ملكة الفينيقيين

مطلب — ذكر ميادى اخذ الصيداويين في الاشتغال بالسفر الى البحر في سالف العصر — بينما كان جماعة من الكنعانيين قد توجهوا نحو ديار مصر وفخروا في ذلك العصر وكان القوم المعروفون منهم باسم (الحيثيين) الذين كانوا هم اقوام شوكية واشدهم صولة قد أحدثوا لهم في تلك الديار دولة ووضعوا على ربري ملكة الفراعنة من رؤسائهم عائلة ملوكية اجنية (وهي التي تعرف عند أهل التاريخ بـ دولة العرب أو عائلة الملوك الرعاة او دولة العمالة بالديار المصرية) فـ كان من يق في مدينة صيدا من الكنعانيين وهم المعبر عنهم بالصيداويين يظهر انهم لم يكن لهم اطماع حربية

ولارغبة جهادية في الارض الفارة فلذلك انصرفت قوتهم وعملهم وتجددت نشاطهم -
 ونشاطهم للتثبت بالاعمال البحرية حيث كانوا اقداء - توطنوا وساحله ولا تدرى هل
 ما وجد في الصيد اويين من هذا الاستعداد القريب والتأهل الجيب للاشتغال بفن
 السفر في البحر والتجارة البحرية الذي تميزوا به عن غيرهم من سائر الاقوام السكنانية في
 ذلك العصر قد كان ظهر فيهم من أول الامر وهم في اوطانهم الاصلية مذ كانوا متوطنين على
 سواحل الخليج الفارسي أم لم يظهر فيهم ذلك الامر الا من بعد ان هاجروا من تلك الاوطان
 وتوطنوا على سواحل البحر المتوسط الابيض (بحر سفيد) فقط وعلى كل حال من هذين
 المجالين فمن المعلوم المحقق ان هذا الاستعداد كان من بعد انبة لهم الى هذه الاقطار الاخيرة
 قد نما وازداد مع غاية السرعة والازدياد وذلك انهم لما كانوا مقتصرين في أرض ضيقة
 جسد افيا بين الجبل والبحر كما فهم من سائر الذكريات لا يكتفي مقدار تلك الارض من
 طريق الزراعة لثغاة اهلها وطرا الصيد اويون بأشد اللوازم الضرورية ويواضع غرائزهم
 الطبيعية لان يخذوا لهم ما هو أشبه بمواطن جديدة ويتشبثوا بسائل معاش وثروة مفيدة
 فوق امواج البحار ولا سيما وقد كان أكثر الامم المتوطنين على سواحل بحر سفيد في تلك
 الاعصار لم يزالوا بعد اقبين بحالة الاقوام المتوحشين ولم يكونوا يعرفون ولا يقدرين في ذلك العصر
 على انشاء قارب يمكنهم ان يذهبوا به الى ادى مسافة على امواج البحر وكان مثل المصريين مع
 كونهم قد كانوا في تلك الاحقاب الزمنية هم مركزا سبق الدائرة الهندية ومحط اقصى الدرجة
 العمرانية لم يصلوا بعد من فن الملاحة اللهم الا التجاسر على شيء يسير جدا من السفر على
 القرب من السواحل بدون ان يتباعدها عنها ولا يغضوا النظر عنها بخلاف الصيد اويين
 فانهم كانوا والحالة هذه اول من سافر في البحر وقد مكثوا مدة مديدة واعصارا عديدة
 من الدهر وهم وحدهم منفردون بفن الملاحة دون غيرهم من سائر سكان الدنيا بتمامها
 ولم يسبقهم أحد في التجاسر على طول الاسفار واقحام اخطار الرياح العاصفة والزواجر
 الشديدة فوق اللجج والامواج المتسعة والاندفاع بغاية الجرأة الى أبعد السواحل البحرية
 للشاسعة ليجلبوا منها المعادن والاحشاب النفيسة والمواد الأولية من سائر الاصناف التي
 كانت تلزم لاعمالهم الصناعية ولقد مضت أعصار عديدة وادوار مديدة من الزمان
 قبل ان تظهر امة أخرى تراهم في هذا الميدان

وبالجملة فلم يكن البحر بالنسبة للصيد اويين معدن ثروة وغنى لا ينفد وميدان للنشاط قوم
 أولى جراءة وصناعة واهال ذوى فطانتهم وبراعة لم يجدوا في حراثة ارضهم ما يقوم بضرورة
 معيشتهم فقط بل كان البحر ايضا مباحا لهم يتهم ولا مباحا لهم سواء لم يكن لهم سبيل يوجهون
 اليه

اليه سائر قوتهم غير طريق التجارة البحرية وذلك انهم كانوا على الدوام والاستمرار تدفعهم غارات الاقوام المجاورين لهم الى السواحل البحرية وتقذفهم صولة الامم الاقوى شوكة منهم الى الجهات الشرقية (أولا) من انباء جنسهم وهو القوم الهيشيون و (ثانيا) فيما بعد من ملوك دولتي وادي النيل ووادي الفرات العظيمة التي كانتا قائمتين في تلك الاوقات فلم يتيسر للصياديين ان يتوسعوا الى داخل البر ولان يكون لهم منصب سياسي ولا مقام جهادي بين الامم السالفين ولم يقدر واحتي على ان يحفظوا حالة استقلال بانفسهم تامة لهم ولان ان يتعنوا الايجالة استبداد بالنفس ضيقة تابعة للغير فانتزاعهم في أغلب أعصارهم التاريخيصة بالتبعية لدولة من تلك الدول الكبيرة القائمة في ذلك العصر وفي الواقع ونفس الامر اذا كانت اممة من الامم لا تخدق حرائة الارض التي هي قائمة عليها ما يقوم بضرورة غذاؤها ولا يتيسر لها ان تكون قوما فلاحين ولا جندا مجاهدين ولا ان تحفظ حالة استئلالها بالكلية من صولة الصائدين وكان في ما مع ذلك تلك الشهامة الاهلية والخوة العصبية المالية التي ينتج عنها عظام الامور فلا سبيل لها غير طريق واحد وهو ان تدفع في ميدان التجارة والسياحة في البحر لا غير ولقد كان ذلك هو حال القوم الفنيقيين في ذلك العصر ولما لم يكن لهم سابقة تتقدمهم ولا خصم يراجهم في ذلك الامر الذي كانوا قد اندفعوا فيه بضرورة الحال لزم بالضرورة ان يكتنوا فيه ويستقيموا عليه ويختصوا منه بجزية الاحتسار كرامة احقاب مديدة من الاعصار

مطلب — ذكر استيلاء الدولة المصرية على بلاد الفنيقية — لم يعلم للغاية الا ان الوقت الذي فيه قد كان اول تشبث الصياديين بالخذ في مبادئ الاسفار البحرية والنجاح في الاعمال التجارية فانه لم يعثر لغاية يومنا هذا في الآثار القديمة التي حصل العثور عليها فيما يتعلق ببلاد الشام وقدماه سكانها السالفين ما يدل على شيء من ذلك ولا تظن انه يحصل العثور على شيء من هذا القبيل في المستقبل ومن ثم فهم ان تلك الحادثة قد كانت في اعصار سابقة على تلك الآثار التي حصل عليها العثور لغاية الآن ولم يوجد ايضا شيء مما يستدل به على تاريخ الحادثة المذكورة في الروايات الاهلية والحساكيات المالية الماثورة عن القوم الفنيقيين أنفسهم فيما حكاه عنهم مؤرخو السلف ونقلوه البناء على وجه ضعيف وانما من الثابت المحقق ان الصياديين قد كانوا أمة بحارة وقوميا في السفر على البحر اولى جراءة وجسارة وملة ذات تجارة عظيمة وثروة جسيمة في وقت ان سكان المصريون قد استيقظوا من غفلتهم الاهلية وقاموا بعصيتهم المالية وطردها من بلادهم طائفة ملوك العرب الرعاة وعادوا للاخذ بشارهم من هؤلاء الامم الاجانب بعد ان كانوا قد استعبدوهم

مدة اعصار مديدة قاستولوهم كذلك على سائر بلاد اسيا السالفة وقد ذكرنا فيما سلف في ضمن الباب الثاني المعد للبحث عن تاريخ المصريين والقراينة السالفين انه قد كان من امر العائلة المالوكية المصرية الثامنة عشرة ان فراغته مصر كانوا قد استولوا على جميع بلاد الشام ومن ذلك الوقت كان الصيد او يون كغيرهم من سائر الامم والاقوام الذين هم لهم مجاورون قد صاروا تحت يد الدولة المصرية واقامت الدولة الفرعونية واطاعة اليد عليهم بدون انقطاع مدة اقامة العائلة المالوكية المصرية الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين اعنى من ابتداء النصف الثاني من القرن السابع عشر لغاية القرن الثامن عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام

مطلب — ذكر حادثة توسع الصيد او يون في الاسفار البحرية — ومن المعلوم من وجهه ان مثل الصيد او يون الذين هم قوم تجار يلزم لهم بالضرورة ان يكونوا تابعين لسلطنة كبيرة ليتمكنوا من سمسارتهم المقدمون على غيرهم ومن وجه آخر قد كان المصريون لداعي ما كان متسلطنا عليهم من الاوهام الدينية ينفرون من الاسفار البحرية فلذلك كان لا سبيل للفراغنة في الحصول على انشاء اسطول لهم غير ان يستعينوا بالقوم الفتيقيين وقد كان الفراغنة المصريون بالضرورة يكافئونهم على هذه الخدمة بأن يخوهم بأعظم الزايات التجارية ولذلك اتفقت كلمة المؤرخين من السالف السابقين على ان قالوا ان اعلى درجة بلغت اسفار البحرية وتأسيس المناقدا التجارية في الجهات النهرية من اكثر الاقطار لمدينة ميد في تلك الاعصار قد كان بعد عهد استيلاء الدولة المصرية على بلاد الفتيقية (اعنى فيما بين القرن السابع عشر فنانا لغاية القرن الخامس عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام) وقد كان جل حركة اسفارهم على البحر واصل نقطة دائرة تجارتهم بذلك العصر في التواحي الشرقية من البحر المتوسط الابيض (بحر سفيد) اذ لم يكن قد حدث في تلك الاقطار لغاية تلك الاعصار سفن بحرية اهلية تراحهم ولا مل بحار قضاصهم وفي جزائر بحر الارخبيل (بحر جزائر الروم) وفي البحر الاسود

مطلب — ذكر سفر الصيد او يون في بحار اليونان بتلك الازمان — وفي تلك المدة المنقضية فيما بين القرن السابع عشر فنانا لغاية القرن الخامس عشر ق م المذكورة اعلاه كان الصيد او يون قد اسسوا مدينة (شيتي) (المعروفة ايضا باسم لارناكه) بجزيرة (قبرص) ومدينة (ايطانوس) بجزيرة (كريد) وانشأوا على سواحل بلاد (سيليسيا) (وهي ما يعرفه الآن بجمهورية سيلفتة وادنه) عدة نزلات استعمارية اضطراهلها الاصليون فيما بعد للهجرة منها الى الجبال الداخلية وصاروا هم اصل القوم المعروفين عند الامم السالفين بالقوم (السوليميين) وقد كانت سفن الصيد او يون هي التي تقترق في ذلك الزمان سائر بحار بلاد اليونان وقد كان لهم اليد عليها لا يشاركهم فيها احد غيرهم وكانوا

يغدون الى تلك البلدان ليأخذوا منها حواصلها البلدية ويعطوا اللاهالي البيلاجية بمعنى اليونانية حواصل الصنائع الآسية والديار المصرية اذ كان اليونان لغاية تلك الازمان لا يعرفون بانفسهم شيأ عما يضاهاى تلك الحواصل الصناعية ولداعى ما كان يوجد على سواحل الارض القارة ببلاد اليونان وبلاد آسيا الصغرى في تلك الاعصار من كثرة اللاهالي والسكان وما كان يوجد فيهم من الغيرة على حفظ حريتهم وبقائهم على حالة استقلالهم بانفسهم كانوا لا يأذنون لاحد من الامم الاغراب ان يحد ثوابي بلادهم زائل كبيرة بحيث تشبه النزائل الاستعمارية الحادثة من اهلالي الاوطان الاجنبية فلذلك لم يتيسر للصيادواوين ان يحد ثوابي الانفسهم نزائل استعمارية بتلك البلدان بل كانوا يحدون عليها فقط بوظيفة اغراب لقصد التجارة فيها لاغير وغاية ما هناك انه ربما كان لهم فيها مجرد بعض اما كن عمالات تجارية من قبيل ما يعبر عنه الآن باسم (الفكتوريات بمعنى اقلام العملة التجارية ببلاد الهند) واما في اراضي الجزائر اليونانية فقد كان للصيادواوين اما كن تجارية ومواطن ملكية من نوع اخر ومحطات بحرية دائمة مسخرة ومراسي ثغرية قائمة بذاتها مستقرة على سند الملكية الحقيقية تلجئ اليها سفنهم التجارية ومن اعظم ما كان لهم من هذا القبيل في جنوب بحر الارخبيل وهو بحر جزائر الروم المذكور آنعاما كان يوجد بجزيرة (رودس) وجزيرة (طبريا) المعروفة الآن بجزيرة (سنثورين) وجزيرة (سيتيرا) المعروفة الآن بجزيرة (سيريجو) من الاماكن التجارية والمواطن البحرية العظيمة التي كانت من الامور الضرورية لفلاح الاعمال التجارية والاشغال البحرية الفنية وحيث كان يوجد على البعد من تلك الاماكن الجزائرية الى جهة الشمال وعلى القرب من سواحل اقليم (طراقة) وهو ولاية الروم على الآن معادن ذهب يتحصل منها حواصل وافرة جدا كان قد انجذب الصيادويون في تلك الاعصار ايضا الى جزيرة (طاشوش) وهى ما يعرف الآن في لسان ارباب دولة بنى عثمان باسم (ولاية الجزائر) السكائنة على سواحل اقليم الروم على المذكور اعلاه وكانوا قد استولوا على ارض الجزيرة المذكورة وعملوا فيها الاستخراج تلك المعادن الكثيرة اعمالا جسيمة جدا بقيت اثارها بعد ذلك باكثر من عشرة قرون من الزمن الى العصر الذى كان قد وجد فيه المؤرخ اليونانى المشهور باسم (هيرودوت) وقد وصفها بتلك الاحقاب في كتاب تاريخه الشهير مع غاية الاستغراب والاستعجاب ومن ثم كانت تسافر سفنهم التجارية الى السواحل القريبة من تلك الجزيرة فتشتري من سكان تلك الاقطار ما كانوا يتقنونه من الذهب المستخرج من العروق الذهبية التي كانوا قد فتحوها بحث الخمار الصيادويين المذكورين لهم في ذات العصر من جبل (بنجوس) الكائن فيما بين اقليم (مقدونيا) و (طراقة) وهو

المعروف الآن بجبل (كاستانياز) الكائن باقليم (طرافة) المذكور

مطلب — ذكر تجارة الصيد اذ بينت ولاية بحر بنطش او بنتكسان (وهو المعروف بالبحر الاسود الآن) — ولم يكن اخر الشطحات التجارية والاسفار الصيد اذ بينت البحرية في تلك الاقطار ينتهي في تلك الاعصار الى جزيرة (طاشوش) المذكورة فقط بل كانت بحارتهم بعد ان يقفوا بتلك الجزيرة وياخذوا منها ما يلزم لهم من الازواد والبخار اللازمة يجر جون منها ويسافرون الى جهة الشمال فيعملون تجار يد تجارية كانت هي اكثر من ذلك ارباحا وفائدة فيعبرون كلامن بوغاز (هيليسبون) وهو بوغاز الدردانيل او بوغاز (شنيق قلعة) الآن وبوغاز (اليوسفور) او بوغاز اسلامبول الآن ويدخلون في بحر (بنطش او بنتكسان) وهو المعروف بالبحر الاسود الآن وكان يغيرهم من الامم الاقل جرأة منهم يترهمون انما هو مكان في مدخل بوغاز (اليوسفور) هذان الجزائر الصغيرة من خواصها انها تتباعد بعضها عن بعض ثم تنطبق على ماير بينهما من السفن ويغنيون انها مستحضرة لان تلك كل من تجاسر على العبور فيما بينها فم يكن يتجاسر احد غيرهم من الامم السالفة على المرور منها واما المصوريون فيواسطة زوارقهم التجارية وان كانت غير متفنة الصناعة بعد في ذلك العصر كانوا قد تجاسروا على اقحام اخطار زواجر البحر الاجر وان كانت لم تزل خطيرة في كل زمان حتى على السفن الاوربية التي تسافر فيه لغاية الآن وكانوا يطوفون على السواحل البحرية الشمالية من بلاد (اسيا الصغرى) وان كانت سكانها لا يكرمون الاغراب وليس فيها مأوى مأمون للسفن فيلتقطون وهم سائر ون كل ما عثر واعليه ويجمعون وهم يارون كل ما وجدوه من اعظم الحواصل الاصلية التي تخرج بتلك الاقطار حتى ينتهوا الى سواحل اقليم (كولشيد) (وهي ما يعرف الآن بجموع بلاد) ايمبريسيا ومنجربليا) وكانوا يجذبون اليها بما يوجد فيها من المعادن التي توجد في الاقليم المذكور وهي التي قد تلج اليها في الخرافات ليونانية بما يدكر في حكاياتهم العامية بما معناه (جزرة الذهب) وذلك ان سفن الصيد اذ بينت كانت ترحل الى تلك النواحي فتحمل منها من انفس انواع المعادن الثمينة والجواهر النفيسة ما لا يحصى ولا يحصر وهذا هو الذي كان قد جذبهم لا قحام اخطار تلك الامة البعيدة ووجه قلوبهم لمركوب تلك البحار الخطرة الشديدة وكانوا يجلبون من تلك الاقطار الذهب الذي كان (الكولشيديون) يستخرجونه بانفسهم من ذات مياه انهارهم مع ما كانت القوافل تجلبه من ذلك ايضا من جبال (او رال) وبلاد (الاريميين) (وهم قوم كان اليونان يتصورونهم ببلاد اسيا لهم عين واحدة كائنة في وسط رؤسهم ويغنيون انهم يحتفظون الذهب من الطير الموهوم المسى بالعنقا على نهز كانوا يدعونه باسم (اريميوس) وكان

الصيداويون يجلبون من تلك الاقصار ايضا القصدير اذ كانوا يحتاجون اليه حاجة ضرورية في اصطناع التوج وهو مخلوط بالمعادن الثلاثة وهي النحاس والتوتيا والقصدير وكان القوم (الايبيريون والالبانيون) يستخرجونه من جبال (قوفازة) في تلك الاقصار ويجامون منها ايضا الرصاص والفضة وقد كانوا يوجدان مخلوطيين ببعض الجهات من ذلك القطر ويأتون ايضا منها بالمعادن المصنوعة التي كان القوم المعروفون باسم (الشالييين) يعملونها في جبالهم وكانوا قد اشتروا بها في جميع الاقطار بتلك الاقصار ويجلبون ايضا التوج المتقن الصنعة من اعني ما يكون والحديد المصنفي في هيئة قضبان ولا سيما الحديد الصلب الذي لم يكن يمكن لاهل الامم غيرهم في ذلك العصر ان يصطنعوه وقد كان تختبر عوه هؤلاء الذين كانوا اقواما بدويين وكما يكادون ان يكونوا متوحشين في فن صناعة المعادن يصطنعونه ويتقنونه فنذا حجاب غابرة لا يعلم لها اول من الدهر

وقد كان تجار مدينة صيدا في عين ذلك المعدر يترددون ايضا على سواحل بلاد (الايبير) وهي بلاد الارنوط الجنوبية التابعة لمملكة اليونان الآن) وعلى جنوب بلاد ايطاليا وجزيرة (صقلية) غير ان الظاهر انهم لم يكونوا قد اتخذوا لهم مواطن ثابتة ولا ماكن تجارية في تلك الجهات متمكنة

مطلب — ذكر تجارة الصيداويين ببلاد افريقية — ولم يكن الصيداويون يقتصرون اكثر متاجرهم البحرية ويقتصرون في اكثرشطعاتهم السفريقية على النواحي الشرقية من البحر الابيض المتوسط وبحار بلاد اليونان وبلاد بكتسان فقط بل كانت الديار المصرية ايضا من اروج الاسواق الاصلية لطائفة التجار الفنيقية وكان مقدار وافر من تجار تلك البلدة البحرية يقيمون في مدن النواحي السفلى من الديار المصرية المبرهنات في ذلك العصر باسم (الدبلته) وفي مدينة (منف او منفيس) وكان لهم فيها خطة مخصوصة (كما قد كان للتجار الاورباويين فيها في كل زمان) وكانت سفن التجار الصيداويين ومن تبعهم من اهل المدن التي كانت لها بالتبعية ايضا تسافر على القرب من سواحل بلاد افريقية فيما وراء وادي النيل لغاية البلاد التي كانت تعرف عند قداماء الرومانيين باقليم (زوجيتان) وهي البلاد التي حدثت على مكانها فيما بعد ذلك من الزمان مدينة (قرطاجه) (مدينة تونس الآن) وكان الصيداويون قد اسسوا في تلك الاماكن لاداعي ترددهم عليها في ذلك الزمان مدينتين قديمتين لقصد ان تكونا لبعثاءهم مخازن تجارية تسمى (احداهما) باسم (كبه) (بفتح الكاف في اوله) وكان موقعها على المكان الذي حدثت فيه (قرطاجه) فيما بعد (الثانية) باسم (هيبون) ومعنى هذا اللفظ في اللغة الفنيقية المكان المحاط بالاسوار

مطلب — ذكر سفر الصيداويين في البحر الاحمر — وقد كان اهل

صيد ايضا هم الذين يركبون السفن الحربية التي كانت تنقل الجنود المصرية الى اقاليم بلاد العرب الجنوبية لتدخل اهلها او تسكنهم في طاعة السلطنة القرعونية وقد كانت تلك الاقطار من منذ تلك الاعصار هي محط رحال سائر الحواصل الصناعية والزراعية النفيسة التي تخرج يلاذ الهند من المعادن والجواهر والاحشاب الثمينة والاعطار ورسن الفيل وغير ذلك وبهذه الوسيلة كانت السفن التجارية الفنية تتردد فيما بين الثغور المصرية وتلك الاقطار العربية التي هي كذلك اقطار ذات حظوة طبيعية يخرج بها الثبات الطيب الرائحة المعروف بالحاصلات وينبت فيه الآس ومن ثم كان فتح البحر الاحمر واكتسار تجارته في يد الصيد او بين بالخصوص هو اعظم المزايا التي كانوا يخطنون بها في نظير دخولهم تحت طاعة الفراعنة السالفين

مطلب — ذكر اسباب انحطاط دجلة فن البحرية عند الصيد او بين — على نحو وسط القرن الخامس عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام كان قد حصل تغيير احوال عظيم في سائر الاقطار الكائنة في حوض البحر الابيض المتوسط في تلك الاعصار فكانت الاقوام البيلاجيون الذين هم من ابناء يافث (وهم اليونان والهيلينيون) قد احدثوا لهم بحرية صارت في مدة قربية الى حالة هائلة بحيث يخشى منها على الساطنة المصرية وكان الاقوام الليبيون اليافثيون (وهم اهل الجبال الليبية المعروفة بجبال برقة الآن) قد اتوا من طريق البحر واستوطنوا على نواحي افريقية الشمالية مع الاقوام البيلاجيين الوافدين من اهل جزائر الارخبيل اليونانية وبلاد اليونان الاصلية و بلاد ايطالية والقسطنطينيين الخارجين من جزيرة (كريد) و اهل جزيرة (صقلية) و جزيرة (سردينيا) وعقد جميعهم عقد محالفة كانت بالاصالة محالفة لبحرية اعني انهم اجتمعوا بعضهم مع بعض على ان يكونوا على يد واحدة بحيث يتعاونون على السفر في البحر وصار لهم بذلك مدة قرنين او ثلاثة قرون من الدهر الدرجة العليا والابد القصوى على سائر الاقطار الكائنة في الجهة الشرقية من البحر الابيض المتوسط ولا شك ان مثل الحادثة المذكورة لا يمكن بالضرورة ان تتم على تلك البحار مع كون سفن الصيد او بين كانت قد تسلطت عليها واختصت باحتكار التجارة فيها دون غيرها للغاية تلك الاعصار بدون ان يحصل لشوكتها البحرية وقوتها التجارية مقدار عظيم جدا من الانهضام والانسكاف فقد كان ذلك هو اصل مبادئ اضمحلال حال تلك المدينة الفنية العظيمة واول علامات زوال حولة تلك الحاضرة الصيد او بين الجسمية وذلك ان الصيد او بين قد صار لهم منذ ذلك العصر في مادة السفر والتجارة في البحر اخصام من اجون واقوام يعملون في البحر مثلهم وهم لهم مقاومون ولا شك في انهم كانوا قد توجهوا الى تلك الوجهة اقتداء بهم واتخذوا تلك الحرفة تبعالهم وساروا معهم في طريق كان الصيد او بين من قبلهم قد ساروا فيها

وحدهم ولم يكن الاقوام الملاحون المستجدون هم اخصام اضراحين للبحارة الصيد او بين فقط بل كانوا هم اعداءهم الطبيعيين حيث كل هؤلاء الاقوام العاملون في البحر معهم لاجلهم ان يقتصر واعلى ان يزاجوهم في مواد معاشهم فقط بل لزمهم بالضرورة ان يكونوا معهم في حرب مستمرة على الدوام ويجهدوا كل الاجتهاد في ان يسدوا عليهم من البحر سائر الطرق التي كانوا يترددون عليها بغيرهم قبل ذلك العصر ومن ثم كانت قد نشت صناعة الصيال البحرية سائر بحار بلاد اليونان وصار السفريها غير مضمون الامان وسقطت سائر الاماكن البحرية والمواطن التجارية واحدة بعد واحدة بقوة وصوله سكان الجزائر اليونانية البلديين وتعدى السفن القرصان على الاماكن التجارية الصغيرة التي كانت للصيداوين فيها من الاقوام البيلاجيين وامامساكن للصيداوين في تلك الاقطار من العماثر التجارية والنزائل البحرية الكبيرة كالتي كانت لهم بالنواحي المسماة باسم (طيره) و (ميلوس) و (طاشوش) فانها الداعي عظمها ولكونها كانت يتيسر لها ان تدفع عن نفسها وصول الاقوام الصائين قد امكنها ان تبقى على حالها دون غير هامة مديدة من الزمان

مطلب — ذكر غارة الاسرائيليين على بلاد فلسطين — وبعد هذه الحادثة بقليل كانت قد حدثت حادثة أخرى من تلك الحوادث الزمنية الكبيرة التي توقع الامم بعضهم على بعض وتوجب مهاجرتهم من ارض الى ارض فاخرجت الكتعانيين الفلاحين المتوطنين في بلاد فلسطين من ديارهم وغيرت الاحوال السياسية من تلك البلاد بالكلية وهي حادثة غارة بني اسرائيل على تلك الارض تحت قيادة النبي يوشع عليه السلام ولم تكن تلك الغارة قد توجهت على ذات الصيداوين بطريق المباشرة فان يوشع عليه السلام يظهر انه كان قد حرص على ان لا يخاصم اهل صيدا بالخصوص بل كان قد وقف بجنوده من بني اسرائيل الذين كان قد استصحبهم لتباعة عصابة الملوك المتعصبين هاليم مع الملك (هاصور) عند حدود بلادهم كما هو في التوراة مذكور ولكنهم مع ذلك كان قد لحقهم بالضرورة شؤم عواقب الحادثة المذكورة وبيان ذلك انه كان قد ترتب على غارة بني اسرائيل ببلاد فلسطين في ذلك العصر ان انقرضت دولة الكتعانيين في احدى وثلاثين امارة صغيرة كانت موجودة لهم في ذلك القطر واضطر سائر اهلها للهجرة من اوطانهم وانتقلوا الى جهة السواحل البحرية امام غارة بني اسرائيل عليهم ولم يكن لهم ملجأ يؤولون اليه ولا حى يستندون عليه في فرارهم هذا سوى ارض ملكة صيدا المذكورة ولم يكونوا يجندون فيها ما يكفي مؤتهم الضرورية ولذلك اضطر والانتقال منها الى بلاد أخرى يجندون فيها ما يلزم لاحتهم وسعادتهم بواسطة الاشتغال بزراعة الارض فيها ولقد كان ذلك هو الباعث على ان الفنيقيين كانوا قد اضطرر وبضرورة مقتضيات الاحوال الراهنة وبواعث الضرورة للتساكنة على ان

أحد ثوالهم ما يطلق عليه على وجه الحقيقة لا المجاز لفظ التزائل الحقيقية اعني تلك التوطنات الفلاحية بمعنى انهم كانوا قد انتقلوا الى بعض بلاد اجنبية واستولوا على سائر ارضها واجلوا منها اهلها البلديين واشتغلوا بزراعتها بدلا عنهم في كل مكان حلوا فيه وذلك بخلاف التزلات التجارية التي قد كان من عوايد الفتيقيين ان يحد ثوالها على سواحل البحر

مطلب — ذكر نزلة الفتيقيين في ذلك الزمان بناحية (طيبة) من بلاد اليونان — وقد كان اول نزلاتهم الحقيقية في ذلك الزمان بناحية (طيبة) باقليم (بيوتيا) من بلاد اليونان فقد ذكر في الخرافات اليونانية على حسب ما يحكى في القصة العامة الهيلينية ان اول مؤسس لتلك البلدة هو بطل كان يدعى باسم (قدموس) واصل مدلول هذا اللفظ في اللغة السامية القديمة بمعنى (المشرقي) ولم يزل يتصور فيه باذهان اهل بلاد اليونان على الدوام والاستمرار لنهاية الان مسورة اصل الملاحاة البحرية التي كانت للقوم الفتيقيين في عصر الصيدوايين قالوا وقد كان هذا الرجل لم يخرج في اول الامر عند نزوله مع اصحابه من الفتيقيين على البر من بلاد اليونان بل كان قد تلقاه سكان تلك البلدان بغاية العداوة والشأن وكانوا قوماعديدين واحصاءا لا آجهاهدين فحصل له في سفره هذا مشقات عديدة ولقي اخطارا شديدة ثم انتهى امره بان مهدا واطفأ نارها وارقد ها واستولى على تلك الناحية وزل فيها واستعمرها

مطلب — ذكر التزلات الفتيقية ببلاد افريقية — وقد كانت النزلة الفتيقية الثانية أكثر هندا واعظم قوة ومدا وكان حالها بخلاف ما ذكرناه بشأن النزلة اليونانية المذكورة سالفا وكان نزولها بارض افريقية ودليل ذلك ان اهل الاقليم المعروفين عند السلف باقليم (البيزاسين) و(الزوجيتان) وهما القطران اللذان كانت يتركب منهما في سالف الازمان ما يعرف باسم (افريقية) الحقيقية وهي الارض التي تأسست فيها فيما بعد مدينة (قرطاجة) المشهورة وهي التي في مكانها ولاية تونس الآن لم يزلوا يعفرون بانهم من ذراري السكعنايين الذين كانوا قد نزلوا ببلاد فلسطين الجنوبية ثم هاجروا من تلك الديار وانقلوا الى بلاد افريقية بضرورة غارة بني اسرائيل عليهم في سالف تلك الاعصار ولم يتيسر لاهل التاريخ العثور على سند قوي يعارضون به قوة اعتماديته هذه الرواية الالهية قال المؤرخ رانيسس لونورمان السالف الذكر والبيان اعلاه مامعناه وانه ليرجح عندي ان الصيدوايين في الواقع ونفس الامر كانوا قد اضطروا لضرورة اقتضاء الاحوال في ذلك العصر لأن انزلوا القوم الفتيقيين المتجشيين اليهم في ذلك القطر حيث كانت قد ضاقت ارض بلادهم السامية عليهم لاسيما وقد

كانوا هم ذاتهم قد أنشأوا بلاداً فر بقية هذه من قبل كلام من مدينتي (هيون) و (كبه) كما أوضحنا ذلك في سالف الذكر (٥١)

مطلب — ذكر الاقوام الليبيين الفنيقيين — وقد كان هؤلاء الاقوام الكنعانيون الفلاحون وهم غير القوم الفنيقيين الذين كانوا منهم كمين في الاكثر على صناعة التجارة والسفر في البحر بذلك العصر قد امتزجوا في تلك البلاد التي كانوا قد نزّلوا بها واستولوا عليها مع بعض قبائل من الليبيين السابقين كانوا قد وردوا الى ذلك القطر من الاقطار المجاورة لبحيرة (تريتون) وهي البحيرة السكائية في جنوب افر بقية الحقيقية؛ تعرف الآن ببحيرة (فارون) (بالقاء الموحدة في اوله) او بحيرة (لودقه) ومن اختلاط هذين الجنس من الناس تولدت تلك الامة الفلاحية الحربية الكبيرة المعروفة عند السلف باسم (الليبيين الفنيقيين) (بمعنى اهل جبال برقة المختلطين بالسكانين) وهم الذين كان منهم معظم القوة الجهادية التي امتازت بها فيما بعد ذلك مدينة (قرطاجنة) الشهيرة وقد كانوا امة مختلطة وملة متمزجة من القومين المذكورين غير ان تقاطيع وجوههم كانت اقرب الى الليبيين من الفنيقيين ولكنهم كانوا بطباع الكنعانيين متطبعين ولما ذهب ديارهم متبعين وكانوا لغاية العهد الذي كان فيه الخبر النصراني المشهور باسم (سنوجستان) ولي امر الكنيسة النصرانية بمدينة (هيون) هم بغير اللغة الفنيقية لا يتكلمون وكانت تلك الامة قد فلتحت ونجحت وارقت حالها وصلحت على تلك الارض الخصبة التي كانت قد اقامت عليها وترت فيها الى درجة قوية جدا حتى بلغ من شأنها انها بعد ان خرج منها جوع كثيرة نزّلوا بعدة اقطار من بلاد (اسبانيا) (وهي المعروفة عند العرب بجزيرة الاندلس) والى بعض سواحل بلاد (الموريتانيا) وهي بلاد المغرب الاقصى) مع سواحل غربي بلاد افر بقية لغاية رأس (نون) وانشأوا في جميع تلك الاماكن البحرية عدة ترلات استعمارية كان لهم اكثر من ثلاثمائة مدينة عامرة وحاضرة كثيرة الاهل من هرة على الارض الضيقة التي كان يتركب منها كل من اقلامي (البيزاسين والزوجيتان) اللذين كان فيهما مساكنهم لغاية العهد الذي قد كان فيه انقراض الحضام بين مدينة (رومية) و (قرطاجنة) كما يأتي ذكر ذلك في موضعه فيما بعد ان شاء الله تعالى

مطلب — ذكر غارة الفاسطيين ونواب مدينة صيدا (١٢٠٩ سنة) (١٢٠٩ م) — وقد اعقب غارة بني اسرائيل على بلاد فلسطين في عهد قريش جد اغارة قوم آخرين يعرفون بالقوم (الفلسطينيين) وهم قوم كانوا قد خرجوا بطريق البحر من جزيرة (كريد) في العصر الذي كان فيه فرعون ومسيس الثالث مستوليا على ديار مصر وكان اول نزولهم على السواحل الشامية حول نواحي (غزة) و (اسدود) و (عسقلان) و (غاطه)

و(اكارون) ولا شك في انهم كانوا قد هاجروا اليهم اقوام آخرون فيما بعد ذلك من جزيرة (كريد) المذكورة ايضا فكثر بهم عدتهم وعظمت قوتهم ووصلوهم في امر وقت وانتزروا الفرصة في ذلك الوقت من حادثه انخراط الدولة المصرية في عهد الملوك الكسائي من ملوك العائلة الملكية الخمسة لاهشرين وبعد مدة نحو مائة سنة من عهد نزولهم على البر كانت قد اشدت قوتهم وامتدت شوكتهم حتى تعلقت اطماعهم بان يستولوا على سائر بلاد (سورية) الجنوبية وتجاروا على ان شتوا الغارة على بني اسرائيل واهل صيداميا حيث ارادوا ان يدخلوا كلامن القومين المذكورين تحت طاعتهم فاغاروا عليهم في آن واحد ووقعت لهم معهم اعداء وقائع جريية كان لهم فيها عليهم اعداء نصرات ظاهرة وبذلك استولوا في اقرب مدة من الزمن على سائر بلاد بني اسرائيل واذاقوهم اشد الجور والظلم مدة اكثر من نصف قرن وعلى نحو اول العهد الذي كان قد ابتدئ فيه عهد هذا الظلم من القوم الفلسطينيين على بلاد فلسطين اوقبله ببعض سنين اعني في سنة ١٢٠٩ قبل ميلاد المسيح عليه السلام بيقين كان قد قام من مدينة (عسقلان) اسطول من سفن القوم الفلسطينيين المذكورين ووقف على حين فبأه امام مدينة (صيدا) واهلها في غلبة آمنون ولم يكونوا قد اخذوا حذرهم من قبل فتحصنوا دون هؤلاء القوم الصائين فزلت السفن الفلسطينية على مدينة (صيدا) الفنية العظيمة هذه التي كانت هي بنت كنهان البكرية واخذوها بالقوة القهرية واخربوها وازالوها من ظهر الدنيا بالكلية وقد كانت هذه الحادثة هي خاتمة هذا العصر الاول من تاريخ بلاد الفنية وهو المعبر عنه عندنا مؤرخين بعصر الصيدايين اي وقت ان كانت مملكة (صيدا) هي مركز قوة الفنيين

الفصل الثاني

في تاريخ عصور الصوريين اي وقت ان كانت مدينة صور هي مركز قوة الفنيين

مطلب — ذكر مبادئ اخذ مدينة صور في حيازة درجة الاعلوية على سائر المدن الفنية (من سنة ١٢٠٩ الى سنة ١١٥٨ ق م) — وقد كانت جوع الاقوام المهاجرين من اهل مدينة (صيدا) قد اجتمعوا في مدينة صور حول هيكل المعبود الاصل الذي كان تقوم الفنية بين في ذلك العصر وهو المدعو باسم (ميلكارت) والتجسوا اليه واحتموا الجماء من صولة الاقوام الاغراب الصائين عليهم في ذلك القطر وكانت مدينة صور انما في ذلك الوقت من المدن ذات الدرجة الثانية في جلة المدن الفنية وبواسطة هذه الحادثة تحولت حالها وتغيرت صفاتها وارتقت حالتها دفعة واحدة فبلغ مقدار سكانها الى اكثر من اضعاف ما كانوا عليه من ثنين وصارت هي الكرسي الاصل والمركز السامع.

لسائر المدن الفنيقية بعد ان كانت لهم هي المركز الديني فقط وخلفت مدينة (صيدا) في كل ما كانت عليه من السعادة والرفاهية ودرجة الاعلوية

وبوقوع حوادث (سنة ١٢٠٩ ق م) هذه حدث في تاريخ بلاد الفنيقية عهد جديد وهو عصر اعلوية الصوريين على غيرهم من سائر الفنيقيين وقد مكث ذلك العهد مدة خمسة قرون ومن اول العصر المذكور فقط كانت قد تـكونت الامة الفنيقية الحقيقية واما قبل ذلك فلم يكن الفنيقيون الاعبارة عن القوم الصيداويين لاغير و بيان ذلك ان الكتعانين المهاجرين الى بلاد سورية في سالف الازمان كانوا قد مكثوا مدة مديدة وهم المستولون على اكثر تلك الميلاذ حتى جاء القرن الرابع عشر قبل الميلاد وفي اثنائها هذا القرن وفي القرن الثالث عشر الذي يليه كانوا قد احاط بهم ونزل عليهم من كل جانب مجموع من الاهداء استلبوا منهم اكثر اراضيهم واغتصبوا منهم ما اغلب تلك الاماكن التي كانوا قد استوطنوا فيها واستولوا عليها وانتهى حال تلك المصائب العظيمة والنكبات الجسيمة الى ان اتعظ منها بعض القبائل الكتعانين التي كانت قد بقيت في شمالي بلاد فلسطين واستيقظوا الى ان فهم وانهم اذا بقوا على حالة تفرق الكامة وعدم تعاون بعضهم ببعض صاروا غنيمة باردة محقة لصوله السائلين واقمة حاضرة مأمونة موثقة لا كل الاكلين من الاغراب وانهم لاسبيل لحفظ حياتهم الخاصة بهم ولا لبقاء مادة ملتهم واستبدادهم الذاتي لهم غير ان يجتمعوا على قلب رجل واحد ويلتصموا في هيئة جسم متحد بواسطة توثيق روابط سياسية شديدة فيما بينهم ولذلك اتحد بعضهم مع بعض وتعاقدوا على ان يكونوا بداء واحدة على سائر اعدائهم الاجنبيين ومن ثم حدثت امة الفنيقيين المشهورين في هذا الامم الاقدمين

مطلب — ذكر كيف كانت حادثة المحالفة الفنيقية — وذلك ان جميع المدن ذات الدرجة الاولى من بلاد الفنيقيين كدينة (سميرة) ومدينة (الجبيل) و (بيروت) و (صيدا) اذ كانت هذه المدينة الاخيرة قد رجعت للهارية بالثاني بعد الحراب الاول كلها كانت قد اجتمعت وتعاهدت واتصمت وتعاقدت على ان تكون كلها في هيئة اجتماعية متحدة مع بقاء كل واحدة منها على حالة الاستقلالية المحلية التامة وهيئة ولاية امورها السابقة الغامة اعني انهم اشترطوا ان تبقى مع ذلك كل مدينة منها تحت ولاية ملوكها السابقين كما كانت عليه قبل ان تدخل في عصبة القوم الفنيقيين المتحالفين وقد كان نوع ولايتهم في كل مدينة منها من قبيل الدولة الملوكية المطلقة بعقد محالس جمعيات شورى عمومية تجتمع من اعضاء يؤخذون من اكثر الاهل الى ثروة واموالا وباستشارة بعض اناس مخصوصين من احاد طائفة امناه الذين والقضاة ذوي الجاه ونفوذا الكلمة بين الناس وكان هؤلاء المستشارون يمشون في مواكب الاجتماعات العمومية بمساواة ذات الملك وهم الذين يستشيرهم في بعض من يلزم بشئ من

السفراء والنواب الذين ينوبون عن المملكة في مجالس الشورى العمومية بمدينة صور حيث كان فيهم امر كر الملة الفنية

ومع ذلك فقد كان ملوك سائر المدن الفنية كلهم تحت طاعة ملك (صور) وهو الذي كان له اليد العليا عليهم وكلهم له بالتبعية وكان هو الرئيس الفريد والمولى الحقيقي الوحيد على سائر الملة الفنية ولذلك كان دون غيره هو الذي يتلقب بعنوان (ملك الصيداوين) وكان محقة معنى تقادم هذه الوظيفة الولاية العليا واتصافه بهذه الصفة السياسية القصوى هو الذي يأمر ويمن ويقتضى في سائر الامور المتعلقة بصحة الفنيقيين العامة ويقطع في كل ما يتعلق بمواد تجارتهم ونزائهم الاستعمارية الكثيرة في جميع الاقطار الدنيوية ويعقد العهديات مع الملل الاجنبية ويتصرف في سائر القوى البحرية والعسكرية التي كانت موجودة لامة الفنية في تلك الحقبة العصرية وغاية ما هناك انه كان يستشير في ذلك مجلس شورى نواب سائر المدن الاخرى فقط

مطلب — ذكرنا ان الفنيقيين من التزائل الاستعمارية والقبائل المتوطنة ببلاد افريقية وجزيرة صقلية وبلاد اسبانية (من سنة ١١٥٨ الى سنة ١٥٥١ ق م) — يلزم ان تكون حادثة اجتماع سائر المدن الكنعانية المتنوعة في هيئة ذات اجتماعية اهلية واحدة وموروثة ممتدة تحت ٤ قوم ولادة ملك (صور) قد وقعت في ظرف مدة الخمسين سنة التي اعقبت حادثة خراب مدينة (صيدا) وان كانت تلك المدة من تاريخ الفنيقيين لم يتسكلم عليهم احد من مؤرخي السلف من اليونان والرومانيين وغيرهم من اللام الاقدمين المتبعة اقوالهم في المدارس الاوروية ولا وجدشي بعد مطلقا من الآثار المشرقية القديمة يدل على شئ من احوالها البتة والدليل على ذلك هو ما نراه في الواقع ونفس الامر من انه في وسط القرن الثاني عشر قبل مبادا المسيح عليه السلام كانت قد حدثت حالة جديدة في مادة ترتيب هيئة الفنيقيين الاجتماعية وعادت الاخبار توجد عن احوالهم بالثاني في ضمن اخبار الامم السالفة واضحة بان مدينة (صور) الفنية قد صارت من ذلك الحين ثابتة على ارضها الاصلية وعادت بالثاني الى ما كانت قد نشئت به في سالف العصر من الاسفار البحرية الكبيرة بعد ان كان ذلك قد انقطع مسافة فترة من الدهر يسيرة بما كان قد حصل لمدينة (صيدا) من الخراب بغارة الامم الغراب

ولكن لزم بالضرورة ان تكون الجهة الاصلية التي توجهت اليها هذه الاسفار البحرية الجديدة غير التي كانت تتوجه اليها الاسفار البحرية الفنية القديمة بوقت ان كانت درجة الاعلوية عليهم بيد اهل صيدا في سالف الايام وصار بالنسبة اليهم الامل في استرداد ما كان لهم من السلطنة العظمى دون غيرهم على بحر الارخبيل وبحار بلاد اليونان في سالف الزمان

من قبيل الاحلام والاهام ولذلك فلاجل امداد اسواقهم بالمواد الضرورية وحفظ قوتهم البحرية لزمهم ان يوجهوا انظارهم وينهبوا افكارهم واسفارهم نحو بحار جديدة واقطار بعيدة اخرى يتيسر لهم فيها ان يحصروا في ايديهم حواصلها الزراعية والصناعية بحيث لا يشاركونهم فيها احدهم من الامم الاخرى ويمكنهم بدون ان يخشوا من مزاحمة غيرهم لهم ولا من بأس صولة القرصان الصائنين عليهم ان يتحصلوا على ما يلزم لهم من المعادن اللازمة لتجارهم المالية وصناعاتهم الاهلية فكانت توجهاتهم في ذلك العصر الجديد الى الجهات المغربية بواسطة سفور سفنهم على سواحل افريقية حيث كانوا في العصر السالف اعنى عصر الصيداوين قد سبق لهم انهم انشأوا في تلك النواحي زلوتين تجاريتين وهما كل من مدينتي (هيپون) و (كبه) وانزلوا فيها ايضا الاقوام النازلين منهم بتلك الجهات الذين حدث منهم اصل الامة الليبية الفنيقية كما اسلفنا ذكر ذلك فيما تقدم

ومن ثم كان الصوريون (في سنة ١١٥٨ ق م) قد اسسوا ايضا بتلك البلدان مدينة عظيمة اخرى على سواحل ولاية (زوجيثان) وهى المدينة المسماة باسم (اوتيكة) وبذلك تيسر للفنيقيين ان يعملوا بسفنهم تجاريد سفرية جديدة واسفار بحرية بعيدة تتوجه من مين تلك الاقطار المغربية الى اقطار ابعدها اذ صار يمكنهم ان يأخذوا منها زواجرهم وميرتهم وشرعوا من ذلك العصر فى ان يترددوا على سواحل ولايتي (نوميديا) وهى ولاية (قسنطين) وجزء من النواحي المسماة باسم (بيليك تونس) وعلى ولاية (الموريتانيا) وهى ولاية (فاس) من سلطنة (مراكش) مع جزء من بلاد الجزائر المغربية ولم يزالوا يتدافعون شيئا فشيئا حتى كشفوا سواحل بلاد (اسبانيا) (المعروفة عند العرب ببلاد الاندلس) وانشأوا فيها المدينة التى كانت تسمى فى ذلك العصر باسم (قاديس) (بالمالة الدال المهملة على الياء المثناة من تحت يليها سين مهملة ايضا) ولم تزل تعرف لغاية الآن باسم (قادس) وقد كان تأسيسها من بعدهم تأسيس مدينة (اوتيكة) السالفة الذكر بمدة يسيرة جدا

مطلب — ذكر استيلاء الفنيقيين على ولاية (بيتيكة) من بلاد اسبانيا — ولم يمتد من بعد انشاء مدينة (قادس) المذكورة الا مدة قرن واحد من الزمن حتى تيسر للصوريين ان يتمكنوا بهيئة الاسياد من غير منازع لهم فى سائر النواحي الاكثر ثروة والاجزاء الاكبر خصوصية وحظوة فى ولاية (بيتيكة) اعنى فى سائر وادى النهر الذى كان يدعى فى ذلك العصر باسم (بيتيس) ومنه سمى ذلك القنطر باسم (بيتيكة) وهو الذى صار يعرف منذ الازمان المتوسطة بلفظ (الوادى الكبير) وهذا القنطر هو ما يعرف الآن باقليم (الاندلس) الاصل الحقيقى مع مملكة (غرناطة) من بلاد اسبانيا وقد كان اهل ذلك

القطر الاصليين الذين استولوا على الفنيقيين الصوريين عليهم في ذلك العصر هم القومين الذين كانا يدعيان باسم (التورد بتانيير والتورد يدين) وكان الصوريون ايضا قد استولوا على صائر طول بلاد القوم المعين باسم (البستولين) وقالوا ان تلك الاقطار في تلك الاعصار كثير من الليبيين الفنيقيين الذين كانوا متوطنين بسواحل افريقية ليعملوا لهم في حوائج الارض فامتزجت تلك الامة بالاهالي البلديين الاصليين حتى نص العالم الجغرافي اليوناني الشهير باسم (استرابون) في كتاب جغرافيته المشهورة على ان اكثر سكان اقليم (التورد بتانية) في عصره كانوا من ذراري الكنعانيين وكان سكان السواحل البحرية الكنعانية حوالى مدينة (ملقه) و (ابديره) لم ير الوايدهون في عهد الدولة الرومانية باسم (البستولين الفنيقيين) او (الليبيين الفنيقيين) وقد عثر في تلك الاماكن على بعض قطع من نوع الآثار القديمة المعبر عنها في اللغة الفرنسية بالهظ (ميداليه) وهي لويحات مخددة من المعادن الذهب والفضة والنحاس والتوج وغير ذلك ينقش عليها بعض كتابات تدل على بعض حوادث عظيمة لقصد تخليد ذكرها) فصل الاستدلال بها حيث وجدت مكتوبة باللغة الفينيقية على انه في ذلك العصر بعينه قد كانت اللغة المذكورة هي التي يتكلم بها في مدينة (قادس) ومدينة (ملقه) ومدينة (سكس) ومدينة (ابديره) من تلك المواطن الاندلسية

مطلب — ذكر جزيرة مالطة — وحيث كانت تجارة الصوريين على سواحل افريقية واسبانيا هي الفرض الاصلي من اسفارهم البحرية صار لهم من الزم الاوازم الضرورية ان يتخذوا السفنهم فيما بين بلاد الفينيقية وتلك الاقطار البعيدة مكانا من البحر ترسو فيه سفنهم فيسهل وتأخذ اوزادها وما يلزم لها من الميرة والموثونات منه وقد كان ذلك بطبيعته يلزم ان يكون هو جزيرة مالطة اذ كانت لها على ما مضى الله سبحانه وتعالى به من حسن مواقع مينائها الجببية وجمال مواضعها القريبة هي مفتاح البحر الابيض المتوسط في كل عصر ولذلك كان الصوريون على نحو اخر اواخر القرن الثاني عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام قد استولوا عليها وعلى الجزيرة المجاورة لها التي كانت تسمى في ذلك العصر باسم (جولوس) وتعرف الآن باسم جزيرة (جوزو) ثم خلفهم عليها بعد ذلك القرطاجيون ودل ذلك ما عثر عليه في اماكن هاتين الجزيرتين ولم يبق محفوظا لغاية عصرنا هذا غير من آثارهما كل الفنيقيين

مطلب — ذكر جزيرة صقلية — وقد كان اسلاف اهل جزيرة صقلية

من جملة عصابة الاقوام الليبيين البيلاجيين اى اليونانيين الكبيرة وكانوا يشاركونهم في اسفارهم البحرية وتدخل سفنهم في ضمن تجار يدهم السفرية التجارية ثم انقطعت هلائق اهالي بلاد (لبية) مع جزيرة (صقلية) دفعة واحدة لاسباب لم نزل مجهولة لنا بعد واتهم الصوريون فرصة ذلك التقاطع فيما بينهم فاستولوا على تجارة جزيرة (صقلية) وانشأوا

من مناقدهم التجارية ماملأ سائر سواحل تلك الجزيرة الغنية ولم يكن احد من الامم الاخرين في ذلك العصر يزاجهم عليها اذ كان اليونان لم يأتوا اليها الا بعد ذلك بمدة ثلاثة قرون من الزمن

مطلب — ذكر جزيرة سردينيا — واما جزيرة (سردينيا) فقد كانت ارباب السفن الصورية قد وجهوها على طريقهم في اسفارهم البحرية وراوا ان من اعلى اصلي مصلحتهم وانفع منفعة امنية تجارهم ان يتخذوا فيها مكانا نزول واحد الميرة اللازمة لجاراتهم منها ولم يكونوا يستغنون بالضرورة عن ان يحدثوا لهم منافذ تجارية على سواحل تلك الجزيرة ايضا ذلك كانت اما كنه في ذلك الزمان اوفق للصحة مما هي عليه الآن وكانت معجورة في ذلك العصر باهال كثيرين يربون مواشي كثيرة من الاغنام كانت اصوافها من انفس اصناف التجارة المتداولة في تلك الايام وكان يوجد في بلادهم ايضا معادن عظيمة من النحاس والرصاص الممتاز بالفضة ولذلك كان الصوريون قد اسسوا فيها مدينة (كارليس) وهي التي على مكانها الآن المدينة المعروفة باسم (كالياري) وانشأوا ايضا على الساحل القريب من الجزيرة المذكورة امام بلاد (اسبانيا) مدينة كانت تسمى باسم (نوره)

وما مر دنياه في المطالب المذكورة اعلام من الاماكن التجارية والمواطن البحرية هو مجموع التزائل الاستعمارية التي كان اهل مدينة (صور) قد انشؤوا في اثناء القرن الثاني عشر والحادي عشر قبل الميلاد في سائر الاماكن المهمة من البلاد الكائنة على السواحل القريبة من حوض البحر الابيض المتوسط (بحر سفيد) وكانت قد استحوذت بذلك على درجة شوكة بحرية وقوة تجارية ليست دون ما كانت قد استحوذت عليه من قبلها مدينة (ضيدا) من هذا القبيل في سالف الجيل

مطلب — ذكر مخالفة مدينة (صور) مع بني اسرائيل (في سنة ١٠٥١ ق م) وقد كان نزول القوم البحريين المعروفين باسم (الفلسطينيين) النازلين من اهل جزيرة (كريد) على سواحل الشام في سالف الايام وما حصل لهم من النجاح والظفر على سكان تلك الاقطار في ذلك العصر وتعلقت اطماعهم بان يستحوذوا لانفسهم على سائر النواحي الجنوبية من اقطار بلاد (سورية) قد ترتب عليه تبديل احوال العلائق التي كانت توجد بين بني اسرائيل والفلسطينيين في ذلك الجبل وذلك ان الاسرائيليين في اول مبادي فتحهم لبلاد الشام كانوا اعداء للصيادين كما كانوا كذلك بالنسبة لسائر الاقوام الكنعانيين ثم لما رأى بنو اسرائيل والغنيمة يرون ان القوم الفلسطينيين قد شنوا الغارة عليهم دفعة واحدة فظفروا بهم وغلطوهم وصاروا بحيث يخشى عليهم من ان يستولوا عليهم

ويستعبدوهم استعباداً خلدوا وترأى لهم من جهة أخرى ان (الآراميين) على نحو ذلك الوقت كانوا قد أخذوا بجهة شمال (سورية) في أن يستعمل امرهم ويعظم شأنهم اعوزتهم ضرورة الدفع عن انفسهم من حدود واحد على ان يتقارب كل من القومين المذكورين ويتجنب كل من هذين الخصمين الكبيرين وان كانا للغاية ذلك الوقت متعددين وتمكنت في اذهان الطرفين شدة لزوم عقد محالفة بين الجانبين

ولذلك كان الملك (هرام) ملك صور في ذات السنة التي كان (داود) عليه السلام قد اخذ فيها مدينة (اورشليم) من يد القوم المعروفين باسم (اليويزيين) وجعلها قاهمة المملكة العبرانية (اعني في سنة ١٠٥١ ق م). قد بعث اليه رسلاً من طرفه عقد واهمه عقد محبة بين الملكين المذكورين

مطلب — ذكر العمارات والاعمال النافعة التي انشأها الملك (هرام) الثاني بمدينة صور (من سنة ١٠٢٨ الى سنة ٩٩٤ ق م) — وكان قد صنع الملك (هرام) الثاني ابن (ابي بعل) على سرير مملكة الصوريين في سنة ١٠٣٨ ق م) فبادر من اول مبادئ مدة عهده بان شرع بمدينة صور في انشاء عمارات عظيمة وابتناء اعمال جسيمة تغيرت بها حالة منظر هذه المدينة بالكلية بقدرة عمارة فيكل معبودهم المعنى باسم (ميلكارت) وكان قد انشئ فيها من قبله بالف سنة فهدمه واقامه بالثاني على وجهه من الابهة والزينة لانظيره في سائر المباني وردم الخليج الفاصل من البحر بين الجزيرة التي كانتاوية متقدون حرمها المسماة باسم جزيرة (ميلكارت) والجزيرة الاخرى التي كانت عليها حاضرة (صور) البحرية الاصلية بحيث صار كل من الجزيرتين المذكورتين جزيرة واحدة وضم اليها ايضا مسافة من قاع البحر ترز يد عن اصل مساحة مجموع ارض هذه الجزيرة الالهية واجرى ردمها وتجفيفها في الجهة الجنوبية منها وانشأ فيها محلة مساكن جديدة واحاط مدينة (صور) البحرية هذه من جميع جهاتها بعد ان صارت بتلك الاعمال في حالة جديدة بمجسور تقبها من امواج البحر وبنى عليها سوراً محصناً باتوى الاعمال الاستحكامية وانشأ على سائر محيط الميناء القديمة اربعة عظمية واحداث على الساحل الغربي من تلك الجزيرة ميناء اخرى جديدة تسع من السفن ما يكاد يزدهن ضعف ما كانت تسعه الميناء القديمة وانشأ ايضا في تلك المدينة الجزيرة قصر الملو كيا عظيم حتى صارت بذلك كله هي مدينة (صور) الحقيقية الاصلية وحازت درجة الاعلوية والاهمية على سائر المدن الفنية في تلك الحقبة العصرية وامام مدينة (صور). البرية التي كانت تسمى باسم (پاليتوروس) ومعناه (صور القديمة) فقد كانت اخذت في الانحطاط والتخرب بالكلية

مطلب — ذكر علائق الملك (هـ ر ا م) الثاني ملك صور مع سليمان عليه السلام — وبينما كان الملك (هـ ر ا م) ملك صور المذكور مشغلا بهذه الاعمال النافعة العظيمة اذ توفي (داود) عليه السلام وبلغه على سرير مملكة بني اسرائيل (في سنة ١٠١٩ ق م) ولده سليمان فيبادر ملك (صور) المذكور بأن بعث الى القدس الشريف سفارة لغرضه ثمة ولد حليفه بمحاذاة تقليده بملك بني اسرائيل وكان داود عليه السلام قد عهد قبل وفاته الى ولده سليمان بان يبني هيكل بيت المقدس لعبادة الله الواحد الاقدس فطلب من الملك (هـ ر ا م) ان يعينه على تحصيل هذا المرام ولدعى ان ملك صور المذكور كان ملتصقا باعمال الحارات التي كان مشغلا بها في بلاده لم يكن به ان يسعف سليمان على الفور بما كان قد طلبه منه ولزم ان لا يشرع في عمارة بيت المقدس الا (في سنة ١٠١٨ ق م) قال المؤرخ فرانسيس لوفورمان المروي عنه اعلاه ما معناه وقد صنفنا قصة عمارة القدس الشريف في كتابنا (تاريخ القوم اليهود) نحن اراد ان يطلع عليها طليعنا (هـ) ثم قال المؤرخ المذكور بعد ذلك ما هو به مدسطور

ومن بعد ذلك بمدة يسيرة كان الملك (هـ ر ا م) الثاني وسليمان عليه السلام قد اتفقا وتهادا على ان يجعلا بصاريهما مشتركة من طرفهما الاعمال اللازمة للشرع في الاسفار البحرية جميعا (اوفر) على البحر الاحمر وقد ذكرنا قصة تلك الحادثة ايضا فيما سلف فلا حاجة الى الرجوع اليها كما لا حاجة ايضا لالعود على قصة عمارة بيت المقدس وانما ينبغي لنا ان نتص هنا على ان من الحوادث التاريخية الثابتة والوقائع الدهرية المقررة انه من مدة مديدة واهصار قديمة عديدة قد كانت بضائع الهند النفيسة من اعظم المواد الجارية عليها مزارع التجارة الغنيقيين وكانوا يجلبون اكثرها الى مركز بلادهم ثم ينشرونها من البر بواسطة قوافل تجارية تسافر الى الديار المصرية والى بلاد ادي الفرات ومن طريق البحر الى سائر سواحل البحر الابيض المتوسط ولذلك كان نجم غفير وقوم كثير من التجار الغنيقيين ومتوطنين بنواحي بلاد جزيرة العرب الجنوبية حيث كان يأتي اليها من الاقطار الهندية بعض سفن خليطة الانشاء والعمارة من صناعة اهل الهند كانت تدفعها الريح الهندية الدورية المعروفة في اصطلاح ارباب السفر في البحر باسم (الموسون) فتأتي اليها مشحونة بمواصل تلك الاقطار فيأخذها منهم التجار الغنيقيون وينقلونها في العادة الى بلادهم الاصلية بواسطة قوافل تسافر في انشاء محاري بلاد العرب الوسطانية فلما شرع كل من الملك

(هram) الثاني ملك صور وسليمان عليهما السلام في انشاء اسطول بحري عينا (اوفر) المذكورة كان ذلك اصل منشأ عمل الاسفار البحرية المستقيمة من مين آخر الخليج العربي (البحر الاحمر) الى سواحل بلاد الهند وكان قد تم لهم الحصول على هذا المرام كل التمام غير انه لم يستمر الا لغاية وفاة سليمان بن داود عليهما السلام فقط

مطلب — ذكر من خلف الملك (هram) الثاني على ملكة (صور) من الملوك الفنيقيين (من سنة ٩٩٤ الى سنة ٨٧٦ ق م) — ذكر مؤرخ اليهود المشهور باسم (يوسف) قائمة الملوك الذين تقلدوا بملكة (صور) من بعد (هram) الثاني المذكورة مدة قرن ونصف من الدهر وبقيت محفوظة لغاية هذا العصر واكثرهم لافائدة في ذكره بالنسبة لعلم التاريخ ولذلك تقتصر منهم على ذكر الملك المسعى باسم (ايتبعل) حيث ذكر في نصوص التوراة انه هو ابو امرأة المشهورة باسم (هازابيل) التي كان قد تزوج بها ملك بني اسرائيل المسعى باسم (احوب) وكان قد صار له تأثير كبير على عقل صهره هذا وترتب على ذلك ما ترتب من اسوأ المواقف للمملكة بني اسرائيل حيث نشأت فيهم بديسة هذه المرأة القبيحة ديانة عبادة الاصنام الصريحة وقد كان الملك (ايتبعل) هذا هو اول عائلة ملوكية حادثة كانت قد استقرت على سرير المملكة بمدينة (صور) بعدة قن سياسية شديدة ومحن اعلمية امتدت ما من الزمن مديدة

مطلب — ذكر ملك صور المشهور باسم (بيجماليون) واخته المسماة باسم (الياسار) المسماة ايضا باسم (ديدون) (من سنة ٨٧٦ الى سنة ٨٦٩ ق م) — وقد كانت مبادئ عهد الملك الرابع من ملوك هذه العائلة الملوكية الجديدة قد اشتهرت بمجادة فتنه شديدة ترتب عليها ان حدثت على سواحل افريقية فيما بعد ذلك العهد بمدينة (قرطاج) الشهيرة التي صارت هي قرية مدينة (رومية) الكبيرة وتفصيل ذلك ان ملك صور المسعى باسم (ماتان) كان قد توفي وقد خلف ولدين (احدهما) ذكريلنغ من العمر احدى عشرة سنة يدعى باسم (بيجماليون) و(الثاني) اتشي كانت اكبر منه سنابعض سنوات سعى باسم (الياسار) وكان ابوهما قد عهد اليهما بان يجلسا على سرير المملكة بطريق الشركة وكان عوام الرعية يرغبون في تغيير صورة ولاية الاسر الفنيقية من هيئة الحكومة الملوكية السيادية والاعيانبة بمعنى كون ولاية الامور من الطبقة العليا من الاهالي التي كانت عليها لغاية ذلك العهد ويبدلوها الى هيئة دولة اعلمية فاناروا فتنة داخلية ولوا على سرير المملكة الصورية (بيجماليون) بن (ماتان) وحده دون اخته (الياسار) واتخذوا له مجلس شورى من ارباب المناصب والدولية المساهدين

على هيئة الدولة الالهية وبذلك اخرجوا عن حق المملكة اخته (الياسار) المذكورة
 لها كان منها الانما تزوجت برئيس طائفة خدمة ديانة معبودهم المسمى باسم (ميلكارت)
 واسمه (زيبشار بعل) وقد كان من اصول ترتيب درجاتهم السياسية انه ثاني ذات من ارباب الرتب
 السياسية بهذات الملك فكان بحسب درجة منصبه هذا هو رئيس اهل العصبة السيادية
 وحيث كان الملك (بيجماليون) قد نشأ مربى على الميل للعصبة الالهية كان بعد تقليده
 بقلادة الملك ببعض سنوات قد قتل (زيبشار بعل) المذكور اذ كان يرى انه ضار احم له
 على سر ير المملكة فاشتدت في قلب اخته (الياسار) هذه حرارة بغية الانتقام وغية الاخذ
 لزوجها من اخيم بالشار ولذلك صارت رأس عصبة اهلية قوية كبيرة تصببت لفصد
 عزل اخيها هذا عن سرير الملك مراعاة ما كانت عليه صورة الدولة الصورية من الهيئة
 السيادية وسعوا في الحصول على الغرض المذكور فلم ينجح سعيهم بمدينة (صور)
 فذهبوا على ان يهاجروا من اوطانهم الاصلية ويخرجوا من ديارهم الصورية استند كافا
 من ان يبقوا فيها تحت ذل العصبة الالهية وقاموا جيعا وفجدا في مينا تلك المدينة عدة
 سفن متجيزة للاقلاع فاستولوا عليها على حين غفلة من اهلها وركبوا فيها وكأوا عدة ألوف
 عديدة وسافروا الى البحر تحت قيادة (الياسار) السالفة الذكر ليبحثوا لهم عن
 مكان آخر يحدون فيه مدينة (صور) اخرى في بعض الاقطار حتى تزلوا بسواحل
 افريقية واختطوا فيها مدينة (فرطاجه) الشهيرة ولما وقع هذه المهاجرة اشتهرت
 (الياسار) المذكورة باسم (ديدون) ومعناه في اللغة النيقية (الهاربة) وكان
 وقوع هذه الحادثة التاريخية الكبيرة في سنة (٨٦٩) قبل ميلاد المسيح عليه السلام
 وهي السنة السابعة من عهد تقييد الملك (بيجماليون) بمملكة الصوريين

مقْطَاب — ذكر كيفية تأسيس مدينة (فرطاجه) (في سنة ٨٦٩ ق م)
 وقد كان اتجاه سفر هؤلاء القوم المهاجرين من الصوريين نحو سواحل افريقية حيث
 كان لاوطانهم الاصلية في تلك الاقطار من سالف العصر من قبل مواطن تجارية
 ومنازل بحرية قد كانت لم تزل تزداد وكثوا يرون انهم اذا نزلوا بتلك البلاد لا يعدمون من
 ابناء اوطانهم الاصايين واخوانهم الفتيه يهرسوا فيهم من لا بد وان يكون فيه الاستعداد
 لقبولهم فيها والاعانة على نزولهم عايمها ولذلك نزلوا من اقليم (زوجيتان) على المكان
 الذي كان قد نزل عليه من قبلهم بيب، من قرى زمنية سالفه اخوانهم الصيد اويون وكانوا
 قد اختطو فيه مدينة (كبه) وكانت في ذلك العصر قد أخذت في الانحطاط التام وكانت
 تلك البلاد بوقت ان نزل عليها الصوريون المهاجرون اليها يليها ملك للقوم الليبيين يقال
 له (يايون) فجأت (ديدون) واشتد منه قطعة ارض لتقبل فيها انزلاتهم هذه الماركة

من القوم الصور بين الفار بن معها او اختطت فيها مدينة سميت باسم (قرطاج) وهو لفظ مأخوذ من اللغة الفينيقية من كبار كيبا واصفياء عنها في الاصل (المدينة الجديدة) ثم حرفه اليونان بلفظ (قارشيدون) وجاء الرومانيون ايضا فحرفوه الى لفظ (قرطاج)

مطلب — ذكر استيلاء الملوك الاسوريين على بلاد الفينيقيين (من القرن التاسع لغاية القرن السابع ق م) — ومن بعد مهاجرة (الياسار) على الفورا عني في ذات مدة عهد الملك (بجمايون) كانت مدينة (صور) وسائر المدن الفينيقية الاخرى قد اضطرت للدخول تحت سيادة ملوك بلاد الاسورية اذ كانت دولتهم في ذلك العصر قد استعجلت كل الاستفعال مع غاية السرعة والاستبجال وشوكتهم قد استعجلت وبلغت الى غاية أوج الكمال وكان بعض ملوكهم السالفين من قبل هذا العصر قد اغاروا على بلاد الفينيقية مرتين (احدهما) من ملكهم المشهور باسم (تجبالقلم) في القرن الثاني عشر و (الثانية) من ملكهم المسمى باسم (آسورنازيربال) في القرن العاشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام غير ان الاسوريين في تلك الاعصار كانوا قد ظهروا ببلاد الفينيقية ظهورا قصيرا فلم تطل مدتهم ولم تستقر في تلك البلاد دولتهم حتى جاءت مدة تلك الملك (بيلوخوس) الثالث ومن ابتداء ذلك العهد لغاية زوال المملكة النينوية كانت وطأة الدولة لاسورية قد ثقلت على الدوام والاستمرار على اهناق اهل تلك الاقطار

ومع ذلك فقد كان الفينيقيون قد هموا على عدة مرات بان يلقوا رعا عن اقارب كرب الصاعدة للدولة الاسورية اذ كان ذلك اثقل عليهم من بذل الطاعة لسيادة الدولة المصرية بكثير جدا وكان البطل الذي قام بتدبير هذه المقاومات الاهلية في النصف الاخير من القرن الثامن قبل ميلاد المسيح عليه السلام هو رجل من الملوك الصوريين يقال له (ايولي) مكث مدة ثلاثين سنة وهو يقاتل الاسوريين مع غاية المواظبة التي لم يقطعها قاطع ولم يمنعهما مانع فكان قد جاءه اول الملك (سرجون) واقام على حصار مدينة (صور) مدة خمس سنين (من سنة ٧٢٥ الى سنة ٧١٥ ق م) فلم يزل الملك (ايولي) هذا يدفع هجوم الاسوريين عن مدينته بطول تلك المدة مع الشجاعة وحسن التدبير حتى خاب امل الملك (سرجون) ولم يظهر جراحه من الاستيلاء على تلك المدينة البحرية غير انه في مدة الحصار المذكور كان اليونان قد انتهزوا الفرصة من تلك الحادثة واخرجوا سائر التزلات الاستعمارية التي كانت للصوريين بجزيرة (طاشوش) وجزيرة (كريد) واكثر الاماكن التجارية السورية التي كانت عامرة بجزيرة (صقلية) ثم جاء الملك (سنحاريب) بعد ذلك بمدة من الزمن فظفر به وغلبه وعزله عن سري المملكة

الصورية واستولى هو على مدينة (مود) الكائنة في وسط امواج البحر وقد كان ذلك في مبادى الغزوة الحربية الكبيرة التي كان قد شرع فيها القتال (حزقيا) ملك بني اسرائيل (في سنة ٧٠٠ ق م) وكان هذا الملك الفاتح الاسورى قد جرد مدينة (صور) التي هي كعبة الصتم المعروف باسم (ميلكاد) في هذه الغزوة جزاء لها وتنكيلا بها مما كان قد تقرر لها من درجة الالوية السياسية على سائر المدن الفينيقية منذ خمسة قرون زمنية وامامك الاسوريين المسمى باسم (اسورادون) فكان قد شن الغارة ابضا على مدينة (صيدا) اذ كانت قد خرجت ابضا عن طاعة الدولة الاسورية فادفع بها كما وقع بمدينة صور واخذها عنوة وعاملها بغاية الجبر والقسوة

مطلب — ذكر تخريب بختنصر لمدينة صور (من سنة ٥٨٩ الى سنة ٥٧٤ ق م) — ولما كان في عهد مصر المعروف باسم (نحاش) قد انتهر فرصة اخذ الدولة الاسورية في الزوال فاستولى مؤقتا على بلاد (سورية) كانت سائر المدن الفينيقية قد تلقت الجنود المصرية مع غاية الفرح والمسرورية اذ كان قد تراءى لهم انهم لهم منقذون من اسر القوم الاسوريين فلما جاء (بختنصر) المشهور فهزم ملك مصر المذكور على نهر الفرات (في سنة ٦٠٦) كما سلفنا ذكر ذلك في موضعه من هذا الكتاب كانت قد سقطت جميع هذه الامم ارفى قبضة ذلك الملك الجبار وكانت مدينة (صور) وارا كانت في ذلك العصر قد اذلتها قوة الالوية على سائر المدن الفينيقية غير انها كانت تزل على اقرب نواحيها وبخاصة في دوله وكما لم ير لها املا شجيرة متسعة في غربي البحر الايض المتوسط وتجارة بحرية جسيمة تجتمع من انواع الفنى والثروة ماله صورة عظيمة

ثم (في سنة ٥٩٠ ق م) كانت مدينة (صور) قد شهاق فروع مصر المسمى باسم (ابريس) على القيام على (بختنصر) كما حدث كذلك الملك (صدقيا) ملك يهودا على الخروج عن طاعة الدولة المصرية فقصى كل منعه اعليه وخرج عن طاعته في آن واحد فلما كان من بختنصر الا انه بعد السنة التي كان قد انخرط فيها في المقدس (سنة ٥٨٧ ق م) التفث الى تلك الحاضرة الفينيقية العظيمة وجاء اليها ونصب الحصار عليها فان كانت هواقب تلك الثورة على القوم الفينيقيين مشؤمة وادى مشؤمة وذلك ان بختنصر ظدر اولاً بمدينة (صور) البرية المسمى باسم (بالياتير) اى صور القديمة واخذها اخذ عزيزة مقتدر واخرى بالكلية وامام مدينة (صور) البحرية فكانت قد قاومت مدة ثلاث عشرة سنة وابدت في الدفع عن نفسها من اعجب المدافعات واخرى المجزات ثم انتهى امرها بان اخذها بالقوة القهرية وابعدها للاستلاب يومه العسكرية

وأعرب بقضها وأبق على بعض (في سنة ٥٧٤ ق م) وأصابها من جبروته
 بمصائب شديدة ونوابغ عديدة بحيث صارت تلك الحضارة الفنية ذات الالفة
 والكبرياء العنيدة من سوء الحال والجهد إلى درجة انحطاط لم تقدم منها بعد وصارت
 من العيص النكد انما تثبت كما ثبتت جيل السيل في اسفل الوادي لا غير اعني انها
 لم يتمكن لها بعد ذلك العهد ان تعود لما كانت عليه من اصلاح شأن مادة بحرها بالثاني
 ولان آسرت جوع ما كانت قد اشتهرت به من سعة قهارتها ولا ان تعين ما كان لها من التزائل
 الاستعمارية والاماكن الزراعية والتجارية بنواحي (اسبانيا) وجزيرة (سردينيا)
 وسواحل أفريقية وكانت مدينة (قرطاجة) الشهيرة قد خافتها عليها وتوارثتها عنها
 مطلب — ذكر حال بلاد الفينيقية في عهد التحاقها بالتيبعية للدولة السكندنانية
 والدولة الفارسية — وقد كانت صارت بلاد الفينيقية منذ ذلك العصر ميدانا للحرب
 بين فرعون مصر (إيريس) وبختنصر ملك الآشوريين وأصاب مدينة (صور) من
 ذلك اتلافات جسيمة جدا (في سنة ٥٧٣ ق م) وبقيت تحت يد الدولة العرفية
 بعدة اقامت دولتهم الثانية حتى جاء ملك فارس المشهور باسم (كبرش أو قوروس) فازالها
 واستولى على سائر الاقطار التي كانت تحت ولايتها فاذهنت بلاد الفينيقية كلها لسيادة الملك
 الفارسي المذكور بعد اخذها لبلدته (بابل) من دون أدنى مقاومة ولا مدافعة عن نفسها
 ومن ذلك الوقت صارت بلاد الفينيقية ولاية ملحقة بالدولة الفارسية قال المؤرخ فرانسيس
 لونورمان المذكور في آخر هذا الفصل من تاريخه الكبير المشهور ما تعريبه بجمامه هكذا
 ولما اخذ الملك (كبرش) مدينة (بابل) كانت جميع المدن الفينيقية قد انزلت من
 تحت طاعة الدولة السكندنانية إلى طاعة الدولة الفارسية واذهنت للدولة الفاتحة الجديدة
 بدون ان يحصل منها أدنى اهتمام بمقاومة ولا مدافعة عن نفسها بالكلية واطهر القوم الفينيقيون
 للقوم الغالبين تمام الطاعة والامتثال وبذلوا لهم مثل ما كانوا يذلونه للدولة القديمة من مرتب
 الاموال وصاروا يذودون اليهم ايضا ما يلزم لهم من السفن اللازمة لغزواتهم الحربية جميعا كانوا
 يرغبون ويعطونهم من ذلك ما كانوا يطلبون كافي غزوة الملك (قبرش) لدار مصر غير ان
 الملك الفارسي المذكور لم ياراد ان يشن الغارة ايضا في ذلك العصر على مدينة (قرطاجة)
 امنعت السفن الفينيقية من التوجه اليها وابتزته في استعبادها وانهم القرطاجيين
 اذ كان اصلهم من ابناء اوطانهم الاصليين كما اسلفنا ذكر ذلك فيما تقدم ولذلك بقيت
 مدنة (قرطاجة) بمخالفة الحربية من امير الدولة الفارسية (أ)

الفصل الثالث

في ذكر درجة تمدن الفتيقيين وأخلاقهم وعوايدهم وما كان لهم من التأثير على أحوال الأمم المتقدمين

من طلب — ذكر تجارة الفتيقيين البحرية — قد فهم مما أسلفناه في ضمن الفصلين السابقين من مختصر تاريخ الفتيقيين أن صناعة التجارة على وجه العموم ولا سيما التجارة البحرية قد كانت هي الشغل الشاغل الأصلي والعمل الغالب الأولي على القوم الفتيقيين ويصح أن يقال أن تواريتهم الأهلية إذا صرنا ننظر عما يوجد قديمًا من بعض حوادث عارضية حربية وقعت منهم في بعض الأحيان لقصد الدفع عن أراضيهم الخاصة قد كانت كلها في الحقيقة في سائر طول أعمارهم التاريخية عبارة عن سيرة أرباب تجارة متسعة جدا لا غير وقد كانت هذه الوظيفة هي التي تدعوهم إليها طبيعة وضع بلادهم الأصلية وتقتضيها ضرورة أحوالهم المكانية وبين ذلك أن أماكهم كانت على نهاية الأرض القارة من بلاد آسيا على سواحل بحر الخ العظيم يصل بطريق المباشرة بينها وبين القارة الأفريقية والأوروبية فلم بالضرورة أن تكون بلاد الفتيقية بحسب حسن موافقها هذا السعيد من مركز التجارة بين بلاد المشرق والمغرب ولذلك لم يكن التواصل بين بلاد آسيا وأوروبا وأفرقية من أول الأمر قد حصل بواسطة أساطيلها البحرية دون غيرها من الأمم من منذ أعصار طويلة من سالف الدهر

ولا يصعب على الأذهان أن تتصور مع غاية الوضوح والبيان حقيقة أنواع البضائع الأصلية وكيفية الأعمال التجارية الأولية التي كان عليها مدار تجارة الفتيقيين بطريق البحر في تلك الأزمان وذلك أن جميع الأمم والأقوام الذين كان الفتيقيون يرحلون للبادلة معهم كانوا إما زوايا بعد أقوام متوحشين وأما بدويين لصناعة عندهم ولا تقبل لديهم وكانوا على حالة أشبه بما كان عليه سكان بلاد (الأوقيانوسية) (جزائر البحر المحيط) البلديون بوقت أن نزل عليهم أول السياحين الأوروبيين وقد كان الكنعانيون من وجه آخر عندهم من التقدم في الصناعة بقدر ما كان لهم من الحسنة والمهارة في التجارة تقريرا وكانوا قد بلغوا في بعض أعمال الصناعات والفنون إلى أعلى درجة الكمال فإن مصنوعاتهم من المواد المعدنية قد ذكرت في نصوص الآثار المصرية من أول عهد العائلة المالكية المصرية الثامنة عشرة مع غاية الإطراء والإبالغ واشتهرت مصنوعاتهم في سائر أقطار الدنيا القديمة وكان في أيديهم بالخصوص اجتسار بعض ألوان صباغية بصفة موهبةا ويخرجون فيها

لاشار لهم فيها احد من الامم الا آخرين كصناعة اللون الاحمر الارجواني وهو صبغة حمراء بنفصية تنوع من السواد والسمرة الى الوان مختلفة كانوا يتخذونها من باطن نوع من القواقع او الودع المعروف بالحمار وهو نوع من الحيوانات البحرية كانوا يصطادونه من سواحل بلادهم وقد حصل الثور على عدة نموذجات عديدة منه في الآثار الفنية القديمة التي حصل العثور عليها ولم تزل توجد في المتاحف ذات الافرنجية الموجودة الآن وكانوا يصطنعون ايضا من اصناف الزجاج ما يضاها ما خرج من معامل انقراز التي كانت مشهورة بمدينة (البندقية) ببلاد اوروبه في الاعصار المتوسطة بل كان السلف يقولون بان الفنيقيين هم اول من اخترع صناعة الزجاج واذا كان الحال كما توضح اعلاه فقد ظهر ان الفنيقيين لم يكونوا مجرد مساهرين في العمل بالتوسط في الاخذ والعطاء بين الامم المتحدين والاقوام الاخرين الذين كانوا على انواع الصناعات والفنون متمرنين اعني المصريين والاسوريين فقط بل كانوا كذلك قوما يصنعون باديهم بعض الصناعات وينقلونها بانفسهم بعض الحرف والفنون وكان لهم معامل ابتدائية وحواصل صناعية يروجونها في تلك الابواب التجارية التي كانت مفتوحة لهم بواسطة نشاطهم البحرية وبهذه المثابة كانت تجارتهم كلها عمل بطريق المبادلة فكانوا يسافرون والى بلاد اليونان ثم الى بلاد (اسبانيا) ثم الى بلاد (الغولة) (وهي ما عليه مكان بلاد فرانسة الآن) ثم الى بلاد (ايطاليا) ثم الى بلاد (ليبيا) (وهي بلاد افريقية الغربية) وقد كانت سائر هذه الاقطار في تلك الاعصار كلها بلاد امم وحشة وسكانهم اقوام بدوية متعشقة لا يحسنون شيئا من الصناعات البشرية ثم بعد ذلك صاروا يسافرون الى الجزائر الابريطانية (وهي جزائر إنجلترا) حتى بلغ من شأنهم ايضا انهم كانوا يسافرون مدة حقبة من الدهر فيما بعد الى بلاد الهند ومن سكان جميع تلك الاقطار كانوا يأخذون ما كان يتيسر لهم من كل قطر في ذلك العصر من انواع المعادن واصناف الاخشاب وسائر المواد الأولية الطبيعية التي تنخرج من تلك البلدان ويعطونهم بدلا عنهما من حواصل معاملهم الصناعية وتنتائج اعمالهم الابتدائية فيبيعون لهم في نظير ذلك من الآلات والادوات المتخذة من المعادن والاقشة وانواع الاواني والامثلة المتخذة من الفخار والزجاج وقد كان سائر سكان تلك الاقطار لداعي محالطتهم بالفنيقيين قد انتشرت فيهم معرفة تلك الآلات والامثلة المعاشية واحسا بضرورة زومها لهم مع كونهم قد كانوا في تلك الاعصار لا يحسنون صناعتها بانفسهم

واما في الاعصار الاقرب عهدا منا فقد كانت حالة التجارة الفنية بين المذكورة قد تنسرت

بالضرورة

بالضرورة ولا شك في انهم قد كانوا هم الذين ما عداوا اكثر من كل ملة اخرى على نشر اسباب التمدن المادية في سائر اجزاء حوض البحر المتوسط الابيض (بحر سفيد) وكانت احوال سكان تلك الاقطار قد ترقى بمخاطبتهم وتقدمت بمعاشرتهم وصاروا بالنسبة لساكنيها في الاعصار السالفة ابناء مخضرين واقواما متمصرين ومع ذلك فقد كانت تجارة الفينيقيين معهم وان كانت منذ ذلك العهد مع اقوام تتمدين لم يتورها فتور بعد بل كانت قد بقيت على ما كانت عليه في سالف العهد من النشاط والاجتهاد وغاية ما هنالك ان كيفية اعمالها وانواع البضائع التي كانت تنور عليها دأثرة اشتغالها هي التي كانت قد تغيرت فقط وذلك ان امدن الامم المتمدنة بالاقطار المغربية واهل الامصار الاوروبية واولهم اليونان اغما كانوا يأخذون من بلاد آسيا كل ما كان يلزمهم من امتعة الزينة والرفاهية بحسب اصاروا اليه وتعودوا عليه من الاخذ في اسباب الحياة التمدنية والمعيشة الشهوانية وقد كان سكان تلك الاقطار المغربية وان كانوا قد بلغوا من درجات الترقىات العمرانية في تلك الامصار ايضا الى انهم صاروا بتقنون بعض الصنابع والفنون ويخرج من ايديهم بكثرة من ذلك حواصل ما يحسنون لم يزلوا يرغبون ولم يفتأوا يطلبون كثيرا من حواصل فروع الصناعة الشرقية

مطلب — ذكر التجارة الفينيقية البرية — وقد علم بالضرورة ايضا انه كان قد انضم لتجارة الفينيقيين البحرية الممتدة تجارة برية بطريق القوافل السفرية لم تكن دونها في الامتداد والسعة فقد كان لهم عدة طرق تجارية عظيمة وجملة خطوط سفرية قديمة هي البر ايضا تسافر فيها التجار الفينيقيون ويخترقون بها قارة اورو في سالف تلك الحقبة قياتون منها بحواصل صناعية نفيسة تخرج ببعض اقطار ساعة لم يكن يتيسر لهم ان يصلوا اليها بواسطة اسفارهم البحرية وكان اعظم تلك الطرق هو الذي كانوا يسافرون فيه في خلال بلاد (الغولة) وهي بلاد فرانس الان فيجلبون الى مصابنهر (الرون) بنواحي البحر الابيض المتوسط ما يخرج باقليم (كرونالية) (يسلادانجنترة) من القصدير قبل ان يظهر القرطاجيون وسافروا في البحر سفر مستمرا الى حد الجزائر الابريطانية مدة مديدة جدا وكان التجار الفينيقيون ايضا يجلبون العنبر الاصفر وهو الكهر باو الكهرمان من سواحل بحر (بليتيق) (وهو جزء عظيم من البحر المحيط الشمالي) وكان هذا الصنف هو اعظم الاصناف التجارية التي كانوا يجلبونها في اسفارهم البحرية الى الاقطار الآسية ولا يصح عقلا ان يقال بان سفن مدينة (صيدا) او (صور) كانت في عصر من الاعصار مطلقا تسافر بحرا الى حد بحر (بليتيق) وتتردد على سواحل بلاد (البروسيا) التي هي الموطن الاصلي

للعنبر بل الظاهر انهم كانوا يأتون به بطريق البر ويشترونه في سفنهم من عند مصاب النهر الذي كان يدعى في ذلك العصر باسم (الايروان) والمدعى الآن باسم نهر (البو) بيافارسية مفخمة يليها اواسا كنة في آخره حتى ان اليونان مكثوا مدة مدينة من الزمن يظنون انهم انما كانوا يتقطنون العنبر من ذلك النهر وليس الحال كذلك بل كانوا يأتون به من سواحل بحر (بليتيق) المذكور ويسافرون به على البر في قوافل تتخترق سائر بلاد (جرمانيا) او (المانيا) ويأتون في عودتهم ببضائع يجلبونها من مصنوعات بلاد آسيا ثم صاروا بعد ذلك يأتون في عودتهم ببضائع من صناعة بلاد (الايترورية) وهي ما يعرف ببلاد لتوسكانة من بلاد ايطاليا الآن) ويرجعون من ذات الطريق التي جاؤا منها فينشرون في سائر بلاد (المانيا) و (اسكنديناوه) ببلاد اوروبية وكان قد حصل تحت الطتم مع اهالي تلك الاقطار البلديين تأثير عظيم على اول ما كانوا قد تشبثوا به من الاخذ في مبادئ الصناعات والفنون بتلك الاحقاب العالقة

وقد كانت اسفار التجار الفنيقيين البرية كثيرة جدا خصوصا داخل بلاد آسيا حيث كانت قوافلهم ترحل اليها فتأتى منها الى مين الكنعانيين البحرية بالبضائع الطبيعية او الصناعية التي كانت سفنهم تأتي بها من صناعات البلاد المغربية وتشرها بدلا عنها في تلك الاقطار الآسية وكان لسير قوافلهم التجارية هذه في داخل الاقطار الآسية ثلاثة دروب اصلية فكانوا يتخترقون (اولا) صحارى بلاد العرب ويذهبون الى بلاد اليمن حيث يجدون هناك السفن الواردة من بلاد الهند ترسو على سواحل تلك الجهات وكانوا يسافرون من طريق آخر ايضا فيذهبون من بلاد (آرام) وهي بلاد الشام ويمرون ببلاد الجزيرة الفراتية حتى يصلوا من تلك الطريق الى بلاد الاسورية وبابل ومن ثم يأخذون في مبدأ طريق تجارية أخرى تمر بحدلال بلاد الميديه وفارس وبلاد (ايران) حتى يصلوا بطريق البر الى بلاد الهند وكان اقوافلهم طريق ثالث يسافرون منه الى بلاد الارمن ومنه الى الاقاليم الكائنة في سطح جبال (قوقازة) فيجلبون منها ما كانت تلك الاقطار مشهورة به من قديم تلك الايام من الماهادن والمصنوعات المعدنية

مطلب — ذكر ما كانت قد اشتهرت به مدن الفنيقيين من الغنى والثروة وكثرة الاموال — وقد كانت جميع هذه المتاجر المتنوعة باستمرارها في القوم الفنيقيين المذكورين مدة عدة عديده من اقرون برا وبحرا قد تراكم منها في المدن الفنيقية اموال جسيمة ونخيرات عظيمة جدا فكانت كثرة تلك الاموال هي السبب الموجب لكون تلك المدن قد سقطت الى اسواحل اذ كانت هي التي هيجت اطماع الملوك الاسوريين والكلدانيين اليها

اليها وحسب كانت يضاهي السبب في ان اهل تلك المدن قد غلب عليهم من غاية ارتكاب الرذائل والفواحش ونهاية فساد الاخلاق ما يؤدي دائما الى تطرق يد الغلبة والفتخ من الامم الاغراب الى كل امة كانت بهذه الحالة الذميمة ودليل ذلك ما ورد في نصوص التوراة من ان احسانيا، بنى امرائيل المسمى باسم (حزقييل) صاح على الصوريين بما معناه بالعربية هكذا (قد كنتم في لذات جنّة الرب وكانت ملابسكم بحلة بسائر انواع الجواهر والاحجار النفيسة وكان يد برق عايم في جنب الذهب حجر الظفر والياقوت الاصفر واليشم والزبرجد والجوزع والياقوت الازرق والبرمان (او الياقوت البعري) والزمرد وتضرب بين ايديكم الطبول والمزامير غير انكم قد تدنستم بكثرة مظالمكم ومظالم تجارتكم ولذلك اردت ان اخرج من بينكم نارا قد اكلتكم واصارتكم الى رماد (انتهى ما نقل من التوراة)

مطلب — ذكر ما كان قد حصل من الفنيقيين في سالف الاعصار من توطيئ التزائل الاستعمارية في كثير من الاقطار — وقد كان الفنيقيون لاجن تهيل متاجرهم وتأسيسها على اقوى قدم من الثبات والامان ينشئون منافذ صيرفية مستمرة ومعامل تجارية دائمة مستقرة في سائر الاماكن التي اعتادت سفنهم وتجارتهم على التردد عليها من قبيل ما هو حاصل في عصرنا هذا على سواحل افريقية وما انبثى عليه في اول الامر تأسيس عمارات الاسيطنانات الاوروبية بالاقطار الهندية وقد ذكرنا من ذلك على ترتيب تواريخ سلسلة التزائل الاستعمارية وجملة المعامل التجارية الاصالية التي كانت متصلة للفنيقيين من غير انقطاع على سائر سواحل البحر الابيض المتوسط (بحر سفيد) لغاية المكان المعروف عند السلف باسم (عمودي هر قول) (وهو المعروف الآن بيوغاز جبل طارق) غير انها كان اكثرها عبارة عن منافذ تجارية لا تزائل استعمارية حقيقية ولم يعهد لبنى كنعان انهم هموا بانشاء نزائل استعمارية حقيقية اعنى اما كن زراعية تشتمل على متسع عظيم من الارض انزلوا فيه سكانا فلا حين لم تصدر حراثة الارض وكفى لهم ولاية الامر عليهم غير دفعتين اثنتين فقط (احدهما) نزلة ولاية (بيوتيا) ببلاد اليونان حيث اختطوا هناك مدينة (طيبة) و (الثانية) نزلة (افريقية) التي كانت قد نشأت منها ابتلك الاقطار الامة المعروفة عند السلف بالامة الليبية الفينيقية وجماعداها تين التزليلير المذكورتين لم تكن سائر النزلات الاستعمارية التي انشأها الفنيقيون في عصر بلوغهم لاهل على درجة من الدلاح والنجاح اعنى في الوقت الذي كان يدهم احتكار الممالك التجارية البحرية في سالف تلك الحقب الدهرية دون غيرهم من الامم الا عبارة عن مجرد منافذ تجارية فقط

مطلب — ذكر ما حصل من تأثير التراث الفينيقية على احوال سائر الامم الذين كانت قد تأسست عندهم — وكانت جميع هذه المناقدا التجارية قد نتج عنها تأثير عظيم جدا على احوال البلاد التي كانت قد تأسست فيها وكل من قدمها صار مركزا لاختطاط حاضرة عظيمة حدثت حوله في تلك الدنيا القديمة وذلك ان اهالي كل بقعة من تلك البقاع البلديين وسكانها الاصليين كانوا في تلك الاعصار اقواما متوحشين وامجاديين فكانوا يأتون من كل جانب ويجمعون حول كل مكان فيه عمالة تجارية من العمالات الفينيقية المذكورة ويجذبون اليها بجاهلية ما يجدونه عندها من الفوائد المعاشية ويغترون خصوصا بما يجدونه حولها من اسباب المعيشة الحضرية ولذلك كانت جميع تلك المناقدا التجارية مراكز ذات حركة ونشاط لانتشار اسباب التمدن المادية وبالضرورة متى اختلطت امة متوحشة مع نشاط الحركة والاستمرار بامة متقدمة فلا تلبث ان تتوعد بوعائدها وتحقق باخلاقتها وطبائرها في اقرب وقت خصوصا اذا كان الامم المتوحشون المخاطبون للامم المتمدنين اقواما اولى فهم وفضانة وانسالا من الامم مستعدين للتقدم في طريق التمدن والعمران كما كان ذلك هو شأن الامم الاوروبية واليونانية في كل زمان فبذلك تحدث في الامة المتوحشة حاجات جديدة وضرورات شديدة تبعثها على ان ترهب وتتطلب مع الشراهة حواصل صناعة الامة المتقدمة التي تحتلها اليها حيث يظهر لها فيها من دقيق الصناعة وجديد البدعة ما لم يكن ينظر لها على بال من قبل ثم لا تتأخر ان يحدث فيها التثاقف لانه تقف على امر اراضيها وتعرف طرائق عملها وابتداعها فتجتهد بنفسها في ان تستخرج المنافع اللازمة من ذات موارد أرضها بدلا عن تسليها لايدي الامم الاغراب فيستفيدون منها وينتفعون بما دونهم

ومن المعلوم ان ديار مصر وبلاد الاسورية قد كانا في ذلك العصر هما أول مراكز نقطة التمدن الحضارة وأول منشأ التقدم في العمارة وقد كان الكنعانيون بالنسبة اليهم في ذلك العصر بمنزلة السفراء المرسلين والدعاة العاملين فكانت لا توجد بلدة من الاقطار السواحلية من أول جزائر بلاد اليونان الى حد جبل الطارق (ببلاد اسبانيا) في مبادى تلك الاعصار التي لم يكن يتضح فيها اتمام الموضوع ما كان حاصلها فيها من حسن تأثير تلك الاسفار البحرية غير انه كان اشير اليها في خرافات اليونان ما يعبر فيها عندهم باسفار البطل (هرقل) الذي هو المعبود الاهلي والاله الملى لاهالي مدينة (صور) الا وقد اقتبست أشياء من انوار تمدن الفينيقيين وعلمت منهم جزءا من علوم هؤلاء لقوم التمدنين وبواسطة تأثيرهم عليهم ونمتها انتشار اعمالهم فيهم كانت بلاد اليونان واطاليا وبلاد (الغول) (بلاد فرنسا) واسمانا

واسبانيا كل تلك البلاد في مبادئ عروبها من الحالة التوحشية متخلقة باخلاق الامم
الاسيين ومتعودة بعوايد الملل المشرقيين واقاموا على تلك الحال مدة من السنين حتى جاء
الوقت الذي كان فيه سكان تلك الاقطار الاوروباوية قد احسوا بانهم قد تقدموا الى طريق
التمدن والعمران الى درجة عظيمة بحيث يمكنهم بواسطة اقتراح قرائحهم الشخصية
واخذائهم من لبان تلك التربة الاجنبية ان يثروا واخطتها ويخلعوا البستها ويظهروا ويظهر
حالة تمدنيه وكيفية عمرانية يظهر عليهم طابع هيئتها خاصة بهم واقدم صدق من قال في هذا
المقام ولو بلغ ما بلغ قوله من درجة الغلو والايغال وبالغ في المقال بما كان للفنيقيين على سائر
الامم السالفين من فضل وظيفه التعليم وما كان لهم من الحظ العظيم في ارشاد اقدم نوع
الانسان في اول عصر طفولته الى طريق التمدن والعمران فانهم هم الذين كانوا اول من نشر
بالخصوص في سائر الاقطار والجهات بدعة الكتابة الهيروغليفية التي هي اعظم الابتداعات
البشرية وانفع الاختراعات الانسانية وكانوا قد بلغوها الى درجة كمال بحيث يسمع
ان يقال انهم لها هم المخترعون الحقيقيون وذلك ان جميع انواع حروف الهيروغليفية التي تكتب بها
جميع الامم في سائر اقطار الدنيا بتامها انما هي مأخوذة من الحروف التي كان يكتب بها
الفنيقيون وهي اثنان وعشرون حرفا اصلية وسائر حروف غيرهم من الامم ترجع اليها
وتلبنى عليها مع بعض حروف اخرى هي بينها واسطة ولسكنها متولدة عنها بكيفية توليد يمكن
تصورها بطريقة محققة.

وقد كان فن الفنيقيين يأخذ من فن المصريين وفن الاسوريين معا فكان عبارة عن توفيق
اشكال في الامتين المذكورتين وتطبيق اصول الصناعتين السابقتين وصار له كذلك
تأثير عظيم وعمل جسيم على فن اليونان

هـ مطلب — ذكر ديانة الفنيقيين وما كانوا يعبدونه من الاصنام المعبودين — وقد
كانت ديانة الفنيقيين قريبة جدا من ديانة الاسوريين والبابليين وكانت آلهتهم الاصليون
ومعبوداتهم الالهيون عبارة عن ذاتين اصليتين (احداهما) ذكر كان يسمى عندهم باسم
(بعل) وكانوا يعبدونه على صور مختلفة كثيرة ويدهونه باسماء متنوعة عديدة فكانوا
يعبدونه في مدينة (صور) باسم (ميليكارت) وفي مدينة (الجبيل) باسم (آدونيس)
وفي سائر الجهات الاخرى من بلادهم باسم (مولوخ) او (مولوك) و (الثاني) انثى
ويعمونها باسم (استرته) وهي التي منها تولدت الالهة المعبودة عند اليونان باسم (الزهرقة)
التي كانت تعبد بمدينة (بافوس) بجزيرة (قبرص) وقد كانت صورة عبادتهم لهذه
الاصنام المعبودة لهم تشتمل على اعمال تعبدية من ارضل ما يكون وافعال تسكية من
اقبح ما يحل بحكام الاخلاق كل كان الحال كذلك بمدينة (بابل) ولكن كانت تقتصر

عبادة الكنعانيين بالخصوص بما كان منطبقا فيها من طابع القسوة والجبر الذي كان يظهر على قواعد اعمالهم التعبدية ولم توجد أمة من الأمم السالفة تقرب منهم فيما كانوا يعملونه على حسب ما كانوا يزعمونه تقريبا لاصنامهم من الاعمال التنسكية المشتملة على سفك الدماء البشرية وتعاطي الفواحش الدينية قال المؤرخ (كروزر) المشهور مانصه (مغربا) ان الفرع قدسكان هو الاساس الاصلي والباحث القوى الاولى ديانة القوم الفنيقيين وكان دينهم دائما شديدا لظلمة السفك الدماء محاطا باظم ظلمات الخيلات السوداء (هـ) وفي الواقع ونفس الامر من تأمل فيما كان الفنيقيون يلتزمونه في تبيكاتهم الدينية من انواع الصوم والاحتشاء عن تعاطي بعض المواد الغذائية وما كانوا يفعلونه باجسامهم من انواع العذاب الاختيارية ولا سيما ما كانوا يجاسرون عليه من التقربات القبيصة بقتل النفوس البشرية التي كانوا يمتقدون وجوبها على الاحياء تعبد لاصنامهم المعبودة لهم لا يستغرب من كون امواتهم كانوا اولي بان يحسموا على الممات من احيائهم على الحياة ولقد كان من اصول دينهم ان يقتل اشد الاحساسات الطبيعية حرمة ويحط مرتبة الارواح البشرية الى ادنى الدرجات الدينية باوهاهم فاحسدة وافهام كاذبة من الفحش الفواحش وافسق انواع الفسق الفاحش وينتهي حال المتأمل في احوال تعبداتهم هذه الى ان يقول باهل ترى ماذا كان يرتب على ذلك من سوء العواقب الاخلاقية على اخلاق الامة الفنيقية قال المؤرخ المروى عنه اعلام بعد ذلك ما عناه وكان اشبع جميع التنسكات التعبدية واشبع الاعمال التنسكية في ديانة الامة الفنيقية هو ما كانوا يعملونه من التقرب لمعبودهم المدعو باسم (بعل بولوخ) بمحرق اولادهم وهم على قيد الحياة بفعل ذات والديهم أما لاعتقاد الخافهم بالحضرة الالهية المعبودة لهم اولقصدا طفاها رخصتها عليهم (هـ) وكان الفنيقيون قد فقلوا معهم تلك العادة الشنيعة الى سائر التللات الاستعمارية التي كانوا قد احدثوها في سائر الاقطار التي تزوا فيها ولا سيما بئزلة (قرطاج) اذ كانت قد بلغ فيها هذا الامر الديني الى ان صار من جملة الترتيبات الدولية الاصلية والشعائر السياسية المالية

ومن المعلوم بالضرورة ان دين كل امة وخصوصا كيفية اعمالهم التعبدية لا بد وان يكون عليه طابع قريحتهم الخاصة بهم ولذلك كان ما نقله الينا من وصف اخلاق الفنيقيين ليس مما يمدح فقد درى لانهم كانوا قوما اولي جبر وقسار قد ناءت نفس وكأبة واناسا فاسقين سفا كبر للدماء يتحكم فيهم حب النفس وشدة الاماماع لارادة في قلوبهم ولا يفون بعهودهم والظاهر ان روح ديانتهم بانضمامهم الى سالة وجودهم التي كانت محض تجارية وصناعية قد اجتماعي ان اخلاقا ابواب قلوبهم عن الشعور باحاساسات الكرم والمروءة وعن ضرورة الترفي

الى مرتبة اعلى من تلك المرتبة فانهم ولو بلغوا ثما بلغوا من الخلق والمهارة واظهروا اما اظهروا
من الاتقان والشطارة في تحصيل الاشياء المادية فذا توافوا في ما يتعلق بالمواد المعنوية والاشياء
العقلية في الحقيقة انما هم ذراى ذلك النسل الملعون بالخصوم فيما يروى عن نوح عليه
السلام انه دعا باللعنة العامة على ذرية ولده حام (اتتهى هذا الباب معربا من مختصر الامم
المشرقية والهند للورد فرانسيس لونورمان)



مسائل

تضمن على وجه الاختصار ما تقدم في هذا الباب السادس من القوائد والافكار

١ — ما اصل مأخذ هذا الباب

مقدمه

٢ — ما اصل الفنيقيين

٣ — ما اصل السكنعانيين وما كيفية هاجرهم من الاوطان التي كانوا فيها في اول الامر متوطنين

٤ — ما المراد من لفظ الفنيقية وما جغرافية ما كان يوجد فيها من المدن الاصلية

الفصل الاول

٥ — كيف كانت مبادئ اخذ الصيد اودين في الاشتغال بالسفر في البحر في سالف العصر

٦ — ما تاريخ استيلاء الدولة المصرية على بلاد الفنيقية

٧ — كيف كانت حادثة توسع الصيد اودين في الاسفار البحرية بتلك الحقبة المصرية

٨ — كيف كان سفر الصيد اودين في بحار اليونان بتلك الازمان

٩ — كيف كانت تجارة الصيد اودين في بحر بنطس او بنسكسان

١٠ — ما تاريخ تجارة الصيد اودين ببلاد افريقية

١١ — ما قصة اسفار الصيد اودين بالبحر الاحمر

١٢ — ما اسباب انحطاط درجة فن البحرية عند الامة الصيد اوية

١٣ — ما تاريخ غارة بني اسرائيل على بلاد فلسطين

١٤ — ما قصة نزلة الفنيقيين في ذلك الزمان عديته (لحيه) من بلاد اليونان

١٥ — ما قصة النزلات الفنيقية ببلاد افريقية

١٦ — ما اذكري عن القوم المعروفين عند السلف المتقدمين بالقوم البيبيين الفنيقيين

١٧ — ما تاريخ غارة القوم المعروفين عند السلف المتقدمين بالفلسطينيين وما قصة

خراب مدينة صيدا بغارة هؤلاء القوم الصانلين

(الفصل)

الفصل الثاني

- ١٨ — كيف كانت مبادئ اخذ مدينة صور في حيازة درجة الاعلوية على سائر المدن
الغنيقية
- ١٩ — كيف كانت حادثة المحالفة الغنيقية وما كيفية هيئتهم الاجتماعية
- ٢٠ — ماقصة ما كان للفنيقيين من النزائل الاستعمارية والقبائل المتوطنة ببلاد
افريقية وجزيرة صقلية وبلاد اسبانية
- ٢١ — ماقصة استيلاء الغنيقيين على اقليم (بيتنيكة) ببلاد اسبانية
- ٢٢ — مآثر بنج جزيرة (ملطة) في سالف الاعصار
- ٢٣ — مآثر بنج جزيرة (صقلية) في سالف تلك الحقبة العصرية
- ٢٤ — مآثر بنج جزيرة (سردينيا)
- ٢٥ — ماقصة محالفة بني اسرائيل مع ملكة صور وكيف كانت معاملته الملك (هرام)
مع داود وعليه السلام
- ٢٦ — ماقصة العمارات والاعمال النافعة التي انشأها الملك (هرام) الثاني بمدينة صور
- ٢٧ — كيف كانت علائق الملك (هرام) الثاني مع سليمان بن داود وعليهما السلام
- ٢٨ — مآثر يخرج من خلف الملك (هرام) الثاني على ملكة صور من الملوك الغنيقيين
- ٢٩ — مآثر بنج الملك المشهور باسم (بجمايون) واخته (الياسار) او (ديدون)
- ٣٠ — ماقصة تأسيس مدينة (قوطاجة) على سواحل افريقية
- ٣١ — ماقصة استيلاء الملوك الاسوريين على بلاد الغنيقيين
- ٣٢ — ماقصة فقريب (بختنصر) المسمى وبلد مدينة (صور)

الفصل الثالث

- ٣٣ — كيف كانت تجارة الغنيقيين البحرية
- ٣٤ — كيف كانت تجارة الغنيقيين البرية
- ٣٥ — ماذا يحكى عما كانت قد اشتهرت به المدن الغنيقية من كثرة الغنى والثروة
ووفرة الامتعة المأبذة

- ٣٦ — كيف كانت نزلات الفنيقيين الاستعمارية
 ٣٧ — كيف كان تأثير تمدن الفرائل الفنيقيين على سائر الأمم المتقدمين وما حقيقة
 ما كان لهم من الصنایع والفنون
 ٣٨ — ما حقيقة ديانة الفنيقيين وما كيفية عبادتهم لاصنامهم المعبودين وماذا نقل
 عن السلف من صفة اخلاقهم التي كانوا بها مشهورين



الباب السابع

في تاريخ السوريين والمليديين وسكان بلاد آسيا الصغرى والارمن السالفين

(معربان كتاب تاريخ بلاد المشرق القديم للأورخ (جيلمان)

و فيه عدة فصول

الفصل الاول

في تاريخ بلاد سورية

ذكر جغرافية تلك البلدان واصل اهلها وما كانوا عليه من الاديان

مطلب — ذكر ما المراد من لفظ (سورية) في هذا الباب من سالف الاحقاب وما اوضاعها الجغرافية وبيان اقسامها الطبيعية والسياسية — قال المؤرخ (جيلمان) في كتاب تاريخ بلاد المشرق القديم ما تعريبه بعدد قوم ان المراد من بلاد (سورية) من سالف الاحقاب الدهرية هي البلاد المشمولة فيما بين ولاية (سليسيا) ولاية سيلفته وادنه وبين بلاد (يهودا) (بلاد فلسطين الآن) والبحر الداخل في البحر (بهر الخزر) ونهر الفرات وحيث كانت تلك البلدان تحتقرها عدة فروع من جبل (طوروس) (جبل كوران) وجبل (امانوس) (جبل المداغ) وجبال لبنان كانت تشتمل على اودية نزيهة وسهول خصبة كثيرة توجد دائما في سفح تلك الجبال الكبيرة وذلك بخلاف نواحي الشرق منها حيث ترى صحارى قفرا وبوادي حفر آجفرا لانبات نباتها تنسد فيما بين نهر الفرات وشمال بلاد (سورية) المذكورة وليس في تلك الاقطار من الانهار الاصلية غير نهر (الاورنت) وهو المعروف بنهر العامى الآن)

وكانت تنقسم تلك الاقطار بالقسمة الطبيعية الى قسمين عظيمين (اكد هما) سورية العليا وهي الكائنة في جهة الشمال (والثانية) كانت تعرف باسم (كوليسورية) ومعناها سورية الفارغة وهي الكائنة في جهة الجنوب

واما اقسامها السياسية فقد كانت تختلف بسبب اختلاف الاعصار وفي عهد الدولة الرومانية كانت تنقسم على هذه الكيفية الآتية بعددهي
(اولا) ولاية (الكوماجين) في جهة الشمال وكانت قاعدتها مدينة (ساموزات) وهي موطن الفيلسوف الشهير باسم (لوسيانوس)

(ثانيا) ولاية (لاسيرستيك) الكائنة في جنوب الولاية المذكورة قبلها وقاعدتها مدينة (هيرا بوليس) بمعنى المدينة المقدسة وهي مدينة (بتيج الآن) وقد كان فيها معبد شهير لعبتهم المسمى باسم (استرته) وكان فيها مدينة كبيرة أخرى تدعى باسم (زوجه) كان يهاقذ طررة مصطنعة من سفن على نهر الفرات تصالها بمدينة (آبامه) الكائنة على الجانب الآخر من النهر المذكور

(ثالثا) ولاية (البيبريه) في جهة الغرب وهي مصابة من جهة الشمال لولاية (سيليسيا) المذكورة اولاً وكانت مدينتها الأصلية تدعى باسم (ميراندروس) وأصل عازمتها من نزل فنيقية قديمة كانت قد نزلت على القرب من مضائق جبال (سيليسيا) و (ابسوس) (اواجاسيوم)

(رابعا) ولاية (سيلوسية) على القرب من البحر الملح (البحر المتوسط الأبيض أو بحر سفيد) وكان بها قلعة حصينة تدعى بقلعة (سيلوسية)

(خامسا) ولاية (كالسيديس) على الشرق من الولاية المذكورة قبلها وكانت قاعدتها مدينة (كالسيس) فاشتق اسمها منها

(سادسا) ولاية (شاليبوتيد) وهي على أقصى من الولاية المذكورة قبلها إلى جهة الشرق تصل إلى نهر الفرات بواسطة الصحراء حيث يوجد المكان المسمى باسم (تبساك) وكان أكثر عبور المسافرين على نهر الفرات في تلك الأزمان من ذلك المكان

(سابعا) ولاية (البلميزين) وهي عبارة عن واحة في وسط الصحارى كانت توجد فيها مدينة (بلميز) (وهي مدينة تدمر المشهورة)

(ثامنا) ولاية (كوليسورية) في جهة الجنوب بوادي نهر العاصي بين سلسلة جبال لبنان الأصلية وسلسلة جبال لبنان الموازية لها وكانت قاعدتها من سالف الزمان هي مدينة

(دمشق) السكّانة على النهر المسمى باسم (كوزورواس) (وهو المعروف بنهر دمشق الآن) وهو يتوزع الى عدة جداول او غدران صغيرة كثيرة تروى ضواحي تلك المدينة الشهيرة وهي كائنة في وسط وادنيها جبل جدا وقد كان في تلك الولاية ايضا مدينة (هيليوبوليس) المسمّاة باسم بعلبك الآن وكان بها في سالف الزمان معبد يدعى الصنع والبنيان لعبادة الشمس (وهي ما كان يدعى عندهم باسم (بعل) في قديم الزمان) لم يرزل يتردد عليه السواحون برفحون على هيئة بعض الآثار الباقية منه لغاية الآن وتلك الاطلال كائنة على متسع من الارض تبلغ مساحتها من اربعة كيلومترات الى خمسة من آثار عمارات عهد الدولة الرومانية والاغلب على الظن انها من عهد قيصر الروم المسمى (انطونينوس) التي واما آثار مدينة تدمر الشهيرة فانها من حيث مجموعها هي اعظم شأنها واهول واجسم بنينا واهل غير انها من حيث بعض تفاصيل ودقائق هي دون اطلال هيكل الشمس المذكور قبل

(تاسعا) ولاية (لاودييسيه) على حدود بلاد الفينيقية وقاعدتها مدينة (لاودييه) (عاشرا) ولاية (آبامينيه) على شمال الولاية المذكورة قبلها وقاعدتها مدينة (آبامه) وكانت قلعة حصينة عظيمة كائنة في قطري خصوية جسيمة ومن مدن هذه الولاية ايضا مدينة (حص) وقد كانت مشهورة من سالف تلك الازمان بما كان يوجد فيها من هيكل للصنم المشهور باسم (بعل) وكذلك مدينة (حمام) وكانت تدعى ايضا باسم (ايفانيا) واخر اقسام بلاد سورية السياسية الولاية المسمّاة في تلك الاعصار باسم (كاسيوتيد) في جهة الغرب على سواحل البحر الابيض المتوسط وكانت قاعدتها مدينة (انطاكية) وموقعها في وسط سهل خصب جدا على شواطئ نهر العاصي وعلى البعد منها بمسافة قليلة غابة اشجار من الغار (او الدفلى) والسرود تقع قرية كبيرة هناك كانت تعرف باسم (دفنه) مشهورة بما كان يوجد فيها من هيكل الصنمين المعروفين عند اليونان باسم (ابواللون) و (ديانه) ومن مدن هذه الولاية الاخيرة ايضا المدينة التي كانت تسمى في تلك الاعصار باسم (لاودييه) وهي المروفة باسم (لاطاخيه) الآن

مطلب ذكر اصل السوريين واحوال سكان بلاد الشام السالفين — وقد كان اصل السوريين من نسل (آرام) خامس ابناء سام بن نوح عليه السلام ولذلك قد يعبر عنهم بالآراميين وقد يعبر عن بلاد سورية ايضا كما في اشروا يبلاد (آرام) وحينئذ فقد كانوا هم الاقارب الاقرب يون لقبائل السامية التي كانت تعيط ببلادهم غير انهم لما كانت

مواطنهم على ارض خصبة واقطار متسعة غنية جديدة لم يضطروا للعمل والارتحال ولم يكونوا قبائل اولى انجباع وانتقال كاخوانهم العرب ولا اقواما بحارة كما قد كان ذلك شأن القوم الفنيقيين بل كانوا قوما اهل فلاحة وتجارة وذلك انهم كانوا في ذلك العصر من جهة مصابين لثم الفرات ومن اخرى على سواحل البحر الملح فكان هاتان الجهتان يابين مفتوحين لهما ينتفعان بهما وطريقين متسعين يرتعان للاستفادة منهما وكانت القوافل التجارية التي تجلب البضائع المشرقية الى بلاد الفنيقية تمر بالضرورة في خلال بلادهم فتسدهم وسكان الاقطار السورية للشاركة في اسفارهم البرية حيث كانوا يتكسبون معهم منها ويقتسمون

منه نخرج من الارباح هنا

مطلب — ذكر ديانة السوريين وما كان لهم في الاعصار السالفة من الاصنام المعبودين —
 — وأما ديانة السوريين السالفين فقد كانت نظيرة من عدة وجوه كثيرة لاديان الامم الذين كانوا لهم مجاورين فكانوا يعبدون الصنم المشهور باسم (بعل) ويعتقدون انه هو ربهم الاعلى وهو عين الصنم الذي كان يعبد جيرانهم الكلدانيون مع تحريف خفيف في اسمه وكان في نظر عامتهم هو ذات الشمس او كوكب المشتري او غير ذلك من الكواكب السيارة والظاهر انهم كانوا يعبدون ايضا القمر باسم (بعل جاد) وقد كان من معبودات بلاد سورية الالهية المعبودة المسماة باسم (آثار جاتيس) او (ديرسو) وكان التعبد لها في الاكثر بمدينة (بنبيس) ولا شك انها في الاصل كانت تختلط بمعبودات القوم الفنيقيين المسماة ايضا باسم (ديرسو) وهي في اعتقادهم عبارة عن الهة نصفها امرأة ونصفها سمكة كان لها عابدات متعددة بمدينة (بوبة) و(عسقلان) و(ازوت) وكان لسكينة عبادتها في تلك الاماكن مشابة كبيرة مع كيفية عبادة الالهة المعتمدة باسم (سبيدله) التي كانت تعبد كذلك باقليم (افريجيا) (بيلا دآسيا الصغرى) حتى انتهى الحال بالتمزج من الصنمين المذكورين وجعلهما آلهة واحدا وكان كل من طائفتي قسمهما في ايام مواسمها الدينية ينهمكون على انواع وحشية من الرقص على نغم المزمار والطبول ويجلدون انفسهم بالسياط حتى يبرز الدم من ابدانهم ويقطعون اطرافهم في احوال جنونية واعمال سر سامية يفعلونها في تلك المواسم الدينية ومن اخص الاعمال التسدينية الخاصة باديان السوريين السالفين انهم كانوا يمتنعون من اكل السمك ويحترمون الحمام وأما ما كان يوجد في بلاد الفنيقيين من عوايد التقرب لآلهتهم باسالة الدماء والاعمال المحزنة والتنسك بانواع الفواحش المستبذلة وخط انواع العذاب الاليم

يقضاه

بقضاء الشهوات الجسدية فقد كان ذلك يوجد ايضا عند كثير من الامم المتوطنين ببلاد
آسيا الغربية

ذكر ممالك سورية المستقلة

مطلب — ذكر اصل منشأ الدول والممالك ببلاد سورية من أوائل تلك الاحقاب
الدهرية — قد كان السور يون في أول الامر منقسمين الى عدة قبائل لكل قبيلة
شيخ أو رئيس، مخصوص يقوم بولاية امرها على وجه الاستبداد والاستقلال ثم تقوى
بعض تلك القبائل على بعض وتعالى امرهم على غيرهم فتغلبوا على القبائل المجاورة لهم
وادخلوهم تحت طاعتهم ومعارلهم الدولة على تلك القبائل المستقلة بعد ان كانت لكل
واحدة منها مستقلة ومن ثم نشأ في بلاد سورية عدة ممالك أو دول صغيرة لا تعلم لاهل التاريخ
الابذكرها في الكتب المنزلة ولم يقف احد من العلماء بالتواريخ القديمة على حقيقة
المواقع الجغرافية التي كانت لكل واحدة من تلك الممالك الكثيرة وهي مملكة (سوبا) ومملكة
(حماه) ومملكة (إرباد) ومملكة (معاشة) ومملكة (جاسور) ومملكة (روبوب)
ومملكة (دمشق) ولم يعلم الجميع هذه الممالك والدول السورية حقيقة احوال تاريخية لغاية
ان خرج بنو اسرائيل من بلاد (فلسطين) في عهد كل من الملك (شاوول) والملك النبي
(داود) عليه السلام حيث كان قد صار بنو اسرائيل في ذلك الجبل قوما اهل جهاد
فتوجهوا لقتال اهل تلك البلاد وتلاقوا مع بعض ملوك الاقوام السوريين فذكر في سفر
(سمويل) من التوراة ان (شاوول) حارب ملوك (سوبا) وكان الملك (حدادعزير)
معاسرا لداود عليه السلام فاراد هذا الملك السورى ان يفعل ببلاد (سورية) كما فعل ملوك
بنى اسرائيل ببلادهم اذ اعنى انه يجمع سائر القبائل السوريين المتفرقين ويجعلهم عصابة
واحدة ودولة متحدة من كبة من جميع القوى المالية والجنود الاهلية لفسد منع تقدم
ما كان قد حصل من الشروع فيه من افتتاح تلك البلاد بجهاد الامم ايبليين فلم يتم له ذلك
المرام بل كان داود عليه السلام قد توجه اليه فهزمه كل الانهزام وكان قد رغب في
المحاربة مع ملك بنى اسرائيل عدة رؤساء صغيرين من ملوك الطوائف السوريين واراد
اهل مملكة (دمشق) ان يأخذوا بثأر ما حصل من الانهزام لملك السوريين المذكور
فاتدب لهم داود عليه السلام وشنت جوعهم وهزمهم شرهزة واضطر والامثال له
والدخول تحت طاعته واجبر هؤلاء الاقوام السوريين على دفع خراج الى دولة بنى اسرائيل
بمدينة (اوزعليم) (بيت المقدس)

مظلت — ذكر جروب المملوك السوريين مع بني اسرائيل — وما علم من التوراة أيضا انه كان قديم هؤلاء الاقوام السوريون مرة أخرى بحرب جديدة على بني اسرائيل أرادوا أن يتنزهوا فيها فرصة قيام القوم العمونيين على الاسرائيليين فخاب كذلك أملهم ولم ينجح أملهم ومع كون ملكهم المدعو باسم (حداد عزير) المذكور آنفا قد استعان على بني اسرائيل في هذه الحرب بسائر القبائل السوريين المتوطنين بالجانب الايسر من نهر الفرات هلك منهم فيها ٤٠٠٠٠ رجل في سهل (هيلام) حيث كانت واقعة تلك الحرب ومن وقت أن سقط القوم السوريون في هذه الواقعة لم يؤثر ملكهم هذا ذكر بل كان قد ظهر رجل آخر من جلة خدمه يقال له (ريزون) فلم يرض بهذه الهزيمة وكان قد احدث له مملكة بمدينة (دمشق) وجاء احد خلفائه عليها وكان معاصر الملك يهودا المدعو باسم (آفيا) بن (رحبعم) بن سليمان عليه السلام فحدود مملكة (دمشق) على أكثر بلاد سورية

وبينما كانت هذه الدولة ذات الشوكة القوية قد تأسست ببلاد سورية كانت دولة العبرانيين قد سقطت في حالة الاضمحلال بما كان قد استراها في ذلك العصر من الفشل والاختلال بفناء صاحب مملكة (دمشق) هذه المدعو باسم (ابن حداد الاول) واتنزه فرصة ما كان واقعا في اسباط بني اسرائيل من التفرق والشقاق واجبر ملكي دولتي (يهودا) وبني اسرائيل المتخاصمين على ان يشتر يامنهم مزية محالفتهم معها باغلي الايمان وقام ملك دولة يهودا المسمى باسم (آسا) فسلم اليه سائر خزائن بيت المقدس وصار عضدا مساعدا له على دولة بني اسرائيل الاخرى وقام السوريون فسلبوا ونهبوها وتلفوا حياها واخرى بها واستولوا منها على عدة مدن واجبروا الملك (عمرى) على ان يأذن للتجار السوريين في ان يدخلوا مع غابة اطلاق العنان والحرية في مدينة (سمرية) وبينوا جاديا اليه قبوا فيها

وجاء الملك (ابن حداد الثاني) ولد (ابن حداد الاول) وخليفته على سرر مملكة (دمشق) في نحو (سنة ٩٠١ ق م) فاراد ان يزيل مملكة بني اسرائيل بالكلية وحضر امام مدينة (سمرية) يتبعه ٣٢ ملكا أورثس قبيلة من طوائف السوريين ووضع عليها الحصار غير انه تحكم الفشل والاختلال في معسكره فاضطر للفراغ مع العار والشتار وذكر بالتوراة أيضا انه كانت قد توجهت بعد ذلك غارة اخرى من السوريين على بلاد الاسرائيليين فترتب عليها وقوع واقعة حربية قتل فيها كاتيل ١٠٠٠٠٠ رجل من السوريين وكان قد امكن لللك (احوب) ان يأمر ملك (دمشق) في هذه الواقعة ويقتلهم

ووقتله لكنه اختار ان يبقى عليهم بعد مده عهده محالفة ولا شك في ان واقعة نصره عليه لم تكن تامة كما ذكر حيث لم تلبث الحرب ان قامت على ساقها بين سمابا الثاني وولعت بينهما واقعة حربية اخرى قتل فيها (احوب) مع انه كان قد انضم للملك (يهوشافاط) ملك يهودا فاعانته عليه وخلف (احوب) على سرير مملكة بني اسرائيل ولده (يهورام) فشن عليه الغارة بمدينة (سمرية) ملك دمشق وحصره فيها اضيق الحصر حتى اصاب تلك المدينة اشق المجاعة والكرب ولم ينقذها من غائلة تضيق الجنود الاراميين عليها غير حالة فزع قامت بهم وتمكنت منهم ثم كانت عاقبة الملك (ابن حداد) هذا ان قام عليه بعد ذلك بقليل رجل من قواده سكره يقال له (هازايل) وخنقه ومنع ما حصل في مدة عهد الملك (ابن حداد الثاني) المذكور من بعض مصائب الدهور فقد كان لمدة تملكه على مملكة دمشق من البهجة والظهور ما بعث الاقوام السوريين على ان اغتذوه آلهاهم بدموته وعبدوه

واما القائد (هازايل) فانهم بعد ان قلدوه بمملكة دمشق وعلى منصب الملك اقروه قد كان اخذ منه الاسرائيليون في اول امره مدينة (راموت) ببلاذ (جلعاد) او (شالاد) وهي البلاد السكّانة على شرقي الجبال الواقعة على نهاية حوض نهر الاردن الاسفل) ثم جارب الملك (ياهو) وابنه (يهوياساز) فظفر بهما وغلبهما واخرب عليهما مملكة بني اسرائيل اشد الخراب والتفت بعد ذلك الى محاربة الملك (يؤاش) ملك يهودا فشن الغارة عليه واجبره على ان يقتدى مدينة القدس منه بتسليم جميع ما في خزائن البيت المقدس من الاموال والامثلة النفيسة اليه وبعد ان قتل الملك (يؤاش) الحبر الاكبر (زكريا) بسنة واحدة كان الملك (هازايل) ملك دمشق المذكور قد عاد الى مدينة بيت المقدس بالثاني وانتزعهما من يدي بني اسرائيل واباحها للسلب والنهب ولم يبق فيهم الله سبحانه وتعالى من شدة هذا الكرب الاجموت عدوهم هذا الشديد الصعب

مطلب — ذكر زوال دولة السوريين وانضمامها الى دولة الاسوريين — وخلفه على سرير مملكة الاراميين ابن له يدعى ايضا باسم (ابن حداد) فاسترد بنو اسرائيل منه سائر القلاع والحصون والمدن التي كان اباؤه قد اخذوها منهم بل يظهرون (بربعهم) الثاني ابن (يؤاش) ملك بني اسرائيل كان قد استولى على مدينة (دمشق) والحقها بدولة العبرانيين في ذلك الجليل وذلك ان حين انصباب المصائب على رؤس السوريين كان قد حان وأوان زوال دولتهم كان قد آن وكان قد ظهر في بلاد المشرق في ذلك الزمان دولة ذات

شوكة قوية كانت قد اخلت في ان تدخل تحت طاعتها سائر الامم الاراميين كما دخلت كذلك تحت ربة ساطنتها بني اسرائيل والفنيقيين (وهي دولة القوم الاسوريين) وكان آخر ملوك دمشق المدعو باسم (ريزان) اراد ان يتدارك هذا الخطر بان يتعصب مع ملكي يهودا وبني اسرائيل على دفع غائلة هذا الامر فأجابته الملك (فاتح) صاحب مملكة بني اسرائيل وامتنع (آخر) بن (يوش) ملائيمودا ولما اغار على مملكته كل من صاحب مملكة بني اسرائيل وملك (دمشق) معا القمى الاعداد عليهم حامن الملك (بعلاتقلمر) ملك الاسوريين فبادر ملك (نينوى) هذا باجابه دعاه وحضر بمجنوده (اولا) امام مدينة (دمشق) ووضع الحصار حولها فأخذها واستولى عليها وقتل (ريزان) المذكور وانتزع جملة نفوس من اهلها واجلاهم الى شواطئ نهر (قبروس) وهو نهر يصب في نهر العاصي) وانزل بدلائعهم في بلاد سورية ترائل استعمارية من الاقوام الاسوريين ووضع بها جنودا محفاظين وعمالا من طرفه ومن ذلك الوقت صارت بلاد سورية كلها ولاية تابعة للدولة الاسورية ولم يترتب على انخراط مدينة (نينوى) فائدة مما للاقوام السوريين بل كانت دولة الغراعة الممريين قد توجهت اليهم بالتهديد وانتقال الدولة العراقية القديمة الى مدينة بابل تعدت صواتها كذلك اليهم ونزات الجنود الكلدانية عليهم فهزمهم مع العبرانيين في واقعة (ماجدو) وتبعته فرعون مصر فهزمته ايضا في واقعة (قرقازيا) او (فرقيش) واجبرته على ان يفر الى ديار مصر ومن ذلك العهد صار السور يون غنيمة باردة ولقمة حاضرة محضرة لكل من جاء فاستولى على بلاد آسيا من الملوك الفاتحين في كل عصر كخنتنصر وكيرش والاسكندر وغاية ما هناك انه فيما بعد ذلك من الزمن كانت قد حدثت ببلاد سورية دولة جديدة تعرف في التواريخ القديمة بدولة (السلوسية) او (السيماوية) وفي تلك القرون الاخيرة لغاية عهد السلطنة الرومانية كانت مدينة (بلير) او (تدمر) التي هي مدينة سليمان عليه السلام القديمة لم تزل ظاهرة في اقصى درجة ابنتها باهر قبا بنى حبل ببيتها

الفصل الثاني

في تاريخ بلاد آسيا الصغرى

مطلب — ذكر ما المراد من لفظة (آسيا الصغرى) وما اوصافها الجغرافية — المراد

— المراد من قولهم (آسيا الصغرى) هو هذه البهيمت جزيرة البارزة في البحر الأبيض المتوسط (بحر سفيد) على هيئة رأس عظيم جدا من الارض القارة التي يطلق على سائرها اسم (آسيا) على وجه الاطلاق فهي الجزء البارز من ذلك البر فيما بين بحر بنطش او ينتكسان وبحر جزيرة (قبرص) على وجه بهيمت يدفع امامه امواج بحر الارخبيل (او بحر جزائر الروم) وحوالها الجنوبية مستورة بجبال شامخة من ضمن سلسلة جبال (كوران) لم تزل في كل عصر من الاعصار ماوى لاهم غير مضبوطين واقوام بر وابط قوائين الملل غير مبوطيين فهم دائما مستعدون لانزول على البحر وعلى السهول الكائنة تحت ارجلهم ينتهبون القبار المسافرين ويستلبون اموال الاقوام الفلاحين ويتكئون من هذا القطر الكثير الجبال من المشرق الى المغرب كل من الاقاليم التي كانت تعرف عند السلف بهذه الاسماء القديمة وهي (سكاري) و (ليسيا) و (بنفيليا) و (سيليسيا) وهذه الاقاليم تخرف الى جهة الجنوب نحو البحر ثم (اسبسيدا) و (ايزوريا) و (ليكاوونيا) وهذه الاقاليم تنزل الى جهة الشمال من اعلى الجبال الى داخل تلك البلاد وعلى القرب من آسيا الصغرى المذكورة كل من ممالك (تروادة) و (ميزيا) و (ليزيا) و (ايوليد) و (يونيا) وهي بلاد اليونان الكائنة بسواحل (آسيا) و (دوربد) وكل هذه الاقاليم كائنة على ساحل من البحر كثير الهضبات والوهاد جدا تحفرها عدة بحار من المياه تنكسب تلك الارض خصوبة عظيمة ولا يوجب البحر امام الساحل الجنوبي منها غيز جزيرتين عظيمتين وهما جزيرتا (رودس) و (قبرص) واما داخل البحر من الساحل الغربى فيشاهد عدة عديدة وسلسلة مديدة من جزائر جميلة وهي جزائر (لنوس) و (لسبوس) و (شيرو) و (ساموس) و (كوس) و جزائر (اسبورادة) ولم تزل تلك الجزائر كلها من قديم الزمان معمورة بالناس الذين فيها ياونون وملجأ للبحار الذين يلجئون وفي جهة الشمال من آسيا الصغرى الى جهة بحر (بنطش) المتصل ببحر الارخبيل بواسطة كل من بوغاز (هيليسمون) (وهو بوغاز (الدردانيل او شنى قلعه) وجون (البرو يوشيد) (وهو بحر صمره) و بوغاز (البوسفور) (وهو بوغاز اسلابول الآن) يوجد كل من اقليم (ميزيا) و (بيثيا) و (بفلاجونيا) وملكة (بنطش او ينتكسان) وفي وسط آسيا الصغرى يوجد اقليم (افريجيا) و (القادوسية) وملكة اخرى حدثت ايضا فيما بعد يقال لها (بالاسيا) وكل هذه الاقاليم الاخيرة كائنة في ادنى نواحي هذا القطر نعمنا خلقية واقلاها كرامة طيبة ثم ان بلاد آسيا الصغرى هذه تنفصل عن باقى بلاد آسيا العليا او الكبرى بجبل (امافوس) (جبل المداغ) وهو جزء من سلسلة جبال (كوران) يمتد الى جهة الشرق وتتكون منه تلك

البحث جزيرة على وجه طبيعي مضبوط جدا بحيث لا يمكن الدخول منها الى بلاد (سورية)
الامن باين ضيقين مسافة ما بينهما بقدر ٢٥ كيلومترا يدعى احدها وهو الكاش في جهات
الشمال باسم باب (الما داغ) والثاني وهو الكاش في جهة الجنوب باب (سوريه)
واعظم الانهار ييلا د آسيا الصغرى هو النهر المسمى عند السلف باسم (هاليس) وهو المعروف
الآن باسم (قريل يرمق) وهو الحد الفاصل بين نوعين متباينين من الانسال البشرية
القاطنين في تلك الاقطار الارضية اما سكان الجانب الغربي من ذلك النهر وهم (الايدون
و (الافريجيون) و (الميزيون) و (الكاريون) فقد كانوا على وجه العموم من جلس نسل
اهل اقليم (طراقة) الاوروبيين واما سكان الجانب الشرقي منه وهم (الابادوسيون
(السيليسيون) و (البنفيليون) و (السلويميون) وهم سكان اقليم (ليسيا) و (بيسيديا)
السالفون فهم من جنس النسل السورى العربى وقد كان نهر (قريل يرمق) هذا فاصلا
بين فرقتين مختلفتين من اللغات التى يتكلم بها هؤلاء الاقوام بتلك الجهات (احدها)
على الجانب الايمن منه وقد كانت كلهما من طائفة اللغات السامية الاصل و (الثانية)
على الجانب الايسر وهى من طائفة اللغات الهندية الجرمانية وذلك فيما عدا بلاد الارمن فإ:
خارجة عن آسيا الصغرى والظاهر انها الداعى ما عليه طبيعة لغة اها ما يقتضى أن تعد من جل
الفرع الهندى الجرمانى ايضا وستكلم عليها في فصل مخصوص يأتى بعد

مطلب — ذكر احوال سكان بلاد آسيا الصغرى السالفين —
ما يوجد بين الامم القاطنين على غربى نهر (قريل يرمق) من القرابة الشديدة من حيث
اللغات التى كانوا يتكلمون بها فقد كانوا مختلفين من وجوه عديدة فكان (الكاريون)
و (الايدون) و (الميزيون) منهم يعترفون بانسابهم الى اصل واحد ويتعبدون جميعا على
وجه الشيوخ بعمل قربانات الى معبودهم العام المدهوب باسم (زاوس كار يوس) هديتا
(ملازمة) بخلاف القوم (الليكاو ونيين) فانهم مع كونهم كانوا يتكلمون بعبارة اللغة التى كان
يتكلم بها (الكاريون) كانوا لا يشاركونهم في ذلك وكان كل من الامم (اليثنيين)
و (المارياندينيين) و (البفلاجونيين) يتكلمون منهم في جهة الشمال الشرقى من الامم
المذكورة ينقلهم طائفة ثانية كان دليل رجوعهم الى أصل الطراقيين الاوروبايين اقوى
واضح واظهر ووضح مما يشاهد في احوال هؤلاء الاقوام المذكورة و ذلك ان سكان
لجانين من بوغاز (البوسفور) كانوا يتكلمون في العصر المذكور بلغة واحدة وكانت
للاقوم وطباهم مقدته وهى شدة الشغف بالحرب وسفك الدماء والانهماك على السلب والنهب

فكان الفرق بين كل من (الكاريين) و(الليسيديين) و(البيثنيين) و(البفلاجونيين) عظيمًا جدًا وكان (الميزيون) و(الافريجيون) هم الذين تحقق فيهم درجة الانتقال بين الأصليين المذكورين وتعتقد فيهم عروبة القرابة بين جميع هؤلاء الامم المذكورين ولقد صدق من قال من اهل التاريخ ان واسطة عقد الانتقال بين الامم الآسيين والاقوام الاوروبيين المذكورين كانت بلاد (افريجيا)

وقد انقضت الروايات المنقولة عن المؤرخين المتقدمين مع ما يظهرون من احوال اللغات التي كان هؤلاء الاقوام يتكلمون بها على كل من جانبي بونغاز (البوسفور) المذكور على ان سائر هؤلاء الامم كانوا متحدي الاصل والنسب مختلطين بعضهم مع بعض وهل كان اصلهم من بلاد آسييا ثم انتقل منهم اقوام مهاجرون الى بلاد اوروپة ام كان الحال بالعكس قال جمهور المؤرخين السالفين ان (الافريجيين) كانوا في الاصل من الاور وياويير وكانوا قاطنين بسفح الجبل المدهو باسم (برميون) بتلك الاقطار وكانوا يدهون حينئذ باسم (البريجس) ومعناه في لغة (الليسيديين) الرجل الحر وقال المؤرخ الروماني المشهور باسم (استرابون) ان (الاطراقيين) و(الميزيين) كان اصلهم من البلاد التي كان الرومانيون يدهون بها بلاد (ميزيا) وهي الكائنة على شواطئ نهر (طونة) يسلط اوروپة ثم هاجر جميع هؤلاء الاقوام من بلاد اوروپة الى بلاد آسييا وقال المؤرخ (اكسانثوس) الليدي ان انتقال القوم (الافريجيين) من شواطئ اوروپة الى شواطئ آسييا قد كان بعد حروب مدينة (تروادة) المشهورة وقال المؤرخ (هيرودوت) اليوناني بعكس هذه القضية فذكر في كتاب تاريخه المشهور ان جماعة كثيرين من (التوكرين) وهم قدماء الترواديين ومن (الميزيين) الذين هم من قدماء الاقوام الآسيين المذكورين كانوا قد انتقلوا من بلاد آسييا الى اوروپة قبل تلك الحرب المذكورة فطردوا (الاطراقيين) من مواطنهم الاصلية واجبروهم على ان يهربوا وبونغاز البوسفور وتوطنوا باقليم (بيثنيا) وتقدموا هم الى حد نهر (بينوس) وهو المعروف الآن باسم (سلاميريا) بولاية (نيساليا) وقال بعض السلف من اهل التاريخ ايضا ان (الميزيين) هم في الاصل نزلة من القوم الليسيديين كانوا قد بعثوا الى تلك النواحي لقصد تسكين الغضب الالهى وفي الحقيقة قد كانت لغة (الميزيين) نصفها ليدي ونصفها افريجي وبالجملة فقد كان يوجد بعض روايات عامية وخرافات اهلية متحدة بسواحل اوروپة وآسياما كقصة الملك (ميداس) ملك نواحي نهر (البكتبول) وهو نهر (سرد) او (سرت) الآن حيث كانت تلك القصة الخرافية فحكى بين سكان (افريجيا) و(مقدونيا) معا ومن هذه الوقايخ كلها ينتج ان

اصل جميع سكان اقليم (طراقة) وبلاد آسيا الصغرى اعنى قرابة سكان بلاد اليونان مع امم
آسيا الكبرى على وجه العموم

واما بلاد (القادوسية) و (بنطس) و (بيثنيا) و بلاد (الجالاسيين) فحيث كانت قد تكون
بها بعض عمالك ودول صغيرة أو كبيرة في الحقبة العصرية المنتفضية فيما بين عهد الاسكندر
الا كبر وعهد السلطنة الرومانية فسيأتى الكلام عليها في مواضعها

ولا يعرف لاهل التاريخ شئ من اخبار بلاد (الليكاوونيين) غير انها بلاد متكونة من هضبات
جبلية باردة الهواء تكثر فيها المواشى الحيوانية كان قيهما من قديم الاحقاب الزمنية المدينة
المعمورة باسم (انكيوم) (وهى قونيه الآن) ولان اخبار بلاد (ايزوريا) وهى خطة من
جبال كوران كثيرة القلاع والحصون الصغيرة من قديم الزمان ولان اخبار بلاد
(الابسيديين) الكائنة على قبة جبال كوران المدكورة وقد عثر بعض السواحين من الافرنج
المتأخرين على اطلال عظيمة وآثار جسيمة لمدينتين قديمتين للقوم (الابسيديين) المدكورين
كانت تدعى (احداهما) باسم (سلجه) وكانت موضوعة على رأس جبل وهو جردا (الثانية)
باسم (ساجالاسوس) كائنة كذلك على قبة صغيرة شاهقة تشرف اشرفا فآز آسيا على واد
منفل ذي ثروة وخصوبة بليغة يشتمل على عدة قرى عديدة

واما (الليسيون) فسيأتى الكلام على تاريخهم في باب تاريخ الاقوام اليونانيين واما
(البنفيليون) و (السيليسيون) فلا تاريخ لهم يذكر ولا اثر عنهم يؤثر غير انه حصل العثور
على آثار من قديم كثيرة ببلاد (سيليسيا) ولا سيما آثار مدينة (سوليس) ذات على
ما كانت قديما تلك الولاية في قديم الاعصار من علوم وتبنة التمدن والاستحضار ولما
كان موقع تلك البلاد في عين باب بلاد آسيا العليا لزم بالضرورة ان يكون قدميها في خلال
سهولة ومضائق جبالها سائر الملوك الفاتحين للممالك القديمة من عهد الملك (نبنوس)
لغاية الاسكندر الا كبر ومن خلفه من الملوك السالفين ولذلك عثر بعض السواحين المتأخرين
في البحر بنداى المضيق بين الجبلين المعروف الآن باسم (جلوك بوغاز) وهو المشهور عند
السلف باسم (يلكس سيليسيا) بمعنى ابواب سيليسيا على نقوش بارزة مصطنعة في الصخور
يظهر عليها طابع فن تصوير الاسوريين ومنها نقوش اخرى تراهى لبعض العلماء
الاوربوا ويؤمن انها من الاعمال الاثرية التى انشأها (كسرى) ملك فارس فان جميع هذه
الآثار تثبت مروره هؤلاء الملوك الاقدمين الفاتحين لممالك المشرق وتؤكد بقاء ذكرهم
في تلك البلاد

واما البغلاجونيون فلم يحد ثوالهم دولة الامصافة حقبة قصيرة من الدهر قبل ميلاد المسيح عليه السلام بمدة قرنين من ذلك العصر وكانوا غنيمة يتنازعوها كل من ملك (بنطش) وملك (بيثنيا) في سالف الاعصار وليس لاهل النار مخ معلومات صحيحة الا ما تدرج افيما يتعلق بحقيقة اجوال بلاد (الكارية) وبلاد (افريجية) واما ملكة (تروادة) وملك (ليديا) فانما اوضح حالاً من جميع بلاد هؤلاء الاقوام الاسيين لداي انهما كانا اكثر علاقة ومعاملة مع بلاد اليونان في تلك الازمان

اما (الكار يوس) فمن اخبارهم ما يظهر من انهم كان قد حدثت لهم في الاعصار الغابرة دولة عظيمة ظاهرة وكانوا يدعون في تلك الاعصار القديمة باسم (الليبيين) . وانهم كانوا قد ملأوا بحر جزائر الارخبيل . (بحر جزائر الروم) وما فيه من الجزائر يسفهم البحرية وكان قد استولى عليهم الملك (كربزوس) ملك (الليديين) وضم بلادهم الى مملكته حتى جاء الملك (سكيرش اوقيروس) ملك فارس ففقدوها واستولى عليها ونصب عليها من طرفه ولانها الاصاين ومن اخبار الكاريين المذكورين انهم قد كان لهم حظ عظيم ومدخل جسيم في ثورة المدن اليونانية واليونانية الكائنة بسواحل بلاد آسيا الصغرى على الدولة الفارسية وانهم كانوا قد صار قمع عصيانهم ومنع طغيانهم وادخالهم معهم تحت الطاعة الفارسية بالثاني وكان التجار في النوع البشري بتلك الاعصار يجدون سهولة في اخذ الرقيق الذي كانوا يجربون فيه من سكان تلك البلدان حتى صار لفظ (الكارى) مرادفاً للفظ الاسير في تلك الازمان ويرى انهم كانوا دائماً يخدمون الدول الكبيرة ذوات الشأن بالاجرة كدولة مصر واليونان ودولة العبرانيين في عهد داود عليه السلام

واما بلاد (افريجية) فقد كان من مدخا الاصلية في تلك الازمان مدينة (لاوديسة) وهي المعروفة الآن باسم (اسكي حصار) ومدينة (آبامه سيبتوس) وهي المسماة الآن باسم (دينابيس) وغيرهما ومن اشهر الاماكن المشهورة بهذه الولاية ايضا المكان المعروف باسم (تنبره) وهو السهل الذي هزم فيه الملك (كبرش) جيش الليديين والقرية المشهورة باسم (ابسوس) وهي البقعة التي وقعت فيها واقعة الحرب الكبيرة بين خلفاء الاسكندر الاكبر وحيما اقتسموا بلاد سلطنته فيما بينهم كما سيأتى ايضاح ذلك في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

وقد كانت ولاية (افريجية) هذه مشهورة عند السلف بجودة ما يخرج بها من صنف الصوف الجيد فيؤخذ الى مدينة (ميليت) وهي اكبر المدن اليونانية واليونانية ببلاد آسيا

الصغرى و يصطنع فيها منه اجود الاقشة الفاخرة وكانت مشهورة ايضا من سالف الازمنة
بالفلاحة المتقنة وما كان يخرج فيها من أنواع الجبن المستحسنة وأنواع الاطعمة المملحة

لذلك كان بهذه البلدة من سالف الاعصار الغابرة ايضا مملكة من هرة ودولة كبيرة ظاهرة توارثت
اخبارها الى عصرنا هذا وبقيت آثارها عندنا بما توارثه ديننا من الروايات التي تناقلها الناس
من الامم والاقوام المتوطنين على جوانب بوغاز (البوسة ور) (بوغاز اسلامبول) مما يحكى عن
بعض ملوك تلك الولاية وهو الملك المشهور باسم (ميداس) من انه كان اذا لمس شيئا استعمل الى
ذهب في الحال ولا شك فان ذلك من قبيل الخرافات العاتية والخيالات الوهمية وانما
من الثابت المحقق والمعلوم الصادق المصدق انه كان يوجد في تلك الولاية دولة كانت قد
سبقت في السلطنة على بلاد آسيا الصغرى دولة (الديدين) ولربما كانت هي الواسطة
في القمدن والتقدم في المواد الدنيوية الذي كان قد جاء من بلاد آسيا العليا الى مملكة
(البدبا) ومملكة (نروادة) وسائر بلاد اليونان في سالف الزمان ولكن من سوء الحظ
ضاعت عنا اخبار ذلك القمدن القديم واندرست آثار ذلك التقدم العظيم ولم يبق لنا منها
غير ما علم من بعض روايات عاتية قديمة متهممة وبعض آثار واهية مبهممة شوهدها علمها
بعض نقوش بارزة هي لغاية الآن غير منفهمة وجدت خصوصا على وادي (سجاريوس)
وهو المعروف الآن بنهر (ساكاريا) بلاد آسيا الصغرى يصب في بحر (بنطس)
وقد كان ايضا من جملة دول بلاد آسيا الصغرى القديمة العظيمة ومما عكها المستعملة
الجسيمة ممكة (نروادة) ولكن تاريخها مما يتعلق بتاريخ بلاد اليونان وسياق في بابها
من هذا الكتاب

الفصل الثالث

في تاريخ الديدين

مطلب — ذكر ابن كانت مواطن الديدين وما اخبار بيوت ملوكهم السالفين
— انه فيما بين سفح جبل (قولة) او (غولوس) ونهر (هرموس) الكائن على الجانب الايمن
من النهر المسعى باسم (بكتول) او (بكتولوس) وهو المسعى بنهر (سارد) او (صرت) او
(باجوليت) الآن يرتفع جبل شامخ جدا يشرف على سهل رحب خصب ينتفع فيه من جهة
الشرق

